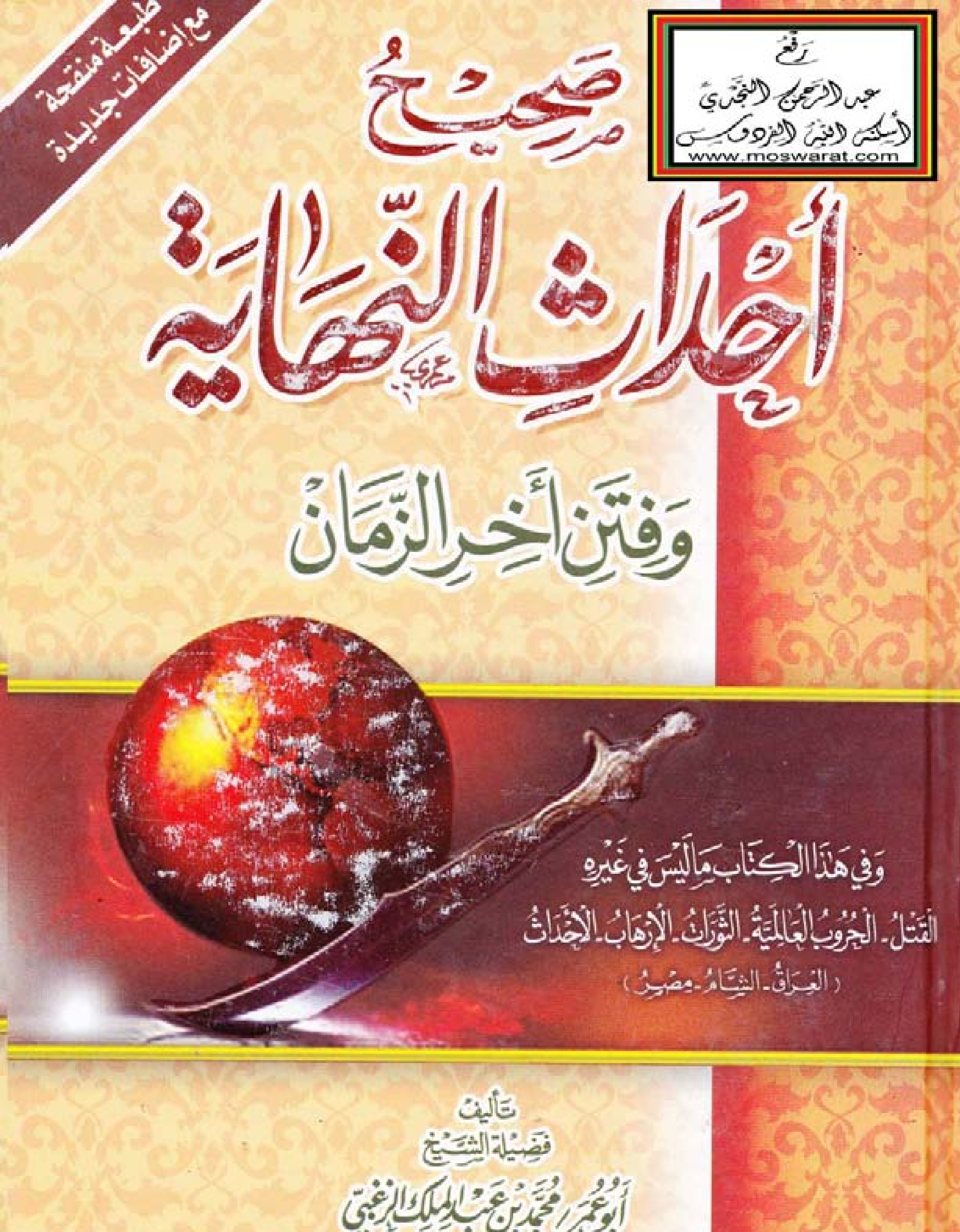


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
طبعة منقحة
مع إضافات جديدة
صحيح
أحداث النهاية
وفتن آخر الزمان
وفي هذا الكتاب ما ليس في غيره
القتل. الحروب العالمية. الثورات. الإرهاب. الأحداث
(العراق. الشام. مصر)
تأليف
فضيلة الشيخ
أبو عمر محمد بن عبد الملك الزغبي
دار الغد الجديد



صحيح أحداث النهاية وفتن آخر الزمان

وفي هذا الكتاب ما ليس في غيره

القتل - الحروب العالمية - الثورات - الإرهاب - الأحداث

(العراق - الشام - مصر)

تأليف
فضيلة الشيخ
أبو عمر محمد بن عبد الملك الزغبي

دار الغد الجديد





القاهرة - المنصورة

EXCLUSIVE RIGHTS
BY
DAR AL-GHAD AL-GADEED
EGYPT - AL-MANSOURA

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م



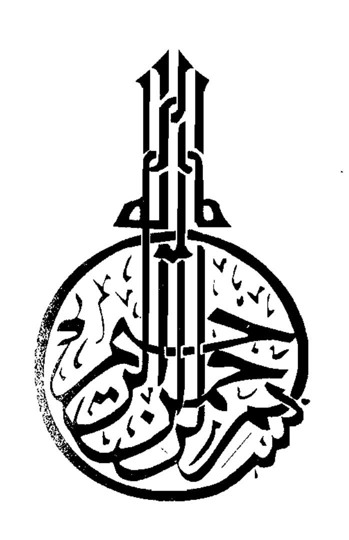
القاهرة: ٧ ش درب الاتراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش عبد السلام عارف أمام جامعة الأزهر
ت فاكس/ ٢٢١٦٨٩٨/ ٠٠٢٠٥٠
ت فاكس/ ٠٠٢٠٢/٢٥١٤٨٢١٦

صندوق بريد: 35111

EMAL:DAR.ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع: ٢٣٧٣٣ / ٢٠١٠

الترقيم الدولي: 978-977-273-303-3



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدهِ الله فلا مضلَّ له،ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٣)(٤) .

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢ .

(٢) سورة النساء: ١ .

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ ، ٧١ .

(٤) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (٢ / ٥٩١ ـ ٥٩٢) كتاب النكاح (٦) باب (٣٣) (ح) (٢١١٨)، والترمذي في سننه (٣ / ٤١٣ ـ ٤١٤) كتاب النكاح (٩) باب (١٧) (ح) (١١٠٥)، والنسائي في المجتبى (٦ / ٨٩) كتاب النكاح (٢٦)، وابن ماجه في السنن (١ / ٦٠٩ ، ٦١٠) كتاب النكاح (٩) (ح) (١٨٩٢)، وعبد الرزاق في المصنف موقوفًا (٦ / ١٨٧ ، ١٨٨) (ح) (١٠٤٤٩)، وأبو داود الطيالسي ص (٤٥) (ح) (٣٣٨)، والدارمي في سننه (٢ / ١٤٢) كتاب النكاح، والبيهقي في الكبرى (٧ / ١٤٦) كتاب النكاح، وأحمد في المسند (١ / ٣٠٢ ـ ٣٩٣)، ورواه مسلم بنحوه مختصرًا في صحيحه (٢ / ٥٩٣) كتاب الجمعة (٧) باب (١٣) (ح) (٤٦ / ٨٦٨)، وغيره.

فوائد:

أ ـ خطبة الحاجة هذه سُنَّةٌ، يقول الصنعاني رحمه الله: وقوله: «في الحاجة» عام لكل =

ثم أما بعد...

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمورِ محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة(١) .

= حاجة ومنها النكاح، وقال أبو إسحاق: في كل حاجة، وفيه دلالة على سنيَّة ذلك في النكاح وغيره، ويخطب بها العاقد لنفسه حال العقد، وهي من السنن المهجورة، وذهبت الظاهرية إلى أنها واجبة، ووافقهم من الشافعية أبو عوانة ، ولكن الصحيح عدم الوجوب. انظر «سبل السلام» (١٣٠٣ ـ ١٣٠٤) (ح) رقم (٩١٥).

ب ـ قولنا: «نستهديه» ليست في الحديث، ولم ترد في ذلك أية رواية على حد علمي.

ج ـ قولنا: «نشهد» بصيغة الجمع لم تأتِ في الحديث بل الثابت الإفراد؛ وذلك لأن الشهادة من أعمال القلوب، والتي لا يجوز فيها الإنابة ، فقد جاءت في الحديث بلفظ: «أشهد أن لا إله إلا الله. . .».

د ـ وقوله: «في خطبة النكاح وغيره» ليست من قول ابن مسعود رضي الله عنه كما وهم بعض العلماء، وإنما من قول أبي إسحاق السبيعي، وقد وضحت في رواية أبي داود الطيالسي ص ٤٥ (ح) (٣٣٨)، ثم قال شعبة: قلت لأبي إسحاق هذه في خطبة النكاح أو في غيرها، قال: في كل حاجة. والبيهقي (٧ / ١٤٦).

هـ ـ الذي يأتي بهذه الخطبة هو ولي الزوجة، وليس لأحد الجالسين أو المدعوِّين ، وإنما يأتي بها افتتاحًا لإنكاح وليته إلى زوجها. وانظر: «صفة خطبة النبي ﷺ » ص ٦٣ لأخينا الفاضل عمرو سليم حفظه الله.

قلت: والذي أراه أن الأمر يختلف من شخص لآخر، فيقول شيخنا الإمام الصنعاني رحمه الله في «السبل» (٣ / ٩٧٩) شرح (ح) (٩١٥): «وغيره، ويخطب بها العاقد بنفسه حال العقد وهي من السنن المهجورة».

وقول الإمام الصنعاني هو الراجح عندي بخلاف ما قاله غيره، وليس هذا محل بسط الكلام فيه، والله المستعان.

(١) الحديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه (ح) (٨٦٧)، والنسائي (٣ / ١٨٨ ـ ١٨٩) صلاة العيدين، وابن ماجه (٤٥) المقدمة.

قلت: وقد ذهب بعض العلماء أن لفظة: «وكل ضلالة في النار» شاذة، تفرد بها عتبة بن عبد الله، أخرجه بهذا اللفظ النسائي (٣ / ١٨٨)، وابن خزيمة (ح ١٧٨٥).

وقد روى هذا الحديث إبراهيم بن عبد الله الخلال، والحسين المروزي، عن ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، ولم يذكروا هذه الزيادة. =

. . . .

= وكل من روى هذا الحديث لم يذكر هذه اللفظة كالتالي.
أ ـ أخرجه مسلم (٨٦٧)، وابن حبان، والبيهقي، وابن ماجه (٤٥) من طريق عبد الوهاب الثقفي.
ب ـ ومسلم أيضًا (٨٦٧) من طريق سليمان بن بلال.
ج ـ وأحمد في المسند (٣ / ٣١٠) من طريق مصعب بن سلام.
د ـ وأحمد أيضًا من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري.
و ـ وابن خزيمة: من طريق أنس بن عياض (١٧٨٥).
هـ ـ وأحمد (٣ / ٣٣٨) من طريق عبد الله بن الوليد العدني.
جميعهم عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر.
ز ـ وأحمد (٣ / ٣٧١)، ومسلم (٨٦٧) من طريق وكيع عن سفيان به.
قلت: ثم وقفت على قول لشيخنا الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٩ / ١٩١) حول هذه اللفظة فقال:
«ولم يقل ـ أي رسول الله ﷺ: «وكل ضلالة في النار، بل يضل عن الحق من قصد الحق، وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب، وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له.
وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] : » اهـ.
قلت: ومما قد يعكر قولنا السابق وقول شيخنا ابن تيمية رحمه الله:
أ ـ ما رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» ص ٢٤ بسنده.
أخبرنا أسد، عن سفيان عن عيينة، عن هلال الوزان، قال: أخبرنا شيخنا القديم عبد الله ابن عكيم، عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول:
«أصدق القيل قيل الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ وإن شر الأمور محدثاتها، ألا وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».
وسنده حسن، ولله الحمد على ذلك.
ب ـ قلت: واستدلال شيخنا ابن تيمية بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، يمكن الاستدراك عليه بقولنا:
١ ـ مقصود الآية كما قال الحافظ ابن كثير (١ / ٣٤٢ ـ ٣٤٣): «أي إن تركنا فرضًا على =

وبعد:

كان النبي ﷺ يؤكد في خطبته على اقتراب الساعة فيقول: « بعثت أنا والساعة كهاتين»، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ، صلوات الله وسلامه عليه، والمعلوم أن ربنا جلَّ وعلا بعث النبي ﷺ شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا من قوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ .

قال أهل العلم: أي: ونذيرًا بين يدي الساعة، لذلك لم يترك خيرًا إلا ودلَّ أمته عليه، ولا شرًا إلا وحذرها منه، ولِمَ لا ؟ وربنا يقول: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ ولأن الحبيب ﷺ هو الإمام المبجل، والرئيس المقدم، والنبي الخاتم، وأمته هي خير أمة أخرجت للناس، فإن الله قد خصَّها بظهور أشراط الساعة فيها، ليعلم الناس جميعًا أن

= جهة النسيان أو فعلنا حرامًا كذلك أو أخطأنا؛ أي الصواب في العمل جهلاً منا بوجهه الشرعي» ا هـ.

ويقول القرطبي رحمه الله (٢ / ١٤٤٦): «يعني إن جهلنا، أو أخطأنا يعني: إن تعمدنا، ويقال: إن عملنا بالنسيان والخطأ» أ هـ، وله كلام (٢ / ١٣٥٢) فانظره.

قلت: وقول الحافظ ابن كثير الراجح عندي، لأدلة مذكورة في تفسيره فانظره.

فيكون مقصود الحديث: كل ضلالة بعلم مسبق، مع قيام الدليل على صاحب الضلالة، فهذه الضلالة بهذا المعنى في النار، ولا خلاف في ذلك والنقيض إذا كانت هذه الضلالة بجهالة ، وبهذا يتم التوفيق بين الآية والحديث والله أعلم.

٢ ـ قلت: في لفظ الحديث: «وكل ضلالة في النار» فالمقصود هنا الضلالة، وليس صاحبها، ولذا فإن لشيخنا العلامة الألباني قاعدة يقول: «ليس كل من وقع الكفر منه، وقع الكفر عليه» فقد يفعل الإنسان الكفر، ولكن لا يُكفر؛ لوجود شبهة ما عنده مع أن الكفر مذموم على الدوام، والله أعلم.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١ / ١٠٥) (ح) (٢٩): «مراد المصنف [خ] أن يُبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفرًا، ولكن يطلق عليها الكفر ولا يراد المخرج من الملة» ا هـ.

وهذا اجتهادي في هذه المسألة، ومن وصل إلى أحسن من هذا فليتبعه ولينصحنا في الله، والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم.

الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، حتى يتزودوا لها بالأعمال الصالحات ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ الآية. لذا قمت بجمع هذا المصنف وأسميته «صحيح أحداث النهاية وفتن آخر الزمان» حتى يكون نافعًا في هذا الباب .

وأود أن ألفت نظر القراء إلى أنهم سيرون بعض الأحاديث القليلة جدًا تكررت طبقًا للسياق والأحداث وإتمامًا للفائدة. هذا وأسأل الله جل وعلا أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

الشيخ أبو عمر / محمد بن عبد الملك الزُّغْبِي

توبة قبل الممات (*)

قال الإمام النووي في «رياض الصالحين»: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

الثاني: أن يندم على فعلها (١).

الثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي، فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها.

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها، صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه**» (٣).

(*) انظر «جامع الحياة البرزخية» للمؤلف (ص ٥٧ ـ ٧٤) ط دار الغد الجديد.

(١) ويعضد ذلك قوله ﷺ: «الندم توبة» رواه أحمد في المسند، وابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرك، والبيهقي والطبراني بزيادة «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه أبو نعيم بهذه الزيادة أيضًا. وصححه الألباني وراجع صحيح الجامع برقمي (٦٨٠٢) و(٦٨٠٣) والسلسلة الضعيفة برقمي (٦١٥) و (٦١٦).

(٢) انظر: كتاب التوابين ص ٢٠١ لابن قدامة المقدسي بتحقيقي ط. دار المنار ـ فياض.

(٣) الحديث صحيح: أخرجه البخاري ضمن حديث الإفك (٧ / ٤٣١ ـ ٤٣٥) كتاب المغازي (٦٤) باب حديث الإفك (٣٤) (ح) (٤١٤١) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (٤ / ٢١٢٩ ـ ٢١٣٧) كتاب التوبة (٤٩) (ح) (٥٦ / ٢٧٧٠).

ويقول المولى عز وجل: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢) .

ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾(٣) .

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٤) .

ويقول تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (٥) .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦) : من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثًا غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر(٧) .

ويقول ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»** (٨) .

ورحم الله القائل:

نهاك الطبيب محيلاً على مطاعم لو نلتها لم تمت

---

(١) النور: ٣١ .

(٢) البقرة: ٢٢٢ .

(٣) الشورى: ٢٥ .

(٤) النساء: ١١٠ .

(٥) الفرقان: ٧٠ .

(٦) انظر: «تنبيه الغافلين» ص ٧٩ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط . دار المنار ـ فياض.

(٧) الحديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢١٠٦) كتاب التوبة (٤٩) باب سقوط الذنب (٢) (ح) (١١ / ٢٧٤٩).

(٨) انظر: «بستان الواعظين» ص ٩٩ بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي. ط. دار المنار ـ فياض.

وخاطبك الله جل اسمه بترك الذنوب التي حرمت
فأعرضت عن أمره لاهيًا وأمنت نفسك ما خوفت
فماذا تقول إذا أزعجت لتخرج بالكره فاستسلمت؟
فلا ندم حط أوزارها ولا توبة غسلت ما جنت
وأفردت وحدك في ملحد بكت فيه نفسك ما أسلفت (١)

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام: يومًا مضى، ويومًا أنتم فيه، ويومًا تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه، فأصلحوا اليوم الذي مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان، واليوم الذي مضى إنما تصلحونه في اليوم الذي أنتم فيه بالبكاء والندامة، وذم النفس مع الملامة، وأنشدوا:

حتى متى نحن والأيام نحسبها وإنما نحن فيه بين يومين
يوم تولى ويوم أنت تأمله لعله أجلب الأيام للحين

آنس الله روعتي وروعتكم يوم النشور، وآنس وحشتي ووحشتكم في القبور، إنه على ذلك قدير، وهو عليه يسير. ا هـ(٢).

ورحم الله القائل:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا واعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا
في كل يوم لنا ميت نشيّعه ننسى بمصرعه آثار موتانا

---

(١) انظر: «بستان الواعظين ورياض السامعين» ص ١٢ بتحقيق الشيخ محمد الزغبي ط. دار المنار ـ فياض.

(٢) انظر: «الروض» ص ١٣، ١٤، وانظر: «الجامع المتين في شتى فروع الدين» للشيخ الزغبي.

يا نفس مالي وللأموال أكنزها خلفي وأخرج من دنياي عُريانا
ما بالنا نتعامى عن مصارعنا ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا؟
فكم رأينا أناسًا صالحين قضوا موتًا وقد سلبوا دينا وإيمانا؟
واستبدلوا الكفر بالإيمان وانفصلوا بسوء خاتمة للموت أعيانا
أبعد خمسين قد قضيتها لعبًا قد آن تقصيرها قد آن قد آن
أين الملوك وأبناء الملوك ومن كانت تخر له الأذقان إذعانا؟
صاحت لهم حادثات الدهر فانقلبوا مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلوا منازلاً كان العز مفرشها واستفرشوا حفرًا غبرًا وقيعانا
يا راكدًا في ميادين الهوى مرحًا ورافلاً في ثياب الغي نشوانا
مضى الزمان وولى العمر في لعب يكفيك ما قد مضى قد كان ما كان

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر**» (١).

ويقول ﷺ: «**إن الله جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة، لا يُغلق ما لم تطلع الشمس من قبله، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾**» (٢) (٣).

---

(١) الحديث حسن: أخرجه أحمد في المسند (٢ / ١٣٢)، وأخرجه الترمذي في السنن (٥ / ٥٤٧) كتاب الدعوات (٤٩) باب فضل التوبة (٩٩) (ح) (٢٥٣٨)، وابن ماجه في السنن (٢ / ١٤٢٠) كتاب الزهد (٣٧) باب ذكر التوبة (٣٠) (ح) (٤٢٥٣)، وابن حبان، وذكره الهيثمي في موارد الظمآن ص ٦٠٧ كتاب التوبة (٣٩) باب إلى متى تقبل التوبة (٢) (ح) (٦٤٤٩)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ٢٥٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره ووافقه الذهبي وحسنه كذلك الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٩٠٣).

(٢) الحديث: أخرجه أحمد في المسند (٤ / ٢٤١) والطيالسي في المسند (ح) (١١٦٨) وأخرجه ابن ماجه في السنن (٢ / ١٣٥٣) كتاب الفتن (٣٦) باب طلوع الشمس من مغربها (٣٢) (ح) (٤٠٧٠)، والترمذي في السنن (٥ / ٥٤٦، ٥٤٧) كتاب الدعوات (٤٩) باب فضل التوبة (٩٩) (ح) (٣٥٣٦) وقال: حديث حسن صحيح، والمزي في «تحفة الأشراف» (١٩٢/٤) (ح) (٤٩٥٢) وعزاه للنسائي في الكبرى، والطبراني في «الكبير» (٨ / ٧٠) (ح) (٧٣٦٠) وكذلك البيهقي في «السنن الكبرى» (١ / ٢٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣ / ٥٩)، والطبري في تفسيره «جامع البيان» (٨ / ٧٢) سورة الأنعام.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

سكرات الموت

يقول الله عز وجل: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (١) .

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: يقول الله عز وجل: ﴿وَجَاءَتْ﴾ أيها الإنسان ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه: ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾ أي هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص.

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾ فالصحيح بذلك أن المخاطب هو الإنسان من حيث هو، وقيل: الكافر، وقيل: غير ذلك.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا: ثنا إبراهيم بن زياد، أخبرنا عباد بن عباد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده علقمة بن وقاص قال: إن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية، فتمثلت ببيت شعر:

من لا يزال دمعه مقنعًا فإنه لا بد مرة مدفوق

قالت: فرفع رضي الله عنه رأسه فقال: يا بنية، ليس كذلك ولكن كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾ .

وثنا خلف بن هشام، ثنا أبو شهاب الخياط، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن البهي قال: لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها

(١) ق: ١٩ ـ ٢١.

فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾.

وفي قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾ قولان:

أحدهما: أن ما هنا موصولة؛ أي: الذي كنت منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناءى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك.

القول الثاني: أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه.

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير: ثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي، ثنا حفص، عن ابن عمر الحدي، ثنا معاذ بن محمد الهذلي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيى وأسهر دخل جحره فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني، فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه، ومات**»، ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الأرض، كذلك الإنسان لا محيد له عن الموت[1].

ورحم الله القائل:

أسلمني الأهل ببطن الثرى ... وانصرفوا عني فيا وحشتا

وغادروني مُقْدمًا بائسًا ... ما بيدي اليوم إلا البكا

وكل ما كان كان لم يكن ... وكل ما حذرته قد أتى

وذاكم المجموع والمقتنى ... قد صار في كفي كمثل الهبا

---

(١) انظر: تفسير الحافظ ابن كثير ص ٤٠١ ـ ٤٠٣، ط. دار الأندلس . بيروت.

ولم أجد لي مؤنسًا هاهنا غير فجور كان لي أو خنا
فلو تراني أو ترى حالتي بكيت لي يا صاح مستعلنا

إخواني: أين أحبابكم الذين سلفوا، أين أترابكم الذين رحلوا وانصرفوا، أين أرباب الأموال وما خلفوا، ندموا على التفريط يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد؟

﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ واعجبًا كلما دعيت إلى توانيت ولما حرتك المواعظ إلى الخيرات أبيت وتماديت ، وكم حذرك المنون فما انتهيت يا من جسده حي وقلبه ميت، ستعاين عند الحسرات ما لا تريد ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ .

يا أخي: كم أزعج المنون نفوسًا من ديارهم، وكم أباد البلى من أجساد منعمة لم يدارها، وكم نقل إلى الحفائر أرواحًا وزارها ، وكم أذل في التراب خدودًا بعد مزارها؟!

فابْكِ يا أخي على نفسك قبل بكاء لا يفيد ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ .

انتبه يا هذا، فالدنيا أضغاث أحلام، ودار الفناء لا تصلح للمقام، ستفهم قولي بعد قليل من الأيام، وما غاب عنك بعضه ستراه على التمام، إذا جاء الكشف وذهب التقليد ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ .

ويحك أما علمت أنك ترحل في كل مرحلة؟! أما علمت أنه يحصي عليك من الأعمال خردلة؟! وكم من مؤمل حاله؟! في الحساب ما أمله، غامضه مر القضاء وعاجله، ولم تبلغه الآمال إلى ما يريد ـ ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ .

يا معرضًا عن المولى إلى متى هذا الإعراض؟! وقد ولى شبابك في طلب الإعراض، أما علمت ويحك أن عمرك في انقراض؟! وقواك كل ساعة في انتقاض، ويحك تزود فالسفر والله بعيد ـ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

يا من يجلس في المجالس وقلبه في الأسباب، يا من تنقضي المواعظ وهو ما تاب، يا من كسته المعاصي ظلمة الحجاب، يا من أغلق الهوى في وجهه الأبواب، نح على نفسك فربما ينفع التعديد ـ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

أما علمت أن الموت لك بالمرصاد، أما صاد غيرك ولك سيصطاد، أما بلغك ما فعل بسائر القصاد، أما حذرك غفلتك عنه في كل موطن وواد، أما سمعت قول الملك المجيد: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

عباد الله، تدبروا القرآن المجيد، وأحضروا قلوبكم بفهم الوعد والوعيد، ولازموا طاعة الله فهذا شأن العبيد، واحذروا غضبه فكم قصم من جبار عنيد ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) ﴾ أين من بنى وشاد؟! ، وطول وتآمر على العباد؟! وسارق الأول، وفي ظن ـ جهلاً منه ـ أنه لا يتحول ، فسقوا إذا فَسَقُوا كاسًا على هلاكهم عول، أتراهم لم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد؟! ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

فيا من أنذره يومه وأمسه، وحادثه بالعبر قمره وشمسه، وهو مُصرٌّ على الخطايا وقد دنا رمسه، وهو غافل عما جاء بالزجر والوعيد ـ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

أما علمت أيها الإنسان أنك مسؤول عن الزمان، ومحاسب على خطوات القدم وهفوات اللسان، وتشهد عليك جوارحك بما فعلت في زمن الإمكان، أما

علمت أن الموت لك بالمرصاد، وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟! ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

فيا من ينظر العبر بعينيه، ويسمع المواعظ بأذنيه، وكلماته معدودة عليه، ونذير الموت قد دنا إليه بالإسراع والتأكيد - ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

كأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق، ولم تقدر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق، وتأسفت على ترك الأول والآخر الأسف الشديد - ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) ﴾ .

ويقول العلامة ابن كثير [١]: ذُكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال: كتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن الإمام أحمد حتى مات رحمه الله تعالى.

وصدق القائل:

إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيب
ثم تثوي حتى تصبح رهينًا ... ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت عليم ... فاعملن جاهدًا لها يا أريب
إن للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك إذا أتتك طبيب
وتذكر يومًا تحاسب فيه ... إن من يذكر الممات يُنيب
ليس في ساعة من الدهر إلا ... للمنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترميك منها بسهم ... إن يخطئ يومًا فسوف يصيب

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» ط . دار الأندلس . بيروت.

الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد بعد، فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله فكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض، يعني يحفر به فرفع رأسه وقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثة ثم قال:

«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ـ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له فيُشيِّعهُ من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في علِّيِّن، وأعيدوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أُعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعادُ روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقولان: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما علمك ؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقت، فينادي مُناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويفُسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة، ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سودُ الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة! اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرّقُ في جسده فينتزعها كما ينتزع السُّفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرحُ روحه طرحًا، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى يختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[1].

ورحم الله القائل:

خلقت من التراب بغير ذنب ... وعدت إلى التراب ولي ذنوب

فما لي لا أجاهد في خلاص ... بعزم للمعاصي لا أتوب؟

(١) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر (٤ / ٤٧٥٣)، وابن ماجه في سننه (١٥٤٨)، والنسائي (٤ / ٧٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢١٩)، والطيالسي في «المسند» (٧٥٣)، وأحمد في «المسند» (٤ / ٢٨٧) و(٦ / ٣٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (١ / ٣٧ ، ٣٨) وصححه الشيخ الألباني وراجع صحيح الجامع برقم (١٦٧٦)، وأحكام الجنائز (١٥٥).

ومـا لي أثقلت ظهـري ذنوب	ومنهـــا لا أمـل ولا أنيب؟
ومـا لي لا أرق لـســوء حــالي	ومن نفــسي علي غـدا رقــيب؟
ومـا لي مــبـعـد مُـقــصى طريد	وفي كل القـبــائح لي ضـروب؟
وكم بالـبــر تســويفي ومـطلي	ولا أدري مــتى تأتي شعــوب؟
فــيــا من ليس لـي رب ســواه	علـيم بالـذي أدعــو يجــيب
تجـاوز يـا إلهي عن ضـعــيف	بغــفــران لعلي عــسى أتوب

عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: حضرت أبي أحمد، وبيدي الخرقة لأشد لحييه، فكان يغرق ثم يفيق ، ويقول بيده لا وبُعـدًا، لا وبُعدًا، فعل هذا مرارًا فقلت له: يا أبت أي شيء ما يبدو منك؟ فـقال: إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقـول: يا أحمد فُتَّنِي، وأنا أقول: لا بعـد لا، كلا وبعدًا، لا بعد لا حتى أموت.

إخواني: ما هذه الغفلة وإلى البلى المصير، وما هذا التـواني والعمر قصير، وإلى متى هذا التمادي في البطالة والتقصير، وما هذا الكسل وقد أنذرك النذير، خلفك ـ والله ـ عن باب الحـبـيب سوء التـدبير، فـإلى مـتى تتبـهرج والناقـد بصير؟!.

يا هذا جولانك في البطالة حـيرك، وركونك إلى اغتـرارك غيرك، وهروبك عمن صورك إلى النار صيرك ، أنسيت مصرعك في القبر لا بد لك ، وقد سود العصيان قلبك وبدلك، أما تذكر ساعة لا يعرف لها الجبين، وتخرس من فجأتها الألسن، وتقطر قطرات الأسف من الأعين، فتذكروا رحمكم الله فالأمر شديد، وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** (١٩) ﴾ .

وكم من صحيح مات من غير علةٍ   وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يومًا على آلةٍ حدباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازةً   فاعلم بأنك بعدها محمول

ويحكى أن الرشيد لما اشتد مرضه، أحضر طبيبًا طوسيا فارسيا، وأمر أن يعرض عليه ماءه (أي بوله) مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد، فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي، فإنه قد انحلت قواه، وتداعت بنيته، فيئس الرشيد من نفسه وأنشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه   لا يستطيع دفاع نحبٍ قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي   قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوي، والمداوَى والذي   جلبَ الدواء أو باعه، ومن اشترى

وبلغه أن الناس أرجفوا بموته، فأمر بحمار، فأتى له به، فأمر أن يحمل عليه، فاسترخت فخذاه، فقال: أنزلوني، صدق المرجفون، ودعا بأكفان فتخير منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه، ثم اطَّلَعَ فيه فقال: ما أغني عنِّي ماليهّ، هلك عني سلطانيه. فمات من ليلته.

وقال القرطبي رحمه الله[1] :

وصف الله سبحانه وتعالى شدة الموت في أربع آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [2] .

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [3]

والثالثة: قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) ﴾ [4] .

والرابعة: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ [5] .

---

(١) التذكرة للقرطبي، ط المكتب الثقافي ـ القاهرة ص ٢٠ ـ ٢١ .
(٢) ق: ١٩ .   (٣) الأنعام: ٩٣ .
(٤) الواقعة: ٨٣.   (٥) القيامة: ٢٦ .

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**» ثم نصب يديه فجعل يقول: «**إلى الرفيق الأعلى**» حتى قُبِض، ومالت يداه.

وروى البخاري أيضًا عنها - رضي الله عنها -: مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبدًا بعد النبي ﷺ، ولذا آن للنائم أن يستيقظ من نومه، وحان للغافل أن ينتبه من غفلته، قبل هجوم الموت بمرارة كأسه، قبل سكون حركاته، وخمود أنفاسه، ورحلته إلى قبره، ومقامه بين أدماسه.

وصدق القائل لما قال:

آه من ركبة بغير ركاب

آه من سكرة بغير شراب

آه من سفر بلا إياب

آه من مفارقة الأحباب

آه من النوم بين الحصى والتراب

وإن قال القائل [١]: كل المخلوقات تجد هذه السكرات؟ قيل له: قال بعض العلماء: قد وجب بحكم القول الصدق، والكلمة الحق، أن الكائن مُرُّ المذاق، وإن قد ذيق ويذاق، ولكن ثم فريقان، وتقديرات وأوزان، وأن الله سبحانه لما انفرد بالبقاء وحده لا شريك له، وأجرى سنة الهلاك والفناء على الخلق دونه، خالف في ذلك جل جلاله بين المخلوقات، وفرق بين المحسوسات، بحسب ما خالف بين المنازل والدرجات، فنَوْع أرضي حيواني، إنساني وغير إنساني،

(١) التذكرة مرجع سابق ص (٢٦).

وفوقه عالم روحاني، وملأ علواني رضواني، كلٌّ يشرب من ذلك الكأس جرعته، ويغتص منه غصته، قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (١).

واعلم أن الموت هو الخطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وأنه الحارث الأهدم للذات، والأقطع للراحات، والأجلب للكريهات، فإن أمْرًا يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك لهو الأمر العظيم، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم.

لذا على ابن آدم أن يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، وتنافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تُغْنِ عنهم أموالهم، محا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمَّلت بعدهم نساؤهم، وشمل ذُلُّ اليُتْم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم.

هذا وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ (٢).

والصحيح: أن المخاطب هو الإنسان من حيث هو، وقيل: الكافر، وقيل: غير ذلك.

---

(١) آل عمران: ١٨٥.
(٢) ق: ١٩.

أمارات الموت (*)

هناك بعض الأمارات للمحتضر يعْرَفُ بها أنه قد مات.

يقول النووي رحمه الله : ذكر الشافعي والأصحاب للموت علامات وهي: أن تسترخي قدماه، وينفصل زنداه، ويميل أنفه، وتمتد جلدة وجهه، فإذا ظهر هذا، عُلِمَ موته، فيبادر حينئذ إلى تجهيزه.

قال الشافعي: فأما إذا مات مصعوقًا، أو غريقًا، أو حريقًا، أو خاف من حرب أو سبع، أو تردى من جبل، أو في بئر فمات، فإنه لا يبادر به حتى يُتحقق موته.

قال الشافعي: فيترك اليوم واليومين ، والثلاثة حتى يخشى فساده، لئلا يكون مغمى عليه، أو انطبق حلقه، أو غلب المرار عليه(١) .

ويقول الشافعي رحمه الله: وأحبُّ إذا مات ألا يعجل أهله غسله؛ لأنه قد يغشى عليه، فيخيل إليهم أنه قد مات، حتى يروا علامات الموت المعروفة فيه، وهي: أن تسترخي قدماه ولا تنتصبان، وأن ينفرج زندا يديه، والعلامات التي بها يعرفون الموت، فإذا رأوها عجلوا غسله ودفنه، فإن تعجيله تأدية الحق إليه، ولا يُنتظر بدفن الميت غائبٌ(٢) .

وفي هذا يقول ﷺ : «**أسرعوا بالجنازة، فإن تكُ صالحة فخيرٌ تقدمونها إليه، وإن تَكُ سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم**»(٣) .

(*) انظر «جامع الحياة البرزخية للمؤلف» (ص ٧٥ ـ ٨٧) ط دار الغد الجديد .

(١) راجع «المجموع» للنووي (٥ / ١٢٥).

(٢) راجع «الأم» للشافعي (١ / ٢٤٣).

(٣) الحديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (٣ / ١٨٢ ـ ١٨٣) كتاب الجنائز (٢٣).

علامات حسن الخاتمة (١)

الأولى: نطقه بالشهادة عند الموت، وفيه أحاديث:

١ ـ «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» (٢)

٢ ـ عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال:

«رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً، فقال: مالك يا أبا فلان لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان؟ قال: لا (وأثنى على أبي بكر) إلا أني سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس الله عنه كربته**»، فقال عمر: إني لأعلم ما هي.

قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت، لا إله إلا الله؟ قال طلحة: صدقت، هي والله هي»(٣).

الثانية: الموت برشح الجبين:

لحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: «أنه كان بخراسان، فعاد أخًا له وهو مريض، فوجده بالموت، وإذا هو يعرق جبينه، فقال: الله أكبر، سمعت

---

(١) راجع كتاب الجنائز وبدعها للشيخ ناصر الدين الألباني. ط. المكتب الإسلامي في ص ٣٤ ـ ٤٣ بالهوامش.

(٢) أخرجه الحاكم وغيره بسند حسن عن معاذ، وله شواهد من حديث أبي هريرة تقدم في (التلقين) (أ) ص ١٠ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد رقم (١٣٨٤) وإسناده صحيح، وابن حبان (٢) بنحوه، والحاكم (١/ ٣٥٠، ٣٥١) والزيادة له، وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي وفي الباب أحاديث ذكرت في (التلقين).

رسول الله ﷺ يقول: «موت المؤمن بعرق جبينه»[١] .

الثالثة: الموت ليلة الجمعة أو نهارها:

لقوله ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر »[٢] .

الرابعة: الاستشهاد في ساحة القتال:

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾[٣] .

وفي ذلك أحاديث:

١ ـ «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه»[٤] .

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٥٧، ٣٦٠) والسياق له، والنسائي (١ / ٢٥٩)، والترمذي (٢ / ١٢٨) وحسنه، وابن ماجه (١ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤)، وابن حبان (٧٣٠)، والحاكم (١ / ٣٦١)، والطيالسي (٨٠٨) وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وفيه نظر لا مجال لذكره هنا: لا سيما وأن أحد إسنادي النسائي صحيح على شرط البخاري. وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله ثقات رجال الصحيح كما في «المجمع» (٢ / ٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦٥٨٢ ـ ٦٦٤٦) من طريقين عن عبد الله بن عمرو، والترمذي من أحد الوجهين، وله شواهد عن أنس وجابر بن عبد الله، وغيرهما، فالحديث بمجموع طرقه حسن، أو صحيح.

(٣) آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٤) أخرجه الترمذي (٣ / ١٧) وصححه، وابن ماجه (٢ / ١٨٤) وأحمد (٤ / ١٣١) وإسناده صحيح، ثم أخرجه (٤ / ٢٠٠) من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث قيس الجذامي (٤ / ٢٠٠) وإسنادهما صحيح أيضا.

٢ ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : «أن رجلاً قال : يارسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**» [(١)] .

(تنبيه) ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يُيسر له الاستشهاد في المعركة، بدليل قوله ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه** » [(٢)] .

الخامسة: الموت غازيًا في سبيل الله:

وفيه حديثان:

١ ـ «**ما تعدون الشهيد فيكم؟**» قالوا : يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال: «**إن شهداء أمتي إذًا لقليل**»، قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «**من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات وهو في البطن فهو شهيد والغريق شهيد**» [(٣)].

٢ ـ «**من فصل ـ** أي خرج ـ **في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد، أو وقصه فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف** شاء الله **فإنه شهيد وإن له الجنة**» [(٤)] .

---

(١) رواه النسائي (١ / ٢٧٩)، وعن القاسم السرقطي في «غريب الحديث» (١ / ١٦٥ / ١) وسنده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٦ / ٤٩)، والبيهقي (٩ / ١٦٩) عن أبي هريرة، وله في المستدرك (٢ / ٧٧) شواهد.

(٣) أخرجه مسلم (٦ / ٥١) وأحمد (٢ / ٥٢٢) عن أبي هريرة، وفي الباب عن عمر عند الحاكم (٢ / ١٠٩) والبيهقي.

(٤) أخرجه أبو داود (١ / ٣٩١)، والحاكم (٢ / ٧٨)، والبيهقي (٩ / ١٦٦)من حديث أبي مالك الأشعري وصححه الحاكم، وإنما هو حسن فقط.

السادسة: الموت بالطاعون:

وفيه أحاديث:

١ ـ عن حفصة بنت سيرين: قال لي أنس بن مالك: بمَ مات يحيى بن أبي عمرة؟

قلت: بالطاعون، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»(١).

٢ ـ عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون؟ فأخبرها نبي الله ﷺ: «**أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون، فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لم يصبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد**»(٢).

٣ ـ «**يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن شهداء، فيقال: انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهيد تسيل دمًا كريح المسك، فهم شهداء، فيجدونهم كذلك**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٠ / ١٥ / ١٥٧)، والطيالسي (٢١١٣)، وأحمد (٣ / ١٥٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٨، ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠ / ١٥٧ ـ ١٥٨) والبيهقي (٣ / ٣٧٦) وأحمد (١ / ٦٤، ١٤٥، ٢٥٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤ / ١١٨٥) والطبراني في الكبير (مجمع ٦ / ٥٥ / ٢) بسند حسن كما قال الحافظ (١٠ / ١٥٩) عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه، وله شاهد من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أخرجه النسائي (٢ / ٦٣)، وأحمد (٤ / ١٢٨، ١٢٩)، والطبراني (٧٣ / ٢)، وحسنه الحافظ أيضًا وهو حسن في الشواهد. وفي الباب عن أبي هريرة، وتقدم في الفقرة الخامسة الحديث الأول، ويأتي أيضًا في الثامنة والتاسعة، وعن عبادة ويأتي في العاشرة.

السابعة: الموت بداء البطن:

وفيه حديثان:

١ ـ «**... ومن مات في البطن فهو شهيد**»[(١)] .

٢ ـ عن عبد الله بن يسار قال: «كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة، فذكروا أن رجلاً توفي، مات ببطنه، فإذا هما يشتبهان أن يكونا شهداء جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: «**من يقتله بطنه لم يعذب في قبره**»[(٢)] ؟ فقال الآخر: بلى وفي رواية (صدقت).

الثامنة والتاسعة: الموت بالغرق والهدم:

لقوله ﷺ : «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون ، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**»[(٣)] .

العاشرة: موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها:

لحديث عبادة بن الصامت: «أن رسول الله ﷺ عاد عبد الله بن رواحة قال: فما تحوز له عن فراشه، فقال: «**أتدري من شهداء أمتي؟**» قالوا: قتل المسلم شهادة، قال: «**إن شهداء أمتي إذًا قليل! قتل المسلم شهادة، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة**»[(٤)] (يجرها ولدها بسرره إلى الجنة).

---

(١) رواه مسلم وغيره وتقدم بتمامه في الخامسة.

(٢) أخرجه النسائي (١ / ٢٨٩) والترمذي (٢ / ١٦٠) وحسنه، وابن ماجه في صحيحه رقم (٧٢٨ موارد) والطيالسي (١٢٨٨) وأحمد (٤ / ٢٦٢) وسنده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٦ / ٣٣ ـ ٣٤)، ومسلم (٦ / ٥١)، والترمذي (٢ / ١٥٩)، وأحمد (٢/ ٣٢٥، ٥٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه أحمد (٤ / ٢٠١ ـ ٥ / ٣٢٣) والدارمي (٢ / ٢٠٨) والطيالسي وإسناده صحيح وله في المسند (٤ / ٣١٥، ٣٢٨) طرق أخرى وفي الباب عن صفوان بن أمية عند الدارمي والنسائي (١ / ٢٨٩) وأحمد (٦ / ٤٦٥ ـ ٤٦٦). وعن عقبة بن عامر، عند النسائي =

وعن جابر بن عتيك ويأتي لفظه في الفقرة الآتية:

الحادية عشرة، والثانية عشرة: الموت بالحرق وذات الجنب:

وفيه أحاديث أشهرها عن جابر بن عتيك مرفوعًا: «**الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة**»[1].

الثالثة عشرة: الموت بداء السل:

لقوله ﷺ: «**القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق شهادة، والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة**»[2].

= (٢/ ٦٢ ـ ٦٣). وعن راشد بن حبيش عن أحمد (٣ / ٢٨٩) ورجاله ثقات، وقال المنذري في «الترغيب» (٢ / ٢٠١): إسناده حسن. وفيه الزيادة وهي في حديث عبادة عند الطيالسي وأحمد.

(١) أخرجه مالك (١ / ٢٣٢ ـ ٢٣٣)، وأبو داود (٢ / ٢٦)، والنسائي (١ / ٢٦١)، وابن ماجه (٢ / ١٨٥ ـ ١٨٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦١٦ ـ موارد)، والحاكم (١ / ٣٥٢)، وأحمد (٥ / ٤٤٦) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي!
ولست أشك في صحة متنه؛ لأن له شواهد كثيرة تقدم أكثرها وروى الطبراني من حديث ربيع الأنصاري مرفوعًا به نحوه دون ذكر الهدم. قال المنذري وتبعه الهيثمي (٥ / ٣٠٠): ورواته محتج بهم في الصحيح. وروى أحمد (٤ / ١٥٧) من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا بلفظ: «الميت من ذات الجنب شهيد»، وسنده حسن في الشواهد، وقد جاءت هذه الجملة في بعض طرق حديث أبي هريرة المتقدم في الخامسة أخرجه أحمد (٢ / ٤٤١ ـ ٤٤٢) وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه.

(٢) قال في «مجمع الزوائد» (٢ / ٣١٧ ـ ٥ / ٣٠١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مندل ابن علي، وفيه كلام كثير وقد وثق.
قلت: لكن يشهد له حديث راشد بن حبيش الذي سبقت الإشارة إليه في العاشرة فقد زاد فيه أحمد في روايته له: «السل». ورجاله موثقون، وحسنه المنذري كما سبق، وله شاهد آخر في «المجمع».

الرابعة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه:

وفيه أحاديث:

١ ـ «**من قتل دون ماله**»، وفي رواية: «**من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد**»[١].

٢ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**».

قال: أرأيت إن قتلني، قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**»[٢].

٣ ـ عن مخارق رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يأتيني فيريد مالي؟ قال: «**ذكره الله**»، قال: فإن لم يذكر؟ قال: «**فاستعن عليه بمن حولك من المسلمين**»، قال: فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين؟

قال: «**فاستعن عليه السلطان**»، قال: فإن نأى السلطان عني (وعجل علي)؟ قال: «**قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تمنع مالك**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥ / ٩٣)، ومسلم (١ / ٨٧)، وأبو داود (٢ / ٢٨٥)، والنسائي (٢ / ١٧٣)، والترمذي (٢ / ٣١٥) وصححه ابن ماجه (٢ / ١٢٣)، وأحمد (٦٨١٦، ٦٨٢٣، ٦٨٢٩) عن عبد الله بن عمرو. وفي الباب عن سعيد بن يزيد، يأتي في الخامسة عشرة.

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٨٧) وأخرجه النسائي (٢ / ١٧٣) وأحمد (١ / ٣٣٩ ـ ٣٦٠) من طريق أخرى عنه.

(٣) أخرجه النسائي وأحمد (٥ / ٢٩٤، ٢٩٥)، والزيادة له وسنده صحيح على شرط مسلم.

الخامسة عشرة، والسادسة عشرة: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس:

وفيه حديثان:

١ ـ «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد» [١] .

٢ ـ «من قتل دون مظلمته فهو شهيد» [٢] .

السابعة عشرة: الموت مرابطًا في سبيل الله:

ويذكر فيه حديثان:

١ ـ «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتن» [٣] .

٢ ـ «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» [٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢ / ٢٧٥)، والنسائي، والترمذي (٢ / ٣١٦)، وصححه، وأحمد (١٦٥٢ ـ ١٦٥٣) عن سعيد بن زيد، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه النسائي (٢ / ١٧٣ ـ ١٧٤) من حديث سويد بن مقرن، وأحمد (٢٧٨٠) من حديث ابن عباس، وإسناده صحيح إن سلم من الانقطاع بين سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس، لكن أحد الطريقين يقوي الآخر وفي الأولى من لم يوثقه غير ابن حبان.

(٣) رواه مسلم (٦ / ٥١) ، والنسائي (٢ / ٦٣)، والترمذي (٣ / ١٨)، والحاكم (١ / ٨٠)، وأحمد (٥ / ٤٤٠ ، ٤٤١) من حديث سلمان الفارسي . ورواه الطبراني وزاد: «وبعث يوم القيامة شهيدًا». لكن في سنده من لم يعرفهم الهيثمي في مجمعه (٥ / ٢٩٠) وسكت عنه المنذري في ترغيبه (٢ / ١٥٠).

(٤) أخرجه أبو داود (١ / ٣٩١)، والترمذي (٣ / ٢) وصححه، والحاكم (٢ / ١٤٤)، وأحمد (٦ / ٢٠) من حديث فضالة بن عبيد، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

الثامنة عشرة: الموت على عمل صالح:

لقوله ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يومًا ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة»** (١) .

* * *

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣٩١) عن حذيفة قال: «أسندت النبي ﷺ إلى صدري فقال» فذكره، وإسناده صحيح، وقال المنذري (٢ / ٦١): لا بأس به.

ما يجب على الحاضرين بعد موت المسلم؟

فإذا قضى (المسلم) وأسلم الروح، فعليهم عدة أشياء [١] :

أ، ب - **أن يغمضوا عينيه، ويدعوا له أيضًا**؛ لحديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قبض تبعه البصر**»، فضج ناس من أهله فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**»، ثم قال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يارب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه**» [٢] .

ج - **أن يغطوه بثوب يستر جميع بدنه**؛ لحديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ حين توفي سجِّي ببرد حبرة [٣] .

د - وهذا في غير من مات محرمًا، فأما المحرم، فإنه لا يغطى رأسه ووجهه لحديث ابن عباس قال: بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، أو قال: فأقصعته، فقال النبي ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين - وفي رواية: في ثوبيه - ولا تحنطوه - وفي رواية: ولا تطيبوه - ولا تخمروا رأسه - ولا وجهه - فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا**». أخرجه الشيخان في صحيحيهما، وأبو نعيم في المستخرج (ق ١٣٩ - ١٤٠)، والبيهقي (٣ / ٣٩٠ - ٣٩٣) وليست الزيادة عند البخاري.

هـ - **أن يعجلوا بتجهيزه وإخراجه إذا بان موته**؛ لحديث أبي هريرة رضي الله

---

(١) أحكام الجنائز وبدعها، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ص ١٣ - ١٦ .

(٢) أخرجه مسلم وأحمد (٦ / ٢٩٧)، والبيهقي (٣ / ٣٣٤) وغيرهم.

(٣) أخرجه الشيخان في صحيحيهما، والبيهقي (٣ / ٣٨٥) وغيرهم.

عنه مرفوعًا: **«أسرعوا بالجنازة...»** الحديث.

و ـ **أن يدفنوه في البلد الذي مات فيه ولا ينقلوه إلى غيره**؛ لأنه ينافي الإسراع المأمور به في الحديث، ونحوه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم أحد، حمل القتلى ليدفنوا بالبقيع، فنادى منادي رسول الله ﷺ: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تدفنوا القتلى في مضاجعهم ـ بعدما حملت أمي وأبي وخالي عديلين (وفي رواية: عادلتهما) (على ناضح) لتدفنهم في البقيع ـ فردوا (وفي رواية قال: فرجعناهما مع القتلى حيث قتلت)[1].

ز ـ **أن يبادر بعضهم لقضاء دينه من ماله**، ولو أتى عليه كله، فإن لم يكن له مال فعلى الدولة أن تؤدي عنه إن كان جهد في قضائه، فإن لم تفعل، وتطوع بذلك بعضهم جاز، وفي ذلك أحاديث:

الأول: عن مسعد بن الأطول رضي الله عنه: أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال النبي ﷺ: **«إن أخاك محبوس بدينه (فاذهب) فاقض عنه»** (فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت) قلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادَّعَتْهما امرأة وليست لها بينة، قال: **«أعطها فإنها محقة»**، (وفي رواية: صادقة)[2].

الثاني: عن سمرة بن جندب: أن النبي ﷺ صلى على جنازة (وفي رواية: صلى الصبح) فلما انصرف قال: **«أهاهنا من أهل فلان أحد؟»** (فسكت القوم) فقال ذلك مرارًا (ثلاثًا لا يجيبه أحد) فقال رجل: هو ذا قال: فقام رجل يجر إزاره من مؤخر الناس (فقال له النبي ﷺ: **«ما منعك في المرتين الأوليين أن تكون أجبتني؟ أما إني لم أنوه اسمك إلا لخير، إن فلانًا** ـ لرجل منهم ـ **مأسور بدينه**

---

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وابن حبان في صحيحه (١٩٦ ـ موارد) والرواية الأخرى له، وأحمد (٣ / ٢٩٧ ـ ٣٨٠)، والبيهقي (٤ / ٥٧) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢ / ٨٢)، وأحمد (٤ / ١٣٦ ، ٥ / ٧)، والبيهقي (١٠ / ١٤٢).

عن الجنة ، فإن شئتم فأفدوه ، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله، فلو رأيت أهله ومن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه»، (حتى ما أحد يطلبه بشيء) [١] .

الثالث: عن جابر بن عبد الله قال: مات رجل، فغسلناه، وكفناه، وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز، عند مقام جبريل، ثم آذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا، (فتخطى) خطى ، ثم قال: «**لعل على صاحبكم دينًا؟**» قالوا: نعم ديناران، فتخلف ، قال: «**صلوا على صاحبكم**» فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة : يا رسول الله هما عَلَيَّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**هما عليك وفي مالك، والميت منهما بريء؟**» فقال: نعم، فصلى عليه فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: (وفي رواية ثم لقيه من الغد فقال: «**ما صنعت الديناران؟**» (قال: يا رسول الله إنما مات أمس) حتى كان آخر ذلك (وفي الرواية الأخرى، ثم لقيه من الغد فقال: ما فعل الديناران؟) قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «**الآن حين بردت عليه جلده**» [٢] .

* * *

---

(١) الحديث : أخرجه أبو داود (٢ / ٨٤)، والنسائي (٢ / ٢٣٣)، والحاكم (٢ / ٢٥ ـ ٢٦)، والبيهقي (٦ / ٥ / ٤ / ٧٦)، والطيالسي في مسنده رقم (٨٩١ ، ٨٩٢) وأحمد.

(٢) الحديث: أخرجه الحاكم (٢ / ٥٨) والسياق له، والبيهقي (٦ / ٧٤ ـ ٧٥)، والطيالسي (١٦٧٣)، وأحمد (٣ / ٣٣٠) بإسناد حسن كما قال الهيثمي (٣ / ٣٩) وأما الحاكم فقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

الغسل الشرعي (*)

أما عن غسل الميت فالواجب على من حضر المبادرة إلى غسله: لقوله ﷺ في ابنته زينب رضي الله عنها: «**اغسلنها ثلاثًا، أو خمسًا أو سبعًا، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك**» قالت: قلت: وترًا؟ قال: «**نعم، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئًا من كافور، فإذا فرغتن فآذنني**»، فلما فرغنا آذناه، فألقى إلينا حَقْوه [1] فقال: «**أشعرنها إياه**» (يعني إزاره) قالت: ومشطناها ثلاثة قرون، وفي رواية: نقضنه ثم غسلنه، فضفرنا شعرها ثلاثة أثلاث: قرينها وناصيتها، وألقيناها خلفها، قالت: وقال لنا: «**ابدأن بميامنها، ومواضع الوضوء منها**» [2].

وصف الغسل الشرعي:

١ ـ أن يوضع الميت فوق مكان مرتفع ويجرد من ثيابه، ثم يوضع عليه ساتر يستر عورته إلا الصبي إن كان صغيراً غير مميز ، أما إن كان مميزاً مشتهى فتستر عورته.

٢ ـ أن تغسل النساء المرأة، وجاز أن تغسل المرأة زوجها ويغسل الزوج زوجته، ويغسل الرجال الرجل.

٣ ـ اختيار المغسل أن يكون أمينًا موثوقًا به كي يستر ما يظهر من الكرب والشر للميت ، وينشر ويبلغ ما يرى من الخير.

(*) انظر «جامع الحياة البرزخية» للمؤلف (ص ٨٨ ـ ٩٥).

(١) حقوه: أي إزاره.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٩٩ ـ ١٠٤)، ومسلم (٣ / ٤٧ ـ ٤٨)، وأبو داود (٢ / ٦٠ ـ ٦١)، والنسائي (١ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧)، والترمذي (٢ / ١٣٠ ـ ١٣١)، وابن ماجه (١ / ٤٤٥)، وابن الجارود (٢٥٨ ـ ٢٥٩)، وأحمد (٥ / ٨٤ ـ ٨٥، ٤٠٧٦ ـ ٤٠٧٨) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في كتاب أحكام الجنائز (٤٨).

٤ ـ النية للمغسل.

٥ ـ يلف المغسل خرقة غليظة على يده حتى لا يتحسس عورته يمسح بها عورته.

٦ ـ يعصر بطن الميت عصرًا رقيقًا لإخراج الفضلات، ويزيل ما خرج من النجاسة.

٧ ـ يوضئ المغسل الميت وضوء الصلاة.

٨ ـ يغسل المغسل الميت بعد ذلك بالماء والصابون ثلاثًا أو خمسًا بدءًا بالجنب الأيمن ثم الأيسر ويخلط معه شيئًا من الطيب والسدر.

٩ ـ يعمم الماء بعد ذلك على جميع البدن بدءًا بالرأس، فإن كانت امرأة نقض شعر رأسها يدخله الماء ثم أعيد كما كان يضفر شعر المرأة ثلاث ضفائر. ثم التنشيف بعد الانتهاء من الغسل، وإن خرج شيء من الميت استحب إعادة وضوئه مرة أخرى.

١٠ ـ إذا لم يوجد الماء فإن الميت يُيَمَّم بضربتين بالتراب الطاهر بيد المغسل يمسح بهما وجهه وظاهر كفيه.

ولا يشرع غسل الشهيد قتيل المعركة، ولو اتفق أنه كان جنبًا وفي ذلك أحاديث [١] :

الأول: عن جابر قال: قال النبي ﷺ: «**ادفنوهم في دمائهم**» ـ يعني يوم أحد ـ ولم يغسلهم ، (وفي رواية) فقال: «**أنا شهيد على هؤلاء لفوهم في دمائهم؛ فإنه ليس جريح يجرح** (في الله) **إلا جاء وجرحه يوم القيامة يدمي، لونه**

---

(١) أحكام الجنائز وبدعها، للألباني، المكتب الإسلامي ، ص ٥٤ ، ٥٦ .

لون الدم، وريحه ريح المسك»(١) .

الثاني: عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغزى له فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «**هل تفقدون من أحد؟**» قالوا: نعم، فلانًا وفلانًا، ثم قال: «**هل تفقدون من أحد؟** » قالوا : لا ، قال: « **لكني أفقد جليبيبًا، فاطلبوه** » فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم، ثم قتلوه! فأتى النبي ﷺ ، فوقف عليه فقال : « **قتل سبعة ثم قتلوه! هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه،** (قالها مرتين أو ثلاثًا) (ثم قال بذراعيه هكذا فبسطهما)، قال: فوضعه على ساعديه ليس له سرير إلا ساعدي النبي ﷺ قال : فحفر له ووضع في قبره ، ولم يذكر غسلاً (٢).

الثالث: عن أنس: أن شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم، ولم يُصَلَّ عليهم (غير حمزة). أخرجه أبو داود (٢ / ٥٩) والزيادة له وللحاكم، والترمذي (٢ / ١٣٨ ـ ١٣٩) وحسنه، وابن سعد (٣ / ٨)، والحاكم (١ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، والبيهقي (٤ / ١٠ ـ ١١)، وأحمد (٣ / ١٢٨)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال النووي في (المجموع) (٥ / ٢٦٥) بعدما عزاه لأبي داود وحده: (إسناد حسن أو صحيح) وقال الألباني: هو عندي حسن، على أنه شرط مسلم.

الرابع: عن عبد الله بن الزبير في قصة أحد واستشهاد حنظلة بن أبي عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة ، فاسألوا صاحبته**»

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٦٥) بالرواية الأولى، وأبو داود (٢ / ٦٠)، والنسائي (١ / ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، والترمذي (٢ / ١٤٧) وصححه، وابن ماجه (١ / ٤٦١ـ ٤٦٢)، والبيهقي (٤ / ١٠) والرواية الأخرى له وكذا ابن سعد في الطبقات (٣ / ٧) والزيادة له. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه مسلم (٧ / ١٥٢) والسياق له، والطيالسي (٩٢٤) والزيادتان له، وأحمد (٤ / ٤٢١، ٤٢٢ ، ٤٢٥).

فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهائعة ـ (الصوت الذي تفزع عنه) ـ فقال رسول الله ﷺ: «**لذلك غسلته الملائكة**» (١).

الخامس: عن ابن عباس قال: أصيب حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب، وهما جنب، فقال رسول الله ﷺ: «**رأيت الملائكة تغسلهما**»(٢).

* * *

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم (٣ / ٢٠٤) والبيهقي (٤ / ١٥) بإسناد جيد كما قال النووي في موضع من (المجموع) (٥ / ٢٦٠) ثم نسي ذلك فقال بعد (٥ / ٢٦٣): (وذكرنا أنه ضعيف)! فجل من لا ينسى، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم! وأقره الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٣ / ١٤٨ / ١) وإسناده حسن، كما قال الهيثمي في المجمع (٣ / ٢٣) ورواه الحاكم (٣ / ١٩٥) دون ذكر حنظلة، وقال: (صحيح الإسناد) وتعقبه الذهبي فأصاب، لكن له شاهد مرسل قوي أخرجه ابن سعد (٣ / ٩) عن الحسن البصري مرفوعًا مثله، ويقول الألباني: وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات.

كيفية الصلاة على الميت

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال[١] : «**من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان، أصغرهما مثل أحد**».

شروطها وأركانها:

١ ـ الطهارة من الحدث الأكبر (الجنابة والحيض والنفاث) والأصغر.

٢ ـ النية.

٣ ـ استقبال القبلة.

٤ ـ ستر العورة.

٥ ـ طهارة الثوب وطهارة المكان.

٦ ـ التكبيرات الأربع بما تضم كل تكبيرة.

٧ ـ السلام.

كيفية تأديتها:

يكبر التكبيرة الأولى رافعًا ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب وسورة لحديث ابن عباس الذي رواه البخاري (٣ / ١٥٨)، ثم يكبر فيصلي على النبي ﷺ لحديث أبي أمامة رضي الله عنه والذي أخرجه الشافعي في (الأم) (١ / ٢٣٩) وهو حديث صحيح، ثم يكبر فيدعو للميت وأهله، ثم يكبر فيدعو لنفسه، ثم يسلم تسليمة واحدة عن يمينه لحديث أبي هريرة الذي أورده الدارقطني (١٩١) وهو حديث صحيح، وإن سلم تسليمتين جاز ذلك ، وقد فصَّل تلك المسألة حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٣ / ٤٥ ، ٩٠) ومسلم (٣ / ٥٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١ / ٨٩)، ومسلم في صحيحه (٣ / ٥١).

جلوس العزاء

وأما ما يفعله عوام المسلمين اليوم من إقامة السرادقات الفخمة، والإتيان بقارئ يقرأ هذا بدعة خطيرة ما فعلها السلف، فضلاً عن بدعة الخميس، وبدعة العتاقة، وبدعة الأربعين، وبدعة السنوية... فهذه كلها بدع وفاعلها آثم، وحتى المأتم بدون السرادق مكروه.

يقول الشافعي رحمه الله: أكره المأتم وهي الجماعة وإن لم يكن لهم بكاء فإن ذلك مما يجدد الحزن ويكلف المؤنة.

وقال النووي[1]: قال الشافعي وأصحابه رحمهم الله: يكره الجلوس للتعزية، قالوا: ويعني الجلوس أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية، بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها.

ومذهب السلف الصالح أن يعزى أهل الميت بالتعزية الشرعية الواردة عن الرسول ﷺ ثم ينصرف المعزي إلى حاله دون الجلوس.

والتعزية هي: لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، وذلك للدليل الوارد لفعل النبي ﷺ لها:

والرواية: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابنًا لها قبض فأتنا، فأرسل يقرأ السلام ويقول: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب**».

* * *

---

(١) المجموع (٥ / ٣٠٦).

موعظة في أحوال الموتى تحت التراب [1]

على المرء أن يتذكر الموت أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر أحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم، وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم، وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك ، وقد أكل الدود أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاء الموت في وقت لم يحتسبه، فانكشف له صورة الملك، وقرع سمعه النداء إما بالجنة وإما بالنار.

فتخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلك الغاسل، وألبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكى عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجة فلان؟ وأين اليتامى؟ ترككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدًا ، قال أبو العتاهية:

عجبت للإنسان في فخره ... وهو غدًا في قبره يقبر

ما بال من أوله نطفة ... وجيفة آخره يفجر

أصبح لا يملك تقديم ما ... يرجو ولا تأخير ما يحذر

وروي أن ابن مطيع نظر إلى داره ذات يوم فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسرورًا، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم أخذ يبكي حتى ارتفع صوته بالبكاء.

---

(١) انظر «جامع الحياة البرزخية» (ص / ٩٦ - ٩٧).

وقال بعض الصالحين:

عجبت لجازع، باك مصاب ... بأهل، أو حميم ذي اكتئاب

شقيق الجيب داعي الويل، جاهلاً ... كأن الموت كالشيء العجاب

وسوى الله فيه الخلق حتى ... نبي الله منه لم يحاب

له مَلَك ينادي كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

وقال آخر:

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... من منكم المغمور في ظلماتها

ومن المكرم منكم في قعرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لذي العيون فواحد ... لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جاوبوك لأخبروك بألسن ... تصف الحقائق بعد من حالاتها

أما المطيع فنازل في روضة ... يفضي إلى ما شاء من دوحاتها

والمجرم الطاغي بها متقلب ... في حفرة يأوي إلى حياتها

وعقارب تسعى إليه فروحه ... من شدة التعذيب من لدغاتها

دخل الحسن البصري على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

* * *

بعض أحوال القبور من خلال السنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وُضِع في قبره، وتولى عنه أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا ، أتاه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ؟ ـ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا ، ويُفسَحُ له من قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خُضرًا إلى يوم يبعثون، وأما الكافر أو المنافق، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، إن كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين، ويُضَيَّقُ عليه قبره حتى تختلف أضلاعه**» (١) .

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل رسول الله ﷺ يرفع بصره، وينظر إلى السماء ، ويخفض بصره وينظر إلى القبر، ثم قال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» قالها مرارًا، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع عن الدنيا، جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه، فيقول: اخْرُجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه، تسيل كما يسيل قطر السقاء، ثم تنزل ملائكة من السماء بيض**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري وصح الحديث بلفظ: «إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير، فيقولان» الحديث، أخرجه الترمذي في سننه (٣ / ٣٨٣) كتاب الجنائز ـ ح (١٠٧١) وقال: حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان، وذكره الهيثمي في «موارد الظمآن» (ص ١٩٧)، كتاب الجنائز ـ ح (٧٨٠)، والصحيحة (١٣٩١). وانظره مطولاً في موضع قادم.

الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معـهـم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيـجلسون منه مد البـصر، فإذا قبـضها الملك لم يدعـوها في يده طرفة عين»، قال: فذلك قول الله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ قال: «فتخرج نفـسه كأطيب ريح وجدت بها الملائكة ، فـلا يأتون على جند فيما بين السـماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الـروح؟ فيقـال: فلان بأحـسن أسمـائه، حتى ينتـهوا به إلى أبواب السـماء الدنيا، فيـفتح له، ويشيعه من كل سمـاء مقربوها، حتى ينتهي إلى السمـاء السابعة، فيـقال: اكـتبـوا له كتـابه في عليين، وما أدراك مـا عليون، كـتاب مـرقوم، يشـهده المقـربون، فيكتب في عليين، ثـم يقال: ردوه إلى الأرض، فـإني وعدتهم أني منهـا خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنهـا نخرجهم تارة أخرى، قال: فيرد إلى الأرض ، وتعاد روحه، فيـأتيه ملكان شديداَ الانتهارِ فـينهرانه، ويجلسانه، فيـقولون: من ربك، وما دينك؟ فيقـول: ربي الله، وديني الإسلام، فيقولان: مـا تقول في الرجل الذي بعث فيكم. فيقـول: هو رسول الله، فيقولان: وما بيديه؟ فيـقول: جاء بالبينات من ربنا، فآمنت به وصدقت»، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ .

قال: فينادي مـناد من السماء:صـدق عبـدي، فألبسـوه من الجنة، وأَرُوه منزله منها، فـيفسح له مـد البًصر، ثم قـال: ويمثل له عمله في صورة رجل حـسن الوجه، طيب الريح، حسـن الثياب، فـيقول له: أبشـر بما أعد الله لك، أبشـر برضوان الله، وجنات النعـيم، فيقـول: بَشَّرك الله بخـير، من أنت ؟ فوجـهك الذي جاء بالخـير، فيقول: هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعـة الله، بطيئًا عن معصـية الله، فجزاك الله خيرًا، فـيقول: يا رب أقم السـاعة كي أرجع إلى أهلـي ومالي، قـال: فإن كـان فـاجرًا، وكـان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، جاءه ملك الموت، فجـلس عند رأسه فقال: اخْرُجي أيتها النفس الخبـيثة، اخْرُجي بـسخط الله وغضب ، فتنـزل ملائكة سود الوجوه، مـعهم مسوح (كـساء فيه شـعر) من النار، فإذا قبـضها الملك، قامـوا، فلم يدعوها في يده

طرفة عين تتفرق، فيستخرجها، وقد تقطع منها العروق، والعصب كالسفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن جيفة وجدت ، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان ـ بأسوأ أسمائه ـ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فلا تفتح لها، ويقول الله تعالى: رُدُّوها إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيرمى به من السماء»، وتلا هذه الآية: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ .

قال: «فيعاد إلى الأرض ، فتعاد فيه الروح ، ويأتيه ملكان شديدَا الانتهارِ، فينهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولون: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك فقلته، قال: فيقال له: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا بطيئًا في طاعة الله، سريعًا إلى المعصية، قال: فيقيض الله ملكًا أصم أبكم، ومعه مرزبة، لو ضرب بها جبلاً لصار ترابًا فيضربه ضربة فيسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم يقال: افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له بابًا إلى النار»[1] .

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد في المسند (٤ / ٢٨٧ ، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦)، رواه أبو داود في كتاب السنة (٤ / ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤)، وابن ماجه في السنن (١٥٤٨)، والنسائي (٤ / ٧٨)، والحاكم (١ / ٣٧ ، ٣٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره ووافقه الذهبي، وابن المبارك في الزهد (١٢١٩) وراجع «صحيح الجامع» (١٦٧٦)، وراجع تحقيقه وافيًا في «الإحياء» (٥ / ١١٢) بتحقيقي ـ ط دار المنار وفياض.

عرض مقعد الميت عليه بالغداة والعشي (*)

نعم:الميت يُعْرض عليه مقعده بالغداة والعشي(١) :

روى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**»(٢) .

قوله: «عرض عليه مقعده» قال علماؤنا: وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال في الدنيا وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب أو من يهدد به من غير أن يرى الآلة ، ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته.

وجاء في التنزيل في حق الكافرين: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ فأخبر تعالى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح في ذلك، وهل كل مؤمن يعرض على الجنان؟ فقيل: ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان، ومن أراد الله إنجاءه من النار، وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخلصين الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فله مقعدان يراهما جميعًا ، كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقت واحد قبيحًا وحسنًا، وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيفما كان، والله أعلم ثم قيل: هذا العرض إنما هو على الروح وحده، ويجوز أن يكون مع جزء من

(*) انظر «جامع الحياة البرزخية» (ص / ١٠١).

(١) التذكرة للقرطبي ص ١٦٠ .

(٢) الحديث صحيح: رواه البخاري (٢٣) الجنائز باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشي (٨٩) ح (١٣٧٩)، ومسلم كتاب الجنة (٥١) ح (٦٥) والترمذي (١٠٧٤) وقال: حسن صحيح.

البدن، ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان، ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة وكيفما كان، فإن العذاب محسوس، والألم موجود، والأمر شديد، وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلاً في النائم فإن روحه تعذَّب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك.

وقال عبد الله بن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم: هذه داركم فلذلك قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وعنه أيضًا : أن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها.

وروى شعبة عن يعلى بن عطاء قال: سمعت ميمون بن ميسرة يقول: كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي: أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار، وإذا أمسى ينادي: أمسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أبا هريرة أحد إلا تعوذ بالله من النار.

والغداة والعشي إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم، إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾. قلنا: الجواب عنهما واحد.

❊ ❊ ❊

أدلة عذاب القبر من القرآن الكريم [١]

٩ ـ قيل: إن القرآن الكريم لم يتعرض لعذاب القبر مطلقًا، وإنما ورد ذكره في السنة النبوية فقط، فهل حقا لا يوجد آيات في القرآن تدل على عذاب القبر؟

هذا القول زور وبهتان عظيم، فإن القرآن الكريم، قد نوه على عذاب القبر.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ .

قال أبو سعيد الخدري: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه.

ورفعه بعضهم إلى النبي ﷺ ، وقال الحافظ ابن كثير: والموقوف أصح.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «**عذاب القبر**».

وقال الحافظ ابن كثير: وإسناده جيد [٢] .

ويجب أن نعلم أن مذهب السلف الصالح وأئمتهم أن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة، أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن ويحصل لها معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين.

الدليل الثاني: يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وقيل في قوله عز جل: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ هو عذاب القبر ؛ لأن الله ذكره عقب قوله: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ وهذا اليوم هو اليوم الآخر من

---

(١) انظر «جامع الحياة البرزخية» للمؤلف (ص ١٥٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٥٤٤ ، ٥٤٥) ط. دار الأندلس . بيروت.

أيام الدنيا، فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر[١] .

ويقول ابن قيم الجوزية: فهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو الأظهر ؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا.

الدليل الثالث: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

وقد احتج بهذه الآية ابن عباس رضي الله عنهما في عذاب القبر، وهذا مما يدل على فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه، فإنه سبحانه أخبر أن لهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا ، فدل على أنهم بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا فدل على إثبات عذاب القبر.

وبهذا قال البراء بن عازب، ومجاهد ، وأبو عبيدة كما قال ذلك الحافظ ابن كثير[٢] .

الدليل الرابع: قوله عز وجل: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ فذكر الله عز وجل عذاب الدارين دار البرزخ ودار القرار ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره.

قال الحافظ ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور[٣] ويوضح هذا قوله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم**

---

(١) انظر: «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» ص ١٥٢، ١٥٣، ط . دار الريان للتراث.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥ / ٤١٤ ، ٤١٥) ط. دار الأندلس. بيروت. وانظر كتاب «عذاب القبر» للشيخ محمد الزغبي. ط . دار المنار.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦ / ٤٢ ـ ٤٤)، ط. دار الأندلس . بيروت.

القيامة»[١] .

الدليل الخامس: في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ .

وقد قال طائفة من المفسرين: يقال لها ذلك عند الموت؛ لأنه خطاب للنفس التي تجردت عن البدن وخرجت منه.

قلتُ: ويؤكد هذا حديث سعيد بن جبير قال: قرأت عند النبي ﷺ : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴾ فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا لحسن، فقال له النبي ﷺ : «**أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت**».

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الحديث: وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب ،عن ابن يمان وهذا مرسل حسن[٢] .

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾** ﴾ .

فذكر الله عز وجل هاهنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر ، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية؛ إذ هي أهم وأولى بالذكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام.

---

(١) الحديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه (٣ / ٢٤٣) باب الميت يعرض عليه مقعده (٨٩) (ح) (١٣٧٩)، ومسلم في صحيحه (٤ / ٢١٩٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) (ح) (٦٥ / ٢٨٦٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٦٥٨ ، ٦٥٩)، ط. دار السلام ـ الفيحاء.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

قال القرطبي رحمه الله تعالى: قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ ما ينزل بكم من عذاب القبر. ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ في الآخرة إذا دخل بكم العذاب، فالأول: في القبر، والثاني: في الآخرة فالتكرير للحالتين(١).

وروى زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾(٢) يعني: في القبور.

وقال الحافظ ابن كثير: والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي صرتم إليها ودفنتم بها.

وهذا ما تيسر لنا جمعه من آيات القرآن الكريم التي توضح عذاب القبر، وهذا يدل على فساد المخالفين، ندعو الله لهم ولنا الهداية فهو القادر على كل شيء.

* * *

---

(١) انظر: «التذكرة» (ص١٥١ ـ ١٥٣)، ط. دار الريان للتراث.

(٢) الحديث ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٥ / ٢٣٤ ، ٢٣٥) كتاب التفسير (ح) (٣٣٦٦) وقال: حديث غريب، وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير (٤ / ٨٦٦) ولم يعقب عليه.

أدلة عذاب القبر في السنة[(١)]

١٠ ـ السنة النبوية زاخرة بأحاديث كثيرة تبين وتوضح وتشير إلى عذاب القبر وشدته، اذكر بعضًا من هذه الأحاديث لتكون لنا عونًا على الذكرى؟

أدلة السنة كثيرة، ومنها أحاديث بلغت حد التواتر في إثبات عذاب القبر، ولا ينكر هذا إلا من أعمى الله قلبه وبصره فهو لا يدري النور من الظلام، والهدى من الضلال، والغي من الرشاد وإلى الله المرجع والمآب، وهو الأعلم بالصواب، وإليك جملة من الأحاديث:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما يُعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول** ـ ويروى: **لا يستنزه من البول ـ وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة وقال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[(٢)].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل رسول الله يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى القبر ثم قال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» قالها مرارًا. ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع عن الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة**

(١) انظر «جامع الحياة البرزخية» للمؤلف (ص ١٥٤).

(٢) الحديث صحيح: أخرجه البخاري (١ / ٣١٧) كتاب الوضوء (٤) (ح) (٢١٦) وفي (٣ / ٢٢٣) كتاب الجنائز (٢٣) باب (٨١) (ح) (١٣٦١) وفي (١٠ / ٤٦٩) كتاب الأدب (ح) (٦٠٥٢)، ومسلم في صحيحه (١ / ٢٤٠، ٢٤١) كتاب الطهارة (٢) (ح) (١١١ / ٢٩٢)، وأخرجه أبو داود (٢٠)، وكذا النسائي (١ / ٢٨، ٣٠)، والترمذي (٧٠)، وراجع «رياض الصالحين» برقم (١٥٣٧) بتحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي.

من الله ورضوان فتخرج نفسه تسيل كما يسيل قطر السقاء، ثم تنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين». قال: «فذلك قول الله تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ ».

قال: «فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت بها الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان ـ بأحسن أسمائه ـ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيفتح له، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقال: اكتبوا له كتابه في عليين وما أدراك ما عليون، كتاب مرقوم يشهده المقربون فيكتب في عليين، ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى».

قال: «فيرد إلى الأرض وتعاد روحه فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه، ويجلسانه، فيقولان: من ربك، وما دينك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: وما بيديه؟ فيقول: جاء بالبينات من ربنا، فآمنت به وصدقت»، قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ .

قال: فينادي منادٍ من السماء: صدق عبدي، فألبسوه من الجنة، وأَرُوه منزله منها، فيفسح له مد البصر، ثم قال: ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول له: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان الله، وجنات النعيم، فيقول: بَشَّرك الله بخير، من أنت ؟ فوجهك الذي جاء بالخير، فيقول: هذا يومك الذي كنت توعد، أنا عملك الصالح، فو الله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله، بطيئًا عن معصية الله، فجزاك الله خيراً، فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي ».

قال: «فإن كان فاجراً، وكان في انقطاع عن الدنيا، وإقبال من الآخرة، جاءه ملك

الموت، فجلس عند رأسه فقال: اخْرُجي أيتها النفس الخبيثة، اخْرُجي بسخط الله وغضب ، فتنزل ملائكة سود الوجوه، معهم مسوح (كساء فيه شعر) من النار، فإذا قبضها الملك، قاموا، فلم يدعوها في يده طرفة عين تتفرق، فيستخرجها، وقد تقطع منها العروق، والعصب كالسفود الكثير الشعب من الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن جيفة وجدت ، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان ـ بأسوأ أسمائه ـ حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فلا تفتح لها، فيقولون: رُدُّوها إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فيرمى به من السماء»، وتلا هذه الآية: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ .

قال: «فيعاد إلى الأرض ، فتعاد فيه الروح ، ويأتيه ملكان شديدَا الانتهار، فينهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولون: ما تقول في هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه، فيقال: محمد، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك فقلته».

قال: «فيقال له: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا بطيئًا في طاعة الله، سريعًا إلى المعصية».

قال: «فيقيض الله أصم أبكم، ومعه مرزبة، لو ضرب بها جبلاً لصار ترابًا فيضربه ضربة فيسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم يقال: افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له بابًا إلى النار» [١] .

---

(١) الحديث صحيح: رواه أبو داود في كتاب «السنة» (٤ / ٤٧٥٣ ، ٤٧٥٤)، وابن ماجه في=

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات...**»[(١)].

ويقول ﷺ: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «**نعم، عذاب القبر حق**».

فقالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى إلا تعوذ بالله من عذاب القبر[(٤)].

= السنن (١٥٤٨)، والنسائي (٤ / ٧٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١٢١٩)، والطيالسي (٧٥٣)، والحاكم (١ / ٣٧، ٣٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره ووافقه الذهبي، وأحمد في «المسند» (٤ / ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦) وقال الحافظ العراقي: وضعفه ابن حبان. وراجع «إحياء علوم الدين» (٥ / ١١٢) تحقيق الشيخ محمد عبد الملك الزغبي، وصححه الشيخ الألباني، وراجع صحيح الجامع (١٦٧٦).

(١) الحديث صحيح: أخرجه البخاري (٢ / ٣١٧) كتاب الأذان (١٠) باب (١٤٩) (ح) (٨٣٢)، ومسلم في صحيحه (١ / ٣١٢) كتاب المساجد (٥) (ح) (١٢٩ / ٥٨٩).

(٢) الحديث حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٦٥٨٢ ـ ٦٦٤٦) من طريقين عن عبد الله بن عمر، والترمذي من أحد الوجهين، وقال الشيخ الألباني: وله شواهد عن أنس وجابر بن عبد الله وغيرهما، فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح، راجع المشكاة (١٣٦٧)، وأحكام الجنائز ص٣ ، وصحيح الجامع برقم (٥٧٧٣).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الحديث صحيح: أخرجه البخاري (٣ / ٢٣٢) كتاب الجنائز (٢٣) باب (٨٦) (ح) =

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**» ثم قال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر.

ثم قال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر[1].

ونكتفي بهذه الأحاديث؛ لأن أحاديث عذاب القبر كثيرة جدا ولقد بسطتها في غير هذا الموضع، فمن شاء فليراجع كتاب «عذاب القبر» ص ٣٣ ـ ٤٢. ط. دار المنار.

* * *

= (١٣٧٢)، ومسلم في صحيحه (١ / ٤١١) كتاب المساجد (٥) باب (٢٤) (ح) (١٢٥ / ٥٨٦).

(١) الحديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه (٤ / ٢٢٠٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) (ح) (٦٧ / ٢٨٦٧).

الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة

ربما يتعجب القارئ حينما يرى تصدر هذا العنوان في هذا المبحث، ويتساءل هل لهذا العنوان صلة بأشراط الساعة ؟

قلت: إن له صلة وثيقة بهذا الموضوع؛ لأن الكثير من أشراط الساعة جاءت في أحاديث آحاد، لذا صَدَّرْتُ الكتاب بحجية خبر الآحاد في العقائد.

قال الشيخ الألباني [1] **ـ رحمه الله:** في معرض إثباته وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرَّدّ على شبه المخالفين:

لو كان هناك دليل قطعي على أن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد ـ كما يزعمون ـ لصرح بذلك الصحابة، ولما خالف في ذلك من سيأتي ذكرهم من العلماء؛ لأنه لا يعقل أن ينكروا الدلالة القطعية، أو تخفى عليهم؛ لما هم عليه من الفضل والتقوى وسعة العلم، فمخالفتهم في ذلك أكبر دليل على أن هذا القول أو هذه العقيدة في حديث الآحاد ظنية غير قطعية، حتى ولو فرض أنهم مخطئون في أخذهم بحديث الآحاد، فكيف وهم المصيبون، ومخالفوهم من علماء الكلام ومقلدوهم هم المخطئون .

وهذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التي نحتج نحن وإياهم جميعًا بها على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام الشرعية، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه، سواء كان عقيدة أو حكمًا.

ولم يقل أحد من الصحابة لمن حدثه عن رسول الله ﷺ ، خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر ! بل لم يكونوا يعرفون هذه الفلسفة التي تسربت إلى

---

(١) انظر رسالته ـ رحمه الله ـ «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين» (ص / ١٠ ـ ٥٣) باختصار.

بعض المسلمين بعدهم من التفريق بين العقائد والأحكام في وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد ، بل كان أحدهم إذا روى لغيره حديثًا في الصفات مثلاً تلقاه بالقبول ، واعتقد تلك الصفة على القطع واليقين.

وقال النبي ﷺ: «**بلغوا عني**»[١] ، وقال لأصحابه في الجمع الأعظم يوم عرفة: «**أنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت[٢] .

ومعلوم أن البلاغ: هو الذي تقوم به الحجة على المبلغ، ويحصل به العلم، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم، لم يقع به التبليغ الذي تقوم به حجة الله على العبد، فإن الحجة إنما تقوم بما يحصل به العلم ، وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه، فتقوم الحجة على من بلغه، وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته، ولو لم يفد العلم، لم تقم علينا بذلك حجة، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل.

إننا نعلم يقينًا أن النبي ﷺ كان يبعث أفرادا من الصحابة إلى مختلف البلاد ليعلموا الناس دينهم، كما أرسل عليّا ومعاذًا وأبا موسى إلى اليمن في نوبات مختلفة ، ونعلم يقينًا أيضًا أن أهم شيء في الدين إنما هو العقيدة، فهي أول شيء كان أولئك الرسل يدعون الناس إليه، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل** (وفي رواية: فادعهم إلى شهاد أن لا إله إلا الله)، **فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات...**»[٣] .

فقد أمره ﷺ أن يبلغهم قبل كل شيء عقيدة التوحيد ، وأن يعرفهم بالله

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم
(٣) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم.

عز وجل، وما يجب له وما ينزه عنه، فإذا عرفوه تعالى بلغهم ما فرض الله عليهم، وذلك ما فعله معاذ يقينًا، فهو دليل قاطع على أن العقيدة تثبت بخبر الواحد ، وتقوم به الحجة على الناس، ولولا ذلك لما اكتفى رسول الله ﷺ بإرسال معاذ وحده ، وهذا بين ظاهر ، والحمد لله.

وقوله ﷺ في الحديث الصحيح المستفيض: «**نضر الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى له من سامع**»[١] .

وبيان ذلك: أن الصحابي الذي سمع من النبي ﷺ حديثًا في عقيدة ما كعقيدة نزوله تعالى إلى السماء الدنيا مثلاً؛ فهذا الصحابي يجب عليه اعتقاد ذلك؛ لأن الخبر بالنسبة إليه يقين، وأما الذي تلقى الحديث عنه من صحابي آخر أو تابعي، فهذا لا يجب عليه اعتقاد ذلك، وإن بلغته الحجة وصحت عنده؛ لأنها إنما جاءته من طريق الآحاد ـ وهو الصحابي الذي سمع الحديث منه ﷺ ؛ فإنه يحتمل عليه الخطأ، ولذلك فلا تثبت بخبره العقيدة عندهم! وهذا التعليل فاسد الاعتبار؛ لأنهم أقاموه على قياس باطل، وهو قياس المخبر عن رسول الله ﷺ ـ لشرع عام للأمة، أو بصفة من صفات الرب تعالى على خبر الشاهد ـ على قضية معينة، ويا بعد ما بينهما! فإن المخبر عن رسول الله ﷺ لو قدر أنه كذب عمدًا أو خطأ ، ولم يظهر ما يدل على كذبه؛ لزم من ذلك إضلال الخلق؛ إذ الكلام في الخبر الذي تلقته الأمة بالقبول وعملت بموجبه؛ وأثبتت به صفات الرب وأفعاله .

فإن ما يجب قبوله شرعًا من الأخبار لا يكون باطلاً في نفس الأمر ، لا سيما إذا قبلته الأمة كلها.

وإن جماهير المسلمين ـ وخاصة قبل جمع الحديث وتدوينه، إنما وصلهم الحديث بطريق الآحاد.

---

(١) رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وإسناده صحيح.

وإذا كان من الواجب قبول قول المحدث الواحد في الحديث: إنه متواتر، وهو يستلزم الأخذ به في العقيدة؛ فذلك يجب الأخذ بحديث كل محدث ثقة، وإثبات العقيدة به، ولا فرق.

والمصدق حين يثق بالراوي يجد نفسه مقسورة على تصديقه، بحيث إنه لا يمكنه أن يكذبه أو يشك في خبره.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة شريك بن عبد الله حين قيل له ـ وقد ذكروا له بعض أحاديث الصفات : «إن قومًا ينكرون هذه الأحاديث! قال: «فما يقولون؟» قالوا: يطعنون فيها.

فقال: «إن الذين جاؤوا بهذه الأحاديث هم الذين جاؤوا بالقرآن ، وبأن الصلاة خمس،وبحج البيت ، وبصوم رمضان (يعني تفاصيلهما)، فما نعرف الله إلا بهذه الأحاديث» [(١)] .

وعن الإمام إسحاق بن راهويه ـ رحمه الله تعالى ـ قال : «دخلت على عبد الله بن طاهر فقال لي: يا أبا أيوب ! تقول: إن الله ينزل كل ليلة ؟

فقلت: أيها الأمير ! إن الله بعث إلينا نبيّا ، نقل إلينا عنه أخبارا ، بها نحلل الدماء، وبها نحرم، وبها نحلل الفروج ، وبها نحرم، وبها نبيح الأموال، وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك! قال: فأمسك عبد الله»[(٢)].

والتفريق بين العقيدة والأحكام العملية، وإيجاب الأخذ بحديث الآحاد في هذه دون تلك، إنما بني على أساس أن العقيدة لا يقترن معها عمل، والأحكام العملية لا يقترن معها عقيدة، وكلا الأمرين باطل!

وقد نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: الإمام مالك، والشافعي،

---

(١) كتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، و«الشريعة» للآجري (ص / ٣٠٦).
(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص / ٤٥٢).

وأصحاب أبي حنيفة ، وداود بن علي وأصحابه، كابن حزم[1]،ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي ؟!

قال ابن خويز منداد في كتاب «أصول الفقه» ـ وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه إلا الواحد والاثنان:

«ويقع بهذا الضرب أيضًا العلمُ الضروري، نص على ذلك مالك، وقال أحمد في حديث الرؤية: «نعلم أنها حق، ونقطع على العلم بها»، وقال القاضي أبو يعلى في أول «المخبر»[2] : «خبر الواحد يوجب العلم إذا صح سنده، ولم تختلف الرواية فيه، وتلقته الأمة بالقبول، وأصحابنا يطلقون القول فيه وأنه يوجب العلم وإن لم تتلقه الأمة بالقبول»، قال: «والمذهب على ما حكيت لا غير».

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[3] في كتبه في الأصول كـ «التبصرة» و«شرح اللمع» وغيرها، وهذا لفظه في «الشرح»:

«وخبر الواحد ـ إذا تلقته الأمة بالقبول ـ يوجب العلم والعمل، سواء عمل به الكل أو البعض».

ولم يحكِ فيه نزاعًا بين أصحاب الشافعي ، وحكى هذا القول القاضي عبد الوهاب من المالكية عن جماعة من الفقهاء، وصرحت الحنفية في كتبهم بأن الخبر المستفيض يوجب العلم، ومثلوه بقول النبي ﷺ: «**لا وصية لوارث**»، قالوا: مع

---

(١) واحتج له بحجج كثيرة قوية، لا تجدها في كتاب آخر من كتب الأصول، فراجع «إحكام الأحكام» له (١ / ١١٩ ـ ١٣٨).

(٢) كذا الأصل ، ولعله كتاب «المجرد» وهو في الفقه على مذهب الإمام أحمد كما في «الإعلام».

(٣) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي (٣٩٣ ـ ٤٧٦ هـ) علامة مناظر، من كبار علماء الشافعية في «الأصول» كان مدرسًا في المدرسة النظامية في بغداد ، من كتبه «المذهب» في الفقه، و«التبصرة» في الأصول ، والأخير محفوظ.

أنه إنما روى من طريق الآحاد، قالوا: ونحوه حديث عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس، قالوا: وإنما قلنا: ما كان هذا سبيله من الأخبار فإنه يفيد ويوجب العلم بصحة مخبره؛ من قبل أنا إذا وجدنا السلف قد اتفقوا على قبول خبر هذا وصفه، من غير تثبت فيه ولا معارضة بالأصول، أو بخبر مثله، مع علمنا بمذاهبهم في قبول الأخبار والنظر فيها وعرضها على الأصول: دلنا ذلك من أمورهم أنهم لم يصيروا إلى حكمه إلا من حيث ثبت عندهم صحته واستقامته، فأوجب لنا العلم بصحته؛ وهذا لفظ أبي بكر الرازي[1] في كتابه «أصول الفقه»[2].

قال أبو الطيب صديق حسن خان ـ رحمه الله تعالى

«والخلاف في إفادة خبر الآحاد الظن أو العلم مقيد بما إذا لم يضم إليه ما يقويه، وأما إذا انضم إليه ما يقويه، أو كان مشهوراً أو مستفيضًا، فلا يجري فيه الخلاف المذكور.

ولا نزاع في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه؛ فإنه يفيد العلم.

وهكذا خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول ،فكانوا بين عامل به ومتأول له؛ (والتأويل فرع القبول).

ومن هذا القسم أحاديث صحيحي البخاري ومسلم»[3] ، يعني التي لم يطعن في صحتها، وهي الأكثر بانعقاد الإجماع المعلوم المتيقن، على قبول هذه الأحاديث ، وإثبات صفات الرب تعالى والأمور العلمية الغيبية بها.

---

(١) هو الإمام أحمد بن علي الرازي الجصاص ـ صاحب كتاب «أحكام القرآن» المتوفى سنة ٣٧٠هـ.

(٢) «الصواعق » (٢ / ٣٦٢ ـ ٣٦٤).

(٣) حصول المأمول من علم الأصول (ص / ٥٦).

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى:

«فهذا لا يشك فيه من له خبرة بالمنقول؛ فإن الصحابة هم الذين رووا هذه الأحاديث، وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم، ومن سمعها منهم تلقاها بالقبول والتصديق لهم، ومن لم يسمعها منهم تلقاها عن التابعين كذلك، وكذلك تابع التابعين مع التابعين؛ هذا أمر يعلمه ضرورة أهل الحديث، كما يعلمون عدالة الصحابة وصدقهم وأمانتهم ونقلهم ذلك عن نبيهم ﷺ، كنقلهم الوضوء والغسل من الجنابة، وأعداد الصلوات وأوقاتها، ونقل الأذان والتشهد والجمعة والعيدين؛ فإن الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا أحاديث الصفات، فإن جاز عليهم الخطأ والكذب في نقلها، جاز عليهم ذلك في نقل غير مما ذكرناه وحينئذ فلا وثوق لنا بشيء نقل لنا عن نبينا ﷺ البتة، وهذا انسلاخ من الدين والعلم والعقل، على أن كثيرا من القادحين في دين الإسلام قد ترضوه، وقالوا: لا وثوق لنا بشيء البتة، (قال): فهؤلاء أعطوا الانسلاخ من السنة والدين حقه، وطردوا كفرهم، وخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم، وتقسمت الفرق قولهم هذا في «رد الحديث»[1].

فثبت مما تقدم أن خبر الآحاد الذي تلقته الأمة بالقبول يفيد العلم، فإذا كان ذلك فالعقيدة تثبت به، ولا اعتداد بمن خالف في ذلك من المتكلمين؛ لمخالفتهم أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة ومن بعدهم من الأئمة.

وأن كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمر نسبي، يختلف باختلاف المدرك المستدل، ليس هو صفة في نفسه.

قال ابن القيم.

«فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل، فقد يكون قطعيا ـ عند زيد ـ ما هو ظني ـ

---

(١) «الصواعق» (٢ / ٤٣٣ ـ ٤٣٤)

عند عمرو ـ فقولهم: إن أخبار رسول الله ﷺ الصحيحة المتلقاة بين الأمة لا تفيد العلم، بل هي ظنية: هو إخبار عما عندهم؛ إذ لم يحصل لهم من الطرق التي استفاد بها العلم أهل السنة ما حصل لهم فقولهم: لم يستفد بها العلم لم يلزم منها النفي العام، وذلك بمنزلة الاستدلال على أن الواجد للشيء والعالم به غير واجد له ولا عالم به، فهو كمن يجد من نفسه وجعا أو لذة أو حبًا أو بغضًا ،فينتصب له من يستدل على أنه غير وجيع ولا متألم ولا محب ولا مبغض،ويكثر من الشبه التي غايتها أني لم أجد ما وجدته،ولو كان حقًا لاشتركنا أنا وأنت فيه! وهذا عين الباطل، وما أحسن ما قيل:

أقول للائم المهتدي ملامته ذي الهوى فإن استطعت الملام لم

فيقال له: اصرف عنايتك إلى ما جاء به الرسول ﷺ ، واحرص عليه، وتتبعه واجمعه، وعليك بمعرفة أصول نقلته وسيرتهم، وأعرض عما سواه، واجعله غاية طلبك، ونهاية قصدك، بل احرص عليه حرص أتباع أرباب المذاهب على معرفة مذاهب أئمتهم، بحيث حصل لهم العلم الضروري بأنها مذاهبهم وأقوالهم، ولو أنكر ذلك عليهم منكر ؛ لسخروا منه، وحينئذ تعلم: هل تفيد أخبار رسول الله ﷺ العلم أو لا تفيده؟ فأما مع إعراضك عنها وعن طلبها؛ فهي لا تفيدك علمًا،ولو قلت:لا تفيدك أيضًا ظنا؛ لكنت مخبرًا بحظك ونصيبك منها!».

وإن من لوازم هذا القول الباطل بعدم الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة: (الاقتصار في العقيدة على ما جاء في القرآن وحده، وفصل الحديث عنه، وعدم الاعتداد بما فيه من العقائد والأمور الغيبية، وفقًا لطائفة من الناس اليوم، يعرفون بـ «القرآنيين»؛ لأنهم لا يدينون بالحديث إطلاقًا إلا ما وافق القرآن منه! ولذلك فصلاتهم غير صلاتنا، وزكاتهم غير زكاتنا ، وكل عبادتهم غير عبادتنا، وبالتالي فعقائدهم غير عقائدنا ، وذلك يساوي طبعًا أنهم غير مسلمين، فهؤلاء الذين

أشار إليهم الرسول ﷺ بقوله فيما صح عنه: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه؛ فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه**»[1].

أقول: إن الذين يتبنون هذا القول الباطل يشاركون هؤلاء الضلال في قسم كبير من ضلالهم، وهو الاكتفاء بالقرآن فيما يتعلق بالعقيدة، وهذا ـ وإن كان لأول وهلة يبدو أنه يخالف قولهم المشار إليه؛ لأنهم يثبتون العقيدة بالحديث المتواتر؛ فإنه في الحقيقة لا يخالفه إلا في اللفظ لا المعنى.

ومن شاء من المسلمين أن يعرف ثمرة ذلك القول الباطل «عدم الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة»: أن العقيدة لا تثبت بحديث الآحاد؛ فليتأمل فيما سنسوقه من العقائد الإسلامية التي تلقاها الخلف عن السلف، وجاءت الأحاديث متضافرة متوافرة شاهدة عليها، وحينئذ يتبين له خطورة ذلك القول الذي يتبناه المخالفون دون أن يشعروا بما يؤدي إليه من الضلال البعيد من إنكار ما عليه المسلمون من العقائد الصحيحة.

وهاك ما يحضرني الآن منها:

١ ـ نبوة آدم عليه السلام، وغيره من الأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن!

٢ ـ أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل.

٣ ـ شفاعته ﷺ العظمى في المحشر.

٤ ـ شفاعته ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

٥ ـ معجزاته ﷺ كلها؛ ما عدا القرآن، ومنها معجزة انشقاق القمر؛ فإنها مع ذكرها في القرآن تأولوها بما ينافي الأحاديث الصحيحة المصرحة بانشقاق القمر

---

(١) أبو داود (٢ / ٥٠٥).

معجزة لرسول الله ﷺ .

٦ـ صفاته ﷺ البدنية وبعض شمائله الخلقية .

٧ ـ الأحاديث التي تتحدث عن بدء الخلق وصفة الملائكة، والجن، والجنة، والنار، وأنهما مخلوقان، وأن الحجر الأسود من الجنة[١] .

٨ ـ خصوصياته ﷺ التي جمعها السيوطي في كتاب «الخصائص الكبرى» مثل دخول الجنة، ورؤية أهلها وما أعد للمتقين فيها، وإسلام قرينه من الجن وغير ذلك .

٩ ـ القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة!

١٠ ـ الإيمان بسؤال منكر ونكير في القبر .

١١ ـ الإيمان بعذاب القبر .

١٢ ـ الإيمان بضغطة القبر .

١٣ ـ الإيمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة .

١٤ ـ الإيمان بالصراط .

١٥ ـ الإيمان بحوضه ﷺ وأن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا .

١٦ ـ دخول سبعين ألفًا من أمته ﷺ الجنة بغير حساب .

١٧ ـ سؤال الأنبياء في المحشر عن التبليغ .

١٨ ـ الإيمان بكل ما صح في الحديث في صفة القيامة والحشر والنشر .

١٩ ـ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، وأن الله تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته ورزقه وأجله .

٢٠ ـ الإيمان بالقلم الذي كتب كل شيء .

---

(١) وقد صرح الشيخ / محمود شلتوت ص (١١٣) بأنه حجر طبيعي من أحجار مكة، كما أشار (ص/ ٢٤ ـ ٢٥) إلى أنه لا يعتقد أن الملائكة خلقت من نور . انظر كتابه «الإسلام عقيدة وشريعة» .

٢١ ـ الإيمان بأن القرآن كتاب الله حقيقة لا مجازًا.

٢٢ ـ الإيمان بالعرش والكرسي حقيقة لا مجازًا[1].

٢٣ ـ الإيمان بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار.

٢٤ ـ وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة.

٢٥ ـ وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

٢٦ ـ وأن لله ملائكة سياحين يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه.

٢٧ ـ الإيمان بمجموع أشراط الساعة، كخروج المهدي، ونزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال، ودابة من موضعها ،وغيرها مما صحت به الأحاديث.

٢٨ ـ وأن المسلمين يفترقون على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي التي تتمسك بما كان عليه الصحابة من عقيدة وعبادة وهدي.

٢٩ ـ الإيمان بجميع أسماء الله الحسنى،وصفاته العليا، مما جاء في السنة الصحيحة، كالعلي والقدير وصفة الفوقية والنزول وغيرها .

٣٠ ـ الإيمان بعروجه ﷺ إلى السماوات العلى، ورؤيته آيات ربه الكبرى.

* * *

---

(١) صَرَّحَ بعضهم في «الفصول» (ص / ١٥٢) بالإيمان بالكرسي مجازًا، وإنكار الإيمان به حقيقة، ودعا إلى الإيمان بذلك.

الرد على من قال:
إن أخبار الآحاد لا تثبت بها العقيدة[١]

جوابنا على من يرى أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة ؛ لأنها تفيد الظن ،والظن لا تبنى عليه العقيدة، أن نقول: هذا رأي غير صواب لأنه مبني على غير صواب ،وذلك:

أ ـ أن القول بأن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ، ليس على إطلاقه، بل في أخبار الآحاد ما يفيد اليقين إذا دلت القرائن على صدقه كما إذا تلقته الأمة بالقبول، مثل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في: «**إنما الأعمال بالنيات**» فإنه خبر آحاد ومع ذلك فإننا نعلم أن النبي ﷺ قاله، وهذا ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر وغيرهما.

ب ـ أن النبي ﷺ يرسل الآحاد بأصول العقيدة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإرساله حجة ملزمة، كما بعث معاذاً إلى اليمن واعتبر بعثه حجة ملزمة لأهل اليمن بقبوله.

ج ـ إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد أمكن أن يقال: والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الآحاد؛ لأن الأحكام العملية يصحبها عقيدة أن الله تعالى أمر بهذا أو نهى عن هذا، وإذا قبل هذا القول تعطل كثير من أحكام الشريعة، وإذا رد هذا القول فليرد القول بأن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد إذ لا فرق كما بينا.

د ـ أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلاً فيما هو

---

[١] انظر رسالة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ـ «وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين » من (ص / ١٠ ـ ٥٣) باختصار.

من أعظم مسائل العقيدة وهي الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾[١] وهذا يشمل سؤال الواحد والمتعدد.

والحاصل أن خبر الآحاد إذا دلت القرائن على صدقه؛ أفاد العلم وثبتت به الأحكام العلمية والعملية، ولا دليل على التفريق بينهما، ومن نسب إلى أحد من الأئمة التفريق بينهما؛ فعليه إثبات ذلك بالسند الصحيح عنه ثم بيان دليله المستند إليه.

* * *

(١) سورة النحل: (٤٣ ـ ٤٤).

تعريف الأشراط والآيات[1]

إذا كان الله قد أخفى وقت وقوع الساعة عن عباده، فإنه أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها.

وقد سمى القرآن هذه الأمارات بأشراط الساعة، قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾[2].

و(الشَرَط) بفتحتين: العلامة.

وأشراطها: علاماتها[3].

وفي فتح الباري: «المراد» بالأشراط: العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[4].

وقد أطلق بعض العلماء على هذه الأشراط اسم : «الآيات».

و«الآيات» هي الأمارات الدالة على الشيء ، كالأمارات التي تنصب في الصحراء دالة على الطريق ، أو العلامات التي ترفع على شواطئ البحر، تهدي السفن التي تمخر عباب الماء، أو تلك التي توضع قريبًا من المدن لتدل المسافر على قرب وصوله إلى الديار التي وضعت بقربها.

يقول الطيبي: «الآيات: أمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج والخسف، ومن الثاني الدخان وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس»[5].

---

(١) انظر القيامة الصغرى (ص ١٣٣).
(٢) سورة محمد: (١٨).
(٣) مختار الصحاح: ٣٢٤ .
(٤) فتح الباري: (١٣ / ٧٩).
(٥) فتح الباري: (١١ / ٣٥٢).

وللتوسع في تعريف أشراط الساعة يقول الشيخ الوابل:

معنى الشرط[١] :

الشَّرَط - بالتحريك : هو العلامة، جمعه أشراط، وأشراط الشيء: أوائله، ومنه: شُرَط السلطان، وهم نُخْبَة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، ومنه: الاشتراط الذي يشترطه الناس بعضهم على بعض، فالشرط علامةٌ على المشروط[٢] .

معنى الساعة في اللغة:

هي جزءٌ من أجزاء الليل والنهار، جمعها: ساعات وساع، والليل والنهار معًا أربع وعشرون ساعة.

معنى الساعة في الاصطلاح الشرعي:

والمراد بالساعة في الاصطلاح الشرعي: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسُمِّيت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[٣] .

فأشراط الساعة: هي علامات القيامة التي تسبقها وتدل على قربها.

وقيل : هي ما تُنْكِرُه الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة، وقيل: هي أسبابها التي هي دون معظمها وقيامها[٤] .

---

(١) انظر «أشراط الساعة (ص/ ٧٣- ٧٦) يوسف عبد الله بن يوسف الوابل.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢ / ٤٦٠)، و«لسان العرب» (٧ / ٣٢٩ - ٣٣٠) لأبي الفضل ابن منظور، ط. دار الفكر ودار صادر، بيروت.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢ / ٤٢٢)، و«لسان العرب» (٨ / ١٦٩)، و«ترتيب القاموس المحيط» (٢ / ٦٤٧) للأستاذ الطاهر أحمد الزواوي ، دار الكتب العلمية، (١٣٩٩هـ).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢ / ٤٦٠)، و«لسان العرب» (٧ / ٣٢٩ - ٣٣٠).

والساعة تُطْلَق على ثلاثة معان :

أ ـ **الساعة الصغرى**: وهي موت الإنسان ، فمن مات فقد قامت قيامته؛ لدخوله في عالم الآخرة.

ب ـ **والساعة الوسطى**: وهي موت أهل القرن الواحد، ويؤيد ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها؛ قالت: كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ ؛ سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم، فقال: «**إن يعش هذا لم يدركه الهرم؛ قامت عليكم ساعتكم**»(١) ؛ أي: موتهم، وأن المراد ساعة المخاطبين(٢) .

ج ـ **والساعة الكبرى**: وهي بعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

وإذا أطلقت الساعة في القرآن؛ فالمراد بها القيامة الكبرى:

قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ﴾(٣) ،أي عن القيامة .

وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾(٤) ؛ أي : اقتربت القيامة.

وقد ذكر الله تعالى القيامتين الصغرى والكبرى في القرآن الكريم فتجده يذكر القيامتين في السورة الواحدة كما في سورة الواقعة:

فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى: فقال: ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾(٥) .

---

(١) «صحيح البخاري»، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، (١١ / ٣٦١ ـ مع الفتح)، و«صحيح مسلم »، كتاب الفتن أشراط الساعة ، باب قرب الساعة، (١٨ / ٩٠ مع شرح النووي).

(٢) «فتح الباري» (١١ / ٣٦٣).

(٣) سورة الأحزاب: (٦٣).

(٤) سورة الواقعة: (١).

(٥) سورة القمر: (٥١).

ثم في آخرها القيامة الصغرى، وهي الموت، فقال: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴾[١].

وذكر القيامتين أيضًا في سورة القيامة، فقال: ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[٢]، وهذه القيامة الكبرى.

ثم ذكر الموت، فقال: ﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾[٣]، وهو القيامة الصغرى.

وغير ذلك كثير في سور القرآن الكريم مما يضيق المقام عن ذكره.

والقيامة الكبرى هي التي نحن بصدد بيان أشراطها التي جاءت في الكتاب والسنة[٤].

* * *

(١) سورة الواقعة: (٨٣ ـ ٨٥).

(٢) سورة القيامة: (١).

(٣) سورة القيامة: (٢٦).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«فتح الباري» (١١ / ٣٦٤)، و«تاج العروس من جواهر القاموس» (٥ / ٣٩٠).

علم الساعة[١]

علم الساعة غيبٌ لا يعلمه إلا الله تعالى؛ كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فإن علم الساعة مما استأثر الله به، فلم يُطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيا مرسلاً[٢]، فلا يعلم أحد متى تقوم الساعة؛ إلا الله تعالى.

وكان النبي ﷺ يكثر من ذكر الساعة وأهوالها، فكان الناس يسألونه عن وقت قيام الساعة، فكان يخبرهم أن ذلك غيبٌ لا يعلمه إلا الله، وكانت الآيات القرآنية تتنزل مبينة أن علم الساعة مما اختص الله تعالى به نفسه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّما عِلْمُها عند ربّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٣]

فالله تعالى يأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يخبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده، فهو الذي يعلم جليَّة أمرها، ومتى يكون قيامها؛ لا يعلم ذلك أحدٌ من أهل السماوات والأرض:

كما قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عن السَّاعَة قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عند اللَّه وما يُدْرِيك لعلَّ السَّاعة تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾[٤].

وكما قال تعالى: ﴿ **يسْأَلُونَكَ عن السّاعة أيّان مُرْسَاهَا (٤٢) فيم أنت من ذكْراها (٤٣) إلى**

---

(١) انظر «أشراط الساعة» (ص / ٥٧) مرجع سابق.

(٢) ذهب البرزنجي في الإشاعة إلى أن النبي ﷺ علم وقت الساعة، ونهى عن الإخبار بها، وهذا غلطٌ فاحش منه.

انظر: « الإشاعة لأشراط الساعة» (ص ٣).

(٣) سورة الأعراف: (١٨٧).

(٤) سورة الأحزاب: (٦٣).

ربّكَ مُنتَهاهَا ﴾[1] .

فمنتهى علم الساعة إلى الله وحده.

ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ـ كما في حديث جبريل الطويل ـ؛ قال النبي ﷺ: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**[2] .

فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك محمدٌ ﷺ .

وأيضًا؛ فإن عيسى عليه السلام لا يعلم متى تقوم الساعة، مع أنه ينزل قرب قيامها، وهو من علامات الساعة الكبرى؛ كما سيأتي.

روى الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم؛ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ ؛ قال: **«لقيتُ ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى».**

قال: «فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها.

فردوا الأمر إلى موسى، فقال: لا علم لي بها.

فردوا الأمر إلى عيسى، فقال: أما وجبتُها؛ فلا يعلمها أحد إلا الله ، ذلك وفيما عهد إليَّ ربي أن الدجال خارج. قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني؛ ذاب كما يذوب الرصاص ، قال: فيهلكه الله»[3] .

فهؤلاء أولو العزم من الرسل لا يعلمون متى تقوم الساعة.

---

(١) النازعات: (٤٢ ـ ٤٤).

(٢) «صحيح البخاري» ، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، (١ / ١١٤ ـ مع الفتح).

(٣) «مسند أحمد» (٥ / ١٨٩) (ح ٣٥٥٦)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح».
و«سنن ابن ماجه » (٢ / ١٣٦٥)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وقال البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».
و«مستدرك الحاكم» (٤ / ٤٨٨ ـ ٤٨٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.
وضعفه الألباني في كتابه «ضعيف الجامع الصغير» (٥ / ٢٠ ـ ٢١) (ح ٤٧١٢).

وروى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «**تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفسٍ منفوسةٍ تأتي عليها مائة سنة**»[١].

فهذا الحديث ينفي احتمال أن يكون علمها النبي ﷺ بعد سؤال جبريل عنها.

قال ابن كثير: «فهذا النبي الأمي، سيد الرسل، وخاتمهم صلوات الله عليه وسلامه، نبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، والعاقب والمقفي، والحاشر، الذي تحشر الناس على قدميه، مع قوله فيما ثبت عنه في «الصحيح» من حديث أنس وسهل بن سعد رضي الله عنهما: «**بُعثتُ أنا والساعة كهاتين**»[٢]، وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها، ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سُئل عنها، فقال: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾[٣] [٤].

ومن زعم أن النبي ﷺ يعلم متى تقوم الساعة؛ فهو جاهلٌ؛ لأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة ترد عليه.

قال ابن القيم: «وقد جاهر بالكذب بعض من يدعي في زماننا العلم، وهو يتشبع بما لم يعط، أن رسول الله ﷺ كان يعلم متى تقوم الساعة، قيل له: فقد قال في حديث جبريل: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»! فحرفه عن موضعه، وقال: معناه أنا وأنت نعلمها.

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب بيان معنى قوله ﷺ: «على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة»، (١٦ / ٩٠ ـ ٩١ مع شرح النووي).
(٢) «صحيح البخاري»، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بُعثت أنا والساعة كهاتين» (١١ / ٣٤٧ ـ مع الفتح).
(٣) سورة الأعراف: (١٨٧).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٥٢٦).

وهذا من أعظم الجهل ،وأقبح التحريف،والنبيُّ ﷺ أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنُّه أعرابيا: أنا وأنت نعلم الساعة؛ إلا أن يقول هذا الجاهل: إنه كان يعرف أنه جبريل، ورسول الله ﷺ هو الصادق في قوله: «**والذي نفسي بيده؛ ما جاءني في صورة إلا عرفته؛ غير هذه الصورة**»(١).

وفي اللفظ الآخر: «ما شُبِّه عليَّ غير هذه المرة»، وفي اللفظ الآخر: «ردُّوا عليَّ الأعرابي، فذهبوا فالتمسوا، فلم يجدوا شيئًا».

وإنما علم النبي ﷺ أنه جبريل بعد مدة؛ كما قال عمر: فلبثتُ مليًا، ثم قال النبي ﷺ: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**»(٢) ، والمحرِّف يقول: علم وقت السؤال أنه جبريل، ولم يخبر الصحابة بذلك إلا بعد مدَّة!

ثم قوله في الحديث: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» يعمُّ كلَّ سائل ومسؤولٍ، فكلُّ سائلٍ ومسؤولٍ عن هذه الساعة شأنهما كذلك (٣) .

وأيضًا؛ لا معنى لذكر أشراطها وإخبار السائل بها ما دام يعلمها، ولا سيما أنه لم يسأل عن أشراطها.

وأعجب من هذا ما جاء في كلام السيوطي في «الحاوي» بعد أن ذكر الجواب عن السؤال عن الحديث المشتهر على ألسنة الناس: أن النبي ﷺ لا يمكث في

---

(١) «مسند أحمد» (١ / ٣١٤ ـ ٣١٥) (ح ٣٧٤)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح»، ولفظ أحمد: «ما أتاني في صورة إلا عرفته؛ غير هذه الصورة».

(٢) «صحيح مسلم» ، كتاب الإيمان، أمارات الساعة، (١ / ١٥٩ ـ مع شرح النووي).
قال ابن حجر: «وأما وقع في رواية النسائي من طريق أبي فروة آخر الحديث: «وإنه لجبريل، نزل في صورة دحية الكلبي»؛ فإن قوله: «نزل في صورة دحية الكلبي» وهم؛ لأن دحية معروف عندهم، وقد قال عمر: «ما يعرفه منا أحد»، وقد أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب «الإيمان » له من الوجه الذي أخرجه منه النسائي، فقال في آخره: «فإنه جبريل، جاء يعلمكم دينكم» فحسب؛ فهذه الرواية هي المحفوظة؛ لموافقتها باقي الروايات». «فتح الباري» (١ / ١٢٥).

(٣) «المنار المنيف» (ص ٨١ ـ ٨٢) ، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، وانظر تعليق الشيخ على كلام ابن القيم، وانظر: « مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤ / ٣٤١ ـ ٣٤٢).

قبره ألف سنة ؟

قال: «وأنا أجيب بأنه باطل، لا أصل له».

وذكر أنه ألف في ذلك مؤلفًا سماه «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»؛ قال فيه:

أولاً: الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد عن ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة؛ لأنه ورد من طرق أن مدة الدُّنيا سبعة آلاف سنة، وأن النبي ﷺ بُعث في أواخر الألف السادسة[1].

ثم ذكر حسابات خلَص منها إلى أنه لا يمكن أن تكون المدة ألفًا وخمسمائة أصلاً، ثم ذكر الأحاديث والآثار التي اعتمد عليها في ذلك:

ومنها ما رواه الطبراني في «الكبير» عن الضحاك بن زمل الجهني؛ قال: رأيت رؤيا، فقصصتُها على رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، وفيه: إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة.

فقال ﷺ: «**أما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة؛ فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفًا**»[2].

وذكر أنه أخرجه البيهقي في «الدلائل»، وأن السهيلي ذكر أن الحديث ضعيف[3] الإسناد، ولكنه رُوي موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما من طرق صحاح، وأن الطبري[4] صحح هذا الأصل، وعضده بآثار.

---

(١) «الحاوي للفتاوى» (٢ / ٨٦)، للسيوطي، ط. الثانية (١٣٩٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) «الحاوي للفتاوى» (٢ / ٨٨).

(٣) حديث: «الدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفًا»؛ قال الألباني: «موضوع»: انظر: «ضعيف الجامع الصغير» (٣ / ١٦٠) (ح ٣٠١٣).

(٤) انظر: «تاريخ الأمم والملوك» لأبي جعفر الطبري، (١ / ٥ ـ ١٠)، ط. دار الفكر، بيروت.

ثم بين السيوطي أن معنى قوله ﷺ: «**وأنا في آخرها ألفًا**»؛ أي: معظم الملة في الألف السابعة؛ ليطابق ما سيأتي أنه بُعث في أواخر الألف السادسة، ولو كان بُعث في أول الألف السابعة؛ كانت الأشراط الكبرى كالدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها؛ وجدت قبل اليوم بأكثر من مائة سنة؛ لتقوم الساعة عند تمام الألف، ولم يوجد شيء من ذلك، فدل على أن الباقي من الألف السابعة أكثر من ثلاثمائة سنة[1].

هذا هو ملخص كلام السيوطي رحمه الله، وهو مصادمٌ لصريح القرآن، وللأحاديث الصحيحة؛ من أن مدة الدنيا لا يعلمها أحد إلا الله تعالى؛ فإننا لو عرفنا مدة الدنيا ؛ لعلمنا متى تقوم الساعة.

وقد علمت فيما سبق من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن الساعة لا يعلم وقت قيامها إلا الله تعالى.

وأيضًا؛ فإن الواقع يردُّ ذلك؛ فإننا في بداية القرن الخامس عشر الهجري، ولم يخرج الدجال، ولم ينزل عيسى عليه السلام؛ فإن السيوطي ذكر أنه ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة وينزل عيسى عليه السلام، فيقتله، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة، وأن بين النفختين أربعين سنة، فهذه سنة لابد منها[2].

فعلى كلامه لو خرج الدجال الآن؛ لابد من مائتي سنة فيكون قيام الساعة بعد ألف وستمائة سنة.

وبهذا يتبين بطلان كل حديث ورد في تحديد مدة الدنيا .

وقد ذكر ابن القيم في كتابه «المنار المنيف» أمورًا كلية يُعرف بها كون الحديث موضوعًا، فقال:

---

(١) «الحاوي» (٢ / ٨٨).

(٢) «الحاوي» (٢ / ٨٧).

«منها مخالفة الحديث صريح القرآن؛ كحديث مقدار الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة، ونحن في الألف السابعة، وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحًا؛ لكان كل أحدٍ عالمًا أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا مائتان وإحدى وخمسون سنة»[١] .

فإن ابن القيم عاش في القرن الثامن الهجري، فقال هذا الكلام ، وقد مرَّ على كلامه هذا أكثر من ستمائة واثنتين وخمسين سنة، ولم تنقض الدنيا .

وقال ابن كثير: « والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومائتين من السنين، قد نصَّ غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه، وتغليطهم، وهم جديرون بذلك ، حقيقون به، وقد ورد في حديث: «**الدنيا جمعة من جمع الآخرة**»، ولا يصح إسناده أيضًا، وكذا كل حديث ورد في تحديد لوقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده»[٢] .

وكما أنه لا يعلمُ أحد متى تقوم الساعة؛ فكذلك لا يعلم أحد متى تظهر أشراط الساعة ،وما ورد أنه في سنة كذا يكون كذا ، وفي سنة كذا يحصل كذا؛ فهو ليس بصحيح ، فإن التاريخ لم يوضع في عهد النبي ﷺ ،وإنما وضعه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه؛ اجتهادًا منه، وجعل بدايته هجرة النبي ﷺ إلى المدينة.

قال القرطبي: «إن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا ، يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة، فلا يعلم أحد أي سنة هي، ولا أي شهر، أما

---

(١) « المنار المنيف» (ص ٨٠) ، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٤٢)، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٥)، تحقيق: د. طه زيني.

أنها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام، ولكن أي جمعة؛ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يُعلم، والله أعلم»[1] .

* * *

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص / ٦٢٨) للقرطبي ، نشر المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

الساعة آتية لا ريب فيها[١]

الإيمان بيوم القيامة أصل من الأصول، لا يتم الإيمان إلا به: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ولكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[٢] ، ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣] .

وقد ساق القرآن ضروبًا متنوعة من الأساليب البيانية الراقية كي يؤكد وقوعها في نفوس العباد: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾[٤] . ففي بعض المواضع يكون الحديث عنها خبرًا مجردًا ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٥] ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾[٦] .

ومرة يؤكد وقوعها (بأن) كقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴾[٧] ، ومرة (بإن) واللام ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[٨] ، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٩] وفي بعض المواضع ينفي الريب والشك عن وقوعها ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[١٠] .

وفي بعض الآيات يقسم الحق على أنها آتية واقعة، مرة بنفسه، ومرة

---

(١) القيامة الصغرى (١١٩ ـ ١٢٠).
(٢) سورة البقرة: (١٧٧).
(٣) سورة النساء: (١٢).
(٤) سورة الرعد: (٢).
(٥) سورة الروم: (١١).
(٦) سورة النور: (٦٤).
(٧) سور طه: (١٨).
(٨) سورة الحجر: (٨٥).
(٩) سورة العنكبوت: (٥).
(١٠) سورة غافر: (٥٩).

بمخلوقاته العظيمة، فمن إقسامه بنفسه ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[١]، ومن إقسامه بالعظيم من مخلوقاته قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾[٣].

وفي بعض المواضع يأمر رسوله في مجال الحجاج والخصام بالإقسام بربه مؤكدًا وقوعها ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٤]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[٥] وفي بعض الآيات يخبر بأنها حق ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾[٦] ومن تتبع طريقة القرآن في تأكيد الإخبار بها تحصل عنده أنواع كثيرة، وقد ذكرنا طائفة منها[٧].

* * *

(١) سورة النساء: (٨٧).
(٢) سورة الذاريات (١ ـ ٦).
(٣) سورة الطور: (١ ـ ٨).
(٤) سورة يونس: (٥٣).
(٥) سورة سبأ: (٣).
(٦) سورة لقمان: (٣٣).
(٧) قد يجتمع في الآية أكثر من مؤكد، وإذا تأملت النصوص التي سقناها ظهر لك هذا وتبين.

قرب قيام الساعة[1]

إن هذه الأمة هي آخر الأمم ، ومن المتيقن قيام الساعة آخر الزمان على هذه الأمة الخاتمة حيث لا أمة بعدنا ولا نبي بعد النبي محمد ﷺ ، وأعمار هذه الأمة في المتوسط بين الستين والسبعين وذلك على مستوى الفرد ، أما عمر هذه الأمة بالنسبة لأعمار الأمم السابقة فهي لا تُعد شيئًا .

وذلك ما يؤكده حديث أحمد الذي يرويه عن مجاهد قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان[2] بعد العصر، فقال: «**ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى منه**» وهذا ينبئ بقرب قيام الساعة ولا سيما بعد ظهور معظم علاماتها الصغرى ولم يبق إلا ظهور الأمارات الكبرى .

روى أحمد عن عبد الله بن عمر أنه كان واقفًا بعرفات، فنظر إلى الشمس حتى نزلت مثل الترس للغروب، فبكى، واشتد بكاؤه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبد الرحمن قد وقفت معي مرارًا فلم تصنع هذا؟ فقال: «أيها الناس لم يبق من دنياكم فيما مضى منها، إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه» فإذا كان هذا زمن عبد الله بن عمر فكيف بزماننا نحن، وكيف بما حدث بعد القرون الطويلة من أحداث تشيب لها رؤوس الولدان .

وكل إنسان يموت تقوم قيامته، وقلما تمر مائة عام حتى ينفنى جيل من أجيال البشر بأكمله ويأتي جيل جديد، وذلك يؤكده حديث مسلم وأحمد عن جابر بن

---

(١) الذكرى في علامات الساعة الصغرى والكبرى ـ خالد عبد الحكيم متولي (ص/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢).

(٢) اسم جبل في مكة المكرمة.

عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال قبل أن يموت بشهر: «**تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة**».

وهذا مما يوقظ في النفوس الخوف والحذر واتخاذ العدة والحيطة من فجأة الموت أو فجأة أشراط الساعة، وذلك أن من مات فقد دخل في حكم القيامة، فعالم البرزخ قريب من عالم يوم القيامة، والكل غيب لا يعلمه إلا الله.

وأشد الناس خشية وخوفًا من الله تعالى وحذرًا من الساعة وأكثر استعدادًا لها هو النبي ﷺ حيث لا يهدأ له بال ولا تأتي عليه الراحة، وإنما يظل في جهد دؤوب ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ويبذل ما عنده من جهد وطاقة وكأنه يرى الساعة بعينه ويعيش في ظل أحداثها بكيانه ومشاعره، ولذلك أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم وصاحب القرن**(١) **قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟**».

فقال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله كيف نقول؟

قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**».

وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس: إن صاحب الصور لم يطرف منذ وكل به، كأنَّ عينيه كوكبان دريان، ينظر تجاه العرش مخافة أن يؤمر أن ينفخ فيه قبل أن يرتد إليه طرفه» فننظر كيف كان خوف النبي ﷺ وخوف أصحابه حتى إنهم تأثروا وظنوا أن النفخ في الصور سيحدث من ساعتهم وبادروا يسألون ماذا يقولون.

وكيف أن النبي ﷺ يتساءل كيف ينعم ويلهو ويكسل والملك الموكل بالنفخ في الصور على أهبة الاستعداد ينتظر أمر الله إليه بالنفخ فيه لتنتهي الدنيا ويبدأ الحساب.

---

(١) هو الصور الذي ينفخ فيه.

هذه الآثار كلها تعطي انطباعًا واحـدًا في الحس، وهو أنه لا يبقى إلا ساعة بيننا وبين الساعـة ،وأن الأمر جد لا هزل فيه ، وأن كل مـا هو آت قريب ليس ببعيد.

وعلى العـاقل أن لا ينعم ولا يسـوف ولا يخلد إلى السكون والدعـة ، بل عليه أن ينزع ثـوب الراحة ويشمـر عن ساعة الجـد حتى لا يفـجؤه أمر السـاعة ورصيده من الإيمان صـفر أو رصيد ضـئيل لا يستطيع معـه أن يثبت أمام أهوال كالجبال وفتن عصيبة كقطع الليل المظلم.

* * *

إشكالات تتعلق بتحديد وقت الساعة وتوضيحها [١]

إن وقت القيامة غيب لا يعلمه إلا الله، ولكن يشكل على هذا أحاديث ظن بعض الناس أنها تحدد موعودها، وهذه الأحاديث بعضها غير صحيح فلا يلتفت إليها، ولا يجوز أن تعارض بها النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة، ومنها أحاديث صحيحة، ولكن دلالتها على تحديد يوم القيامة غير صريحة.

فمن الأحاديث الباطلة المكذوبة المخالفة لصريح القرآن ـ كما يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ـ حديث مقدار الدنيا «وأنها سبعة آلاف سنة، ونحن في الألف السابعة».

يقول **ابن القيم**. وهذا من أبين الكذب، لأنه لو كان صحيحًا لكان كل أحد عالمًا أنه قد بقي من وقتنا هذا مائتان وواحد وخمسون سنة «أي في الوقت الذي كان يكتب فيه الشيخ ابن القيم مؤلفه» والله تعالى يقول: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ** ﴾[٢] [٣].

أقول: ومما يدل على كذب هذا الحديث قطعًا أن الألف السابعة هذه مضت وانقضت منذ أربعمائة سنة، وكثير من أشراط الساعة لم يقع بعد.

ومن الأحاديث الصحيحة التي لا تدل على تحديد يوم القيامة ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «**تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس**

---

(١) القيامة الصغرى: (ص ١٣٠ ـ ١٣٢).
(٢) المنار المنيف، لابن القيم: ص ٨٠.
(٣) سورة الأعراف: (١٨٧).

منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ»[١] .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء في آخر حياته، فلما سلَّم قال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**»[٢] .

إن التأمل في هذين الحديثين يدل دلالة واضحة على أن الرسول ﷺ لم يرد في أقواله هذه قيام الساعة، وإنما أراد انقضاء القرن الذي هو فيه، أي أنه بعد مائة عام يموت كل من كان حيًا عندما قال الرسول ﷺ ما قال، وقد فقه هذا المعنى ابن عمر رضي الله عنه، وفقَّه الناس به عندما ذهبوا مذاهب شتى في فهم معنى قول الرسول ﷺ، ففي سنن الترمذي وسنن أبي داود بعد سياق عبد الله بن عمر لحديث الرسول ﷺ السابق، قال: «فوهل الناس[٣] في مقالة الرسول ﷺ تلك، فيما يتحدثونه بهذه الأحاديث: نحو مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: «**لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**»، يريد بذلك: أن ينخرم القرن[٤] .

وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم عن عائشة، قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ، سألوه عن الساعة، متى هي؟

فينظر إلى أحدث إنسان منهم، فيقول: «**إن يعش هذا، إن يدركه الهرم، حتى قامت عليكم الساعة**» قال هشام: يعني موتهم[٥] .

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، «أن رجلاً سأل

---

(١) جامع الأصول: (١٠ / ٣٨٧)، ورقم الحديث: (٧٨٩٠) ومعنى: نفس منفوسة: أي مولودة.
(٢) جامع الأصول: (١٠ / ٣٨٨)، ورقم الحديث: (٧٨٩١).
(٣) الوهل: الفزع، أو ذهاب الفكر مذاهب بعيدة عن المراد.
(٤) صحيح الجامع: (١٠ / ٣٨٨)، ورقم الحديث: (٧٨٩١).
(٥) جامع الأصول: (١٠ / ٣٨٩)، ورقمه: (٧٨٩٢).

رسول الله ﷺ: متى الساعة ؟

فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزْد شَنُوءَة، فقال: «**إن عُمر هذا الغلام، لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة** ».

قال أنس: وذلك الغلام من أترابي يومئذ [١] .

ومراد الرسول ﷺ في هذين الحديثين ساعة المخاطبين، كما فسر ذلك هشام أحد رواة الحديث الأول: يعني موتهم، فإن ساعة كل إنسان موته، وهذا الجواب من الرسول ﷺ يعرف بجواب الحكيم، فإنه أرشده إلى الاستعداد للموت والتأهب له، والموت قريب قريب.

* * *

(١) جامع الأصول: (١٠ / ٣٨٩)، ورقمه: (٧٨٩٢).

لا يعلم أحد وقت الساعة المعين[١]

سئل الرسول ﷺ عن الساعة، فقال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

وكان السائل جبريل متمثلاً في صوة بشر، فإذا كان أعلى الملائكة منزلة، وهو جبريل، وأعلى البشر منزلة وهو محمد ﷺ لا يعلمان متى تكون - فحَري بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها.

وقد صرح القرآن أن وقت وقوعها من خصائص علم الله، ولذا فإنه لم يطلع أحدًا على وقت وقوعها، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[٢].

وقال في الآية الأخرى: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾[٣].

﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾[٤].

وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن معرفة الوقت الذي تكون فيه الساعة لا يعرفه إلا رب العزة.

وأنها تأتي بغتة، وأن الرسول ﷺ لا يدري متى هي.

والساعة إحدى مفاتح الغيب الخمسة التي هي من مكنونات علم الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي**

---

(١) المرجع السابق (ص / ١٢٤ - ١٢٥)

(٢) سورة الأعراف: (١٨٧).

(٣) سورة الأحزاب: (٦٣).

(٤) سورة النازعات: (٤٢ - ٤٤).

نفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تمُوتُ إنَّ اللَّه علِيمٌ خبِيرٌ﴾[1].

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**».

ثم تلا هذه الآية: ﴿ إنَّ اللَّهَ عندَهُ علْمُ السَّاعة ﴾[2]»[3].

* * *

(١) سورة لقمان: (٣٤).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم ـ لابن رجب (٣٧).

(٣) سورة لقمان: (٣٤).

الساعة قريبة[١]

أعلن رب العزة لعباده في كتابه المنزل منذ أربعة عشر قرنًا أن الساعة قد اقتربت ،وآن أوان وقوعها ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٢] .

وانشقاق القمر إحدى الأمارات الدالة على قرب وقوعها،ولما كانت الساعة قد اقتربت قربًا عظيمًا فإن القرآن يصور أنها أتت وحضرت ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[٣] .

ولو كان البشر يوقنون بما أنزل الله بقلب مبصر، وعقل حاضر مدرك لَهَالَهُم الأمر،وملك عليهم نفوسهم،ولذلك كان حالهم عجبًا، الخطر قريب قريب، ومع ذلك فإنهم غافلون عن الهول الذي يكاد يطبق عليهم، ويحيط بهم ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[٤] .

ولذا فإنه قد كثر في القرآن تحذير العباد من الساعة ، والأمر بالاستعداد لها،وعبر عنها بالغد،وهو اليوم التالي لليوم الذي تعيش فيه ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٥] .

قد يقال: كيف يكون قريبًا ما مضى على الإخبار بقرب وقوعه ألف وأربعمائة عام؟

والجواب: أنه قريب في علم الله وتقديره، وإن كانت المقاييس البشرية تراه

(١) المرجع السابق: (ص / ١٢١ ـ ١٢٣).
(٢) سورة القمر: (١).
(٣) سورة النحل: (١).
(٤) سورة الأنبياء: (١ ـ ٣).
(٥) سورة الحشر: (١٨).

بعيدًا، ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾(١) .

والأمر الذي ينبغي أن ينتبه إليه أن الباقي من الدنيا قليل بالنسبة لما مضى منها، فإنك إذا وضعت لمن لك عليه دين أجلاً طويلاً، كأن تؤجله خمسين عامًا مثلاً، فإذا انقضى من الخمسين خمسة وأربعون، فيكون موعد السداد قد اقترب بالنسبة لما مضى من الموعد المضروب.

والأحاديث النبوية الشريفة تشير إلى هذه الحقيقة التي بيناها هنا، ففي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس**» ،وفي لفظ: «**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس**».

إن الحديث يمثل الوجود الإنساني بيوم من أيام الدنيا، ابتدأ وجود الأمة الإسلامية فيه عند العصر، فيكون الماضي من عمر الوجود الإنساني بنسبة ما مضى من ذلك اليوم من الفجر إلى العصر، ويكون الباقي من عمر الزمن حتى تقوم الساعة كما بين العصر والمغرب، ذلك أن النصوص صريحة الدلالة على أننا آخر الأمم وجودًا، وأن نهاية وجود هذه الأمة يتحقق بقيام الساعة.

وجاء في حديث آخر يرويه البخاري ومسلم عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، ويشير بأصبعيه فيمدهما**»، ورواه مسلم عن سهل بلفظ: «سمعت رسول الله ﷺ **يشير** بإصبعه التي تلي الإبهام والوسطى وهو يقول: «**بعثت أنا والساعة هكذا**»(٢) .

والمعنى أننا لو قدرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى، فإن ما بقي منه عند

(١) سورة المعارج (٦ ـ ٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: (بعثت أنا والساعةكهاتين) فتح الباري (١١ / ٣٤٧)،ومسلم في «كتاب الفتن» باب قرب الساعة (٤ / ٢٤٦٨) برقم (٢٩٥٠).

مبعث الرسول ﷺ يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة، وما مضى منه بمقدار السبابة من الأصبع الوسطى، قد يكون الباقي في حس البشر طويلاً، لأن إدراكهم محدود ،ونظرتهم قاصرة، ولكنه في ميزان الله قريب وقصير ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[١] .

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[٢] .

وروى الإمام أحمد عن عتبة بن غزوان قال: خطبنا رسول الله ﷺ ،فقال: فحمد الله،وأثنى عليه، ثم قال: «**أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم، وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا منها بخير ما يحضرنكم...**» انفرد به مسلم[٣] .

* * *

(١) سورة النحل: (١).
(٢) سورة النحل: (٧٧).
(٣) تفسير ابن كثير : (٦ / ٤٦٨).

لا يجوز الاشتغال في تحديد وقتها[1]

تساءل الناس عن وقت الساعة كثيرًا، ووجهوا أسئلتهم للرسول ﷺ، وجاء الجواب من منزل الكتاب، إن الساعة غيب، ومعرفة الزمن الذي تقع فيه من خصائص علم الله، ﴿ **يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾[2] .

﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** ﴾[3] .

إن هذا العلم لم يطلع الله عليه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلاً، ولذلك قال الرسول ﷺ لجبريل حينما سأله عن الساعة: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

فالبحث في هذا الأمر، والزعم أن الساعة ستقع في عام بعينه تَقَول على الله بغير علم، والخائضون في ذلك مخالفون للمنهج القرآني النبوي الذي وجه الناس إلى ترك البحث في هذا الموضوع، ودعاهم إلى الاستعداد لهذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح.

والذين يبحثون في هذا المجال يظنون أنه يمكنهم أن يعلموا ما لم يعلمه الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام، وكفى بذلك واعظًا ورادعًا لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، ونحن نقول لهم: ينبغي أن يسعكم ما وسع الرسول ﷺ وأصحابه وأئمة هذه الأمة على مدار التاريخ، ولو كان في معرفة الوقت صلاح وخير للبشر، لأخبر الله به البشر، ولكنه حجب ذلك عنهم، وفي ذلك صلاحهم.

---

(١) القيامة الصغرى: (ص / ١٢٧ ـ ١٢٩).

(٢) سورة الأحزاب: (٦٣).

(٣) سورة النازعات: (٤٢ ـ ٤٥).

وينبغي للاحقين أن يتعظوا بحال السابقين، فبعض السابقين خاض في هذا الأمر، وحدد للساعة أو بعض أشراطها القريبة من وقوعها أجلاً، وجاء الأجل الذي ضربه، ولم يحدث شيء من ذلك، لا الساعة ولا أشراطها المحددة، فمن هؤلاء الطبري رحمه الله وغفر له، فإنه استظهر من بعض النصوص أن فناء الدنيا يكون بعد خمسمائة عام من البعثة المحمدية(١) وها هو قد مر أكثر من تسعمائة عام على الأجل الذي ضربه، ولم يصدق ظنه.

ومن هؤلاء العلامة السيوطي عفا الله عنه، فإنه استظهر في جزء سماه «الكشف» أن الساعة ستقوم على رأس المائة الخامسة بعد الألف من البعثة النبوية(٢) وعلى ذلك فإنه بقي على قيام الساعة بضع عشرات من السنين، مع أن كثيراً من الآيات الصغرى لم يقع بعد، أما الكبرى فلم يقع منها شيء.

وجمع السهيلي الحروف المقطعة في أوائل السور، وحذف المكرر منها، وأخذ عددها بحساب الجمل، وحدد بناء على ذلك أجلاً لا يبلغ بضع مئات من السنين(٣).

وقد تَقَوَّل كثير من الناس في هذا وخبطوا خبطًا لا دليل عليه، وإنما هي ظنون وتخرصات.

وآخر ما اطلعت عليه في ذلك ما كتبه دكتور بهائي مدعيًا أن الساعة ستقع في عام (١٧١٠)، وقد زعم أنه استقى ذلك من الأرقام العددية للحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن، ونحن نقول: إن هذا النهج قد ثبت خطؤه، وقد اعتمد بعض من سبق على هذا النهج، وحددوا أجلاً غير أجله، فوافقوه في النهج، وخالفوه في تحديد الأجل، وثبت كذب ما ذهبوا إليه.

---

(١) المقدمة لابن خلدون: ص (٥٩٠).
(٢) لوامع الأنوار البهية: (٢ / ٦٦).
(٣) المقدمة لابن خلدون: ص ٥٩١ .

وقد تعرض الشيخ العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأجزل له المثوبة للذين بحثوا في هذا الأمر وخاضوا فيه، وحددوا في ذلك أجلاً، فقال: «ومن تكلم في وقتها المعين مثل الذي صنف كتابًا سماه «الدر المنظم في معرفة الأعظم» وذكر فيه عشر دلالات بين فيها وقتها، والذين تكلموا على ذلك من حروف المعجم، والذي تكلم في «عنقاء مُغرب»[(١)] وأمثال هؤلاء، فإنهم وإن كان لهم صورة عظيمة عند أتباعهم، فغالبهم كاذبون مفترون[(٢)]، وقد تبين لديهم من وجوه كثيرة أنهم يتكلمون بغير علم، وإن ادعوا في ذلك الكشف ومعرفة الأسرار، وقد قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[(٣)(٤)].

ولا شك أن دعوى معرفة وقتها المحدد قول بلا علم.

* * *

---

(١) هو ابن عربي القائل بوحدة الوجود.

(٢) قال الشيخ: (غالبهم) لأن بعض الذين بحثوا في ذلك أخطؤوا، ولم يقصدوا التضليل، أمثال الطبري والسيوطي رحمهما الله.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (٤ / ٣٤٢).

(٤) سورة الأعراف: (٣٣).

فوائد ومنافع ذكر أشراط الساعة[(١)]

قد يتساءل سائل:

ما الفائدة المرجوة من ذكر أشراط الساعة؟

وما المنافع التي تعود على المسلم من معرفة هذه الآيات الغيبية من الأشراط والعلامات التي تسبق يوم القيامة؟

والجواب: أن هناك منافع كثيرة من ذكر أشراط الساعة، حيث إنها من الغيب الواجب معرفته والإيمان به، كما أنه بمثابة إشارة التحذير وعلامة التنبيه التي ترشد السالكين في طريقهم إلى الله، ناهيك عن تأثر القلب بأخبار الغيب وزوال الصدأ الذي يعلوه ورفع الحجب التي تغطيه ليستيقظ من الغفلة والسبات وليأخذ الأهبة والاستعداد، وهذا مثله كمثل إعصار مدمر أو بركان هائل أدرك بعض العلماء من أهل الخبرة والتخصص أنه سيصيب مدينة أو بلدة، فهم يطلقون إشارات التحذير وينبهون جميع الناس إلى هذا الخطر الداهم رغم أنه لم يقع بعد وهو في حكم الغيب ولكن الناس سرعان ما ينتبهون ويأخذون حذرهم ويستيقظون، وربما جمعتهم هذه المصائب فألفت بين قلوبهم وجمعت شتاتهم وجعلتهم يتعاونون لدرء هذا الخطر الداهم الذي سيتأصلهم ويقضي عليهم.

وهذا مع الفارق في كون الأعاصير والبراكين قد تحدث أو لا تحدث، وقد تكون خطيرة أو تكون هينة قليلة الضرر، بينما أخبار الساعة كلها حق ويقين، لأنها خبر الوحي من السماء وخبر الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فهذا كله كفيل بوجود عنصر الثقة والصدق واليقين، بينما خبر غيره من البشر فيه الظن والوهم والتخمين، فإذا كان الناس يتأثرون بظنون بشر مثلهم

---

(١) انظر «الذكرى في علامات الساعة الصغرى والكبرى ـ خالد عبد العليم متولي (ص ٣٨٣ ـ ٣٨٧).

وتخمين أناس منهم ألا يتأثرون بوحي ربهم وخبر السماء اليقيني الذي لا شك فيه؟

وقد مر ذكر بعض المنافع والفوائد من ذكر أشراط الساعة عند الحديث عن المسيح الدجال ولكننا هنا نوردها مجموعة مجملة في خلاصة ونصيحة، عسى أن تأتي بالثمرة المرجوة منها، وأن تخرج بالحصاد الذي نؤمل فيه:

١ ـ قصر الأمل وتعجيل التوبة:

إن الإنسان يحب البقاء ويسعى للتملك ، ولذلك فأمله طويل، وطول أمله يدعوه إلى تسويف التوبة، وتأجيل الأعمال الصالحة ظنا منه أن في الوقت متسعًا وأن العمر أمامه طويل عريض، وهذا ما يدعوه إلى تأخير الطاعة وتأجيل الاستقامة بينما هو في شهوته غارق إلى شحمة أذنيه، بينما ذكر قرب الساعة يقطع على المسوف هذا الأمل الطويل العريض، ويدعو إلى المبادرة والمسارعة بالأعمال الصالحة ، وذلك قبل نفاد الفرصة وانقضاء الأجل، أو قل قبل أن تفجأه الساعة بأهوالها وهو ما زال ضائعًا تائهًا ينشغل بالدنيا ويترك المطلوب .

٢ ـ تصحيح السلوك وتحسين الأخلاق:

إن حب الدنيا هو مفتاح كل شر، وسبب فساد السلوك هو تصارع الناس على شهوات الحياة، وهذا ما يفجر في الإنسان طاقات الشر كلها من الخبث والمكر والخديعة والغدر والدناءة.

فإذا علم الناس قرب الساعة وأنها وشيكة الوقوع وأنه ربما تأتيهم بغتة خصوصًا عند شروق أماراتها الصغرى الكثيرة، فهذا يردع النفس عن الطغيان ويحجزها عن الجور والظلم، ويدفعها إلى تحصيل الزاد قبل أن يوشك العمر على النفاد، ومن هنا يستقيم السلوك وتحسن الأخلاق ، ويجتهد كل إنسان أن يقدم أحسن ما عنده رجاء أن تأتيه منيته وهو على عمل صالح أو عزمة خير.

وطبيعة الإنسان أنها تتأثر بالغيب ، وتخاف من خطر داهم سيفجؤها بعد

حين، فإذا كان القادم على ابن آدم هو فتن مظلمة، وأوقات عصيبة، ومحن هائلة فإنه حينئذ لا يخاصم على متاع رخيص، ولا يحارب على دنيا هو على يقين من زوالها، وسيزهد في فانٍ رجاء تحصيل باقٍ، لا يفنى ولا يزول، وهذه كلها دوافع تضبط حركة الإنسان في الحياة، وتهذب من السلوك والمعاشرة بين الناس، حينما يعلمون أنهم راحلون وتاركون كل ما في أيديهم وراء ظهورهم، فهذا الزهد في الدنيا وفيما في أيدي الناس يؤلف بينهم ويرفع العداوة والشحناء من صدورهم.

٣ ـ رقة القلب واستنهاض الهمة:

القلب يتأثر بخبر الغيب، وتذوب فيه القسوة حينما يقبل على أمور عظيمة، ويلين بعد غلظته إذا رأى أو سمع ما يستقبله من أحداث رهيبة، ولذلك فذكر أخبار الساعة ودوام سماعها يجعل المسلم رقيق القلب منكسر النفس بين يدي الله مظهراً لعجزه وضعفه أمام ربه القادر العظيم، وهذا ما يدعوه إلى دوام اللجوء إليه وعدم الإعراض عنه، حيث يستشعر فقره واحتياجه لمن يأخذ بيده ويعينه على تخطى المحن ويحفظه من الشرور والأذى، وهذ الافتقار هو سر العبودية وغايتها المطلوبة وثمرتها المرجوة.

كما أن الهمم أرزاق، وترتفع همة الإنسان إذا بدت أمامه المنافع حاضرة، ولذلك همم الناس لا تفتر أبداً في طلب الدنيا، ولا يصيبهم ملل ولا كلل ولا تعب في سبيل تحصيلها وجمعها، ويتحملون من أجلها المشاق ويركبون الصعاب ويكابدون مشقة الأسفار من أجل الفوز بها والتمتع بشهواتها ، فالدافع لتحمل كل هذه المشقات والسر في رفع هذه الهمم في تحصيل الأسباب والأشياء إنما هو ظهور المنافع المادية .

فالمنفعة الظاهرة تجذب الأنظار وتلفت القلوب عن المنفعة الغيبية التي لا تراها العين ولا تلمسها الجوارح.

ولذلك فذكر أشراط الساعة يرفع الهمم في تحصيل الأعمال الصالحة، ولو كانت منافعها غيبية لا تراها العين، ولكن القلب المؤمن بالغيب يتيقن من وقوعه ولا يشك لحظة في حدوثه، وهذا ما يدفعه إلى المسارعة في الخيرات، وترك المنكرات ، والتضحية بالشهوات، في سبيل تحصيل الباقيات الصالحات.

٤ ـ ترك سفاسف الأمور والتعلق بمعاليها :

الهم الأكبر يشغل الإنسان عن الهم الأصغر، وإذا علم الإنسان ما حوله من الفتن الشديدة اتي لو وقع فيها لهلك وخسر، فإنه حتمًا سينشغل بما ينجيه من هذه الفتن، ولن يحزن لأمور مقدرة كالرزق والأجل والطعام والشراب والمال والمنصب، وسيتعلق قلبه بمعالي الأمور كطاعة أوامر الله واجتناب نواهيه، وسيكون حرصه على الإنفاق أكبر من حرصه على كنز المال، ولن تغضبه الدنيا وما كان لها، ولن يفرحه مجيئها إليه وزيادتها بين يديه، لأنه قد انشغل بما هو أكبر منها وتعلق قلبه بما هو أهم من الطين والحطام والتراب.

ولذلك إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك الله فيه، والمؤمنون الصادقون على خوف ووجل، فلا تراهم يلهون مع اللاهين، ولا يخاصمون على متاع الدنيا مع المتخاصمين ، ولا يحاربون على المال واللذات كما يحارب عليها الغافلون، فعندهم من الهموم العالية ما يشغلهم عن هذه الهموم الصغيرة، وقلب ابن آدم لا يخلو دائمًا من الفكر، والهم، ولكن هموم العقلاء دائمًا معلقة برضا الله والفوز بحبه وعطفه ورحمته ورضوانه، وفي هذا ما يشغل الإنسان عن سفاسف الأمور ويجعله متعلقًا بمعاليها من الأعمال الصالحة وإعداد الزاد لسفر الآخرة فسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله.

* * *

ترتيب أشراط الساعة الكبرى(١)

لم أجد نصا صريحًا يُبينُ ترتيب أشراط الساعة الكبرى حسب وقوعها، وإنما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب ، إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو، وذلك لا يقتضي الترتيب.

ومن النصوص ما خالف ترتيبها فيه ترتيبها في نص آخر.

ولكي يتبين هذا، فسأذكر نماذج من ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تعرَّضت لذكر الأشراط الكبرى جملة أو ذكر بعضها:

١ ـ روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه؛ قال: اطلع النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة.

قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**»، فذكر: الدُّخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم(٢).

وروى مسلم هذا الحديث عن حذيفة بن أسيد بلفظ آخر، وهو: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**».

وفي رواية: «**والعاشرة: نزول عيسى ابن مريم**» (٣).

---

(١) انظر «أشراط الساعة» (ص / ٢٣٩ ـ ٢٤٧) مرجع سابق بالهوامش.
(٢) «صحيح مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، (١٨ / ٢٧ ـ ٢٨ ـ مع شرح النووي».
(٣) «صحيح مسلم» (١٨ / ٢٨ ـ ٢٩ ـ مع شرح النووي).

فهـذا حديث واحـد عن صحـابي واحد جـاء بلفظين مخـتلفين في ترتيب الأشراط.

٢ ـ وروى مسلم عـن أبي هريرة رضي الله عنـه أن رسـول الله ﷺ قـال: «**بادروا بالأعـمال ستًـا: طلوع الشمـس من مغربـها، أو الدخان، أو الـدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة**»[1].

وروى مسلم هذا الحديث عن أبي هريرة بلفظ آخر: «**بادروا بالأعـمـال ستًا: الدجـال، والد خـان، ودابة الأرض، وطلوع الشـمس من مـغـربهـا، وأمر العـامـة، وخويصةُ أحدكم**»[2].

وهذا أيضًا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب بعض الأشـراط وفي أداة العطف، حيث جـاء مرة بـ (أو) والأخـرى بـ (الواو)، وهما لا يدلاَّن على الترتيب.

والذي يمكن معرفته هو ترتيب بعض الأشـراط من خلال حدوث بعضها إثر بعض.

كمـا ورد في بعض الروايات؛ مثل ما جـاء في حديث النواس بن سمـعان رضي الله عنه؛ كما سيأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى، فقد ذكر فيه بعض الآيات مرتبةً؛ حـسب وقوعها؛ فإنه ذكـر أولاً خروج الدَّجال على الناس، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم خـروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام، وذكر دعاءه عليهم بالهلاك.

وكـذلك جاء في بعـض الروايات أن أول الآيات كذا، وفي بعـضـها آخـر الآيات كـذا، ومع هذا فإن هنـاك اختـلافًا في هذه الأوليـة بين العلمـاء، وهذا الاختلاف موجـود من عصر الصحابة رضي الله عنهم، فقـد روى الإمام أحمد

(١، ٢) «صحـيح مسلم»، كتـاب الفتن وأشـراط السـاعة، باب في بقية من أحـاديث الدجال، (١٨ / ٨٧ ـ مع شرح النووي).

ومسلم عن أبي زرعة[١] ؛ قال: جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين ، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات أن أولّها خروجًا الدَّجَّال ، فقال عبد الله بن عمر: لم يقل مروان شيئًا ، قد حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعدُ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالأخرى على إثرها قريبًا**».

هذا لفظ مسلم.

وزاد الإمام أحمد في روايته: «قال عبد الله ـ وكان يقرأ الكتب : وأظنُّ أولاها خروجًا طلوع الشمس من مغربها»[٢] .

نعم؛ جمع الحافظ ابن حجر بين أوليَّة الدجال وأولية طلوع الشمس من مغربها، فقال: «الذي يترجّحُ من مجموع الأخبار أن خروج الدَّجَّال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامَّة في معظم الأرض، وينتهى ذلك بموت عيسى عليه السلام، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب».

ثم قال: «والحكمة في ذلك أنه عند طلوع الشمس من المغرب يُغلَق باب التوبة، فتخرج الدَّابَّة، تُميزُ المؤمن من الكافر؛ تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة ، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشُر الناس»[٣] .

---

(١) قيل: اسمه هرم ، وقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي من علماء التابعين، رأى عليا، وروى عن أبي هريرة ومعاوية وعبد الله بن عمرو بن العاص.
انظر: «تهذيب التهذيب» (١٢ / ٩٩).

(٢) «مسند أحمد» (١١ / ١١٠ ـ ١١١) (ح ٦٨٨١)، تحقيق أحمد شاكر، و«صحيح مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر الدَّجال، (١٨ / ٧٧ ـ ٧٨ ـ مع شرح النووي).

(٣) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٣).

ويرى الحافظ ابن كثير أن خـروج الدابة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة ؛ فإن الدابة التي تكلم الناس وتعين المؤمن من الكافـر أمرٌ مخالف للعادة المستقرة.

وأما طـلوع الشمس من مـغربهـا، فهـو أمر باهر جـدا، وذلك أول الآيات السماوية.

أما ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مـريم عليه السلام من السماء ، وخروج يأجوج ومأجوج؛ فإنهم وإن كان ظهورهم قبل طلوع الشمس من مغربها. وقبل ظهور الدابة، إلا أنهم بشـر، مشاهدتُهم وأمـثالهم من الأمور المألوفـة؛ بخلاف ظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها، فهو ليس من الأمور المألوفة[١] .

والذي يظهر أن المعول عليه ما ذهب إليه ابن حجر؛ فإن خروج الدجال من حيث كونه بشرًا ليس هو الآية ،وإنما الآية خروجـه في حالته التي هو عليها من حيث كونه بشـرًا، ومع ذلك يأمر السماء أن تُمطر، فـتمطر ،والأرض أن تُنبت فتـنبت، ويكون معـه كذا وكـذا مما ليس مألوفًـا؛ كمـا سيـأتي في الكلام على الدَّجَّال.

فالدَّجال في الحقيقة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة.

وقال الطيبي[٢] :

«الآيات أماراتٌ للساعة، إما على قربهـا، وإما على حصولها، فمن الأول:

---

(١) انظر: «النهاية / الفتن والملاحم» (١ / ١٦٤ ـ ١٦٨)، تحقيق د. طه زيني.

(٢) هو شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيـبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، وله عدة مـصنفات؛ منها: «شـرح مشكاة المصـابيح»، و«شرح الكشاف»، و«الخـلاصة» في أصول الحديث»، وغيرها.

قال فيه الحافظ ابن حجر: «كان آية في استـخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم، حسن المعتقد» ا هـ. توفي رحمه الله سنة (٧٤٣ هـ).

انظر ترجمـته في «شذرات الذهـب » (٦ / ١٣٧ ـ ١٣٨)، و«كشف الظنون» (١ / ٧٢٠)، و«الأعلام» (٢ / ٢٥٦) للزركلي.

الدَّجَّال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف.

ومن الثاني: الدُّخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدَّابَّة، والنار التي تحشر الناس»(١).

وهذا ترتيبٌ بين جملة من الآيات وجملة أخرى منها؛ دون تعرُّض لترتيب ما اندرج تحت هاتين الجملتين، مع أنه يظهر لي أن الطيبي يرى ترتيب الآيات حسب ما ذكره في كل قسم؛ فإن هذا التقسيم ـ الذي ذهب إليه ـ تقسيم حسنٌ ودقيق؛ فإنه إذا خرج القسم الأول الدَّال على قرب الساعة قربا شديدا كان فيه إيقاظ للناس ليتوبوا ويرجعوا إلى ربهم ولم يكن هنالك تمييزٌ بين المؤمن والكافر، وهذه العلامات التي ذكرها في القسم الأول سبق أن ذكرتُ أنه جاء ترتيبها حسب وقوعها، وأضاف إليها الخسوفات، وذلك مناسب لها.

وأما إذا ظهر القسم الثاني ـ الدَّالُّ على حصول الساعة ـ فإن الناس يتميزون إلى مؤمن وكافر؛ كما سيأتي أنه عند ظهور الدُّخان يصيب المؤمن كهيئة الزُّكام، والكافر ينتفخ من ذلك الدُّخان، ثم تطلع الشمس من مغربها، فيقفل باب التوبة، فلا ينفع الكافر إيمانه، ولا التائب توبته، ثم تظهر بعد ذلك الدابة، فتميز بين الناس، فيُعرف الكافر من المؤمن؛ لأنها تسم المؤمن وتخطم الكافر، كما سيأتي ذكر ذلك، ثم يكون آخر ذلك ظهور النار التي تحشر الناس.

وقد جريتُ في ذكري لأشراط الساعة الكبرى على هذا الترتيب الذي ذكره الطيبي؛ لأنه ـ في نظري ـ أقرب إلى الصواب، والله أعلم.

وقبل ذكري لهذه العلامات العشر الكبرى تحدثتُ عن المهدي؛ لأن ظهوره يكون سابقًا لهذه العلامات، فهو الذي يجتمع عليه المؤمنون لقتال الدجَّال، ثم ينزل عيسى عليه السلام، ويصلي خلفه؛ كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

---

(١) «فتح الباري» (١١ / ٣٥٢ ـ ٣٥٣).

ثانيًا: تتابع ظهور الأشراط الكبرى:

إذا ظهر أول علامات الساعة الكبرى؛ تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضًا.

روى الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ قال: «**خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعنَ ما تتابع الخرز في النظام**[١]»[٢].

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يُقطع السلك؛ يتبع بعضها بعضًا**»[٣].

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن المراد بهذه الآيات هي علامات الساعة الكبرى؛ فإن ظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على تقارب ظهورها تقاربًا شديدًا.

ويؤيد ذلك ما سبق ذكره في الكلام على ترتيب أشراط الساعة الكبرى؛ من أن بعض الأحاديث ذكرت أن بعض هذه العلامات تظهر في زمن متقارب؛ فإن أول العلامات الكبرى بعد المهدي ظهور الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ودعاء عيسى عليه السلام، فيهلكهم الله، ثم قال عيسى عليه السلام: «ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك؛ فإن الساعة كالحامل المُتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلاً أو

---

(١) (النظام): العقد من الجوهر والخرز ونحوهما. و(سلكه): خيطه.
انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥ / ٧٩)، و«جامع الأصول» (١٠ / ٤١١).

(٢) قال الهيثمي: «رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح؛ غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني، وكلاهما ثقة». «مجمع الزوائد» (٧ / ٣٣١).
وقال الألباني: «صحيح». انظر: «صحيح الجامع الصغير» (٣ / ١١٠) (ح ٣٢٢٢).

(٣) «مسند أحمد» (١٢ / ٦ ـ ٧) (ح ٧٠٤٠)، شرح أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح».
وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه علي بن زيد، وهو حسن الحديث». «مجمع الزوائد» (٧ / ٣٢١).

نهارًا»(١) .

وهذا دليلٌ على قرب الساعة قربًا شديدًا؛ فإن بين موت عيسى عليه السلام وقيام الساعة شيء من العلامات الكبرى؛ كطلوع الشمس من مغربها، وظهور الدَّابة، والدُّخان، وخروج النار التي تحشر الناس، فهذه العلامات تقع في وقت قصير جدا قبل قيام الساعة؛ مثلها كمثل العقد الذي انفرط نظامه، والله أعلم.

وقد وجدتُ ما يؤيد ما ذكرته، فقد قال الحافظ ابن حجر: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك، إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة، وهو عند أحمد»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) «مسند الإمام أحمد» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٥ / ١٨٩ - ١٩٠) (ح ٣٥٥٦)، تحقيق أحمد شاكر، وقال: «إسناده صحيح».
(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٧٧).

أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٢] أي: أماراتها وعلاماتها واحدها شرط.

قال الإمام البغوي: وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[٤] .

والآيات في ذلك كثيرة، وأما الأحاديث فلا تكاد تحصى.

فإن قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عامًا ؟

فالجواب: أنَّ الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه اقترب الأجل، ولا ريب أن أجل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله، ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كالغد الذي بعد يومك فقال: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[٥] وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[٦] .

وروى الترمذي وصححه من حديث أنس مرفوعًا: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل إحداهما على الأخرى.

---

(١) سور القمر: (١).
(٢) سورة الشورى: ١٧).
(٣) سورة محمد: (١٨).
(٤) سورة الزخرف: (٦٦).
(٥) سورة الحشر: (١٨).
(٦) سورة المعارج: (٦).

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام : « **بعثت والساعة كهاتين** » وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا : « **إنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس** - وفي لفظ : « **إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس** » .

ولما كان أمر الساعة شديدًا وهولها مزيدًا وأمرها بعيدًا كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة .

ثم اعلم أن وقت مجيء الساعة مما انفرد الله بعلمه وإنما أخفاه تعالى لأنه أصلح للعباد لئلا يتباطؤوا عن التأهب والاستعداد كما أن إخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع وقت انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا بأحاديث غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة ، وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريبًا أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أزيد .

قال الشيخ العلامة مرعي في « بهجة الناظرين » : وهذا أيضًا مردود لأن كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان .

ثم اعلم أن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة ، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى إذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها .

(فالأولى) أعني التي ظهرت ومضت وانقضت (منها): بعثة النبي ﷺ وموته وفتح بيت المقدس .

(ومنها): قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال حذيفة : أول

الفتن قتل عثمان .

(ومنها) : موقعة الجمل.

(ومنها): وقعة صفين فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ».

(ومنها) : واقعة النهروان فأخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقلت: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين.

وفي رواية عنه: عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم ـ يعني في وقعة الجمل وذلك لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما نكثا بيعة علي رضي الله عنه ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين ـ يعني الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لأنهم ظلموا عليا ونازعوه أمرًا هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق إلى الباطل ـ وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين ـ وأراد بهم الخوارج فإنهم مرقوا من الدين.

وفي الخوارج أحاديث كثيرة جدا في الصحيحين وغيرهما.

(ومنها): نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول الله رب العالمين سيدنا الإمام محمد أبي الحسن بن علي وأخي الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد قال النبي ﷺ : «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» الحديث.

شهد جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبي ﷺ.

(ومنها): ملك بني أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الأذية كقتل الحسين بعد ما سم الحسن وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق .

(ومنها): ملك بني العباس وما جرى في أيامهم من المحن والبأس .

(ومنها): نار الحجاز التي أضاءت منها أعناق الإبل ببصرى.

(ومنها): ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وإظهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا : « **يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام وإذا رأيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون**» ،ورفض الطبراني بإسناد حسن عنه كنت عند النبي ﷺ وعنده علي فقال النبي ﷺ : «**سيكون من أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة فاقتلوهم فإنهم مشركون**».

(ومنها): خروج كذابين دجالين كل منهم يدعي أنه نبي.

(ومنها): زوال ملك العرب رواه الترمذيْ .

(ومنها): كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما .

(ومنها): كثرة الزلازل والمسخ والقذف .

وغير ذلك مما أخبر عنه النبي ﷺ أنه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى.

والأمارات المتوسطة وهي التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدًا.

(ومنها): قوله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن**

لكع» [(١)] .

واللكع العبد والأحمق واللئيم.

والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء الناس .

(ومن الأمارات) قوله ﷺ: **«يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر»**[(٢)] .

وقوله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»**[(٣)] .

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة ـ وفي لفظ: « فساق»[(٤)] .

(ومنها): أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقال لليلتين لانتفاخه وكبره ، روى معناه الطبراني عن ابن مسعود .

وفي لفظ: « **من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة**» بالخاء المعجمة أي عظمها وروى بالجيم .

(ومنها): اتخاذ المساجد طرقًا.

(ومنها): ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الأمانة وأكلوا الربا واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعلوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الأرحام ويكون الحلم ضعفًا والكذب صدقًا والحرير لباسًا وظهر الجور وكثر الطلاق وموت الفجأة وائتمن الخائن وخون الأمين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظًا والولد غيظًا وفاض اللئام فيضا وغاض الكرام غيضًا وكان الأمراء والوزراء والأمناء خونة والعرفاء ظلمة

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي والضياء المقدسي من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي عن أنس.

(٣) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضي الله عنه

(٤) رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس.

والقراء فسقة، إذا لبسوا حسوك الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وتظهر الصفراء وتطلب البيضاء يعني الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقل الأمر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخربت القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود وولدت الأمة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكًا وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولاً ـ وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه إذا اختص الأغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء ومنعوها مستحقيها كما في النهاية ـ والأمانة مغنمًا والزكاة مغرمًا ،وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخرًا وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفافًا ـ أي أن تجعل على السروج كما يفعله أمراء زماننا ـ ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وخسفًا ومسخًا وقذفًا وآيات».

(ومنها): ما رواه الإمام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان موقوفًا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعًا : «إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن واختلفت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم».

(ومنها): ما أخرجه الإمام أحمد أيضًا والحاكم وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا : «**إذا كانت الفاحشة في كباركم والملك في صغاركم والعلم في مرداكم والمداهنة في خياركم**» يعني فتقرب إقامة الساعة.

والأخبار عن هذه كثيرة جدا ذكرت منها طرفًا صالحًا في كتابي البحور الزاخرة في علوم الآخرة .

(ومنها): ما في صحيح البخـاري وغيره من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال : ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أشراط الساعـة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**».

وفي الصحـيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قـال : بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي قال : متى الساعة ؟

فمضى رسول الله ﷺ يحدث وقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعـضهم : بل لم يسـمع حتى إذا قـضى حديثـه قال : « **أين السائل عن الساعة؟**» .

فقال: ها أنا يا رسول الله ، قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**».

قال :كيف أضاعتها ؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**» والله أعلم.

* * *

أشراط الساعة قسمان[١]

أشراط الساعة قسمان: صغرى تؤذن بقرب الساعة ، وكبرى تؤذن بوقوع الساعة ، وقد اختلف العلماء في عددها وترتيبها، واختلافهم في العدد يعود إلى سببين:

الأول: اختلافهم في صحة سند الحديث، فمن تساهل زاد في عددها،ومن تشدد ودقق وجدها أقل .

والثاني: اختلافهم في تصنيف بعض الأشراط بين الصغرى والكبرى؛ فظهور المهدي ـ مثلاً ـ عده بعضهم من الصغرى، ورآه آخرون من الكبرى؛ كما ذهب قوم إلى أن طلوع الشمس من مغربها أول الأمارات الكبرى، ورأى آخرون أن أولها الدجال.

وكثيرًا ما يحدث لدى الكلام عن الساعة وأشراطها، وعما يكون بعدها؛ أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد، أو يفهم بعضهم عمن حدثه فهما خاصًا ، فيصوغه بعبارته؛ فيحدث لبس أو وهم .

أما اختلافهم في تسلسل وقوع بعضها ـ أحيانًا ـ فسببه عدم وجود نص صريح يبين ترتيبها حسب وقوعها، ولا سيما الكبرى، وقد جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب غالبًا، فقد عطفت بالواو، أو بـ «أو»؛ وكلاهما لا يفيد الترتيب، بل إن الحديث الواحد ليختلف ترتيبه بين رواية ورواية؛ فحديث حذيفة بن أسيد الغفاري ـ رضي الله عنه ـ وفيه قوله: ﷺ: «**إنها ـ أي الساعة ـ لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان، والدجال، والدابة**» الحديث رواه مسلم عنه بلفظين مختلفين في الترتيب، رقم (٢٩٠١)(٤ /

(١) انظر «فقه أشراط الساعة ـ د/ محمد إسماعيل المقدم (ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧) هامش ـ طبعة دار الخلفاء الراشدين.

٢٢٢٥)، وكذلك حـديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه : «**بادروا بالأعـمال ستًا**» الحديث رواه مسلم (٢٩٤٧) (٤ / ٢٢٦٧)، وإحدى الروايتين بالواو، والأخرى بـ «أو»، وهما لا يدلان على الترتيب، إلا أن تسلسل بعضهـا يقيني؛ فقد ذكرت بعض الروايات الأشـراط مرتبـة حسب وقـوعها؛ كـما في حـديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ـ رواه مـسلم رقم (٢٩٣٧)، (٤ / ٢٢٥٠)، ومن ناحية أخـرى فإن بعض الروايات ذكـرت أن أول الآيات كـذا، وبعضـها ذكـر أن أول الآيات غير ذلك، وقد حاول العلمـاء الجمع والتوفيق بين الروايات؛ بأن الأولية بينها نسبيـة ، أو من ناحية مخصوصة؛ ففي حديث عـبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما: «**إن أول الآيات خروجًـا طلوع الشمس من مـغربهـا، وخروج الدابة على الناس ضحى**» الحديث، أي: أول الآيات التي ليست مألوفة؛ وهي مخالفة للعادات المسـتقرة، فطلوع الـشمس من مغـربها أول الآيات السمـاوية، وخروج الدابة أول الآيات الأرضيـة، وهما العلامـة الأولى لتغير أحـوال الكون، وقرب قيام الساعة.

وأكثر الخـلاف إنما هو في الأشراط الكبرى، أمـا الصغرى: فأكثـرها يعرف ترتيبه من خلال حدوث بعضها إثر بعض ، وانظر :«المسيح المنتظر ونهاية العالم» (ص ٨ ، ٩) .

* * *

ثمرات الإيمان بأشراط الساعة[١]

إن قيام الساعة الذي يعني نهاية نظام هذا العالم، هو من أعظم الأحداث بعد خلق العالم.

بل إن تغيير النظام الكوني وإيجاد نظام آخر حدث يعدل خلق العالم أول مرة؛ ولذلك تسبقه أحداث كبرى خارقة للعادة، تكون كالمقدمة له .

والإيمان بأشراط الساعة داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر؛ فهو من الإيمان بالغيب؛ ولهذا الإيمان ثمرات وفوائد نحاول أن نجملها فيما يلي:

أولاً: تحقيق ركن من أركان الإيمان الستة ، وهو الإيمان باليوم الآخر، باعتبار أن أشراط الساعة من مقدماته ، كما أنه من الإيمان بالغيب الذي قال فيه عز وجل :﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[٢] وقال رسول الله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»[٣] .

وفي الصحيح أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأمارات الساعة وأن النبي ﷺ قال في آخره : « **فإنه جبريل** أتاكم يعلمكم دينكم»[٤] والشاهد أنه عد ما يتعلق بأمارات الساعة من الدين.

ثانيًا: إشباع الرغبة الفطرية في الإنسان التي تتطلع لاستكشاف ما غاب عنه، واستطلاع ما يحدث في المستقبل من وقائع وكائنات، وإذا كان الإسلام سد طرق الدجالين الذين يدعون الاطلاع عليها كالمنجمين والعرافين والكهان ونحوهم إلا

---

(١) انظر «فقه أشراط الساعة ـ د/ محمد إسماعيل المقدم (ص / ٢٣ ـ ٣٥).

(٢) سورة البقرة : (٣).

(٣) الحديث: رواه البخاري (٣ / ٢١١) ، ومسلم (٢١)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥ / ١٤)، وأبو داود (٢٦٤٠).

(٤) الحديث: رواه مسلم (٨) كتاب الإيمان.

أنه استجابة لأشواق الفطرة ـ أطلعنا ـ من خلال نافذة الوحي ـ على كثير من هذه الأحداث(١) .

إن إخفاء وقت الساعة له أثر بليغ في إصلاح النفس البشرية ، في الأمر العظيم الذي يستيقن المرء وقوعه، ولكنه لا يدري متى يفجؤه؛ يجعل المرء مترقبًا له، متشوقًا إليه ؛ لأن المجهول عنصر أساسي في حياة البشر، وفي تكوينهم النفسي ، فلابد من مجهول في حياتهم يتطلعون إليه، ولو كان كل شيء مكشوفًا لهم ـ وهم بهذه الفطرة ـ لوقف نشاطهم، وأسنت حياتهم.

ثالثًا: أن الإخبار عن الغيوب المستقبلة ـ باعتبار ما فيها من خرق للعادة ـ من أهم دلائل النبوة؛ حيث إنها تتضمن تحديًا لعقول البشر أجمعين ، فهذه أمور غيبية لا تدرك بالعقل، ولا يمكن معرفة كنهها على الحقيقة إلا من خلال الوحي الصادق من الله تعالى إلى رسوله ﷺ ، وقد صدرت منه لا على أنها توقعات تعتمد على مقدمات تؤدي إلى نتائجها ، وإنما هي حديث دقيق قاطع عن تفاصيل المستقبل المجهول، حديث لا يخرمه المستقبل، ولا في جزء من أجزائه، وحينئذ فلا شك أنها النبوة، وأن صاحبها متصل بالله تعالى عالم الغيب والشهادة؛ كما قال ـ عز وجل: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾(٢) .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾(٣) .

ومن ثمرات وقوع تلك المغيبات ـ على كثرتها ـ مطابقة لخبر الصادق المصدوق ﷺ أن يثبت إيمان المؤمن ، ويطمئن قلبه، ويزداد يقينه، ويقول كما قص الله على المؤمنين: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾(٤) .

---

(١) انظر «المقدمة» لابن خلدون (ص / ٥٨٧ ، ٥٨٨).
(٢) سورة الجن: (٢٦ ـ ٢٧).
(٣) سورة المؤمنون: (٩٢).
(٤) سورة الأحزاب: (٢٢).

ومن ثمرات ذلك أيضًا : إقامة الحجة على الكافرين ، وإفتاؤهم بصدق نبوة ورسالة محمد ﷺ إلى العالمين.

رابعًا : تعلم الكيفية الصحيحة التي دلنا عليها رسول الله ﷺ ،كي نتعامل بها مع بعض الأحداث المقبلة التي قد يلبس علينا وجه الحق فيها.

قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[١] .

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً . . » الحديث، وفيه: «إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم؛ وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء ، وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة ، فيرفق بعضها بعضًا، وتجئ الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه ، هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة ؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه...**» الحديث[٢] .

لقد نصح رسول الله ﷺ أصحابه الذين عاصروه نصائح انتفعوا بها كثيرًا .

فقد بشر عثمان ـ رضي الله عنه ـ بالجنة، على بلوى تصيبه .

وأخبر عمارًا ـ رضي الله عنه ـ أنه تقتله الفئة الباغية.

وأمر أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ بأن يعتزل الفتنة، وأن لا يقاتل، ولو قتل.

وكان حذيفة رضي الله عنه ـ يسأله عن الشر مخافة أن يدركه، ودله ﷺ كيف يفعل في الفتن .

---

(١) سورة التوبة: (١٢٨).

(٢) الحديث: رواه مسلم (١٨٤٤)، وأبو داود (٤٢٤٨)، والنسائي (٧ / ١٥٣).

ونهى المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سوف ينحسر عنه الفرات.

- وبصر أمته بفتنة الدجال، وأفاض في وصفها، وبين لهم ما يعصمهم منها؛ ومن ثم قال عبد الرحمن المحاربي: «ينبغي أن يدفع هذا الحديث إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب»[١].

وقال السفاريني ـ رحمه الله تعالى: «مما ينبغي لكل عالم: أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد، والنساء، والرجال، ولا سيما في زمننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن» اهـ.

وامتدت شفقته ﷺ لتشمل إخوانه الذين يأتون من بعده، ولم يروه؛ فبذل لهم النصح، ودلهم على ما فيه نجاتهم، وحسن عاقبتهم[٢].

فمن ذلك قوله ﷺ: «**اتركوا الترك ما تركوكم...**» الحديث[٣].

فمن ثم أمسك المسلمون عن استفزاز واستثارة الترك، فسلموا من غائلتهم، إلى أن خالفوا التوجيه النبوي.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى: «وقد قتل جنكيز خان من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، ولكن كان البداءة من خوارزم شاه، فإنه لما أرسل جنكيز خان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده، فانتهوا إلى إيران، فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شاه، وأخذ جميع ما كان معهم، فأرسل جنكيز خان إلى خوارزم شاه يستعلمه:

هل وقع هذا الأمر عن رضى منه، أو أنه لا يعلم به، فأنكره؟

وقال فيما أرسل إليه: من المعهود من الملوك أن التجار لا يقتلون، لأنهم

---

(١) الحديث: رواه ابن ماجه (٢ / ٥١٦).

(٢) انظر «لوامع الأنوار البهية» (٢ / ١٠٦، ١٠٧).

(٣) أبو داود (٤٣٠٢)، وانظر «صحيح أبي داود» (٣٦١٥)، «والصحيحة» (٧٧٢).

عمارة الأقاليم، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك، فقتلهم نائبك ، فإن كان أمرًا أمرت به، طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تنكره، وتقتص من نائبك.

فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيز خان، لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه، فأساء التدبير، وقد كان خرف وكبرت سنه، وقد ورد الحديث: «**اتركوا الترك ما تركوكم** ...»، فلما بلغ ذلك جنكيز خان، تجهز لقتاله، وأخذ بلاده، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها، ولا أبشع»(١) .

فهنا نرى أن المسلمين لما خالفوا أمر النبي ﷺ بترك الترك ؟ جاءت العاقبة عنيفة مريرة ، حيث اجتاح التتار ديار الإسلام في كارثة لم يسبق لها مثيل في التاريخ.

وفي أكثر من موضع ذكر الحافظ ابن كثير وقائع القتال بين المسلمين والتتار، وبين أن المسلمين لم يكونوا يتعقبون التتار إذا فروا هاربين أمامهم، ولو كانت الرماح تنالهم .

ومثال ذلك ما ذكره في حوادث سنة ثلاث وأربعين وستمائة: «وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار ـ لعنهم الله، فكسرهم المسلمون كسرة عظيمة، وفرقوا شملهم، وهزموا من بين أيديهم، فلم يلحقوهم، ولم يتبعوهم، خوفًا من غائلة مكرهم، وعملاً بقوله ﷺ : «**اتركوا الترك ما تركوكم**»(٢) .

خامسًا: فتح باب الأمد، والاستبشار بحسن العاقبة لأهل الإيمان، إذا

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (١٣ / ١١٩).
(٢) المرجع السابق (١٣ / ١٦٨).

ادلهمت الخطوب وضاقت الصدور، مما يعطي المسلمين طاقة يصارعون بها ما يسميه المتخاذلون «الأمر الواقع»؛ ليصبح عزهم ومجدهم هو الأمر الواقع، وذلك بناءً على البشارات النبوية بالتمكين للدين، وظهوره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

سادسًا: قد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو ترك المسلمون إلى اجتهادهم؛ فإنهم قد يختلفون، وربما يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجبًا لابد منه، وعدم البيان يكون نقصًا تنزه الشريعة عنه.

فمن ذلك: أن رسول الله ﷺ أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يومًا؛ يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عن تلك الأيام الطويلة: أتكفي في الواحد منها صلاة يوم؟ فقال ﷺ: « **لا، اقدروا له قدره** ».

ولو وكل العباد إلى اجتهادهم، لاقتصروا على الصلوت الخمس عند الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان، وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري، لأن عيسى يحكم بهذا الشرع، وهذا الشرع فيه قبول الجزية ممن بذلها إلى حين نزول عيسى ابن مريم، وحين ذاك توضع الجزية، ويقتل كل من رفض الإيمان، ولو بذل الجزية[١].

كما أن نص رسول الله ﷺ على صفات معينة لأشخاص معينين، كالمهدي مثلاً، يمدنا بالمعيار اللازم للحكم على الدجالين المدعين المهدية، حتى لا نتورط في فتنهم.

---

(١) انظر «فقة أشراط الساعة» نقلا من «القيامة الصغرى» د/ عمر الأشقر (ص/ ١٣٢).

التحذير من الفتن

بداية: تعريف الفتنة، لغة: قال الأزهري: جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان[١] .

قال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار»[٢] .

قال ابن الأثير : الفتنة: الامتحان والاختبار [٣] وبنحو من هذا قال ابن حجر في الفتح [٤] :وقال ابن الأعرابي :«الاختبار، المحنة، المال، الأولاد، الكفر، اختلاف الناس بالآراء، الإحراق بالنار» (لسان العرب لابن منظور).

الفتنة في القرآن:

١ ـ الابتلاء والاختبار: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[٥] أي وهم لا يبتلون (الطبري).

٢ ـ الصد عن السبيل والرد: ﴿ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[٦] قال القرطبي: معناه: يصدوك ويردوك.

٣ ـ العذاب: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧] ﴿ فُتِنُوا ﴾ : أي عذبوا.

٤ ـ الشرك، والكفر، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[٨] قال ابن كثير: أي

(١) تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩٦) .
(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٢) .
(٣) النهاية (٤١٠) .
(٤) (١٣/ ٣) .
(٥) سورة العنكبوت: (٢).
(٦) سورة المائدة: (٤٩).
(٧) سورة النحل: (١١٠).
(٨) سورة البقرة: (١٩٣).

شرك.

٥ ـ الوقوع في المعاصي والنفاق: ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ ﴾(١) قال البغوي: أي أوقعتموها في النفاق وأهلكتموها باستعمال المعاصي والشهوات.

٦ ـ اشتباه الحق بالباطل: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾(٢) أي « إلا يوالي المؤمن من دون الكافر، وإن كان ذا رحم ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ ﴾ أي شبهة في الحق والباطل» الطبري.

٧ ـ الإضلال: ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾(٣) ، «فإن معنى الفتنة هنا الإضلال»(٤).

٨ ـ القتل والأسر، كما عند ابن جرير (٥).

٩ ـ اختلاف الناس وعدم اجتماع قلوبهم: ﴿ وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾(٦) أي يوقعوا الخلاف بينكم كما في الكشاف للزمخشري.

١٠ ـ الجنون: ﴿ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾(٧) فالمفتون بمعنى المجنون.

١١ ـ الإحراق بالنار: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾(٨).

قول ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي ﴾.

لما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الابتلاء والمحن ما يعرض به

---

(١) سورة الحديد: (١٤).
(٢) سورة الأنفال: (٧٣).
(٣) سورة المائدة: (٤١).
(٤) البحر المحيط (٤/ ٢٦٢).
(٥) تفسير الطبري (٧/ ٤٠٤).
(٦) سورة التوبة: (٤٧).
(٧) سورة القلم: (٦).
(٨) سورة البروج: (١٠).

المرء للفتنة صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأنه يطلب السلامة من الفتنة، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾(١) فكيف يطلب التخلص من فتنة صغيرة لم تصبه بوقوعه في فتنة عظيمة قد أصابته؟ (٢).

الفتنة: (تطلق ويراد بها معان عدة، يقول ابن منظور في لسان العرب: (فتن من الفتنة، وهي: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الذهب والفضة إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد، ويقال: دينار مفتون، أي: مميز، والله جل وعلا قد ذكر الفتنة في مقامات مختلفة، ومواضع عدة من كتابه.

فمنها: قول الله جل وعلا: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾(٣).

أي: يحرقون، وترد الفتنة بمعنى الاختبار، وترد بمعنى المحنة.

وترد بمعنى المال، وترد بمعنى الأولاد: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾(٤).

وترد الفتنة بمعنى الكفر: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(٥).

وترد الفتنة بمعنى عذاب الناس، وترد الفتنة بمعنى المغالاة في الطلب، كقولهم: فلان رجل مفتون بالدنيا، أي: مغال في طلبها، وترد الفتنة بمعنى الإعجاب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٦) أي لا تجعل لهم نصراً علينا فيعجبون بهذه الفتنة وهي نصرهم علينا، وترد الفتنة بمعنى الوله والمحبة، إذا فتن الرجل بالمرأة وشغف بها حبا.

---

(١) سورة التوبة: (٤٩).
(٢) فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ١٦٦).
(٣) سورة الذاريات: (١٣).
(٤) سورة التغابن: (١٥).
(٥) سورة البقرة: (٩١).
(٦) سورة يونس: (٨٥).

فالـفتنة يراد بهـا معـان عدة من حـيث اللغة، وعن مـعناها في الاصطلاح والشريعة: فإنها تكاد تنحصر حصرا اجتهاديا في أمرين:

فالأمـر الأول: فتنة الرجـل في ماله وأهله وولده، وما يـعرض له في هذه الدنيا.

والأمر الثاني: الفتنة بمعناها الأعظم وهي: ضياع الناس وهرجهم ومرجهم، وتخبطهم في بعضهم، وسفك دماء بعضهم لبعض، وغياب الإمامة العظمى، أو ضياع الخلافة أو الرئاسة والملك، فإذا وجد قوم بلا خليفة أو رئيس أو ملك، ثم تخبط بعـضهم في بعض يقـال: هؤلاء في فتنة، أي: أنهم ضـاع أمرهم، وفتن بعضهم ببعض، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والفتنة واردة لهذه المعاني المجتمعة.

❊ ❊ ❊

معاني الفتنة لغةً واصطلاحًا بشكل أدق وأشمل(١) .

الفتنة في اللغة : تطلق الفتنة في لغة العرب ويراد بها عدة معان منها:

الاختبار، والمحنة، والمال، والأولاد، والكفر، وتطلق على اختلاف الناس بالآراء وعلى الإحراق بالنار.

«يقال: فتنت فلانة فلانًا أي أمالته عن القصد، والفتنة معناها المميلة عن الحق وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة إذا ولهتهُ وأحبها»(٢) .

قال ابن فارس(٣) : «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار، من ذلك الفتنة، يقال: فتنتُ أفتن فتنا، وفتنت الذهب بالنار إذا امتحنته، وهو مفتون وفتين، والفتان: الشيطان.. ويقال: قلبٌ فاتن أي مفتون قال الشاعر:

رخيم الكلام قطيعُ القيام أضحى فؤادي به فاتنا

قال الخليل(٤) : «الفتنُ الإحراق وشيءٌ فتين: أي محرق ، ويقال للحرة فتين كأن حجارتها مُحرقة» (٥) .

---

(١) انظر «فقه التعامل مع الفتن» ، سلسلة الرسائل الجامعية (ص / ٢٣ ـ ٣٠) «دار الهدى النبوي» مصر، ودار الفضيلة ـ السعودية بالهوامش.

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٣ / ٣١٧).

(٣) ابن فارس: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، من أئمة اللغة والأدب وأعيان البيان، تتلمذ عليه بديع الزمان الهمذاني والصاحب بن عباد وغيرهم، من كتبه: (الصاحبي)، (معجم مقاييس اللغة) (تمام الفصيح)، توفي سنة ٣٩٥ هـ، انظر: إنباه الرواة، للقفطي (١ / ١٢٨).

(٤) الخليل: هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تيم الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض، من كتبه: (العين)، (العروض)، (النغم)، (النقط والشكل)، توفي سنة ١٧٥ هـ انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١ / ٥٦٠).

(٥) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٢٧٤ ـ ٤٧٣).

قال الراغب [١] : «والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى، ومن العبد كالبلية والمصيبة، والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة» [٢] .

وذكر الحافظ ابن حجر «أن أصل الفتنة الاختبار ثم استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك» [٣] .

الفتنة في الاصطلاح:

عرفها الحافظ ابن حجر فقال: «والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يُعلم المحق من المبطل» [٤] .

وقال الزمخشري [٥] : «والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ والفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ومصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم» [٦] .

وبناءً عليه فالفتنة اصطلاحًا: «الامتحان بشدائد التكليف، والابتلاء بألوان المصائب وسائر الأمور المكروهة».

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني: من كبار العلماء والأدباء من مؤلفاته «المفردات في غريب القرآن» ، «أفانين البلاغة» توفي سنة ٥٠٢هـ تقريبًا: انظر : معجم الأدباء، لياقوت الحموي (٢ / ١٠٢).

(٢) المفردات (٦٢٤).

(٣) فتح الباري ، لابن حجر (١٣ / ٣٠).

(٤) المصدر السابق (١٣ / ٣١).

(٥) الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر النحوي اللغوي المعتزلي، الملقب بجار الله، صاحب تفسير الكشاف، برع في اللغة والأدب والبلاغة، حتى فاق أقرانه اعتنق مذهب الاعتزال ودعا إليه، توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر نزهة الألباء لابن الأنباري (٣٩١).

(٦) الكشاف (٣ / ١٨٢).

معاني الفتنة في الكتاب والسنة:

أ - معاني الفتنة كما وردت في القرآن الكريم: وردت الفتنة في القرآن الكريم على المعاني التالية:

أحدها: الشرك لقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[2].

والثاني: الكفر لقوله تعالى: ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[4].

والثالث: الامتحان والابتلاء لقوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[5] أي: لا يبتلون.

والرابع: العذاب لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾[6] يعني: عذاب الناس كعذاب الله.

الخامس: الإحراق بالنار لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[7].

السادس: القتل لقوله تعالى: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[8] أي يقتلكم.

---

(١) سورة البقرة، آية (١٩٣) انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٢٣٣)، نزهة الأعين، لابن الجوزي (٤٧٨).

(٢) سورة البقرة: (١٩١).

(٣) سورة آل عمران: (٧) وانظر: نزهة الأعين النواظر (٤٧٨)، وإصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني (٣٤٨).

(٤) سورة الحديد: (١٤) وانظر: فتح القدير: (٥ / ١٧٠)، ونزهة الأعين، لابن الجوزي (٤٧٨).

(٥) سورة العنكبوت: (٢) وانظر إصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني (٣٤٨).

(٦) سورة العنكبوت: (١٠) وانظر: نزهة الأعين لابن الجوزي (٤٧٨).

(٧) سورة البروج: (١٠) وانظر: إصلاح الوجوه، والنظائر (٣٤٨).

(٨) سورة النساء: (١٠١).

السابع: الصد لقوله تعالى: ﴿ واحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[١] .

الثامن: الضلالة لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ ﴾[٢] يعني: ضلالته.

التاسع: المعذرة لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾[٣] يعني: معذرتهم.

العاشر: الجنون لقوله تعالى: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾[٤] أي: المجنون.

الحادي عشر: الإثم لقوله تعالى: ﴿ أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[٥] يعني: في الإثم.

الثاني عشر: العقوبة لقوله تعالى: ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٦] أي: عقوبة.

الثالث عشر: المرض لقوله تعالى: ﴿ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾[٧] .

الرابع عشر: القضاء لقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ ﴾[٨] .

الخامس عشر: العبرة، وقال الدامغاني[٩] : الفتنة بعينها لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[١٠] أي: لا تسلط علينا أعداء دينك فيقولون: لو لم نكن أمثل منكم ما سُلطنا عليكم فيكون ذلك فتنة.

فأطلقت الفتنة في القرآن الكريم على خمسة عشر معنىً خلاصتها:

---

(١) سورة المائدة: (٤٩) وانظر: إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني (٣٤٨).

(٢) سورة المائد: (٤١)وانظر: نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (٤٧٩).

(٣) سورة الأنعام: (٢٣)وانظر: نزهة الأعين، لابن الجوزي (٤٧٩).

(٤) سورة القلم: (٦)وانظر: إصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني (٣٤٩).

(٥) سورة التوبة: (٤٩)وانظر: نزهة الأعين، لابن الجوزي (٤٨٠).

(٦) سورة النور: (٦٣)وانظر: نزهة الأعين، لابن الجوزي (٤٨٠).

(٧) سورة التوبة: (١٢٦)وانظر: فتح القدير للشوكاني (٢ / ٣١٨).

(٨) سورة الأعراف: (١٥٥).

(٩) الدامغاني: هو الحسين بن محمد الدامغاني نسبة إلى دامغان ـ بفتح الدال ـ مدينة من بلاد قومس انظر: نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (٨٣)، ومعجم البلدان، لياقوت (٢ / ٤٣٣).

(١٠) سورة يونس: (٨٥).

الشرك، والكفر، والامتحان، والابتلاء، والعذاب، والإحراق، والقتل، والصد والضلالة، والمعذرة، والجنون، والإثم، والعقوبة، والمرض، والقضاء، والعبرة.

ب ـ معاني الفتنة كما وردت في السنة النبوية : وردت الفتنة في السنة على عدة معانٍ منها :

أولاً: القتال وذلك فيما رواه البخاري عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُمٍ[1] من آطام المدينة فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا، قال: «**فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر**»[2] ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان ، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيءٍ تولد عنه»[3] .

ثانيًا : الفتنة بمعنى «وقوع بأس الأمة بينهم» وهو راجع إلى الأول ـ وذلك فيما ثبت عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة ؟ قال ـ أي حذيفة: «فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال ـ أي : عمر ـ : ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر، فقال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال عمر : أيُكسر البابُ أم يُفتح ؟ قال :لا بل يكسر .

قال عمر : إذن لا يغلق أبدًا ، قلت : أجل ، قلنا لحذيفة : أكان عمرُ

---

(١) أُطم: بالضم، بناء مرتفع، وجمعه آطام ، وهي الأبنية المرتفعة، كالحصون، انظر: النهاية: لابن الأثير (١ / ٥٤).

(٢) أخرجه البخاري، في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل من شر قد اقترب (٨ / ٨٨).

(٣) فتح الباري، ابن حجر (١٣ / ٣).

يعلم الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ ليلة ، وذلك أني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فأمرنا مسروقًا فسأله فقال: «من الباب؟» قال: عمر»[١] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقول عمر: «إذا كسر لم يغلق» أخذه من جهة أن الكسر لا يكون إلا عن غلبة؛ والغلبة لا تقع إلا في الفتنة، وعلم من الخبر النبوي أن بأس الأمة بينهم واقع، وأن الهرج لا يزال إلى يوم القيامة كما وقع في حديث شداد رفعه[٢] : «**إذا وُضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى القيامة**»، قلت: أخرجه الطبري وصححه ابن حبان [٣] .

ثالثًا : ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حتى لا يُعلم المحق من المبطل وذلك فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به**»[٤] .

رابعًا: الفرقة والاختلاف كما في قوله ﷺ: «**ستكون هنان وهنات**[٥] **فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا ما كان**»[٦] .

---

(١) أخرجه البخاري، في الفتن، باب الفتن التي تموج (١٣ / ٤٨).

(٢) كذا قال الحافظ ابن حجر والحديث في ابن حبان وغيره كما سيأتي (٩ / ١٨٠ ـ ١٨١) من حديث ثوبان.

(٣) فتح الباري (١٣ / ٩٥٠، والحديث أخرجه أيضًا بهذا اللفظ أبو داود، في الفتن والملاحم (٤ / ٤٥٠)، والترمذي، في الفتن (٤ / ٤٩٠) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، في الفتن، باب ما يكون من الفتن (٢ / ٣٦٨)، وأحمد في مسنده (٥ / ٢٧٨). كلهم من حديث «ثوبان» به.

(٤) أخرجه البخاري، في الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (١٣ / ٣٠).

(٥) الهنات: خصال الشر، واحدها هنة: انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٥ / ٩٧٢).

(٦) أخرجه مسلم، في الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين (١٣ / ٩٢٤١.

وقوله: «. . . **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[١] فالفرقة والاختلاف في الأمة بسبب الفتنة.

خامسًا: فتنة المال عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن**»[٢].

قال ابن بطال[٣]: «في هذا الحديث أن الفتوح في الخزائن تنشأ عن فتنة المال بأن يتنافس فيه، فيقع القتال بسببه وأن يبخل به، فيمنع الحق أو يبطر صاحبه فيُسرف»[٤].

سادسًا: العصيان والخروج عن الطاعة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة ها هنا**»[٥].

وذلك أن بوادر الفتن ظهرت شرق المدينة بالكوفة، وهي معروفة بعصيان أهلها وكثرة شكواهم على ولاتهم، ومنها انطلقت شرارة الفتنة الأولى في عهد عثمان رضي الله عنه.

سابعًا: فتنة النساء في قوله ﷺ: «**ما تركت بعد فتنة أضر على الرجال ـ وفي رواية: على أمتي ـ من النساء**»[٦].

وقوله ﷺ: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**»[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي، في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥ / ٢٥) وقال: «حسن صحيح» والحاكم في المستدرك (٤ / ٤٣٠)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين».
(٢) أخرجه البخاري، في الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (١٣ / ٢٠).
(٣) ابن بطال هو: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي الأندلسي، من علماء الحديث الكبار، من كتبه (الاعتصام)، (شرح البخاري)، مات سنة (٤٤٩ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٨ / ٤٧ ـ ٤٨).
(٤) انظر: فتح الباري (١٣ / ٢٣).
(٥) أخرجه البخاري، في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق» (١٣ / ٤٥).
(٦) أخرجه البخاري، في النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة (٦ / ١٢٤).
(٧) أخرجه مسلم، في الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (١٧ / ٥٥).

ثامنًا: التفريق بين الزوجين في قوله ﷺ: «**إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس ، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنع شيئًا ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، فيُدنيه منه ويلتزمُه ، ويقول: نعم أنت**»[١] .

تاسعًا: وجاءت الفتنة في السنة لمعان أخرى منها: «**فتنة المحيا**»[٢]، وهي ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والشبهات.

و«**فتنة الممات**»[٣] وهي سؤال الملكين في القبر، و«**فتنة الدجال**»[٤]، وهي ما يحصل بخروجه آخر الزمان من فتنة وبما يفعله من خوارق للعادات كأمر السماء أن تمطر فتمطر وأمر الخربة أن تخرج كنوزها فتخرجها ونحو ذلك من أنواع الفتن.

و«**فتنة الغنى**»[٥] وهي الأشر والبطر والبخل بحقوق المال أو إنفاقه في إسراف وباطل وغير ذلك.

و«**فتنة الفقر**»[٦] وهي عدم احتماله والتسخط وقلة الرضا والصبر.

و«**فتنة الصدر**»[٧] وهي الوساوس، وقيل: أن يموت غير تائب وقيل بعموم ذلك كله.

و«**فتنة النار**»[٨] وهي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ.

---

(١) أخرجه مسلم، في صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه بفتنة الناس (٧ / ١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري، في الأذان، باب الدعاء قبل السلام (١ / ٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري، في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (٢ / ١٠٢).

(٤) أخرجه البخاري، في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (٢ / ١٠٣)

(٥) أخرجه البخاري، في الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم (٧ / ١٥٩).

(٦) أخرجه مسلم، في الذكر، باب الدعوات والتعوذ (١٧ / ٢٨ ـ ٢٩).

(٧) أخرجه النسائي، في الاستعاذة (٨ / ٢٥٥).

(٨) أخرجه البخاري، في الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم (٧ / ١٥٩).

عاشرًا : وجاءت الفتنة في الأثر بمعنى فتنة العلم والقراءة ، فعن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كان ـ أي معاذ ـ لا يجلس مجلسًا للذكر إلا قال حين يجلس: الله حكم قسط هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يومًا : إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة والصغير والكبير، والعبد والحر فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره»[١] .

مكانة الصحيحين بين مصادر السنة وعند العلماء:

امتاز الصحيحان بمكانة مرموقة بين كتب السنة المشرفة وحظيا بمنزلة رفيعة عند العلماء وفي قلوب الأمة الإسلامية جمعاء.

ولا يخفى على كل مسلم عرف الصحيحين ما لهما من الشهرة الواسعة والاحترام الكبير في نفوس المسلمين ذلك أن الأمة تلقت أحاديثهما بالقبول مع التسليم لنصوصهما والاحتكام إليهما .

وأول من اعتنى بجمع الصحيح المجرد من أحاديث رسول الله ﷺ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه المسمى «الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» المشهور بصحيح البخاري ،ثم تلاه صاحبه وتلميذه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فألف كتابه «المسند الصحيح» واشتهر بصحيح مسلم وهما أصح كتب الحديث، وانتقى مسلم «صحيحه» من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

ولم يلتزم الشيخان إخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث وسر ذلك عند البخاري مخافة تطويل الكتاب، أما مسلم فإنه اقتصر على ما أجمعوا عليه ووضح أنه ليس مخرجا كل الأحاديث الصحيحة عنده .

---

(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب لزوم السنة (٥ / ١٧).

واستغرق الإمام البخاري في تصنيف «صحيحه» ست عشرة سنة، أما مسلم فقد قضى خمس عشرة سنة في تأليف كتاب «الصحيح»، ولا ريب أن هذه المدة الطويلة في التصنيف قد أضفت على الكتابين أهمية كبرى ومنزلة عظمى لدى من جاء بعدهما[١] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٢] : والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل ـ قال الطبري: اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقًا كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة في آخرين ، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيت، وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً، ثم اختلفوا فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل ،ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل.

وقال آخرون: إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب ، وهذا قول الجمهور.

وفصل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع ، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الأوزاعي.

قال الطبري: والصواب أن يقال :إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها وذهب آخرون إلى أن

---

(١) انظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر (٦ ـ ٧) ومقدمة صحيح مسلم (١ / ٥٠).

(٢) انظر هامش الصحيح المسند (ص / ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك.

وقيل : إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقيق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك ، وقد وقع في حديث ابن مسعود (قلت: يا رسول الله : ومتى ذلك ؟

قال: « **أيام الهرج**»، قلت: ومتى ؟ قال: «**حين لا يأمن الرجل جليسه**» : قلت: وهذا الحديث أخرجه أحمد وفي إسناده مبهم فالإسناد ضعيف[1] .

وقال النووي رحمه الله : وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة ، فقالت طائفة: لا يقاتل في فتن المسلمين ، وإن دخلوا عليه بيته وطلبوا قتله فلا يجوز له المدافعة عن نفسه؛ لأن الطالب متأول وهذا مذهب الصحابي أبي بكرة رضي الله عنه وغيره، وقال ابن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهم وغيرهما: لا يدخل فيها لكن إن قصد دفعًا عن نفسه ، فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام[2] .

وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام : يجب نصر المحق في الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ ﴾[3] الآية وهذا هو الصحيح وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد، واستطال أهل البغي والمبطلون والله أعلم .

* * *

(١) المصدر المذكور (١ / ٤٤٨ ـ ٤٤٩).
(٢) (٥ / ٧٣٦).
(٣) سورة الحجرات: (٩).

حديث الفُتُون

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله تعالى(١) : ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾(٢) سألته عن الفُتُون ما هو؟

قال : استأنِف النهار يا ابن جبير فإن لها حديثًا طويلاً، فلما أصبحتُ غدوت إلى ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني من حديث الفتون، فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكون منه، وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك، قالوا: ليس كذلك، إن الله عز وجل وعد إبراهيم.

قال فرعون: فكيف ترونه ؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون ، قال: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيرون أن تباشروا من الأعمال التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر فيقل نباتهم، ودعوا عامًا فلا يقتل منهم أحد فينشأ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم، ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إلى ذلك، فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة ، فلما كان من قابل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهم والحزن ـ وذلك من الفتون يا ابن جبير ـ ما دخل منه في قلب أمه مما يراد به فأوحى تبارك وتعالى إليها : ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٣) وأمرها إذا

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٥ / ١٠).
(٢) سورة طه: (٤٠).
(٣) سورة القصص: (٧).

ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم.

فلما ولدت فعلت ذلك به، فلما توارى عنها ابنها، أتاها الشيطان فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى زفرات البحر وحيتانه؟ فانتهى الماء به حتى انتهى به فرضة مستقي جوارى امرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت فقال بعضهن: إن في هذا مالاً، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه بهيئته لم يحركن منه شيئًا حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلامًا، فألقى عليه منها محبة لم تجد مثلها على أحدٍ من البشر قط، فأصبح فؤاد أم موسى فارغًا من ذكر كل شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذباحون بأمره، أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت لهم: اتركوه، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، حتى آتي فرعون فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم، فأتت به فرعون فقالت: قرة عين لي ولك، قال فرعون: يكون لك فأما لي فلا حاجة لي في ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**والذي أحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته، لهداه الله به كما هدى امرأته ولكن حرمه ذلك**».

فأرسلت إلى من حولها من كل امرأة لها لبن لتختار له ظئرًا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه، لم يقبل ثديها حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك.

فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترجو أن تجد له ظئرًا يأخذ منها، فلم يقبل.

فأصبحت أم موسى والهة، فقالت لأخته قصيه: قصى أثره واطلبيه، هل تسمعين له ذكرًا؟ أحي ابني أم قد أكلته الدواب، ونسيت ما كان الله وعدها فيه،

فبصرت بـه أخته عن جنبٍ وهم لا يشعرون ـ والجنب: أن يسمـو بصر الإنسان إلى الشيء البعـيد وهو إلى جنبـه لا يشعر به ـ فـقالت من الفرح حين أعـياهم الظؤر : أنا أدلكم على أهـل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحـون، فأخـذوها فقالوا : ما يدريك ما نصـحهم له ؟ هل تعرفونه ؟ حتى شكوا في ذلك ـ وذلك من الفتون يا ابن جبـير ـ فقالت: نصيحتـهم له، وشفقتهم عليه رغـبة في صهر الملك ورجاء منفعته، فـأرسلوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخـبر، فجاءت أمه، فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها فمصه حتى امتلأ جنباه ريًا .

وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يبـشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرًا، فأرسلت إليهـا، فأتيت بها وبه، فلما رأت مـا يصنع بها قالت لهـا: امكثي عندي ترضعين ابني هذا ، فإني لم أحب حبـه شيئًا قط ، فقـالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فنضيع فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرًا، وإلا فـإني غير تاركة بيتي وولدي، وذكـرت أم موسى بما كان الله عز وجل وعـدها ، فتعاسـرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله منـجز وعده. فرجـعت إلى بيتهـا بابنها [فأصبح أهل] الـقرية مجتـمعين يمتنعون من السـخرة والظلم ما كان فيهم .

قال: فلمـا ترعرع قالت امـرأة فرعون لأم مـوسى: [أريد] أن تريني ابني، فوعدتها يـومًا تريها إياه، فقالت امرأة فـرعون لخزانها وقهارمتـها وظؤورتها: لا يبقين أحد منكم إلا استـقبل ابني اليوم بهدية وكرامةٍ لأرى ذلك فـيه، وأنا باعثة أمينًا يحـصي كل ما يصنع كل إنسان منكم ، فلم تزل الهـدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت أمـه إلى أن أدخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليهـا بجلته وأكرمتـه وفرحت به وأعجبـها، وبجلت أمه بحـسن أثرها عليه ثم قالت: لآتين به فرعون فليبجلنه وليكرمنه.

فلما دخلت به عليه جعلته في حجره فتناول موسى لحية فرعون، فمدها إلى الأرض ، فقال الغواة أعداءُ الله لفرعون: ألا ترى إلى ما وعد الله إبراهيم نبيه أنه يربك ويعلوك ويصرعك؟ فأرسل إلى الذباحين ليـذبحوه، وذلك من الفتون ـ يا

ابن جبير ـ بعد كل بلاء ابتلى وأريك به فتونًا !

فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت: ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال: ترينه يزعم أنه يصرعني ويعلوني ،قالت: اجعل بيني وبينك أمرًا تعرف الحق فيه: ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقربهن إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين ، علمت أن أحدًا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك، فتناول الجمرتين انتزعوهما من يده مخافة أن تحرقاه ، فقالت المرأة : ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعدما كان قد هم به، وكان الله عز وجل بالغًا فيه أمره.

فلما بلغ أشده وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرةٍ حتى امتنعوا كل الامتناع .

فبينما موسى في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضبًا شديدًا لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس أنما ذلك من الرضاع ،إلا أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿ **هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** ﴾[١] ثم قال : ﴿ **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾[٢] وأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا حقنا ولا ترخص لهم، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فإن الملك وإن كان صفوه مع قوم لا يستقيم له أن يقيد بغير بينةٍ ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحقكم .

---

(١) سورة القصص: (١٥).

(٢) سورة القصص: (١٦).

فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتًا، إذا موسى قد رأى من الغد ذلك الإسرائيلي يقاتلُ رجلاً من آل فرعون آخر، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه فكره الذي رأى لغضب الإسرائيلي، وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي ـ لما فعل أمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾(١) فنظر الإسرائيلي إلى موسى حين قال له ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، فخاف أن يكون إياه أراد، وما أراد الفرعوني، ولم يكن أراده إنما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي، فحاجز الفرعوني، ﴿وَقَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾(٢) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، وتنازعا وتطاوعا وانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى، فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتهم يطلبون لموسى، وهم لا يخافون أن يفوتهم إذ جاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقًا قريبًا حتى يسبقهم إلى موسى فأخبره الخبر، وذلك من الفتون يا ابن جبير.

فخرج موسى متوجهًا نحو مدين لم يلق بلاءً قبل ذلك، وليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه عز وجل، فإنه قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾(٣) يعني بذلك: حابستين غنمهما ـ فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضول حياضهم، فسقى لهما، فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرًا حتى كان أول الرعاء فراغًا، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما وانصرف موسى فاستظل بشجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ

---

(١) سورة القصص: (١٨).

(٢) سورة القصص: (١٩).

(٣) سورة القصص: (٢٢ ـ ٢٣).

خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[١] فاستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حفلا بطانًا ، فقال: إن لكما اليوم لشأنًا، فأخبرتاه بما صنع موسى، فأمر إحداهما تدعوه له، فأتت موسى فدعته، فلما كلمه قال: ﴿ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٢] ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان، ولسنا في مملكته .

قال: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾[٣] فاحتملته الغيرة على أن قال: وما يدريك ما قوته ، وما أمانته ؟ قالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً أقوى في ذلك السقى منه ، وأما أمانته فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه ولم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فلم يفعل هذا الأمر إلا وهو أمين .

فسري عن أبيها فصدقها وظن به الذي قالت، فقال له: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٤] ففعل فكانت على نبي الله موسى ﷺ ثمان سنين واجبة، وكانت سنتان عدة منه، فقضى الله عنه عدته فأتمها عشرًا.

قال سعيد: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم ، فقال: هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا ، وأنا يومئذ لا أدري، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال: أما علمت أن ثمانيًا كان على موسى واجبة ولم يكن نبي الله لينقص منها شيئًا، ويعلم أن الله قاض عن موسى عدته التي وعد، فإنه قضى عشر سنين ، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك، فقال: الذي سألته فأخبرك أعلم منك بذلك ؟ قال: قلت: أجل، وأولى.

---

(١) سورة القصص: (٢٤).

(٢) سورة القصص: (٢٥).

(٣) سورة القصص: (٢٦).

(٤) سورة القصص: (٢٧).

فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار ، والعصا، ويده ما قص الله عليك في القرآن، فشكا إلى ربه تبارك وتعالى ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقد لسانه، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام .

وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له ردءًا، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فأتاه الله سؤله وحل عقدة من لسانه، فأوحى الله إلى هارون وأمره أن يلقاه فاندفع موسى بعصاه حتى لقي هارون ، فانطلقا جميعًا إلى فرعون، فأقام على بابه حينًا لا يؤذن لهما، ثم أُذن لهما بعد حجاب شديد فقال: ﴿ إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ ﴾(١) ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴾(٢) فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن.

قال : فما تريد؟ وذكره القتيل فاعتذر بما قد سمعت، وقال: إني أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل ، فأبى عليه ذلك وقال: ائت بآيةٍ إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم على سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء - يعني من غير برصٍ - ثم ردها فعادت إلى لونها الأول.

فاستشار الملأ حوله فيما رأى، فقالوا له :﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾(٣) يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش - فأبوا أن يعطوه شيئًا مما طلب وقالوا له: اجمع لنا السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى يغلب سحرهم سحرهما ، فأرسل في المدينة فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: فلا والله ما أحد في الأرض يعمل السحر بالحيات والعصي الذي نعمل ، فما أجرنا

---

(١) سورة طه: (٤٧).
(٢) سورة طه: (٤٩).
(٣) سورة طه: (٦٣).

إن نحن غلبنا ؟ فقال لهم: إنكم أقاربي وخاصتي، فأنا صانع إليكم كل ما أحببتم، فتواعدوا يوم الزينة ﴿ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾(١) .

قال سعيد: حدثني ابن عباس أن يوم الزينة اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، وهو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾(٢) يعنون موسى وهارون استهزاءً بهما ـ فقالوا : يا موسى ـ لقدرتهم بسحرهم ـ ﴿ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ (٣) قال: بل ألقوا ،﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤) فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (٥) فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا فاغرة فاها ، فجعلت العصى بدعوة موسى تلبس بالحبال حتى صارت جرزًا إلى الثعبان تدخل فيه، حتى ما أبقت عصًا ولا حبلاً إلا ابتلعته.

فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا هذا، ولكنه أمر من أمر الله تبارك وتعالى ، آمنا بالله وبما جاء به موسى، ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا عليه ، وكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه، وأظهر الحق ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾(٦) وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون.

فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى .

---

(١) سورة طه: (٥٩).
(٢) سورة الشعراء: (٤٠).
(٣) سورة الأعراف: (١١٥).
(٤) سورة الشعراء: (٤٤).
(٥) سورة الشعراء: (١١٧).
(٦) سورة الشعراء: (١١٨ ـ ١١٩).

فلما طال مكث موسى لمواعيد فرعون الكاذبة ، كلما جاءه بآيةٍ وعده عندها أن يرسل بني إسرائيل ، فـإذا مضت أخلف مواعيده، وقـال: هل يستطيع ربك [أن] يصنع غـير هذا؟ فـأرسل الله عليه وعلى قـومه الطوفـان والجراد والقـمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلات.

كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه، ويوافقه أن يرسل معه بني إسرائيل، فإذا كف ذلك عـنه أخلف موعده ونكث عهده حـتى أمر بالخروج بقومه، فـخرج بهم ليلاً، فلمـا أصبح فرعون ورأى أنهم قد مـضوا، أرسل في المدائن حاشـرين يتبـعهم بجنودٍ عظيمـة كثيـرة، فأوحى الله إلى البـحر: أن إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانفرق اثنى عشر فرقًا حتى يجوز موسى ومن معه، ثم التقى على من بقي بعده من فرعون وأشيـاعه، فنسي موسى أن يضرب البحر بالعصا، فانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصيًا.

فلما تراءى الجمعان وتـقاربا ، قال قوم موسى: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [1] افعل ما أمرك ربك فإنك لن تكذب ولن تكذب.

فقال: وعدني إذا أتيـت البحر أن يفرق لي اثنى عشر فـرقًا حتى أجاوزه ثم ذكر بعد ذلك العصا فضرب البحـر بعصاه فانفرق له حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى، فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى .

فلما أن جـاوز موسى وأصحابه كلـهم ، ودخل فرعون وأصحـابه ، التقى عليهم كما أمر الله.

فلما أن جاوز مـوسى البحر قالوا: إنا نخاف أن لا يكون فرعـون غرق فلا نؤمن بهلاكه ، فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتى استيقنوا بهلاكه.

ثم مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ

---

(١) سورة الشعراء: (٦١).

آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١] ، ومضى فأنزلهم موسى منزلاً ثم قال لهم: أطيعوا هارون فإني قد استخلفته عليكم، وإني ذاهب إلى ربي، وأجلهم ثلاثين يومًا أن يرجع إليهم .

فلما أتى ربه أراد أن يكلمه في ثلاثين وقد صامهن: ليلهن ونهارهن، كره أن يكلم ربه ويخرج من فمه ريح فم الصائم فتناول موسى شيئًا من نبات الأرض فمضغه، فقال له ربه حين أتاه : أفطرت ؟ ـ وهو أعلم بالذي كان ـ قال: رب كرهت أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح ،قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ؟ ارجع حتى تصوم عشرًا ،ثم ائتني ففعل موسى ما أمر به.

فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم للأجل قال : ساءهم ذلك، وكان هارون قد خطبهم فقال : إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عوارٍ وودائع ولكم فيها مثل ذلك ، وأنا أرى أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعة ولا عارية ، ولسنا برادين إليهم شيئًا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا ، فحفر حفيرًا وأمر كل قوم عندهم شيءٌ من ذلك من متاع أو حلية أن يقذفوه في ذلك الحفير، ثم أوقد عليه النار فأحرقه فقال: لا يكون لنا ولا لهم .

وكان السامري رجلاً من قومٍ يعبدون البقر، جيران لهم ـ ولم يكن من بني إسرائيل ـ فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا فقضى له أن رأى أثرًا، فأخذ منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون : يا سامري ألا تلقي ما في يديك؟ وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك، قال : هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر فلا ألقيها بشيءٍ إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد. فألقاها ودعا له هارون ، وقال : أريد أن أكون عجلاً.

فاجتمع ما كان في الحفرة من متاعٍ أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عجلاً

---

(١) سورة الأعراف: (١٣٨ ـ ١٣٩).

أجوف ليس فيه روح له خوار.

قال ابن عباس: ولا والله ما كان له صوت قط إنما كانت الريح تدخل من دبره وتخرج من فيه ، وكان ذلك الصوت من ذلك ، فتفرق بنو إسرائيل فرقًا: فقالت فرقة : يا سامري ما هذا فأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم، ولكن موسى أضل الطريق.

وقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى.

وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان ، وليس بربنا، ولا نؤمن به، ولا نصدق.

وأشرب فرقة في قلوبهم التصديق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب.

فقال لهم هارون: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ** ﴾[1] ليس هكذا.

قالوا: فما بال موسى وعدنا ثلاثين يومًا، ثم أخلفنا؟ هذه أربعون قد مضت، فقال سفهاؤهم : أخطأ ربه فهو يطلبه ويتبعه.

فلما كلم الله موسى وقال له ما قال، أخبره بما لقي قومه من بعده ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا** ﴾[2] فقال لهم ما سمعتم في القرآن: ﴿ **وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ** ﴾ وألقى الألواح، ثم إنه عذر أخاه واستغفر له وانصرف إلى السامري فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها، وعميت عليكم فقذفتها ﴿ **وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ**

---

(١) سورة طه: (٩٠).

(٢) سورة الأعراف: (١٥٠).

عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾[١] ولو كان إلهًا لم تخلص إلى ذلك منه ، فاستيقن بنو إسرائيل ، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأى هارون وقالوا ـ جماعتهم ـ لموسى: سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فتكفر لنا ما علمنا ، فاختار قومه سبعين رجلاً لذلك ـ لإتيان الجبل ـ ممن لم يشرك في العجل.

فانطلق بهم ليسأل لهم التوبة، فرجفت بهم الأرض، فاستحيى نبي الله من قومه ووفده حين فعل بهم ما فعل ، فقال: ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾[٢] وفيهم من كان اطلع على ما أشرب من حب العجل إيمانًا به، فلذلك رجفت بهم الأرض فقال: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾[٣] ربي سألتك التوبة لقومي فقلت: إن رحمتك كتبتها لقوم غير قومي، فليتك أخرتني حتى تخرجني حيًا في أمة ذلك الرجل المرحومة، فقال الله عز وجل له: إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم كل من لقي من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالي من قتل في ذلك الموطن.

ويأتي أولئك الذين خفي على موسى وهارون ما اطلع الله عليه من ذنوبهم واعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للقاتل والمقتول ، ثم سار بهم موسى متوجهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعدما سكن عنه الغضب، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها ، فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مصغون إلى الجبل والأرض، والكتاب بأيديهم وهم ينظرون إلى الجبل مخافة أن يقع عليهم ، ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة، فوجدوا

(١) سورة طه: (٩٦ ـ ٩٧).

(٢) سورة الأعراف: (١٥٥).

(٣) سورة الأعراف: (١٥٦ ـ ١٥٧).

فيها مدينة فيها قوم جبارون، خلقهم خلق منكر، وذكروا من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عظمها فقالوا: ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾[١] لا طاقة لنا بهم، ولا ندخلها ما داموا فيها، ﴿ فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾[٢] ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾[٣] من الجبارين: آمنا بموسى، فخرجا إليه، فقال: نحن أعلم بقومنا، إن كنتم إنما تخافون مما ترون من أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم، ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب، ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾.

ويقول ناس: إنهما من قوم موسى، وزعم عن سعيد بن جبير أنهما من الجبابرة آمنا بموسى، يقول: ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ إنما عنى بذلك الذين يخافهم بنو إسرائيل ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[٤] فأغضبوا موسى، فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية وإساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له فسماهم كما سماهم موسى: فاسقين.

وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى، وجعل لهم ثيابًا لا تبلى ولا تتسخ، وجعل بين ظهورهم حجرًا مربعًا، وأمر موسى فضربه بعصاه ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[٥] في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبطٍ عينهم التي يشربون منها لا يرتحلون من منقلة إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذي بالأمس (أي المكان الذي كان فيه).

رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ، وصدق ذلك عندي أن معاوية

---

(١) سورة المائدة: (٢٢).
(٢) سورة المائدة: (٢٢).
(٣) سورة المائدة: (٢٣).
(٤) سورة المائدة: (٢٤).
(٥) سورة البقرة: (٦٠).

سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فأنكره عليه: أن يكون الفرعوني هذا الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل، قال: فكيف يفشي عليه ولم يكن علم به، ولا ظهر عليه إلا الإسرائيلي الذي حضر ذلك ، وشهده؟

فغضب ابن عباس، وأخذ بيد معاوية فذهب به إلى سعد بن مالك الزهري فقال: يا أبا إسحاق ، هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتله من آل فرعون: الإسرائيلي أفشى عليه أم الفرعوني؟ فقال: إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره[1] .

تعريف الملحمة:

قال صاحب اللسان: والملحمة الوقعة العظيمة القتل، وقيل : موضع القتال، وألحمت القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحمًا، وألحم الرجل إلحامًا واستُلحم استلحاما إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصا وألحمه غيره فيها وألحمه القتال، وفي حديث جعفر الطيار عليه السلام يوم مؤتة أنه أخذ الراية بعد قتل زيد فقاتل بها حتى ألحمه القتال، فنزل وعقر فرسه.

ومنه حديث عمر رضي الله عنه في صفة الغزاة ومنهم من ألحمه القتال، ومنه حديث سهيل: لا يرد الدعاء عند البأس حين يُلحم بعضهم بعضًا أي تشتبك الحرب بينهم ويلزم بعضهم بعضًا.

وفي الحديث: « اليوم يوم الملحمة » وفي حديث آخر : « ويجمعون للملحمة» هي الحرب وموضع القتال، والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالثدي، وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥ / ١٠)، وأخرجه ابن جرير الطبري (١٦ / ١٢٥)، وعزاه ابن كثير إلى النسائي في «السنن الكبرى» في «التفسير» وإلى ابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن كثير: «وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح من الإسرائيليات عن كعب الأحبار، أو غيره والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا».

القتلى فيها، وألحمت الحرب فالتحمت، والملحمة القتال في الفتنة.

ابن الأعرابي: الملحمة حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف، قال ابن بري: شاهد الملحمة .

قول الشاعر:

بملحمة لا يستقل غرابها دفيفًا ويمشي الذئب فيها مع النسر

والملحمة الحرب ذات القتل الشديد، والملحمة الوقعة العظيمة في الفتنة، وفي قولهم : نبي الملحمة قولان أحدهما نبي القتال، وهو كقوله في الحديث الآخر: بعثت بالسيف والثاني نبي الصلاح وتأليف الناس، كان يؤلف أمر الأمة.

* * *

ذكر زوال الدنيا وإقبال الآخرة (١)

أول شيء يطرق أهل الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة نفخة الفزع ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الفزع فيطول فلا يبقى من أهل الأرض ولا السموات إلا فزع إلا من شاء الله ولا يسمع أحد من الأرض إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، أي رفع صفحة عنقه وأمال الأخرى، يستمع هذا الأمر العظيم ،قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٥) .

ثم بعد ذلك ، بمدة يأمر الله تعالى فينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم يأمر فينفخ فيه مرة أخرى فيقوم الناس لرب العالمين.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ

(١) النهاية (ص ١٥٤ ـ ١٥٦).
(٢) سورة النمل: (٨٧ ـ ٨٨).
(٣) سورة ص: (١٥).
(٤) سورة المدثر: (٨ ـ ٩).
(٥) سورة الأنعام: (٧٣).

بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (٦) .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (٧) .

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الزمر: (٦٨ - ٧٠).
(٢) سورة يس: (٤٨ - ٥٤).
(٣) سورة النازعات: (١٤).
(٤) سورة القمر: (٥٠).
(٥) سورة الكهف: (٩٩).
(٦) سورة الحاقة: (١٣ - ١٨).
(٧) سورة النبأ: (١٨ - ٢٠).
(٨) سورة طه: (١٠١ - ١٠٢).

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل، حدثنا سليمان التميمي عن أسلم العجلي عن بشر بن سفيان عن عبد الله بنَ عمرو قال: قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور ؟ قال: «قرن ينفخ فيه» (١) ثم رواه عن يحيى بن سعيد القحطان عن سليمان بن طرخان التميمي به وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سليمان التميمي عن أسلم العجلي به ، وقال الترمذي: حسن لا نعرفه إلا من حديث أسلم العجلي

* * *

(١) الحديث: رواه أحمد في «مسنده» (٢ / ١٦٢) وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠ و٣٢٤٤).

صاحب القرن التقم القرن

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط، حدثنا مطرف، عن عطية، عن ابن عباس [١] في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [٢].

قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ؟**» فقال أصحاب الرسول ﷺ: يا رسول الله كيف نقول؟

قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**» [٣] انفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن مطرف، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر؟**» قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟

قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**» [٤] وأخرجه الترمذي عن ابن عمر عن سفيان بن عيينة، وقال: حسن ثم رواه من حديث خالد بن طهمان عن عطية عن أبي سعيد به، وحسنه أيضًا وقال شيخنا أبو الحجاج المزي في الأطراف: ورواه إسماعيل بن إبراهيم، أو يحيى التميمي، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد، كذا قال رحمه الله وهكذا رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الأهوال فقال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فينفخ**»

---

(١) النهاية: (ص / ١٥٦).
(٢) سورة المدثر: (٨).
(٣) الحديث: رواه أحمد (١ / ٣٢٦).
(٤) الحديث: رواه أحمد (٣ / ٧).

قلنا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل**».

وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسند أبي هريرة: روى أبو صالح، عن أبي هريرة، عن عمران عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم ـ أو كيف أنتم، شك أبو صالح ـ وصاحب الصور قد التقم القرن بفيه، وأصغى سمعه، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ**» قالوا: يا رسول الله كيف نقول؟ قال: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**» [١] .

* * *

(١) انتهى من «النهاية (ص / ١٥٦).

الفرار من الفتن وكسر السلاح
وحكم المكره عليها

روى مالك عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**» (١) .

وروى مسلم عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ألا ثم تكون فتن القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي إليها ألا فإذا نزلت ووقعت، فمن كانت له إبل فليلحق بإبله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه** »، قال: فقال له رجل : يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض .

قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق عليه بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاة. اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت**» ، قال: فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فيضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني قال: « **يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**» .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، من يشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به**» قال: حديث حسن صحيح .

* * *

(١) البخاري ، وأبو داود (٤٢٦٧)، وابن ماجه (٣٩٨٠)، والنسائي، وأحمد (٣ / ٢٠).
(٢) مسلم (٢٢١٣)، والحاكم (٤ / ٤٤٠ ـ ٤٤١).

جعل الله بأس هذه الأمة بينها [١]

قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيعا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [٢] .

وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**» ـ قال ابن ماجه في سننه يعني: الذهب والفضة ـ «**وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة،وأن لا يسلط عليهم عدو من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة،وأن لا يسلط عليهم من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال:من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**».

زاد أبو داود: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضللين،وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة،ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي المشركين وحتى يعبد قبائل من أمتي الأوثان،وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي،ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» [٣] .

وعن معاذ بن جبل قال [٤] :صلى رسول الله ﷺ يومًا صلاة فأطال فيها، فلما انصرف قلنا أو قالوا: يا رسول الله ؛ أطلت اليوم الصلاة.

---

(١) التذكرة (ص / ٥٤٨ ـ ٥٥٠).

(٢) سورة الأنعام: (٦٥).

(٣) مسلم ، وأبو داود (٤٢٥٢)،والترمذي (٢١٧٦)، وأحمد (٤ / ١٢٣)، (٥ / ٢٧٨ ، ٢٨٤).

(٤) أحمد (٣ / ١٤٦ ، ١٥٦)، (٥ / ٢٤٠)،وابن ماجه (٣٩٥١)، والحاكم (١ / ٣١٤).

قال: «**إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله لأمتي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة، سألته ألا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردها علي**».

وأخرجه مسلم، عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية.

وفي رواية: في طائفة من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين، فصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا.

فقال[(١)] : «سألت ربي ثلاثًا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

وعن خباب بن الأرت، وكان شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ[(٢)] أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاء خباب فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله فيها لأمتي ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل ألا يظهر علينا عدوًا من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا شيعًا فمنعنيها**».

وعن أبي موسى قال: حدثنا رسول الله ﷺ[(٣)]: «**إن بين الساعة لهرجًا**» قال: قلت: يا رسول الله؛ ما الهرج؟

---

(١) مسلم، وابن أبي شيبة (١ / ٣١٩)، وأحمد (١ / ١٧٥)، (٣ / ١٤٦، ١٥٦).
(٢) الترمذي (٢١٧٥)، والنسائي (٣ / ٢١٧).
(٣) ابن ماجه (٣٩٥٩).

قال: « **القتل القتل** » فقال بعض المسلمين: يا رسول الله إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: « **ليس بقتل المشركين ولكن يقتل بعضكم بعضًا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته** » وذكر الحديث والله أعلم.

* * *

الأمر بلزوم البيوت عند الفتن[١]

عن أبي بردة قال: «دخلت على محمد بن مسلمة، فقال[٢] : إن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ستكون فتنة وخلاف وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فائت أحدًا فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية**»[٣] فقد وقعت وفعلت ما قال النبي ﷺ .

وعن أبي موسى قال[٤] : قال رسول الله ﷺ: «**إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي**» قالوا : فما تأمرنا ؟ قال: «**كونوا أحلاس بيوتكم**» .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: كان محمد بن مسلمة رضي الله عنه ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال ، وإن النبي ﷺ أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفًا من خشب ففعل وأقام بالربذة، وممن اعتزل الفتنة أبو بكرة، وعبد الله بن عمر ! وأسامة بن زيد ، وأبو ذر ، وحذيفة ، وعمران بن حصين، وأبو موسى ، وأهبان بن صيفي، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ومن التابعين شريح والنخعي وغيرهما رضي الله عنهم.

قلت [٤] : هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر ، ولم يكن قتال على الدنيا، فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلبًا للملك والاستكثار من الدنيا، فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن، نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة بحق نبيه وآله وأتباعه وصحبه .

---

(١) التذكرة (ص / ٥٤٠ ـ ٥٤٢).

(٢) أحمد (٣ / ٤٩٣)، وابن ماجه (٣٩٦٢).

(٣) أحمد (٤ / ٤٠٨) ، وأبو داود (٤٢٦٢)، والحاكم (٤ / ٤٤٠).

(٤) التذكرة (ص / ٥٤١).

وقوله: «**كونوا أحلاس بيوتكم**» حض على ملازمة البيوت والقعود فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه.

ومن مراسيل الحسن وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**نعم صوامع المؤمنين بيوتهم**»، وقد تكون العزلة في غير البيوت كالبادية والكهوف.

قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ** ﴾[1].

وقد تقدم قوله ﷺ: « **يأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنمًا يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**» ، وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ويتأتى له من أمره .

وقد كان العمري بالمدينة معتزلاً وكان مخلطًا للناس، ثم اعتزل مالك آخر عمره رضي الله عنه فيروى عنه أنه أقام ثماني عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد، فقيل له في ذلك، فقال: ليس كل واحد يمكنه أن يخبر بعذره ، واختلف الناس في عذره على ثلاثة أقوال فقيل: لئلا يرى المناكير، وقيل: لئلا يمشي إلى السلطان، وقيل: كانت به أبردة، فكان يرى تنزيه المسجد عنها ، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب سراج المريدين له .

* * *

(١) سورة الكهف: (١٠).

التثبت في الفتنة والاعتزال عنها[١]

روى ابن ماجه عن عديسة بنت أهبان قالت[٢] : لما جاء علي بن أبي طالب ها هنا بالبصرة دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم؟

قال: بلى فدعا جاريته، فقال: يا جارية أخرجي سيفي، قالت : فأخرجته فسل منه قدر شبر ، فإذا هو خشب ، فقال: إن خليلي وابن عمك ﷺ عهد إلي إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفًا من خشب،فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك.

عن زيد بن شرحبيل عن أبي موسى الأشعري قال[٣]: قال رسول الله ﷺ: « **إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافراً ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم**».

ومن حديث سعد بن أبي وقاص قلت: يا رسول الله ، إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني قال: فقال رسول الله ﷺ :«**كن كخير ابني آدم وتلا هذه الآية** ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ﴾ [٤] .

وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال [٥] :«**كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مزجت عهودهم، وخفت أماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه**»،

---

(١) التذكرة: (ص / ٥٤٢ ـ ٥٤٤) باختصار واكتفاءً بالصحيح.
(٢) ابن ماجه (٣٩٦٠).
(٣) أحمد (٢ / ٢٧٢)، وأبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١).
(٤) سورة المائدة: (٢٨).
(٥) أبو داود (٤٣٤٢)، وابن ماجه (٣٩٧٥).

قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك الزمان ؟ قال: « **تأخذون بما تعرفون، وتدعون بما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عامتكم** » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال[١]: قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت الناس مزجت عهودهم وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه**» فقمت إليه فقلت له: كيف أصنع عند ذلك يا رسول الله جعلني الله فداك؟ قال: « **الزم بيتك، وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة**».

قوله: «ويوشك» معناه يقرب، وقوله: « فيغربل الناس فيها غربلة»، عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله، والحثالة: ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا بقي، وحثالة الدهن تفله، وكأنه الرديء من كل شيء ، ويقال: حثالة وحفالة بالثاء والفاء معًا .

وخرج البخاري عن مرداس الأسلمي قال[٢] : قال رسول الله ﷺ: «**يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة**».

وفي رواية: « **لا يعبأ الله بهم**» يقال : ما أباليه بالة وبال وبل مقصور ومكسور الأول مصدر وقيل: اسم أي ما أكترث به والبال الاكتراث والاهتمام بالشيء، والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه.

قال أبو الخطاب بن دحية ومرداس وهذا هو مرداس بن مالك الأسلمي من أسلم بفتح اللام سكن الكوفة، وهو معدود في أهلها ولم يحفظ له من طريق صحيح سوى هذا الحديث .

وفرجت : معناه اختلطت واختلفت ،والمزج : الاختلاط والاختلاف.

---

(١) أحمد (٢ / ٢١٢) والحاكم (٤ / ٢٨٢).

(٢) البخاري (٨ / ١١٤) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ١٢٢).

الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال

عن نصر بن عاصم الليثي قال: أتينا اليشكري في رهط من بني ليث، فقال: من القوم ؟ قال: بنو الليث أتيناك نسألك عن حديث حذيفة ، فقال: أقبلنا مع أبي موسى قافلين وغلت الدواب بالكوفة.

قال: فسألت أبا موسى الأشعري أنا وصاحب لي فأذن لنا فقدمنا الكوفة فقلت لصاحبي: أنا داخل المسجد فإذا قامت السوق خرجت إليك قال: فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل واحد قال فقمت عليهم، فجاء رجل فقام إلى جنبي قال: فقلت: من هذا ؟ قال: أبصري أنت؟ قال: قلت : نعم، قال: قد عرفت ولو كنت كوفيا لم تسأل عن هذا.

هذا حذيفة ، فدنوت منه فسمعت حذيفة رضي الله عنه يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر، وعرفت أن الخير لم يسبقني قال: فقلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟

قال: «**يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات** ».

قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: « **فتنة وشر**».

قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ قال: « **فتنة وشر**».

قلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شر؟ فقال: « **يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه**».

قال: قلت : يا رسول الله بعد هذا الشر خير؟ قال: « **هدنة على دخن وجماعة على أقذاء فيهم أو فيها** ».

قلت يا رسول الله ،الهدنة على الدخن ما هي؟ قال: «**لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه**».

قال: قلت: يا رسول الله بعد هذا الخير شر؟ قال: « **فتن عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار ، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم**» (١) .

وخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول(٢) : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**» فقلت: هل بعد ذلك من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**» فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» فقلت : يا رسول الله صفهم لنا، قال: «**نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألستنا**» فقلت : يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**».

وفي رواية قال(٣) : «**تكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جسمان إنس**» قال: فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

---

(١) أحمد (٥ / ٣٨٦)، وأبو داود (٤٢٤٦)، والحاكم (٤ / ٤٣٢).
(٢) البخاري ، ومسلم (١٤٧٥)، والحاكم (١ / ١١٣).
(٣) مسلم والبيهقي في السنن الكبرى» (٨ / ١٥٧).

قال: «**تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع**» لفظ مسلم.

وفي كتاب أبي داود بعد قوله: «هدنة على دخن» قال: قلت يا رسول الله، ثم ماذا ؟ قال: «**إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت وأنت عاض في جذل شجرة**» قلت: ثم ماذا ؟ قال: «**ثم يخرج الدجال ومعه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره**» قال: ثم ماذا ؟ قال: « **هي قيام الساعة** »[1].

وقوله: على أقذاء، الأقذاء جمع القذا ،والقذا جمع قذاة وهو ما يقع في العين من الأذى وفي الطعام والشراب من تراب أو نتن أو غير ذلك ، فالمراد به في الحديث الفساد الذي يكون في القلوب أي أنهم يتقون بعضهم بعضًا ويظهرون الصلح والاتفاق ، ولكنهم في باطنهم خلاف ذلك ، والجذل: الأصل كما هو مبين في كتاب مسلم على أصل شجرة.

* * *

(١) أبو داود (٤٢٤٤).

ما يكون من الفتن وإخبار النبي ﷺ بها[١]

عن حذيفة قال[٢] : قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك فيه شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه.

وعن حذيفة بن اليمان قال[٣] : حدثنا رسول الله ﷺ مجلسًا أنبأنا فيه عن الفتنة فقال وهو يعد الفتن : «منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار »، قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

وعن عبد الله بن عمر قال[٤] : كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن فأكثر فيها، حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل : يا رسول الله ، وما فتنة الأحلاس؟ قال: **«هي هرب وحرب ثم فتنة السوء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني ، وإنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل كودك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، حتى يصير الناس فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»** .

---

(١) التذكرة (ص / ٥٥٠ ـ ٥٥٢) باختصار واكتفاءً بالصحيح فقط.
(٢) مسلم (٧٤٤٥) .
(٣) أحمد (٢٣٥٠٧).
(٤) أبو داود (٤٣٤٢).

قول حذيفة: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا .

وفي الرواية الأخرى : مجلسًا .

قد جاء مبينًا في حديث أبي زيد، قال[١] : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى فصعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا وأحفظنا . أخرجه مسلم .

فظاهر هذا أن ذلك المقام كان من بعد العصر لا قبل ذلك، وهذا تعارض، فيجوز أن يكون ذلك كله في يومين فيوم خطب فيه من بعد العصر، ويوم قام فيه خطيبًا كله، ويجوز أن تكون الخطبة من بعد صلاة الصبح إلى غروب الشمس كما في حديث أبي زيد، واقتصر بعض الرواة في الذكر على ما بعد العصر كما في حديث أبي سعيد الخدري وفيه بعد، والله أعلم .

وقوله: حتى ذكر فتنة الأحلاس قال الخطابي: إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها ، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه : هو حلس بيته.

ويحتمل أن سمى هذه الفتنة بالأحلاس لسوادها وظلمتها.

والحرب ذهاب الأهل والمال.

يقال :حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله، ومن هذا المعنى أخذ لفظ الحرب لأن فيها ذهاب النفوس والأموال والله أعلم.

والدخن: الدخان يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه.

وقوله : كودك على ضلع مثل ومعناه الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم يريد أن هذا الرجل غير خليق بالملك.

---

(١) مسلم (٢٨٩٢).

والدهيماء: تصغير الدهماء على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها كما قال: «دويهية تصغر منها الأنامل» أي هذه الفتنة سوداء مظلمة، ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابة رضي الله عنهم كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير، لكن لم يشيعوها إذ ليست من أحاديث الأحكام وما كان فيه شيء من ذلك حدثوا به وتقصروا عنه.

وعن فتنة الأحلاس يقول الدكتور عمر الأشقر(١) :

عن عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ قعودًا نذكر الفتن، فأكثر من ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس ، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: هي فتنة هرب وحرب، ثم فتنة السراء، دخلها أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني، وليس مني، وإنما وليي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته، فإذا قيل: انقضت تمادت ، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، إذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من اليوم أو غد» (٢) .

والأحلاس جمع حلس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهت به الفتة لملازمتها للناس حين تنزل بهم كما يلازم الحلس ظهر البعير، وقد قال الخطابي: يحتمل أن تكون هذه الفتنة شبهت بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها.

والحرب بفتح الراء: ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل فهو حريب فلان إذا سلب ماله وأهله.

---

(١) الساعة الصغرى د/ عمر الأشقر (ص/ ٢١١).

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وأحمد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني (٢/ ٧٠٢) ، حديث رقم (٩٧٤).

عرض الفتن على القلوب

وعن حذيفة ، قال: كنا عند عمر فقال : أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه.

فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل.

قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يقول[١] : «**يذكر الفتن التي تموج موج البحر**»؟

قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: لله أبوك ، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، أي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه**».

قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر ـ قال عمر: أكسرًا، لا أبا لك ، فلو أنه فتح لعله كان يعاد. قلت : لا، بل يكسر، وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثًا ليس بالأغاليط .

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣٨٦) .

فتنة الدم
والترهيب من قتل المؤمن

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال[١] **«من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه».**

وعن عمرو بن عاصم، حدثنا معتمر قال[٢] : سمعت أبي يحدث أن خالدًا الأثبج ابن أخي صفوان بن محرز حدث عن صفوان بن محرز أنه حدث أن جندب بن عبد الله البجلي بعث إلى عسعس بن سلمة زمن فتنة ابن الزبير فقال: اجمع لي نفرًا من إخوانك حتى أحدثهم، فبعث رسولاً إليهم فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر فقال : تحدثوا بما كنتم تحدثون به حتى دار الحديث، فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم، إن رسول الله ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلى قوم من المشركين وإنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته.

قال : وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد فلما رفع عليه السيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله فجاء البشير إلى النبي ﷺ فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع ، فدعاه فسأله فقال: **«لم قتلته؟»** قال :يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلانًا وفلانًا وسمى له نفرًا، وإني حملت عليه فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله قال رسول الله ﷺ : **«أقتلته؟»** قال : نعم قال: **«فكيف**

---

(١) مسلم (١٨٤٨)، وابن ماجه (٣٩٤٨)، والنسائي (٧ / ١٢٣).

(٢) مسلم (٩٧).

تصنع بـلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القـيامة ؟» قال: يا رسول الله اسـتغفر لي، قال: «**وكيف تصنع بـلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟**» قال: فجعل لا يزيده على أن يقول: «**كيف تصنع بـلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة**».

وقال عبد الله: قال النبي ﷺ[١]: «**سبابُ المسلم فسوق وقتاله كفر**».

قال الحافظ رحـمه الله[٢]: إن قيل هذا وإن تضمن الرد عـلى المرجئة لكن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعـاصي، فالجواب: أن المبالغة في الرد على المبتدع اقتـضت ذلك ولا متمسك للخوارج فيـه لأن ظاهره غير مراد، لكن لما كان القتـال أشد من السباب ـ لأنه مـفض إلى إزهاق الأرواح ـ عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفـسق وهو الكفر، ولم يرد حقـيقة الكفـر التي هي الخروج عن الملة بل أطلق عليـه الكفر مبـالغة في التحـذير، معـتمداً على مـا تقرر من القـواعد أن مـثل ذلك لا يخرج عن الملة مـثل حديث الشـفاعـة، ومثل قـوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[٣] وقد أشرنا إلى ذلك في باب المعاصي من أمـر الجاهلية، أو أطلق عليـه الكفر لشبـهه به، لأن قتال المؤمن من شأن الكافر، وقيل: المراد هنا الكفر اللغوي وهو التغطية لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه ويـنصره ويكف عنه أذاه، فلما قاتله كـان كأنه غطى على هذا الحق والأولان أليق بمراد المصنف وأولى بالمقصود من الـتحذير من فعل ذلك والزجر عنه بخلاف الثالث وقيل: أراد بقـوله: كفر أي قد يؤول هذا الفعل بشؤمـه إلى الكفر، وهذا بعـيد، وأبعد منه حـمله على المستـحيل لذلك لأنه لا يطابق التـرجمة، ولو كـان مراداً لم يحـصل التفـريق بين السبـاب والقتـال فإن مستحل لعن المسلم بغير تأويل يكفر أيضـاً، ثم ذلك محمول على من فعله بغير تأويل، ومثل هذا الحـديث قوله ﷺ: «**لا ترجعـوا بعدي كـفاراً يضرب بـعضكم**

(١) البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤)، وابن ماجه (٦٩)، وغيرهم.
(٢) الفتح: (١ / ١١٢).
(٣) سورة النساء: (٤٨).

رقاب بعض» ففيه هذه الأجوبة، وسيأتي في كتاب الفتن ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ (١) بعد قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ**﴾ الآية فدل على أن بعض الأعمال يطلق عليه الكفر تغليظًا ، وأما قوله ﷺ فيما رواه مسلم: «**لعن المسلم كقتله**» فلا يخالف هذا الحديث لأن المشبه به فوق المشبه، والقدر الذي اشتركا فيه بلوغ الغاية في التأثير، هذا في العرض، وهذا في النفس.

وقال ﷺ : «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» (٢) .

* * *

---

(١) سورة البقرة: (٨٥).

(٢) البخاري (٧٠٨٧)، (٧٠٧٩)، (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥)، وابن ماجه (٣٩٤٢).

إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار[١]

روى مسلم عن الأحنف بن قيس قال[٢] : خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: فقلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ يعني عليا قال: فقال لي: يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**» قال: فقلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه قد أراد قتل صاحبه**» أخرجه البخاري وفي بعض طرقه : «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**».

قال علماؤنا [٣] : ليس هذا الحديث في أصحاب النبي ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾[٤] فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله، وهذا يدل على أن قوله: «القاتل والمقتول في النار» ليس في أصحاب محمد ﷺ ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل .

قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد، ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بأن يتحزبوا عليهم، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها، وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام: «**خذوا**

---

(١) التذكرة (ص / ٥٤٦ ـ ٥٤٨) باختصار واكتفاء بالصحيح فقط.

(٢) البخاري ، وأبو داود (٤٢٦٨) وغيرهما.

(٣) التذكرة (٥٤٦ ـ ٥٤٧).

(٤) سورة الحجرات: (٩).

على أيدي سفهائكم» [١] .

قلت: فحديث أبي بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا، وقد جاء هكذا منصوصًا فيما سمعناه من بعض مشايخنا: « إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار ». خرجه البزار.

ومما يدل على صحة هذا ما خرجه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل»** فقيل: كيف يكون ذلك، قال: « الهرج القاتل والمقتول في النار»،هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهالة من طلب الدنيا أو اتباع هوى كان القاتل والمقتول في النار، فأما قتال يكون على تأويل ديني فلا ، وأما أصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم ، فيجب على المسلمين توقيرهم والإمساك عن ذكر زللهم ونشر محاسنهم لثناء الله عز وجل عليهم في كتابه، فقال وقوله الحق: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [٢].

وقال: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [٣] إلى آخر السورة.

وقال: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ [٤] .

وكل من ذهب منهم إلى تأويل فهو معذور، وإن كان بعضهم أفضل من بعض وأكثر سوابق، وقيل: إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف والقتال، وربما ندم بعضهم على ترك ذاك كعبد الله بن عمر، فإنه ندم على تخلفه عن نصر علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقال عند موته : ما آسى على شيء ما آسى على تركي قتال الفئة الباغية يعني فئة معاوية، وهذا هو الصحيح.

---

(١) مسلم .
(٢) سورة الفتح: (١٨).
(٣) سورة الفتح: (٢٩).
(٤) سورة الحديد: (١٠).

الفئة الباغية إذا علم منها البغي قوتلت

قال عبد الرحمن بن أبزى : شهدنا صفين مع علي في ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان.

قتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: شهدنا مع علي صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم .

قال: وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم، تقدم الجنة تحت الأبارقة اليوم ألقى الأحبة محمدًا وحزبه، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا شعفات الجبال لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله

فاليوم نضربكم على تأويله

ضربًا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله

قال: فلم أر أصحاب محمد ﷺ قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ ، وسئل بعض المتقدمين عن الدماء التي وقعت بين الصحابة فقال: ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[١] .

وقد أشبعنا القول في هذه المسألة في كتاب الجامع لأحكام القرآن في سورة الحجرات[٢] ، والصواب ما ذكرنا لك أولاً والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة: (١٣٤).

(٢) كلام صاحب التذكرة رحمه الله (ص / ٥٤٨).

الفرار من الفتن

عن عثمان الشحام قال: [١] ،انطلقت أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكرة، وهو في أرضه فدخلنا عليه فقلنا : هل سمعت أباك يحدث في الفتن حديثًا ؟

قال: نعم، سمعت أبا بكرة يحدث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها ألا فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليحلق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**».

قال: فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟** » .

قال : فقال رجل: يا رسول الله ! أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى إحدى الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**».

وعن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : « **ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذًا فليعذ به**» [٢] .

وعن هذيل عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن بين يدي**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٧)، وأبو داود (٤٢٥٦).

(٢) رواه البخاري (٧٠٨١)، ومسلم (٢٨٨٦).

الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل - يعني على أحد منكم - فليكن كخير ابني آدم» (١) .

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٩)، والترمذي (٢٢٠٤)، وابن ماجه (٣٩٦١).

اعتزال الفتن

عن مطرف عن عامر قال:[١] لما قاتل مروان الضحاك بن قيس أرسل إلى أيمن بن خزيم الأسدي فقال: إنا نحب أن تقاتل معنا فقال: إن أبي وعمي شهدا بدرًا فعهدا إلى أن لا أقاتل أحدًا يشهد أن لا إله إلا الله فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك!! فقال : اذهب ووقع فيه وسبه فأنشأ أيمن يقول:

ولست مقاتلاً رجلاً يصلي ... على سلطان آخر من قريش

له سلطانه وعلي إثمي ... معاذ الله من جهل وطيش

أأقاتل مسلمًا في غير شيء؟!! ... فليس بنافعي ما عشت عيشي

موقوف صحيح.

وعن أبي الأشعث الصنعاني قال[٢] : بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير، فلما قدمت المدينة دخلت على فلان سمى زياد اسمه فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا فما ترى فقال : أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ إن أدركت شيئًا من هذه الفتن فاعمد إلى أحد فاكسر به حد سيفك ثم اقعد في بيتك.

قال : فإن دخل عليك أحد إلى البيت فقم إلى المخدع فإن دخل عليك المخدع فاجث على ركبتيك وقل بوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فقد كسرت حد سيفي وقعدت في بيتي.

* * *

(١) البيهقي في «السنن الكبرى» (٨ / ١٩٣)، وأبو يعلى (٢ / ٢٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١ / ٢٩٠).
(٢) أحمد (٤ / ٢٢٦).

وصية النبي ﷺ لأبي ذر في الفتن

عن أبي ذر قال: ركب رسول الله ﷺ حمارًا وأردفني خلفه ثم قال[١]: «أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك ، قلت: الله ورسوله أعلم.

قال : تعفف، قال: أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف تصنع؟

قال: الله ورسوله أعلم قال: اصبر يا أبا ذر ، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت في الدماء كيف تصنع؟

قال: الله ورسوله أعلم قال: اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك.

قال: أرأيت إن لم أترك قال :ائت من أنت منه فكن فيهم، قال: فآخذ سلاحي ؟ قال: إذا تشاركهم ،ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك».

* * *

(١) ابن حبان (موارد ـ ١٨٦٢)، وأبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨)، والحاكم (٤ / ٤٢٣).

التمسك بالكتاب والسنة
والرجوع إليها في الاختلاف

عن خالد بن معدان قال: حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا [١]: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[٢] فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

* * *

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣ ، ٤٤)، والدارمي (١ / ٤٤ ـ ٤٥)، والحاكم (١ / ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧) وصححه، ووافقه الذهبي، وأحمد (٤ / ١٢٦).
(٢) سورة التوبة: (٩٢).

كف اليد في الفتن

وعن الأعمش ،عن أبي صالح ،عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده»** (١) .

وعن بكير بن عبد الله بن الأشج عن بسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: **«إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي»** . قال: أفرأيت إن دخل بيتي وبسط يده إلي ليقتلني قال: **«كن كابن آدم»** (٢) .

* * *

(١) أبو داود (٤٢٤٩).
(٢) أحمد (١ / ٩١٨٥، والترمذي (٢١٩٤).

فتنة الفرقة وعدم وجود إمام

عن حذيفة بن اليمان يقول[١] : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «**نعم**» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «**نعم وفيه دخن**» قلت: وما دخنه ؟

قال: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا.

قال: « **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**».

قال الحافظ[٢] : قال البيضاوي : المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر، والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم: فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر: «**عضوا عليها بالنواجذ**»، ويؤيد الأول قوله في

---

(١) البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، وابن ماجه (٣٩٧٩).
(٢) الفتح (١٣ / ٣٦).

الحديث الآخر: «**فإن مت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم**».

وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم «**دعاة على أبواب جهنم**» ولم يقل فيهم «تعرف وتنكر» كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق ، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة .

قال الطبري : اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة السواد الأعظم ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله لما قتل عثمان :«عليك بالجماعة فإن الله عز وجل لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، وقال قوم : المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم : المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين .

وقال الطبري : والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا تتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع فلا خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف فيها[1] .

❊ ❊ ❊

(١) هامش الصحيح المسند (٣٠٩ ـ ٣١٠).

جواز الدعاء بالموت عند الفتن[١]

وعن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: «**اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**» وقد تقدم هذا في أول الكتاب.

قال ابن وهب: وحدثني مالك قال: كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له: مت إن استطعت فيقول له: لم؟ قال: تموت وأنت تدري على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ما تموت عليه.

قال مالك: ولا أرى عمر دعا بما دعا به من الشهادة إلا خوف التحول من الفتن.

قلت[٢]: وقد جاء هذا المعنى مرفوعًا عن أبي هريرة، روى النضر بن شميل عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ[٣]: «**ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم**» وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيرًا من مباشرتها.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[٤]: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه**» أخرجه مسلم وابن ماجه بمعناه، وزاد مثنى: وليس به الدين إلا البلاء.

وروى شعبة عن سلمة بن كهيل: سمعت أبا الزعراء يحدث عن عبد الله

---

(١) التذكرة (ص / ٥٦٧ ـ ٥٦٨) باختصار واكتفاءً بالصحيح.

(٢) التذكرة (ص / ٥٦٧).

(٣) البخاري، وأبو داود (٤٢٤٩)، والترمذي (٢١٨٧).

(٤) البخاري، ومسلم، وأحمد (٢ / ٢٣٦، ٥٣٠).

قال [١] : «**ليأتين على الناس زمان يأتي الرجل القبر فيقول : يا ليتني مكان هذا، ليس به حب الله ولكن من شدة ما يرى من البلاء** ».

قلت[٢] : وكأن هذه إشارة إلى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه ومن أكثر الناس ، أو قلة الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، وكذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال النبي ﷺ: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**»[٣] وقد مضى الكلام في هذا المعنى في أول الكتاب، ونزيده وضوحًا إن شاء الله تعالى والله أعلم.

* * *

(١)الطبراني في الكبير (٩٧٤٩)، (٩٧٥٠).
(٢)التذكرة (ص / ٥٦٨).
(٣)مسلم ، والترمذي (٢٢٠١)، وابن ماجه (٣٩٨٥).

أسباب الفتن والمحن والبلاء[١]

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم ، فأخذ بعض ما كان في أيديهم ، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[٢] أخرجه ابن ماجه أيضًا في سننه.

وذكره أبو عمر ابن عبد البر ، وأبو بكر الخطيب من حديث سعيد بن كثير ابن عفير بن مسلم بن يزيد قال : حدثنا مالك عن عمه أبي سهيل، عن عطاء ابن أبي رباح، عن ابن عمر أن رجلاً قال للنبي ﷺ :أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقًا**» قال: فأي المؤمنين أكسب؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم له استعدادًا أولئك الأكياس**» ثم قال :« **يا معشر المهاجرين لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم**»[٣] وذكر الحديث.

وروى ابن ماجه، عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[٤] .

وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه**».

---

(١) التذكرة (ص / ٥٦٨ ـ ٥٧٢) باختصار واكتفاءً بالصحيح.
(٢) ابن ماجه (٤٠١٩).
(٣) أبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد (١ / ٥).
(٤) سورة المائدة: (١٠٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال[1] : «**إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟**

قال عبد الرحمن بن عوف: نكون كما أمر الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**»[2] .

وأخرج أيضًا عن عمرو بن عوف وهو حليف بني عامر بن لؤي، وكان شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ قد صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال[3] : «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين**» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: **فأبشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**».

وفي رواية: «**فتلهيكم كما ألهتهم**» بدل: فتهلككم.

«**ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**».

وأخرج أيضًا عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا وكان فيما قال[4] : «**إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الله واتقوا النساء**».

---

(١) مسلم (٢٩٦٢).
(٢) البخاري (١١ / ٢٠٨)، ومسلم (٢٩٦١)، والترمذي (٢٦٤٢).
(٣) البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩٨).
(٤) مسلم (٢٧٤٢).

خرجه مسلم أيضًا وقال: بدل قوله: « فاتقوا الله»: « فاتقوا النار واتقوا النساء» وزاد: «**فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء** ».

وعن كعب بن عياض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[١] : «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**» قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال[٢] : «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن**».

وحذر الله سبحانه وتعالى عباده فتنة المال والنساء في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فقال عز من قائل : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**﴾ [٣] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ [٤] .

وقال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ** ﴾ [٥] .

فنبه الله على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد في آي ذكر الله فيها فتنة ، وما كان عاصمًا من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء.

وقال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** ﴾ [٦] .

ثم قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ** ﴾ [٧] .

---

(١) أحمد (٤ / ١٦٠)، والترمذي (٢٣٣٦)، والحاكم (٤ / ٣١٨).
(٢) أحمد (١ / ٣٥٧)، وأبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦) وغيرهم.
(٣) سورة التغابن: (١٤).
(٤) سورة التغابن: (١٥).
(٥) سورة التغابن (١٦ ـ ١٧).
(٦) سورة آل عمران: (١٤).
(٧) سورة آل عمران: (١٥).

فوصف تعالى ما للمتقين عند ربهم، ثم وصف أحوالهم بنعتهم إلى قوله: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾[١] وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه ومثل هذا في القرآن كثير.

* * *

(١) سورة آل عمران: (١٧).

تمني الموت خشية الفتنة

عن معاذ بن جبل قال[١] : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعًا فثوب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سلم قال: «**كما أنتم على مصافكم**» ثم أقبل إلينا فقال: «**إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟**

قلت: لا أدري يا رب قال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : لا أدري يا رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟

قلت: في الكفارات قال: وما الكفارات؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات وجلوس في المساجد بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات ، قال : وما الدرجات؟

قلت: إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام قال: سل.

قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك»، وقال رسول الله : «**إنها حق فادرسوها وتعلموها**» .

* * *

(١) أحمد (٥ / ٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥).

العزلة أفضل أم الاختلاط بالناس؟[١]

ذكر الخطابي في كتاب العزلة: أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه.

وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة على دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العبادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت على المهمات ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء والعشاء فيقتصر منه على ما لابد له منه فهو أرواح للبدن والقلب والله أعلم[٢] .

وقال القشيري في الرسالة: طريق من آثر العزلة أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع والثاني شهوده مزية له على غيره وهذه صفة المتكبر.

وقال الحافظ ابن حجر[٣] : وقد اختلف السلف في أصل العزلة فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك، وقال قوم: العزلة أولى لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين .

وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أن يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى وقال غيره: يختلفان باختلاف الأحوال فإن

---

(١) انظر الصحيح المسند (ص / ٢٤٦ ـ ٢٤٧).
(٢) انظر «الفتح» (١١ / ٣٣٣).
(٣) الفتح (١٣ / ٤٢).

تعارضا اختلفا باختلاف الأوقات، فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أن يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وممن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع ، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ (١) .

قلت: وقد ورد في الباب حديث المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

هذا وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (كما في مجموع الفتاوى) (٢) : هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليا وإما حاليا فحقيقة الأمر أن(الخلطة) تارة تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة والانفراد تارة وجماع ذلك أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها.

وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجارًا.

وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له ونحو ذلك ولابد للعبد من أوقات ينفرد بها

---

(١) سورة الأنفال: (٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠ / ٤٢٥).

بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه إما في بيته كما قال طاووس: نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره ولسانه.

* * *

كيفية النجاة من الفتن[١]
والتصرف في وقت القتال بين المسلمين

اجتهد كثير من الصحابة في التعرف على الفتن التي ستعصف بالأمة وتبين طريق النجاة والخلاص منها، ومن هؤلاء بل في مقدمتهم حذيفة بن اليمان فقد صح عنه أنه قال: «إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة، فيما بيني وبين الساعة» [٢].

وقد كان حذيفة يكثر من سؤال الرسول ﷺ عن الفتن حتى لا يقع فيها، ففي صحيح البخاري عن حذيفة قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» [٣].

وفي حديث العرباض بن سارية أمر الرسول ﷺ بالتمسك بالإسلام، وطاعة

---

(١) انظر «القيامة الصغرى»: (ص / ١٧٨ ـ ١٨١).

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن، باب إخبار الرسول ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة: (٤ / ٢٢١٦) ورقمه (٢٨٩١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف يكون الأمر إذا لم تكن جماعة، فتح الباري (١٣ / ٣٥).

الإمام، والتزام سنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين المهـديين من بعده، فقد روى عبد الرحمن بن عمرو الـسلمي أنه سمع العرباض بن سارية يقول: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العـيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**تركتكم على المحجة البـيضـاء، ليلهـا كنهارها، لا يزيـغ عنها بعـدي إلا هالك، ومن يعش منكم بعـدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعـة، وإن عبدًا حبشيـا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيـثما قيد ينقاد**»[١].

وأرشد الرسول ﷺ أمته إلى كيفية التصرف في مثل هذه الفتن التي تثور بين المسلمين، حـيث يخفى الحق، وتضطـرب الأمور، فقـد دعا الـرسول ﷺ إلى اجتنـاب الصراع والقتـال في مثل هذه الحـال، والاعتـزال في مكان ناء، يرعى الرجل الغنم في قمم الجبال، أو يجاهـد الأعداء على حدود الدولة المسلمة، فإن وصلت إليه سيوف المتحاربين، فقد أمرنا بأن يمتنع عن الدفاع عن نفسه، ولو كان في هذا هلاكه، فـقد روى لنا أبو بكرة قال: قـال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثمَّ ستكون فـتنة، القاعد فيـها خير من الماشي فـيها، والماشي خيـر من الساعي إليـها، ألا فـإذا نزلت أو وقـعت، فـمن كان له إبل فـليلحق بإبله، ومن كـانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه**».

قـال: فقـال رجل: يا رسول الله، أرأيـت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمـد إلى سيفـه فيدق على حـده بحجر، ثم لينج إن اسـتطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت** ».

فـقال رجل: يـا رسول الله، أرأيت إن أكـرهت حـتى ينطلق بي إلى أحـد الصفين، أو إلى إحدى الفئتين؟ فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟

---

(١) حديث صحـيح، أخرجه ابن ماجه، والترمـذي، وأحمد، انظر سلسلة الأحاديث الصحـيحة، للألباني (٢ / ٦٤٧)، حديث رقم (٩٣٧).

قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»(١) .

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ : «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»رواه البخاري(٢) .

وفي حديث أبي هريرة عند الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «**أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم، أنجى الناس منها صاحب شاهقة، يأكل من رسل غنمه، أو رجل من وراء الدروب، آخذ بعنان فرسه، يأكل من فيء رمحه**»(٣) .

وقد بين الرسول ﷺ لأبي ذر كيف يتصرف في الفتنة، فقال له: «**أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء(٤) كيف تصنع؟**» قال الله ورسوله أعلم .

قال: «**اقعد في بيتك ، وأغلق عليك بابك**»، قال: فإن لم أترك؟قال: «**فأت من كنت معه، فكن فيهم** »، قال: فآخذ سلاحي؟

قال: « إذا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألق من طرف ردائك على وجهك ، كي يبوء بإثمه وإثمك ، ويكون من أصحاب النار»(٥) .

وقد احتج بالأحاديث التي سقناها وما أشبهها من لم ير القتال في الفتنة من الصحابة، وهم كل من ترك القتال مع علي بن أبي طالب في حروبه، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي بكرة، وغيرهم

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب نزول الفتن: (٤ / ٢٢١٢)، ورقمه (٢٨٨٧).

(٢) رواه البخاري، فتح الباري (١٣ / ٤٠)، ورقمه: (٧٠٨٨).

(٣) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣ / ٤٦٦) (٤ / ٦٤٢).

(٤) حجارة الزيت : موضع في المدينة المنورة.

(٥) حديث صحيح، رواه أحمد وأبو داود وابن حبان، والحاكم، انظر صحيح الجامع الصغير: (٦ / ٢٥٨).

وقالوا: يجب الكف حتى لو أراد أحد قتله لم يدفعه عن نفسه، ومنهم من قال: لا يدخل في الفتنة ، فإن أراد أحد قتله دفع عن نفسه ، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين ، وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضعف على القتال، أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق» [١].

وقال الطبري: «الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها»[٢] .

ولا شك أن تبين الحق والصواب في مثل هذه الظروف التي تقع فيها الفتن، وتظهر فيها الأهواء صعب جدا، والأقرب إلى السلامة هو البعد والاعتزال ، كيلا يصيب المسلمُ دمًا حرامًا، ولا يؤذي مسلمًا، والله أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) فتح الباري : (١٣ / ٣٣).
(٢) فتح الباري : (١٣ / ٣١).

جعل الله في أول هذه الأمة عافيتها وفي آخرها بلاءها [١]

عن عبد الله بن عمر قال[٢] : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله فقال: « **إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيدفق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول: هذه منه فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر** ».

قال ابن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة: فدنوت منه فقلت له: ناشدتك الله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي فقلت له: هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله عز وجل يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)** ﴾[٣] : فسكت ساعة ثم قال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله .

قوله: « ينتضل» الانتضال: الرمي بالسهام، و« الجشر» المال من المواشي التي

---

(١) التذكرة (ص / ٥٦٦ ـ ٥٦٧).
(٢) مسلم (١٨٤٤).
(٣) سورة النساء: (٢٩).

ترعى أمام البيوت والديار، يقال: مال جشر يرعى في مكانه لأنه يرجع إلى أهله، يقال: جشرنا دوابنا أي أخرجناه إلى المراعي وأصله البعد، ومنه يقال للأعزب: جشر وجشير لبعده عن النساء.

وقوله: «**يدفق بعضها بعضًا**» أي: يتلو بعضها بعضًا وينصب بعضها على بعض، والتدفق التصبب وهذا المعنى مبين في نفس الحديث لقوله: وتجيء الفتنة ثم تنكشف وتجيء الفتنة وتزحزح أي: تبعد ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ** ﴾[1] أي: بمبعده، وصفقة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة في الاستيثاق في النطق باللسان والالتزام بالقلب، وفي التنزيل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ الآية [2] ،وقوله: فاضربوا عنق الآخر قيل: المراد عزله وخلعه وذلك قتله وموته، وقيل: قطع رأسه وإذهاب نفسه يدل عليه قوله في الحديث الآخر: « فاضربوه بالسيف كائنًا ما كان »،وهو ظاهر الحديث هذا إذا كان الأول عدلاً، والله أعلم .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال[3] : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم قال أبو عبد الله: البلعوم مجرى الطعام، والفسطاط الخيمة الكبيرة وتسمى مدينة مصر الفسطاط ، والمراد به في هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى تشبيها بانفراد الخيمة عن الأخرى ،وتشبيها بانفراد المدينة عن الأخرى حملاً على تسمية مصر بالفسطاط والله أعلم .

* * *

---

(١) سورة البقرة: (٩٦).

(٢) سورة الفتح: (١٠).

(٣) البخاري (١٢٠).

ذكر الفتنة التي تموج موج البحر[١]

وقول النبي ﷺ : «**هلاك أمتي على يد أغيلمة من سفهاء قريش** ».

عن شقيق عن حذيفة قال : كنا جلوسًا عند عمر بن الخطاب فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة ؟

قال حذيفة : فقلت أنا ، فقال: إنك لجرىء، قال: كيف سمعته ؟

قال : «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال عمر: ليس هذا أريد إنما أريد التي تموج موج البحر.

قال : مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال : يفتح الباب أو يكسر؟

قال: بل يكسر.

قال: ذلك أجدر أن لا يغلق ، فقلت لحذيفة : أكان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط.

قال: فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق: سله فسأله، فقال: هو عمر»، أخرجه البخاري ومسلم أيضًا[٢] .

---

(١) التذكرة (ص / ٥٥٢ ـ ٥٥٣).

(٢) البخاري في صحيحه (١٤٣٥)، (١٨٩٥)، ومسلم (٧٤٥٠)، وابن ماجه (٣٩٥٥)، وابن حبان (٥٩٦٦)، والبزار في مسنده (٢٨٧٤) .

وعن عمرو بن يحيى بن سعيد قال: أخبرني جدي قال[1] : كنت جالسًا مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، فقال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: «**هلكة أمتي على يد أغيلمة من قريش**».

قال مروان: لعنة الله عليهم من أغيلمة .

قال أبو هريرة : لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت ، فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حتى تملكوا بالشام، فإذا رآهم أحداثًا وغلمانًا قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم ، قلنا: أنت أعلم[2] .

الغلام الطار الشارب والجمع الغلمة والغلمان، ونص مسلم في صحيحه في كتاب الفتن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[3] : «**يهلك أمتي هذا الحي من قريش**» قال: فما تأمرنا ؟ قال : «**لو أن الناس اعتزلوهم**»[4] .

فصل: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير، والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير.

ألا تراه يقول : لو شئت قلت لكم هم بنو فلان وبنو فلان ، لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد ، وكأنهم والله أعلم يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد ،ومن تنزل منزلتهم من أحداث ملوك بني أمية ، فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله ﷺ وسبيهم، وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة وغيرها، وغير خاف ما صدر عن الحجاج ، وسليمان بن

---

(١) البخاري (٩ / ٦٠).
(٢) البخاري (٤ / ٢٤٢)، ومسلم في «الفتن» (٧٤)، وأحمد (٢ / ٣٠١).
(٣) البخاري (٩ / ٦٠).
(٤) البخاري (٤ / ٢٤٢)، ومسلم في «الفتن» (٧٤)، وأحمد (٢ / ٣٠١).

عبد الملك ، وولده من سفك الدماء، وإتلاف الأموال، وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك ، وبالجملة فبنو أمية قابلوا وصية النبي ﷺ في أهل بيته وأمته بالمخالفة والعقوق ، فسفكوا دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا فضلهم وشرفهم واستباحوا لعنهم وشتمهم ،فخالفوا رسول الله ﷺ في وصيته وقابلوه بنقيض مقصوده وأمنيته ، فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه ، وافضيحتهم يوم يعرضون عليه .

* * *

ما جاء في رحى الإسلام ومتى تدور؟

عن البراء بن ناجية عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال[١] : «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا**» قال: قلت: أمما بقي ؟ قال: «**مما مضى**».

قال الهروي في تفسير هذا الحديث[٢] : قال الحربي: ويروى تزول وكأن تزول أقرب لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها، وتدور بكون ما يحبون ويكرهون فإن كان الصحيح سنة خمس وثلاثين، فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، وإن كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجمل، وإن كانت سنة سبع ففيها كانت صفين غفر الله لهم أجمعين.

وقال الخطابي: يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف على أهله لذلك الهلاك يقال: الأمر إذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة، وقوله: ليقم لهم دينهم أي : ملكهم وسلطانهم ، وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بني أمية من المشرق نحوًا من سبعين سنة وانتقاله إلى بني العباس والدين الملة والسلطان ، ومنه قوله تعالى: ﴿**لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾[١] أي: في سلطانه.

وقوله: «**تدور رحى الإسلام**» دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال، شبهها بالرحى الدائرة التي تطحن لما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس.

* * *

---

(١) التذكرة: (٥٢٧).
(٢) سورة يوسف: (٧٦).

إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظل ومن أين تجيء والتحذير منها وفضل العبادة عندها[١]

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[٢] .

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٣] .

ففي هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[٤] : «**بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

وعن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت:[٥] «خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا محمرًا وجهه يقول: «**لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعين الإبهام والتي تليها**».

قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».

وعن أسامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال[٦] : «**هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**».

وروى البيهقي، عن كرز بن علقمة الخزاعي قال: سأل رجل النبي ﷺ هل

---

(١) التذكرة للقرطبي (ص / ٥٢٠ - ٥٢٨) بتصرف، واختصار، واقتصار على الصحيح.
(٢) سورة الأنفال: (٢٥).
(٣) سورة الأنبياء: (٣٥).
(٤) مسلم (١٨٦)، والترمذي (٢١٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٢ / ٣٠٤)، (٢ / ٥٢٣).
(٥) البخاري، والترمذي (٢١٨٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣)، وأحمد (٦ / ٤٢٨).
(٦) مسلم (٢٢١١).

للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ[1] : «**أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام**» ، فقال: ثم ماذا ؟ قال: «**ثم تقع الفتن كالظلل**» فقال الرجل : كلا والله إن شاء الله.

قال: «**بلى والذي نفسي بيده لتعودون فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض**» قال الزهري: أساود صبا الحية السوداء إذا أراد أن ينهس ارتفع هكذا ثم انصب .

قال ابن دحية أبو الخطاب الحافظ[2] : هذا الحديث لا مطعن في صحة إسناده ، رواه سفيان بن عيينة ، عن الزهري عن عروة بن الزبير عن كرز، قرأته بجامع قرطبة وبمسجد الغدير وبمسجد أبي علاقة على المحدث المؤرخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال الأنصاري، قال :سمعت جميع هذا الكتاب ، وهو جامع الخير للإمام سفيان بن عيينة عن الشيخين الجليلين الثقة المفتي أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب ، والوزير الكاتب الثقة أبي الوليد أحمد ابن عبد الله بن طريف قالا: قرأناه على العدل أبي القاسم حاتم بن محمد التميمي بحق سماعه على الثقة الفاضل أبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد ابن فراس ـ رحمه الله ـ بمكة حرسها الله تعالى بالمسجد الحرام بحق سماعه على الثقة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الديلي، بحق سماعه على الثقة الصالح أبي عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، بحق سماعه من الإمام الفقيه أبي محمد سفيان بن عيينة.

قال المؤلف رحمه الله[3] : وقد حدثني بهذا السند المذكور الفقيه القاضي أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن إجازة عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال وكرز هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعي أسلم يوم الفتح وعمر

---

(١) أحمد في «مسنده» (٣ / ٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩ / ١٩٨ ، ١٩٩).
(٢) التذكرة (ص / ٥٢١ _ ٥٢٢).
(٣) المرجع السابق (ص / ٥٢٢).

طويلاً، وهو الذي نصب أعلام الحرم في خلافـة معاوية وإمارة مروان بن الحكم وفيه: ثـم مه ؟ قال: «**ثم تعود الفتن**» بدل قال: ثم مـاذا ؟ قال: «**ثم تقع الفتن**» ولم يذكر قول الزهري إلى آخره.

قال أبو الخطاب بن دحية: قول الرجل: ثم مه هنا على الاستفهام أي ثم ما يكون ، في غير هذا الموضع زجر وإسكات كـقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنكن صواحب يوسف**» وقوله: «**كأنها الظلل**»، الظلل السحاب والظلة السحابة ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ** ﴾[1] .

وقول الرجل بجهله :كلا والله ، وعناها الجحد بمعنى لا والله.

وقيل: هو بمعنى الزجر فقال رسول الله ﷺ : «**بلى والذي نفسي بيده**» وبلى للنفي استفـهامًا كان أو خبـرًا أو نهيا، فالاستـفهام ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾[2] ، ﴿ **أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ** ﴾[3] جوابه: بلى هو قادر، ومـثال الخبر ﴿ **لَن تَمَسَّنَا النَّارُ** ﴾[4] جوابه: بلى قالوا: بلى تمسكم.

ومثال النهي لا تلق زيدًا ، جوابه بلى لألقينه.

قال أبو الخطاب بن دحية: وقوله «صبا» هكذا (قـيدناه بضم الصاد وتشديد الباء على مثال غُر ، والأساود: نوع من الحيات عظام فـيها سوداء وهو أخبثها، والصب منها التي تنـهش ثم ترتفع ثم تنصب ، شبهـهم فيمـا يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصب من الحيات.

قال المؤلف رحـمه الله[5] : الأساود جـمع أسود وهو الحـية وصبـا جمع صاب كـغاز وغـز، وهو الذي يميل ويلتوي وقـت النهش ليكون أنكى في اللدغ

---

(١) سورة الشعراء: (١٨٩).

(٢) سورة الأعراف: (١٧٢).

(٣) سورة القيامة: (٤٠).

(٤) سورة البقرة: (٩٨٠، وآل عمران: (٢٤).

(٥) التذكرة (ص / ٥٢٢).

وأشد صبًا للسم، ويجوز أن يكون جمع أصب وهو الذي كأنه ينصب عند النهش انصبابًا ، والأول من صبا إذا مال والثاني من صب إذا سكب .

وروى مسلم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت[١] : استيقظ النبي ﷺ ليلة فزعًا مرعوبًا يقول: «**سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجر** - يريد أزواجه - لكي يصلين **رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

وعن عبيد بن عمير قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «**يا أصحاب الحجرات سعرت النار، وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا** » .

قال أبو الحسن القابسي : هذا وإن كان مرسلاً، فإنه من جيد المراسيل وعبيد ابن عمير من أئمة المسلمين.

روى مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول[٢] : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ** » ، **فقال الله تعالى له** : ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾[٣] .

وعن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**».

فصل : قوله: « **ويل للعرب من شر قد اقترب**» قد تقدم معنى الويل والمراد به هنا الحزن ، قاله ابن عرفة.

فأخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من

---

(١) البخاري (١ / ٤٠) ، (٢ / ٦٢). (٤ / ٢٤١)، (٨ / ٦٠)، (٩ / ٦٢)، والترمذي (٢١٩٦).

(٢) البخاري (٤ / ١٥٠)، ومسلم (٤٧ ـ ٤٩ ـ ٥٠).

(٣) سورة طه: (٤٠).

الويل والحرب، وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة ، فصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا في البراري بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام، وما جاءهم به من الدين والإسلام ، فلما لم يشكروا النعمة نقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [(١)] ولهذا لما قالت زينب رضي الله عنها في سياق الحديث[(٢)] : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».

فصل: قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قولها : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثر الصالحون.

فأما إذا كثر المفسدون وقل الصالحون هلك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمروا بالمعروف ويكرهوا ما صنع المفسدون ، وهو معنى قوله: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾[(٣)] بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه وإقراره على ما نبينه.

فإن قيل : فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[(٤)] ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[(٥)] . ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[(٦)] وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وإنما تلحق العقوبة بصاحب الذنب.

وقرئ: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة وهي قراءة زيد بن ثابت وعلي وأبي وابن مسعود

---

(١) سورة محمد: (٣٨).
(٢) البخاري .
(٣) سورة الأنفال: (٢٥).
(٤) سورة الأنعام: (١٦٤).
(٥) سورة المدثر: (٣٨).
(٦) سورة البقرة: (٢٨٦).

رضي الله عنهم أجمعين.

والجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده، فإن لم يقدر فبلسانه ، فإن لم يقدر فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك، وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك.

روى الأئمة عن أبي سعيد الخدري قال (١) : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس عليه غيره وذلك أضعف الإيمان**».

وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة الفاعل فانتظم في العقوبة.

دليله قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ**﴾ (٢) فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى وتبرؤوا من ذلك حسب ما يلزمهم ويجب لله عليهم غير معتدين سلموا.

قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾ (٣) .

وقال: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ (٤) .

وقال ابن عباس: قد أخبرنا الله عز وجل عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا: ﴿ **لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ**﴾ (٥) .

وروى سفيان بن عيينة قال: حدثنا سفيان بن سعيد عن مسعد قال: بلغني

---

(١) الحديث: مسلم .
(٢) سورة النساء: (١٤٠).
(٣) سورة هود: (١١٦).
(٤) سورة الأعراف: (١٦٥).
(٥) سورة الأعراف: (١٦٤).

أن ملكًا أمر أن يخسف بقرية، فقال: يا رب إن فيها فلانًا العابد فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتغير وجهه في ساعة قط.

وحسن رجل عند الشعبي قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال الشعبي: قد شركت في دمه.

وفي الترمذي [١] : «أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده، فالفتنة إذا عمت هلك الكل، وذلك عند ظهور لمعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير، وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها، وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما في قصة أصحاب السبت حين هجروا العاصين، وقالوا: لا نساكنكم، وبهذا قال السلف رضي الله عنهم .

وروى ابن وهب، عن مالك قال: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارًا ولا يستقر فيها، واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالرباء فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها [٢] خرجه أهل الصحيح.

وقال مالك في موضع آخر: إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في آخر الأرض وقال: إن لزوم الجماعة نجاة وإن قليل الباطل وكثيره هلكة وقال: ينبغي للناس أن يغضبوا لأمر الله تعالى في أن تنتهك فرائضه وحرمه، والذي أتت به كتبه وأنبياؤه، أو قال: يخالف كتابه.

قال أبو الحسن القابسي: الذي يلزم الحق ويغضب لأمر الله تعالى على بينة من النجاة قال رسول الله ﷺ [٣] : «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله**».

---

(١) أحمد (١ / ٧) ، والترمذي (٢١٦٨) ،والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ / ٩١).
(٢) التذكرة (ص / ٥٢٥).
(٣) أحمد (٤ / ١٠٤)، والحاكم (٤ / ٤٤٩).

قال أبو عمر: وروى أشهب بن عبد العزيز قال: قال مالك :لا ينبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير حق والسب للسلف.

قال أبو عمر: أما قول مالك هذا، فمعناه إذا وجد بلداً يعمل فيه الحق في الأغلب، وقد قال عمر بن عبد العزيز: فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت الأرض والله جوراً وظلماً .

قال أبو عمر: فأين الهرب إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضى بأقل القوت.

وقال منصور بن الفقيه فأحسن:

الخير أجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت

فإذا استوى لك ذا وذا فاقنع له بأقل قوت

وكان سفيان الثوري يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين.

هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن.

ويحكى عنه أنه قال: والله ما أدري أي البلاد أسكن، فقيل له: خراسان؟ فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة، فقيل: الشام؟ فقال: يشار إليكم بالأصابع أراد الشهرة، فقيل له: العراق؟ قال: بلد الجبابرة، فقيل له: فمكة؟ قال: مكة تذيب الكيس والبدن.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: قال شيخي في العبادة : لا يذهب بك الزمان في مصافاة الأقران ومواصلة الأحزان، ولم أر للخلاص طريقاً أقرب من طريقين: إما أن يغلق المرء على نفسه بابه، وإما أن يخرج إلى موضع لا يعرف فيه ، فإن اضطر إلى مخالطة فليكن معهم ببدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت.

أنشدني محمد بن عبد الملك الصوفي قال: أنشدني أبو الفضل الجوهري: الخير أجمع في السكوت . .) البيتان.

قال القاضي: ولي في هذا المعنى شعر:

حاز السلام مسلم يأوي إلى سكن وقوت

ماذا يؤمل بعدما يأوي إلى بيت وقيت

قال المؤلف رحمه الله: ولأبي سليمان في هذا المعنى شعر:

أنست بوحدتي ولزمت بيتي فدام الأنس لي ونما السرور

وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بسائل ما دمت حيا أسار الخيل أم ركب الأمير

وذكر ابن وهب عن يحيى مولى الزبير أنه ذكر أن في زمان رسول الله ﷺ خسف قبل المشرق، فقال بعض الناس[1]: يا رسول الله؛ يخسف بأرض وفيها المسلمون؟ فقال: «**إذا كان أكثر أهلها الخبث**».

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي، فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاسقين لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ثم بعثوا على نياتهم**» وفي رواية: «**أعمالهم**».

وقد تقدم هذا في المعنى: فمن كانت نيته صالحة أثيب عليها، ومن كانت نيته سيئة جوزى عليها، وفي التنزيل﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) الطبراني في «الكبير» (١ / ٤٢)، وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٨)، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح

(٢) سورة الطارق: (٩).

فتنة مسيلمة الكذاب[١]

كذاب اليمامة، وكان يدعى رحمان اليمامة ، ادعى النبوة في عهد رسول الله ﷺ قصدته سجاح لما ادعت النبوة بجنودها، لأخذ اليمامة منه، فهابه قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم فيما تقوله: عليكم باليمامة، دفوا دفيف الحمامة، فإنها غزوة صرامة، لا تلحقكم بعدها ملامة ، قال: فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه، خافها على بلاده، فبعث إليها يستأمنها، ويضمن لها أن يعطيها نصف الأرض الذي كان لقريش لو عدلت، فقد رده الله عليك فحباك به، وراسلها، ليجتمع بها في طائفة من قومه، فركب إليها في أربعين من قومه، فلما خلا بها عرض عليها ما عرض من نصف الأرض، وقبلت ذلك ، قال مسيلمة: سمع الله لمن سمع، وأطعمه بالخير إذا طعم، ولا يزال أمره في كل ما يسر مجتمع، رآكم ربكم فحياكم ، ومن وحشته أخلاكم ، ويوم دينه أنجاكم فأحياكم . . . إلى آخر الهراء، وإلى آخر ما فعل اللعين ، مما يعف القلم عن ذكره ، فلما رجعت سجاح إلى قومها قالوا : ما أصدقك ؟ فقالت: لم يصدقني شيئًا، فقالوا: إنه قبيح على مثلك أن تتزوج بغير صداق، فبعثت إليه تسأله صداقًا ، فقال : أرسلي إلي مؤذنك، فبعثته إليه، وهو شَبَثُ ابن ربعي ـ فقال: ناد في قومك: إن مسيلمة بن حبيب رسول الله، قد وضع عنكم صلاتين ، مما أتاكم به محمد ، يعني صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة ـ ثم أسلمت بعد ذلك سجاح.

ومما جاء في قرآن مسيلمة الكذاب مما يثير الضحك والعجب العجاب يا ضفدع بنت الضفدعين، نقي لك نقين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين،

---

(١)انظر: «الجزاء من جنس العمل»(١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٢) بتصرف ، وانظر «الحوادث العظام في تاريخ أمة الإسلام» للمؤلف(ص / ٢٦ ـ ٢٨) طبعة خاصة، وانظره في نفس المرجع ـ طبعة دار التقوى.

رأسك في الماء، وذنبك في الطين.

وكان يقول: «والمبذرات ذرعًا، والحاصدات حصدًا، والذاريات قمحًا، والطاحنات طحنًا، والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا، واللاقمات لقمًا، إهالة وسمنًا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتر فآووه ،والناعي فواسوه».

وكان الكذاب يقول: والفيل، وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل.

وكان يقول: والليل الدامس، والذئب الهامس.

وكان يقول: يا وبر يا وبر ، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر.

يتبعونه ولا يؤمنون به بل يعلمون كذبه:

عن عمير بن طلحة عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة، فقال: أين مسيلمة ؟ فقال: مه رسول الله، فقال: لا ،حتى أراه، فلما جاء قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من يأتيك ؟ قال: رجس، قال : أفي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمدًا صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر، واتبعه هذا الأعرابي الجلف لعنه الله حتى قتل معه لا رحمه الله[١] .

رأى فيه النبي رؤيا :

قدم هذا اللعين المدينة وافدًا إلى رسول الله ﷺ ، وقد وقف عليه رسول الله ﷺ ، فسمعه وهو يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته ، فقال له: «لو سألتني هذا العود - لعرجون في يده - ما أعطيتكه ،ولئن أدبرت ليعقرنك الله، إني لأراك الذي أريت فيه ما أريت»، وكان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام ،كأن في يديه سوارين من ذهب، فأهمه شأنهما، فأوحى الله إليه في المنام: انفخهما، فنفخهما فطارا، فأولهما بكذابين يخرجان، وهما صاحب

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٦ / ٣٢٥، ٣٣٠ ، ٣٣١).

صنعاء، وصاحب اليمامة؛ وهكذا وقع، فإنهما ذهبا وذهب أمرهما؛ أما الأسود، فذبح في داره، وأما مسيلمة، فعقره الله على يدي وحشي بن حرب؛ رماه بالحربة فأنفذه؛ كما تعقر الإبل، وضربه أبو دجانة على رأسه ففلقه، وذلك بعقر داره في حديقة الموت، وقد قتل قبله وزيراه، محكم بن الطفيل، والرجال ابن عنفوة.

هو الكذاب :

وروى البخاري أن مسيلمة كتب إلى رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم . . . من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . . . سلام عليك.

وأما بعد، فإني قد أشركت معك في الأمر، فلك المدر ولي الوبر ـ ويروى: فلكم نصف الأرض، ولنا نصفها ـ ولكن قريشًا قوم يعتدون، فكتب إليه رسول الله ﷺ :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى ... أما بعد : فإن الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين » .

* * *

بعثة النبي ﷺ من أشراط الساعة

عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ [١]: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويشير بإصبعيه فيمدهما .

وعن قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرفوعا [١]: «بعثت في نسم الساعة» .

والمعنى: أي بعثت في أول أشراط الساعة.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ [٣]: «بعثت أنا والساعة كهاتين» قال: وضَمَّ السبابة والوسطى.

قال القرطبي [٤]: أولَّها النبي ﷺ، لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي .

---

(١) الحديث: صحيح رواه البخاري في «صحيحه» (١١/ ٣٤٧ فتح).
(٢) الحديث: صحيح رواه الحاكم في «الكنى» ، وانظر: «صحيح الجامع الصغير ح (٢٨٢٩).
(٣) الحديث: صحيح رواه مسلم «كتاب الفتن وأشراط الساعة» (١٨/ ٨٩ ـ ٩٠ نووي) .
(٤) انظر «التذكرة» (ص ٦٢٦) .

انشقاق القمر من أشراط الساعة

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) .

وعن ابن مسعود قال: انشقّ القمر على عهد رسول الله ﷺ ، فقال لنا النبي ﷺ : «اشهدوا» (٢).

وعن أنس بن مالك قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما» (٣) .

وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين، على هذا الجبل، وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد. فقال بعضهم: لئن كان سحرنا فما يستطيع أن يسحر الناس كلهم» (٤) .

---

(١) سورة القمر (١).

(٢) الحديث: متفق عليه رواه البخاري في «المناقب» (٣٤٣٧)، ومسلم في «كتاب صفة القيامة والجنة والنار» (٢٨٠٠/ ٤٣)، والترمذي في «السنن» (٣٢٨٧).

(٣) الحديث: صحيح رواه البخاري في« فضائل الصحابة» (٣٦٥٥)، وفي «كتاب التفسير» (٤٥٨٦، ٤٥٨٧).

(٤) الحديث: صحيح رواه الترمذي في «السنن» (٣٢٨٩).

إذا هلك كسرى فلا كسرى وإذا هلك قيصر فلا قيصر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، فو الذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**» [١].

وروى محمد بن إسحاق عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه مزقه، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال: «**مزق ملكه**».

وعند ابن جرير: عن أيد بن أبي حبيب قال: وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ... من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس...

«**سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وبرسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيًا ويحق القول على الكافرين، فإن تسلم تسلم وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك**».

قال: فلما قرأه شقه وقال: يكتب إلي بهذا وهو عبدي؟! قال: ثم كتب كسرى إلى باذام وهو نائبه على اليمن أن ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به، فبعث باذام قهرمانه وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب

---

(١) الحديث: صحيح، رواه البخاري (٣٦١٨)، ورواه مسلم في «صحيحه» (٢٩١٩) عن أبي هريرة، وبلفظ: «عصبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض بيت كسرى» أيضًا رواه مسلم في «صحيحه»، وأحمد في مسنده عن جابر بن سمرة، وبلفظ: «لتفتحن عصابة من المسلمين كنزًا لكسرى الذي في الأبيض» أيضًا رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر بن سمرة.

فارس، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له: خرخرة، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى وقال لباذويه : ائت بلاد هذا الرجل وكلمه وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش في أرض الطائف فسألوه عنه، فقال: هو بالمدينة، واستبشر أهل الطائف يعني وقريش بهما وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل، فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ فكلمه باذويه فقال: شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذام يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب لك إلى ملك الملوك يكفه عنك ،وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك ، ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال: «ويحكما من أمركما بهذا ؟» قالا: أمرنا ربنا يعنيان كسرى فقال رسول الله ﷺ: «**ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي**» ثم قال: «**ارجعا حتى تأتياني غدا**» قال: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل.

قال : فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، فنكتب عنك بهذا ونخبر الملك باذام ؟ قال: «**نعم أخبراه ذاك عني، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى ، وينتهي إلى الخف والحافر، وقولا له : إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء**» ثم أعطى خرخرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذام، فأخبراه الخبر، فقال : والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول، وليكونن ما قد قال، فلئن كان هذا حقا فهو نبي مرسل ،وإن لم يكن فسنرى فيه رأيا ، فلم ينشب باذام أن قدم عليه كتاب شيرويه : أما بعد ، فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبًا

لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم ونحرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجر حتى يأتيك أمري فيه، فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذام قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن، قال: وقد قال باذويه لباذام: ما كلمت أحدًا أهيب عندي منه، فقال له باذام: هل معه شرط؟ قال: لا.

وكسرى إذ تقاسمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم ... أتى ولكل حاملة تمام

قال الشافعي: ولما أتى كسرى بكتاب رسول الله ﷺ مزقه فقال رسول الله ﷺ: «**يمزق ملكه**»، وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب رسول الله ﷺ ووضعه في مسك، فقال رسول الله ﷺ: «**ثبت ملكه**»، ولما كانت العرب تأتي الشام والعراق للتجارة فأسلم من أسلم منهم شكوا خوفهم من ملكي العراق والشام إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده**».

فباد ملك الأكاسرة بالكلية وزال ملك قيصر عن الشام بالكلية، وإن ثبت لهم ملك في الجملة ببركة دعاء رسول الله ﷺ لهم حين عظموا كتابه[1].

* * *

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٤ / ٢٦٨ ـ ٢٧١)، وانظر «البشارات والحسرات»، للمؤلف (ص٢٨ ـ ٣٠) طبعة خاصة وانظره في نفس المرجع طبعة دار التقوى.

هلاك كسرى وقيصر[(١)]

قال رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه في الصحيحين[(٢)] : «**إذا هَلَكَ قَيْصَرَ فلا قَيْصَرَ بعده وإذا هلك كِسْرَى فلا كسرى بعده، والذي نفسي بيده لِتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله**».

وقد وقع ذلك كما أخبر سواء بسواء فإنه في زمن أبي بكر وعمر وعثمان انزاحت يد قيصر ذلك الوقت واسمه هرقل عن بلاد الشام والجزيرة، وثبت ملكه مقصورًا على بلاد الروم فقط، والعرب إنما كانوا يسمون قيصر لمن ملك الروم مع الشام والجزيرة وفي هذا الحديث بشارة عظيمة لأهل الشام وهي: أن يد ملك الروم لا تعود إليها أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين.

وأما كسرى فإنه سلب عامة ملكه في زمن عمر ثم استؤصل ما في يده في خلافة عثمان وقيل: في سنة ثنتين وثلاثين ولله الحمد والمنة، وقد بسطنا ذلك مطولا فيما سلف وقد دعا عليه رسول الله ﷺ حين بلغه أنه مزق كتاب رسول الله ﷺ بأن يمزق ملكه كل ممزق فوقع الأمر كذلك.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالُهم الشعرُ وحتى تُقَاتلوا الترك صغَارَ الأعين حمْرَ الوجوه ذلفَ الأُنوف كأَنَّ وُجُوهَهم الْمَجَانُّ الْمطرَّقَةُ وَتجدون خَيْرَ الناس أَشدَّهم كراهية لهذا الأَمرِ حتى يَقع فيه والناسُ معادنُ خِيارُهم في الجَاهلية خيارُهم في الإسلام وليَأتيْنَّ علَى أحدِكم زمانٌ لأَنْ يراني أحب إليه من أَن يكونَ له مثلُ أهله وماله**».

تفرد به البخاري ثم قال: حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام

---

(١) الحديث صحيح: البخاري (٣١٢٠، ٣٦١٨، ٦٦٣٠) عن أبي هريرة (٣١٢١، ٣٦١٩) عن جابر ومسلم (٢٩١٩).

(٢) انظر: «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (ص / ٧).

بسبه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**»[١].

وقال أحمد: حدثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر**»، وأخرجه الجماعة سوى النسائي من حديث سفيان بن عيينة به.

ورواه البخاري عن علي بن المديني، عن سفيان بن عيينة به.

ورواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد كلاهما عن قيس بن أبي حازم، عن أبي هريرة فذكر نحوه، قال سفيان بن عيينة: وهم أهل البارز، كذا يقول سفيان، ولعل البارز: هو سوق الفسوق الذي لهم.

وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير بن حازم، سمعت الحسن، حدثنا عمرو بن تغلب سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢]: «**إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة**»، ورواه البخاري من حديث جرير بن حازم والمقصود أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم.

* * *

(١) الحديث: صحيح البخاري (٣٥٨٩).
(٢) الحديث: صحيح البخاري (٣٥٩٠)، ومسلم (٢٩١٢).

بَابُ مَا جَاءَ فِي قِتَالِ الترك وَصفتهم [١]

روى الْبُخَـارِيّ عَنْ أَبي هُرَيْرَة أَنَّ النَّبيّ ﷺ قَالَ : « لا تَقُومُ السَّـاعَة حَتَّى تقَاتلوا خوزاً وكرمان مِنْ الأعاجم ، حُمر الوجوه فُطْس الأنوف صغار الأعين ، وجوههُمْ المجان المطرقة نعالهُمْ الشعر » [٢] .

وروى مُسْلِم [٣] عَنْ أَبي هُرَيْرَة قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « تـقَاتلون بَيْنَ يدي السَّاعَـة قوماً نعالهُمْ الشـعر كَأَنَّ وجـوههُمْ المجان المطرقة ، حمـر الوجوه صغـار الأعين ذلف الأنوف». وَفِي روَايَة [٤] : « يلبـسون الشـعر وَيمشـون فِي الشعر» أخرَجَهُ الْبُخَارِيّ [٥] أيضًا، وَ أَبُو دَاوُد [٦] وَالنَّسَائِيّ [٧] ، وَابْن مَاجَه [٨] ، وَالتِّرْمِذِيّ [٩] وَغيرهُمْ .

وَخَرَّجَ ابْن مَاجَه عَن أَبي سَعِيـد الْخُدرِيّ قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « لا تَقُومُ السَّاعَة حَتَّى تقَاتلوا قومـاً صغاراً الأعين عراض الوجوه ، كَأَنَّ أعينهُمْ حدق الجـراد ، وكَأَنَّ وجـوههُمْ المجان المطرقـة ينتـعلون الشعـور ، وَيتخـذون الدرق يربطون خيولهُمْ بالنخيل » .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص/ ١١٦٢ ـ ١١٦٣) بتحقيق د/ الصادق بن محمد ابن إبراهيم.

(٢) في صحيحه ٣/ ١٣١٥، ح ٣٣٩٥ .

(٣) وخرجه مسلم عن أبي هريرة أيضًا، والحديث في صحيحه ٤/ ٢٢٣٣، ح ٢٩١٢.

(٤) أخرجها مسلم في صحيحه أيضًا ٤/ ٢٢٣٤، ح ٢٩١٢.

(٥) في صحيحه ٣/ ١٠٧٠، ح ٢٧٧٠.

(٦) في سننه ٤/ ١١٢، ح ٤٣٠٣ .

(٧) في المجتبى من السنن له ٦/ ٤٤، ح ٣١٧٧.

(٨) في جامعه ٤/ ٤٩٧، ح ٢٢١٥.

(٩) في سننه ٢/ ١٣٧٢، ح ٤٠٩٧، قال الألباني: حسن صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه ٢/ ٣٩١، ٣٣٠٩.

(١٠) في سننه ٢/ ١٣٧٢ .

وقال أبو عـبيدة [١]: وقد وقع وقتال هؤلاء الـذين وصفهم رسول الله ﷺ وكان ذلك في أول خلافة بني أمية، وانتصر عليهم المسلمون وغنموا منهم.

ووقع هذا ـ أيضًا ـ في عصر مجدد الإسـلام الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وكان ممن تشرف بقتالهم، وحث المسلمين على جهادهم، فكانت آية كبرى حيث رآها بعـينه، وعايشـهـا بوجدانه فـقال: «وفـي القرآن والأحـاديث عنه ﷺ من الأخبار بما سيكون في الدنيا والآخرة أضعافُ أضعاف ما يوجد عن الأنبياء قبله، حتى إنه ينبئ عن الشيء الذي يكون بعـدما يبين من السنين خبرًا أكـمل من خبر من عاين ذلك» [٢]، ثم أورد الحديث، وقال وهذا موطن الشاهد:

«فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكيز خان، ملكهم الأكبـر، وأولاده وأولاد أولاده؛ مثل (هولاكـو) وغيره من التـرك الكفار الذين قاتلهم المسلمون؛ لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة، وقد أخبر بهذا قـبل ظهوره بأكـثر من ست مائة سنة»، أي: التـي وصفهم بهـا رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في «شـرح صحيح مسلم»: «وقد وُجد في زماننا الترك الـذين تحدث عنهم الرسول الكريم ﷺ، هكذا بجمـيع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ، وقاتلهم المسلمون مرات» [٣].

ويقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله: «وقاتل المسلمون الترك في خلافة بني أمية، وكـان ما بينهم وبين المسلمين مسـدودًا إلى أن فُتح ذلك شيئًـا بعد شيء، وكثر السَّبـي منهم، وتنافس الملوك فيهم، لما فيهم من الشدة والـبأس، حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم.

(١) انظر «العراق» لأبي عبيدة مشهور بن حسن (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦).
(٢) «الجواب الصحيح» (٣/ ١٦١ ـ ط العاصمة».
(٣) «شرح النووي على صـحيح مسلم» (١٨/ ٥٢ ـ ط قـرطبة»، ونقله السخـاوي في «القناعة» (ص ١٢٢)، والمذكور لفظه.

ثم غلب الأتراك على الملك ، فقتلوا ابن المتوكل، ثم أولاده واحدًا بعد واحد، إلى أن خالط المملكة الدّيلم، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضا فملكوا بلاد العجم.

ثم غلب على تلك الممالك آل سُبكتكين، ثم ال سلجوق، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام؛ وهم آل زنكي أتباع هؤلاء وهم بيت أيوب، واستكثر هؤلاء ـ أيضا ـ من الترك، فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية.

وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغُز ، فخربوا البلاد وفتكوا في العباد. ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتر، فكان خروج جنكيز خان بعد الست مائة، فأسعرت بهم الدنيا نارًا، خصوصًا المشرق بأسره، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد، وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وست مائة، ثم لم تزل بقاياهم يخربون إلى أن كان آخرهم (اللنك)، ومعناه: الأعرج، واسمه: تَمُر ـ بفتح المثناة وضم الميم وربما أشبعت ـ فطرق الديار الشامية، وعاث فيها، وحرّق دمشق، حتى صارت خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن أخذه الله، وتفرق بنوه في البلاد، وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ : «أن بني قنطورا أول من سلب أمتي ملكهم»[(١)] .

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤ رقم ١٠٣٨٩)، و«الأوسط» (٦/ ٧ رقم ٥٦٣٤)، والخلال في «أصحاب ابن منده» عن ابن مسعود رفعه : «اتركوا الترك ما تركتكم ، فإن أول من يسلب أمتي ما خولهم الله بنو قنطوراء»، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣١٢): «فيه عثمان بن يحيى القرقساني، لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح»، قلت: القرقساني معروف، لا بأس به، مترجم في «ثقاة ابن حبان» (٩/ ٤٥٥)، ولكن فيه مروان بن سالم الغفاري، وهو متروك متهم. وذكر الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣٠٤) في (كتاب الجهاد) هذا الحديث، وقال: «فيه مروان بن سالم، وهو متروك» .وأخرجه أبو جعفر الطوسي الشيعي في «أماليه» (ص٤)، وجعله عن حذيفة مرفوعًا، وفيه مروان بن سالم.
وانظر : «السلسلة الضعيفة» (١٧٤٧)، و«مجمع البحرين» (٧/ ٢١٨، ٢٦٥ مكتبة الرشد).

«والمراد ببني قنطورا: الترك»[١] .

قال أبو عبيدة: (بنو قنطوراء) هم الترك، نسبة إلى (قنطوراء)، كانت جارية لإبراهيم، فولدت له أولادًا، والترك من نسلها. قاله الأزهري[٢] .

سياقة الترك للمسلمين وَسياقة الْمُسْلِمِينَ لهم [٣]

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده [٤] قال: ثنا أبو نعيم قال: ثنا بشير ابن المهاجر قال: حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعت النبي ﷺ يقول: «إن أمتي يسوقها قوم عراض الوجوه [٥] صغار الأعين، كأن وجوههم الحجف [٦] ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب،

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦٠٩) ، وعنه القسطلاني في «إرشاد الساري» (٦/ ٤٩)، وأحمد ضياء الدين كموشخانة في «لوامع العقول شرح رموز الحديث» (٥/ ٥٨ ـ ٥٩) ، ومثله بالحرف في «القناعة» (١٢٢ ـ ١٢٤) للسخاوي.
وقال صاحب «مختارات من أحاديث الفتن» (ص ٢٨ ـ ٢٩) : «لقد ظهر مصداق هذه الأحاديث حينما ظهر التتار على المسلمين، وألحقوا العرب بمنابت الشيخ والقيصوم من جزيرة العرب، فقد بدأ الصراع مع الترك في خلافة بني أمية حيث اتسعت البلاد الإسلامية. . .»
وذكر نحو كلام ابن حجر، وزاد عليه: «ثم استمر الحكم في يد المماليك حتى خرج بقية الترك، وكونوا الخلافة العثمانية، وهي التي في النهاية غزت نجد ودخلت وسط الجزيرة العربية عندما أسقطوا حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من خلال حاكمهم الألباني في مصر محمد علي وأبنائه، فتحقق ما جاء من ربط خيلهم بسعف نخل نجد» .

(٢) في «تهذيب اللغة» (٩/ ٤٠٦)، ومثله في «المعرب» (ص ٥٠٣) ، والدلائل» للسرقسطي (٢/ ٩٣٦)، وزاد: «ولدت أولادًا كثيرًا، من نسلهم الترك والصين» ، و«اللسان» (٥/ ١١٩)، و«النهاية» (٤/ ١١٣)، و«تهذيب السنن» (٦/ ١٦٨)، و«فتح الباري» (٦/ ٦٠٩)،و في «العهد القديم» (سفر التكوين) (١/٢٥): «عاد إبراهيم ،وأخذ زوجة اسمها قطورة».

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١١٧٠) بتحقيق د/ الصادق بن محمد بن إبراهيم.

(٤) ٥/ ٣٤٨، ح ٢٣٠٠١، قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ٧/ ٣١١.

(٥) في مسند أحمد : الأوجه.

(٦) الجحف: ضرب من الترسة واحدتها جحفة، وقيل: هي من الجلود خاصة، انظر: لسان العرب ٩/ ٣٩.

أما السياقة الأولى: فينجو من هرب منهم، وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجو بعض، وأما السياقة الثالثة فيصطلمون كلهم، من بقي منهم، قالوا: يا نبي الله من هم؟ قال: هم الترك، قال: أما والذي نفسي بيده ليربطون خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين، قال: وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من النبي ﷺ من البلاء من الترك».

قال أبو الخطاب عمر بن دحية: وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة والصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني عن الإمام العدل المجتمع على ثقته أبي نعيم الفضل بن دكين، وبشير بن مهاجر: ثقة، رأى أنس بن مالك، روى عنه جماعة من الأئمة فوثقوه.

قال الشيخ رحمه الله: وخرج أبو داود قال: حدثنا جعفر بن مسافر قال: ثنا خلاد بن يحيى قال: ثنا بشير بن مهاجر قال: ثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ في حديث: «يقاتلونكم قوم صغار الأعين يعني الترك، قال: تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى، فينجو منهم من هرب، وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فيصطلمون».

الخلفاء القرشيون الذين سيلون أمر الأمة

وثبت في الصحيحين من رواية عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ: (١) «**يكون اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**» .

رواه أبو داود من طريق أخرى عن جابر بن سمرة ،سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال هذا الدين قائمًا حتى يكون**» .

وفي رواية: (٢) «**لا تزال هذه الأمة مستقيمًا أمرها ظاهرة على عدوها حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**» قالوا :ثم يكون ماذا ؟ قال: «**ثم يكون الهرج**» .

هؤلاء المبشر بهم في الحديثين ليسوا الاثنى عشر الذين زعم فيهم الروافض ما يزعمون من الكذب والبهتان وأنهم معصومون، لأن أكثر أولئك لم يل أحد شيئًا من أعمال هذه الأمة في خلافة، بل ولا في قطر من الأقطار ولا بلد من البلدان ،وإنما ولى منهم علي وابنه الحسن بن علي رضي الله عنهما.

* * *

---

(١) الحديث: صحيح، أحمد (٥ / ٦٩)، والبخاري (٢٩٢٧).

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٢٥٠) ، و«تهذيب الكمال» (٣/ ٢٢٣) .

خير القرون وما بعدهم

وثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن أبي حمزة عن زهدم بن مضرب عن عمران بن حصين قال: (١) قال رسول الله ﷺ: «**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**»، قال عمران: فلا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، « **ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن**» وهذا لفظ البخاري.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

إخبار النبي ﷺ بما كان وما هو كائن

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا أبو عاصم حدثنا عروة عن ثابت، حدثنا عليان بن أحمد البكري، حدثنا أبو زيد الأنصاري قال[١]: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى الظهر، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا».

* * *

(١) رواه مسلم (٢٨٩٢) ، وأحمد (٥ / ٣٤١).

تعاقب الخير والشَّرِّ

عن حذيفة بن اليمان يقول[1] : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إِنَّا كُنَّا في جَاهليَّة وشَر فَجاءَنَا الله بـهذا الخيرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذا الخَير منْ شرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قلتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلكَ الشَّرِ مِنْ خَيْرٍ ؟ قالَ: «**نَعَمْ وفيه دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ ؟فقَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيي يُعْرَفُ منهمُ ويُنْكَرُ**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شَر ؟ قال: «**نَعَمْ دعاةٌ علـى أبواب جهنم مَنْ أَجَابَهُمْ إليْـهَا قَـذَفُوهُ فيـها**»، قلت: يا رسول الله صِفْهُمْ لنا قال: «**هُمْ منْ جلْدَتنَا ويتَكَلَّمُونَ بأَلْسنتنَا** »، قلت: فَمَا تَأْمُرُني إنْ أَدْرَكَني ذَلكَ ؟قَالَ: «**تَلْزَمْ جَمَاعَةَ الْمُسْلمين وإمَامَهُمْ** »، قُلْتُ: فإنْ لم يكُنْ لَهُمْ إمَامُ وَلاَ جَمَاعَـةٌ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تلْكَ الْفرَقَ كُلَّهَا ولَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرةٍ حَتَّى يُدْركَكَ الْمَوْتُ وأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**» .

* * *

(١) الحديث صحيح: البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

سيعود الإسلام غريباً كما بدأ

وثبت في الصحيح من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال[١] : قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الإِسْلاَمَ بدَأَ غَرِيبًا وسَيَعُودُ غَرَيبًا كما بَدَأَ فَطُوبى لِلغُرَبَاء**» .

قيل: ومن الغرباء؟ قال: « النزاع من القبائل » .

ورواه ابن ماجه عن أنس وأبي هريرة.

* * *

---

(١) الحديث صحيح: مسلم (١٤٥)، من حديث أبي هريرة، والترمذي (٢٦٢٩)، وأحمد (١ / ٣٩٨)، وغيرهم.

افتراق الأمم

قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ،حدثنا محمد بن بشر ،حدثنا محمد بن عمرو ،عن أبي سلمة ،عن أبي هريرة قال[١]: قال رسول الله ﷺ: **«تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وسَبْعِينَ فِرْقَةً وتَفَرَّقَتْ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وسَبْعِين فِرْقَةً»**.

وعن عوف بن مالك قال[٢] : قال رسول الله ﷺ: **« افْتَرَقَت اليَهُودُ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فرقَةً فَوَاحِدَةٌ في الجنَّة وَسَبْعونَ في النَّار وافْتَرَقَت النصارى عَلَى ثنْتَيْن وسبعينَ فرقَةً فإحْدَى وسبعون في النَّار ووَاحدةٌ في الجنَّة ، والَّذي نَفْسي بيده لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتي على ثلاث وسَبعينَ فِرْقَة فواحدة في الجَنَّة واثنتان وسبعون في النَّار»** قيل: يا رسول الله، من تراهم ؟ قال : « **الجماعة** » .

تفرد به أيضًا وإسناده لا بأس به أيضًا وقال ابن ماجه أيضًا : حدثنا هشام هو ابن عامر حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو عمرو ، وحدثنا قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ[٣] : **« إنَّ بني إسرائيل افترقتْ على إحدى وسَبْعينَ فرقةً وإن أمتي ستفترق على اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ فرقةً كلها في النَّارِ إلا واحدةً وهي الجماعةُ»**.

وهذا إسناد جيد قوي على شرط الصحيح تفرد به ابن ماجه أيضًا.

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى بن فارس قالا: حدثنا أبو المغيرة ،حدثنا صفوان هو ابن عمرو ،حدثنا أزهر بن عبد الله الحراري قال أحمد عن أبي عامر الهوزني عن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال[٤]: ألا إن

---

(١) صحيح : أبو داود (٤٥٦٩) ، والترمذي (٢٦٤٠) ، وابن ماجه (٣٩٩١)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٢) .

(٢) صحيح : ابن ماجه (٣٩٩٢)

(٣) صحيح : ابن ماجه (٣٩٩٣).

(٤) صحيح : أبو داود (٤٥٩٧).

رسول الله ﷺ قام فينا وقال (١) : «**أَلاَ إِنَّ مَنْ كان قَبْلَكُمْ مِنْ أهل الكتاب افْتَرَقُوا**

---

(١) للاستفاضة، انظر كتاب «بشرى المشتاق بصحة حدث الافتراق» الشيخ سليم الهلالي (ص/٨ــ١٠) حيث قال:

أ ـ المراد بحديث الفرقة الناجية: إخبار الرسول ﷺ في جملة مستفيضة من أحاديثه: أن أهل الكتابين من قبلنا اختلفوا على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستختلف اتباعًا لسننهم في الافتراق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .

ب ـ هذا الحديث مستفيض، فقد ورد من حديث أبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس ابن مالك، وعوف بن مالك الأشجعي، وأبي أمامة الباهلي، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو ابن عوف المزني، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع .

وهذا الجمع الذي يستحيل تواطؤهم على الكذب يرقى بالحديث إلى حد التواتر، أو أن يجعله ـ على أقل تقدير ـ في رتبة الاحتجاج .

ت ـ أن كثيرًا من هذه الأحاديث أسانيدها نظيفة؛ كحديث أبي هريرة، ومعاوية، وعوف بن مالك، وأبي أمامة وغيرهم .

ث ـ وعلى فرض أن أسانيد هذه الأحاديث في مفرداتها ضعف، فلا يشك من له أدنى خبرة بالصناعة الحديثية أن ضعفها ليس شديدا ،وهي بذلك ترتقي إلى درجة الصحة والثبوت، والاحتجاج.

جـ أن أئمة الصنعة الحديثية حكموا على حديث الفرقة الناجية بالثبوت ولم يختلفوا في تصحيحه، ودونك سرد بأسمائهم ومواطن قولهم.

أولا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي(٢٦٤٠): « حديث حسن صحيح ».

وقال الحاكم (١/ ١٢٨): « صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

ثانيًا : حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

قال الحاكم(١/ ١٢٨): « هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث»، ووافقه الذهبي .

قال الحافظ ابن حجر في « تخريج أحاديث الكشاف» ، ص (٦٣): «حسن» .

ثالثًا :قال شيخ الإسلام في« مجموع الفتاوى » (٣/ ٣٤٥)): « الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ».

رابعًا: قال الشاطبي في « الاعتصام» (٢/ ١٨٦): « صح من حديث أبي هريرة ».

خامسًا: قال الحافظ ابن كثير في « تفسيره» (٢/ ٤٨٢): « كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضًا: أن اليهود افترقت. . . » الحديث .

وقال (٤/ ٥٧٤): «كما جاء في الحديث المروي من طرق».

سادسًا : وممن نص على ثبوته عبد القاهر البغدادي في« الفرق بين الفرق» ص(٧) فقال: «للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة » .

سابعًا: محدث العصر شيخنا الإمام الألباني في « الصحيحة » (٢٠٤ ، ٢٠٥) عقد بحثًا =

على اثْنَتَيْن وسبعين ملَّة ، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النَّارِ وواحدةٌ في الجنة وهي الجَماعة» .

تفرد به أبو داود وإسناده حسن ، وفي مستدرك الحاكم أنهم لما سألوه عن الفرقة الناجية من هم ؟ قال: « **ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» وقد تقدم في حديث حذيفة أن المخلص من الفتن عند وقوعها اتباع الجماعة ولزوم الإمام بالطاعة.

= حديثيًا نفيسًا وفند شبهات المخالفين .

كل هؤلاء الأعلام الفحول جزموا بصحة الحديث وثبوته، خلافاً لبعض المعاصرين الذين تكلموا في غير فنهم ؛فأتوا بالعجائب.

ويمكن الجزم بتلقي أئمة الحديث لهذا الحديث بالقبول بطريقتين :

الأولى : كثرة أصحاب السنن ، والمسانيد ،والمعاجم،وكتب التراجم، والعقائد الذين رووه دون إنكار لمتنه.

الثانية: كثرة الكتب التي صنفت في« الملل والنحل»، مثل: « الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي ، و« الفصل في الأهواء والملل والنحل» لابن حزم،و«مقالات الإسلاميين » لأبي الحسن الأشعري وغيرهم .

٢ـ قوله: « وهو في حالة ثبوته لا يعد أصلاً من أصول الدين ».

ب ـ أن المناورة السياسية لا تصلح للقضايا العلمية؛ فالعلم فضاح، ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور، ومن ادعى ما ليس فيه كشفته شواهد الامتحان .

ت ـ قوله « لا يعد أصلا من أصول الدين ».

أولا: هذه دعوى عريضة ليس لها حد يبين ما الأصل وما الفرع وما الفرق بينهما ؟!

ثانيًا : أن الحديث ورد ناهيًا محذرًا عن اتباع سنن اليهود والنصارى في الاختلاف والافتراق. . . ألا يعد ذلك أصلا من أصول الدين ؟!. . . أليس جمع الكلمة وتوحيد الأمة من مقاصد بعث الله ـ تبارك وتعالى ـ المرسلين، والله يقول: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾ [الأنبياء]،وقوله: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)﴾[المؤمنون]، ويقول ـ جل وعلا ﴿ **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا** ﴾ **وفي قراءة :(فارقوا)** ﴿ **دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)**﴾[الروم] .

ثالثًا : إن هذا الحديث يتكلم عن منهج الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والجماعة المحفوظة التي لا يضرها من كذبها، ولا من خالفها، ولا من خذلها، ولا من ناوأها ، وهي أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح ـ بإجماع علماء الإسلام ـ؛ أليست مسألة المنهج هذه إذن من أصول الدين ؟

رابعًا : يشير بقوله هذا إلى بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب ، وهي باطلة وعاطلة؛ كما بسطت ذلك في كتاب « دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب» .

بقاء طائفة من الأمة على الحق حتى تقوم الساعة

قال ﷺ: «**لا تَزَال طائفةٌ منْ أُمَّـتي ظَاهِرين على الحق لا يَضرّهُـمْ من خَذَلَهُمْ ولا من خالفهم حَتى يأتِي أمرُ الله وهم كذلك**».

وفي صحيح البخاري: « وهم على ذلك[1]» .

* * *

(١) صحيح: البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١).

رفع العلم وظهور الجهل

عن أنس بن مالك قال[1] : ألا أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم به أحد يعدي ؟

سمعت منه : «أن منْ أَشْرَاط الساعة أن يُرفعَ العلمُ ويَظْهَرَ الجهلُ ويَفْشُوَ الزنا وتُشْرَبَ الخَمْرُ ويَذْهَبَ الرجالُ وتَبْقَى النسَاءُ حَتى يكونَ لخمسين امرأة قَيِّمٌ واحِدٌ».

* * *

(١) صحيح : البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١) وغيرهما.

رفع العلم ونزول الجهل وكثرة الهرج

وعن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ[١]: «**يكون بين يدي الساعة أيام، يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل**».

وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به.

وقال ابن ماجه: حدثنا أبو معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعى بن خراش، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ[٢]: «**يَدْرُس الإسْلاَمُ كما يَدْرُسُ وَشَى الثوبِ[٣] حَتَّى مَا يُدْرَى صِيَام ولاَ صَلاة ولا نُسُكٌ ولا صَدَقَةٌ ويَسْري النسيان على الكِتَابِ في لَيْلَة فَلاَ يَبْقَى فـي الأرض منْه آيةٌ وتبقَى طَوَائفُ من النَّاسِ الشيخُ الكبيرُ والعَجوز يقولون: أَدْرَكْنَا أَبَانَا على هَذه الكلمة: لا إلهَ إلا الله فنحن نقولها**»، فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يَدْرُون مَا صَلاةٌ ولا صِيَامٌ ولا نُسُكٌ ولا صَدَقَةٌ فَأَعَرَضَ عنه حذُيفَةُ فرَدَّدها عليه ثلاثًا كلُّ ذلك يُعْرِض عنه حذيفةُ ثم أقْبَلَ عليه في الثالثة فقال: «**ياصلةُ تُنْجِيْهم من النارِ**» ثلاثًا.

وهذا دال على أن العلم قد يرفع من الناس في آخر الزمان حتى إن القرآن يسرى عليه النسيان في المصاحف والصدور ويبقى الناس بلا علم، وإنما الشيخ الكبير والعجوز المسن يخبران بأنهم أدركوا الناس وهم يقولون لا إله إلا الله فهم يقولونها على وجه التقرب إلى الله عز وجل فهي نافعة لهم وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح والعلم النافعَ غيرها، وقوله: «**تنجيهم من النار**» يحتمل أن يكون المراد أنها تدفع عنهم دخول النار بالكلية ويكون فرضهم القول المجرد لعدم تكليفهم بالأفعال التي لم يخاطبوا بها والله تعالى أعلم.

---

(١) صحيح: البخاري (٧٠٦٣)، ومسلم (٢٦٧٢)، وغيرهما.

(٢) صحيح: ابن ماجه (٤٠٤٩).

(٣) يسقط ويضيع نقش الثوب.

ويحتمل أن يكون المعنى أنها تنجيهم من النار بعد دخولها وعلى هذا فيحتمل أن يكونوا من المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي:

«وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال يومًا من الدهر لا إله إلا الله»، كما سيأتي بيانه في مقامات الشفاعة ،ويحتمل أن يكون أولئك قومًا آخرين، والله أعلم.

والمقصود [1]: أن العلم يرفع في آخر الزمان ويكثر الجهل وفي هذا الحديث إخبار بأنه ينزل الجهل أي يلهم أهل ذلك الزمان الجهل،وذلك من الخذلان نعوذ بالله منه، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة إلى أن تنتهي الحياة الدنيا كما جاء في الحديث ما أخبر به الصادق المصدوق في قوله: **«لا تَقُومَ السَّاعةُ عَلَى أَحَدٍ يقُولُ الله الله وَلاَ تَقُومُ إلاَّ على شِرارِ الناسِ»**.

* * *

(١) المرجع السابق (ص / ٢٣ ـ ٢٤).

ويلٌ للعرب من شَرٍّ قد اقترب

عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم حبيبة ، عن زينب بنت جحش أنها قالت[١] : استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًا وجهه وهو يقول: « **لا إله إلا الله ويْل للعرب من شرٍّ قد اقترب فُتِحَ اليومَ من ردم يأجوجَ ومأجوجَ مِثْل هذه وعقد تسعين أو مائة**» .

قيل : أو نَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: « **نَعَمَ إذا كثر الخَبَث** » .

وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب، حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[٢] : « **فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وعقد وهيب به تسعين .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت[٣] : استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فزعًا يقول : «**سبحانَ الله وماذا أُنْزِل الليلةَ من الخزائن ؟ وماذا أنزل الله من الفتن ؟ من يوقظ صواحِب الحجراتِ لِكَيْ يُصَلِّينَ ؟ رُب كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة** » .

* * *

---

(١) صحيح : البخاري (٧٠٥٩) ، ومسلم (٢٨٨٠).
(٢) صحيح : البخاري (٤١٣٦).
(٣) صحيح : البخاري (١١٢٦).

تقارب الزمان وظهور الفتن

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[١]: «**يتـقـارب الزمان وينقـص العلم ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج**».

قالوا : يا رسول الله أيما هو؟

قال : «**القتل القتل**».

* * *

(١) صحيح : البخاري (٧٠٦١).

لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شَرٌّ منه

عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال [1]: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم ﷺ.

* * *

(١) صحيح: البخاري (٧٠٦٨).

فتن من يشرف لها تستشرفه

وروي البخاري، ومسلم من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذا فليعذ به**»[١].

* * *

(١) صحيح: البخاري (٣٦٠٢)، ومسلم (٢٨٨٦).

أشد الناس بلاء

عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري **قال** : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حرهُ بين يدي فوق اللحاف فقلت[١] : يا رسول الله ما أشدها عليك قال: «**إنا كذلك يضعَّف لنا البلاء ويضعَّف لنا الأجر**».

قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال: «**الأنبياء**» قلت: يا رسول الله! ثم من؟

قال: «**ثم الصالحون إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدهم بالرخاء**».

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال[٢] : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**» .

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال[٣] : «**إن الله عز وجل ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافونه عليه**».

وبهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع**».

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٢٤) ،والحاكم (٤ / ٣٠٧) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨) ، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١ / ١٧٤)، (١ / ١٨، ١ / ١٨٥).

(٣) رواه أحمد (٥ / ٤٢٧ ، ٥ / ٤٢٨، ٥ / ٤٢٩).

الفتن التي تموج موج البحر[١]

الفتن التي تموج موج البحر ؛ أي : تضر وتدفع بعضها بعضًا ، وشُبّهت بـ (موج البحر)[٢]؛ لشدّة عظمها ،وكثرة شيوعها ،وهذا النوع يشتدّ بمضيّ الزمان،

---

(١) انظر: « العراق في أحاديث وآثار الفتن » للشيخ الحبيب مشهور بن حسن آل سلمان (١/ ٤٨ ـ ٥١). بالهوامش .

(٢) الفتن تظهر على هيئة أمواج ،وهذه الأمواج منها القصير ومنها الطويل، وكله يعصف، ومصداقه ما أخرجه مسلم (٢٨٩١) بسنده إلى حذيفة ، قال: قال رسول الله ﷺ وهو يعدّ الفتن: « منهن ثلاث لايكدن يذرن شيئًا ، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار» ولعل الثلاثة المذكورات موزعات في أوقات مختلفات ،و(رياح الصيف) ويريد فيها بعض الشدة،وإنما خص رياح الصيف، لأنّ رياح الشتاء أقوى» قاله ابن الأثير في «جامع الأصول » (١٠/ ٢٩) .

وشبهها برياح الصيف «لتفاوت زمنها ،وسرعة مجيئها وذهابها، وكذلك التفاوت في الشدة ، والآثار التي تحدثها ،والله أعلم »، كذا في « الفتن والآثار والسنن » (ص ٥٤ ـ ٥٥) والفتن التي تموج موج البحر) هي اللاتي « لا يكدن لا يذرن شيئا» ، وهن (الفتن العامة) الواردة في جملة من الآثار ـ وستأتي ـ ويمتاز هذا النوع بأن شرها يصل إلى جميع الناس ، وتصديهم كالأنعام وورد ذلك في أحاديث سيأتي بعضها ـ أيضًا ـ .

ومن هذا النوع : الفتن التي تدخل بيت كل مسلم ، قيل فيها: هي واقعة التتار ،الآتي وصفها (ص ٣٦٩ وما بعد) ، إذ لم يقع في الإسلام ،ولا في غيره مثلها! كذا في « فيض القدير » (٤/ ٩٥) .

قلت: واقعة التتر مفردة من مفرداتها ، وإلا فهي كثيرة، وقد تدخل الفتن الخاصة ببلدة معينة صغيرة ،تخص فئة ،أو عامة تشمل الناس جميعاً .

والفتن العامة، عاصفة،تموج وتضطرب، كما يموج البحر ويضطرب عند هيجانه ،ويدفع بعضه بعضًا ،ولا يمكن لأحد الوقوف أمامها ، وقد لا ينجو منها إلا من اعتزلها، ولذا وصفت في بعض الآثار الآتية بأنها (صماء عمياء مطبقة) ، ذلك أن هذا النوع من(الفتن) إن وقع تكون له (ظلل) ، ولذا جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧) ، والطيالسي (١٢٩٠)، والحميدي (٥٧٤) في «مسانيدهم» ، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٣) ، وعبد الرزاق (٢٠٧٤٧)، وابن أبي عاصم في « الكبير » (١٩/زقم ٤٤٢ ـ ٤٤٦) ، وابن قانع في « معجم الصحابة » (١٢/رقم ١٦٢٨ ـ ١٦٣٢ ـ ط. الباز) ، وابن حبان (٥٩٥٦)، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٣٤ ، ٤/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، والبيهقي في « الأسماء =

ويظهر للعـيان، ويهيّج من بعض البلدان ، وفق سنن لـلرحمن ،وتكون تارة على هيئة عـواصف وكوارث وزلازل وبراكين ، تصيب الطالحين وتمتـد عند الكثرة إلى الصالحين وتكون عذاباً وعقوبة لجماعة، ورحمة وخيرًا ورفعة لآخرين.

«وفي تشبـيهـه ﷺ الفتن بأنها تموج كـموج البـحر إشارة واضـحة إلى قـوتها وشدتها، ثم إلى تتابعها، وإلى أنه لا يمكن لأحد الوقوف أمامها؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يقف أمام موج البـحر، وأن الناس أمام هذه الفتن ستضطرب حركـتهم، ويختل توازنهم، وتضيق صدورهم، وينقطع نفسهم، وهذه حال من يصارع الموج.

وإذا علمنا أن أمواج البحر تتكاثر وتتعـاظم ، مع شدة الريح وانتشار السحاب؛

= والصفات » (ص١٥٢)، وابن عـبد البر في « التمهيد» (١٠/ ١٧٢) ، والـبغوي في« شرح السنة » (٤٢٣٥) ، وأبو نعيـم في مـعـرفـة الصـحـابة » (٥/ ٢٤٠٩ ـ ٢٤١٠ رقم ٥٨٩٥ و٥٨٩٦) عن كرز بن علقمة ــ رضي الله عنه قـال: قال رجل يا رسول الله هل الإسلام من منتهى؟ قال:« أيما أهل بيت وقال في مـوضع آخر: قال: نعم، أيما أهل بيت ـ من العرب أو العجم، أراد الله بهم خيرًا، أدخل عليهم الإسـلام». قال: ثم مه؟ قال: «ثم تقع الفتن كأنها الظلل»، قال: كلا، والله إن شاء الله. قال: «بلى، والذي نفسي بيـده ثم تعودون فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض، فخير الناس يومـئذ. مؤمن معتزل في شعب من الشعاب، يتقي الله ، ويذر الناس من شره»، وهو صحيح، كماً في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٥١).

ففي هذا الحـديث فائدة مـهمـة، وهي أن الفتن تقع وكأنهـا (الظلل) وهي السحـاب، تحيط بالناس من كل جهـة، وأن الناس سيضرب بعضـهـم رقاب بعض، كما تنصب وتـرتفع الحية السوداء على الملدوغ فـتلدغه، وهذا تفسـير سفـيان عند أحمـد، وكذا شيـخه الزهري، عند الحميدي والبيهقي وابن عبد البر.

فالفتن لها ظلل تنال من دين الخائض فـيها، ولاسيما وهي (سوداء) و(عميـاء) و(مطبقة) لا يظهر لها قـبل من دبر، ولا ظهر من وجه، وكأنهـا حيات مـصبوبة على الناس من السمـاء (وأساود: حيات، جمع أسود، إذا أرادت أن تنهش ارتفعت هكذا، ثم انصبت ،وقال القرطبي في «التذكرة» (٦٢٥) نقلاً عن ابن دحـية: «وهو الذي يميل ويلتوي وقت النهش، لـيكون أنكى في اللدغ وأشد صبًا للسم»، وشبهت بهـا الفتن لشدة سوادها وكثرتها، وعظم شأنها، وأنها يتبع بـعضها بعضاً، فهي متراكمة كالظلل، وأكثر ما يظهر ذلك عند تقاتل المسلمين، وسفك بعضهم دماء بعض، كما حـصل في سلسلة الحروب التـي ظهرت في (العـراق)، وانقسم المسـلمون على إثرها إلى مـؤيد ومعارض، وخيمت الفتنة فترة من الزمن، وظهـرت شجاعة المسلمين على بعضهم البعض، وهم أذلاء جبناء مع عدوهم ، فإلى الله المشتكى ، ولا قوة إلا بالله العظيم!

فإن لنا أن نتصور جو الفتن بأنه جو مظلم، فالذي يشاهد موج البحر العاتي فتبدو أمامه زرقة البحر مع ظلمة السحاب وكثرته، مع شدة هبوب الرياح وقوتها، فكذلك الذي يواجه هذه الفتن، تحيط به الظلمات والأعاصير، فهو مهموم مغموم ظاهرًا وباطنًا، وللموج صوت ما عداها، وإنما تطبق عليه، فهي كالصاخة، فيظل الواقف فيها حيرانًا خائفًا قلقًا، يتطلع إلى الأمان ولا يجده، وهل ينجو من البحر وشدة موجه إلا من بعد عنه، وهذا مصداق قوله ﷺ: « فخير الناس يومئذ: مؤمن معتزل في شعب من الشعاب، يتقي الله، ويذر الناس من شره» (١).

والناس حين يواجهون أمواج البحر مجتمعين ،في أية حالة من حالاته، فإنه يسمع لهم صراخ وعويل وتهارش وتخاصم، لا يسمع الواحد منهم الآخر، وكل يريد أن ينجو بنفسه، وقد يغرق الواحد منهم غيره لينجو هو» (٢).

«ولعل هذا ما كنى به الحديث من شدة المخاصمة وكثرة المنازعة، وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة» (٣).

والجامع لجميع مجريات الفتنة وأحداثها: البلاء والنكران في حق من تابع السلف الصالحين في العلم والتصور والعمل، ومن حقهم فهمهم، وأشغل قلبه، ووحد همه على نهجهم (٤).

وكان هذان النوعان قائمين في فهم الصحابة، فهم رضوان عليهم يفرقون بينهما، ولذا لما ذكر حذيفة النوع الأول، بيّن عمر أنه لا يسأل عن هذا النوع، وإنما يريد النوع الثاني، والله الهادي.

---

(١)سيأتي تخريجه، وفي الباب أحاديث كثيرة، خرجت بعضًا منها في تعليقي على «العزلة والانفراد» (رقم ١٥، ١٦، ١٧، ١٨).

(٢)«موقف المسلم من الفتن» (ص ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٣)«فتح الباري» (٦/ ٧٠١).

(٤)أشار النووي في «شرحه على صحيح مسلم » (٢/ ١٧١) إلى قول حذيفة «فأسكت القوم» بسبب أنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة، وإنما حفظوا النوع الأول. وورد في حديث عبد الله بن عمرو الطويل: « وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها»، وسيأتي ذكره وتخريجه وبيان فوائده، والحمد لله على آلائه ونعمائه.

مقتل الخليفة عمر بن الخطاب (١)

عن عمرو بن ميمون، قال: إني لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفّين قال: استووا حتى إذا لم ير فيهن خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الْكَلْبُ، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمرّ على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنسا فلما ظنَّ العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عمر بيد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة، قال :الصَّنَعُ ؟ قال: نعم.قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفا ، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الإسلام قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال : إن شئت فعلت ، أي: قتلناهم، قال : كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم.

فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ ، فقائل يقول: لا بأس وقائل يقول: أخاف عليه ،فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه ،وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك

(١) انظر «صفة الصفوة» (١/ ١١٧ ـ ١٣٠) تحقيق أبي عمرو الأثري ط دار الغديد الجديد.

من صحبـة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد عـلمت ثم وليت فعدلت ،ثم شهادة. قال : وددت أن ذلك كفاف لا لي ولا علي .

فلمـا أدبر إذا إزاره يمس الأرض قـال : ردوا علي الغـلام قـال : يابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك ، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين فحسبـوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه ، قـال: إن وفاه مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فسل في بني عدي بـن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعـدهم إلى غيـرهم، فأد عني هذا المال انطلق إلى عـائشة أم المؤمنين فقل : يقرأ عليك عـمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فـإني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فمضى فسلم واستأذن ثم دخل عليهـا فوجدها قاعدة تبكي فـقال: يقرأ عليك عمـر بن الخطاب السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه به اليوم على نفسي.

فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمـر قد جاء قال : ارفعوني فأسنده رجل إليه ، فقال: ما لديك ؟ قال : الذي تحب يـا أمير المؤمنين أذنت ، قال : الحمد لله مـا كان شيء أهم إلي من ذلك فـإذا أنا قبـضت فاحـملوني ثم سلم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فـإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حـفصة والنساء يسـرن مـعها فلما رأيناها قـمنا فولجت عليه فبـكت عنده ساعة واستأذن الرجـال فولجت داخلا لهم فسـمعنا بكاءها من الداخل فلما قبض خرجـنا به فانطلقنا به فسلم عبد الله بن عمـر وقال: يستأذن عـمر قـالت: أدخلوه فـأدخل فوضع هنالـك مع صاحـبيـه . انفـرد بإخراجـه البخاري[١].

---

(١) خبر صحيح: أخرجه البخارى (٣٧٠٠) .

وعن عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهدا بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له: ضع خدي بالأرض قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء؟ قال: ضع خدي بالأرض لا أم لك في الثانية أو الثالثة، وسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم تغفر لي حتى فاضت نفسه(١).

قال سعد بن أبي وقاص: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صبيحة هلال المحرم(٢). قال معاوية: كان عمر ابن ثلاث وستين.

وعن الشعبي أن أبا بكر قبض وهو ابن ثلاث وستين، وإن عمر قبض وهو ابن ثلاث وستين(٣).

وعن سالم بن عبد الله أن عمر قبض وهو ابن خمس وستين(٤) وقال ابن عباس: كان عمر ابن ست وستين، وقال قتادة: ابن إحدى وستين، وصلى عليه صهيب(٥)، وقال سليمان بن يسار: ناحت الجن على عمر رضي الله عنه.

عليك سلام من أمير وباركت   يد الله في ذاك الأديم الممزق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها   بوائق في أكمامها لم تفتق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة   ليدرك ما قدمت الأمس يسبق
أبعد قتيل بالمدينة أظلمت   له الأرض تهتز العضاه بأسوق(٦)

---

(١) خبر صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ٩١٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (١٠ / ٩٧).
(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣ / ٣٦٥) فقد أخرجه بإسناد ضعيف جدا فيه الواقدى وقد تقدم الكلام عليه.
(٣) صحيح: أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (٣ / ٢٠٢) والطبرى (٣ / ٤٢٠).
(٤) سالم لم يدرك الفاروق ﷺ، وقد أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى له (٢ / ٣١٨) بإسناد معلق.
(٥) خبر صحيح: أخرجه ابن سعد (٣ / ٣٦٧، ٣٦٨).
(٦) خبر صحيح: أخرجه ابن سعد (٣ / ٣٣٣) وابن أبى شيبة (٣ / ٨٧٣، ٨٧٦) وابن أبى الدنيا فى الهواتف (١٦١).

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما غسل عمر وكفن وحمل على سريره وقف عليه علي عليه السلام فقال: والله ما على الأرض رجل أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى بالثوب[١].

وعن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال: كان العباس خليلا لعمر، فلما أصيب عمر جعل يدعو الله أن يريه عمر في المنام قال: فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه قال: ما فعلت؟ قال: هذا أوان فرغت إن كاد عرشي ليهد لولا أني لقيت رؤوفا رحيما[٢].

قال الشيخ رضي الله عنه: أخبار عمر رضي الله عنه من أولى ما استكثر منه، وإنما اقتصرت هاهنا على ما ذكرت منها؛ لأني قد وضعت لمناقبه وأخباره كتابا كبيرا يجمعها فمن أراد استيعاب أخباره فلينظر في ذلك والسلام.

* * *

---

(١) خبر صحيح: أخرجه ابن سعد (٣ / ٣٧٠) وأحمد (١ / ١٠٩) والحاكم في المستدرك (٣ / ٩٤).

(٢) عبد الله بن عبيد الله لم يدرك زمن جده ﷺ. والخبر أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ٣٣٠).

النبي ﷺ يبشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه

وعن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت[1] : لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا.

قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه هاهنا فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت : لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت : من هذا ؟

فقال : أبو بكر فقلت : على رسلك ، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال: « **ائذن له وبشره بالجنة**» فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : إن يرد الله بفلان خيرًا ـ يريد أخاه ـ يأت به فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت : من هذا ؟

فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت: على رسلك ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فجئت فقلت : ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا ؟

فقال: عثمان بن عفان ، فقلت: على رسلك فجئت إلى رسول الله ﷺ

---

[1] رواه البخاري (٣٦٧٤).

فأخبرته فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**» فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر.

قال شريك بن عبد الله: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم.

* * *

مقتل عثمان (١)

قيل: وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدي، مر به عثمان وهو في نادي قومه وبيده جامعة، فسلم فرد القوم، فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا؟ ثم قال لعثمان: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة: مروان وابن عامر وابن سعد، منهم من نزل القرآن بذمه وأباح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دمه. فاجترأ الناس عليه، وقد تقدم قول عمرو بن العاص له في خطبته.

قيل: وخطب يوما وبيده عصا كان النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر يخطبون عليها، فأخذه جهجاه الغفاري من يده وكسرها على ركبته اليمنى فرمي في ذلك المكان بأكلة.

وقيل: كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمد، صلى الله عليه وسلم، قد أفسده خليفتكم فأقيموه. فاختلفت قلوب الناس على ما تقدم ذكره، وجاء المصريون، كما ذكرنا، إلى المدينة، فخرج إليهم علي ومحمد بن مسلمة، كما تقدم، فكلماهم فعادوا ثم رجعوا، فلما رجعوا انطلق إليهم محمد بن مسلمة فسألهم عن سبب عودهم، فأخرجوا صحيفة في أنبوبة رصاص وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من إبل الصدقة، ففتشنا متاعه فوجدنا فيه هذه الصحيفة يأمر فيها بجلد عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وعروة بن البياع وحبسهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وصلب بعضهم. وقيل: إن الذي أخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي، فلما رأوه سألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال: لا، فسألوه في أي شيء هو، فتغير كلامه، فأنكروه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا وعاد الكوفيون والبصريون، فلما عاد أهل مصر أخبروا بذلك محمد بن مسلمة وقالوا له: قد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه، وكلمنا سعد بن

(١) المصدر من الأصل.

أبي وقاص وسعيد بن زيد فقالا: لا ندخل في أمركم. وقالوا لمحمد ابن مسلمة ليحضر مع علي عند عثمان بعد الظهر، فوعدهم بذلك، فدخل علي ومحمد بن مسلمة على عثمان فاستأذنا للمصريين عليه، وعنده مروان، فقال: دعني أكلمهم. فقال عثمان: اسكت فض الله فاك! ما أنت وهذا الأمر؟ اخرج عني! فخرج مروان: وقال علي ومحمد لعثمان ما قال المصريون، فأقسم بالله: ما كتبته ولا علم لي به. فقال محمد: صدق، هذا من عمل مروان.

ودخل عليه المصريون فلم يسلموا عليه بالخلافة، فعرفوا الشر فيهم، وتكلموا فذكر ابن عديس ما فعل عبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذمة والاستئثار في الغنائم، فإذا قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين. وذكروا شيئا مما أحدث بالمدينة، وقالوا له: وخرجنا من مصر ونحن نريد قتلك فردنا علي ومحمد ابن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ما تكلمنا فيه، فرجعنا إلى بلادنا فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك تأمر عبد الله بجلدنا والمثلة بنا وطول الحبس (١).

---

(١) معلومة غالية في النصيحة وتغيير المنكر
في رواية مسلم: قيل له ـ لأسامة ـ: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟!!
والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتح، ولا أقول لأحد يكون على أميرًا إنه خير الناس بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها . . . » الحديث.
قال الحافظ في «الفتح»: قال المهلب: أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان وكان من خاصته وممن يخف عليه في شأن الوليد بن عقبة لأنه كان ظهر عليه ريح نبيذ وشهر أمره وكان أخا عثمان لأمه، وكان يستعمله فقال أسامة: قد كلمته سرًا دون أن أفتح بابًا ، أي باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة ثم عرفهم أنه لا يداهن أحدًا ولو كان أميرًا بل ينصح له في السر جهده، وذكر لهم قصة الرجل الذي يطرح في النار لكونه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله ليتبرأ مما ظنوا به من سكوته عن عثمان في أخيه. انتهى ملخصًا.
وجزمه بأن مراد من سأل أسامة الكلام مع عثمان أن يكلمه في شأن الوليد ما عرفت مستنده فيه وسياق مسلم من طريق جدير عن الأعمش يدفعه. =

فحلف عثمان أنه ما كتب ولا أمر ولا علم، فقال علي ومحمد: صدق

= قلت: لفظه : كنا عند أسامة بن زيد، فقال رجل: ما يمنعك أن تدخل على عثمان فتكلمه فيما يصنع؟ . وهذا ليس صريحًا في دفعه كما قال الحافظ ، فلو قال قائل: إن قوله فيما يصنع أي فيما يصنع من توليته أخاه ما بَعُدَ عن الصواب) وجزم الكرماني بأن المراد أن يكلمه فيما أنكره الناس على عثمان من تولية أقاربه وغير ذلك مما اشتهر، وقوله: إن السبب في تحديث أسامة بذلك ليتبرأ مما ظنوه به ليس بواضح، بل الذي يظهر أن أسامة كان يخشى على من ولي ولاية ولو صغرت أنه لابد من أن يأمر الرعية بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم لا يأمن من أن يقع منه تقصير، فكان أسامة يرى أنه لا يتأمر على أحد، وإلى ذلك أشار بقوله: «لا أقول للأمير إنه خير الناس» أي بل غايته أن ينجو كفافًا .

وقال عياض: مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالتكبر على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك بل يتلطف به وينصحه سرًا فذلك أجدر بالقبول، وقوله: «لا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا إنه خير الناس» فيه ذم مداهنة الأمراء في الحق وإظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل فأشار أسامة إلى المداراة المحمودة والمداهنة المذمومة .

وضابط المداراة ألا يكون فيها قدح في الدين،والمداهنة المذمومة أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك .

وقال الطبري : اختلف السلف في الأمر بالمعروف فقالت طائفة : يجب مطلقًا واحتجوا بحديث طارق بن شهاب رفعه:« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وبعموم قوله: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده » الحديث، وقال بعضهم : يجب إنكار المنكر لكنه شرطه ألا يلحق به بلاء لا قبل له به من قتل ونحوه، وقال آخرون: ينكر بقلبه لحديث أم سلمة مرفوعًا : «يستعمل عليكم أمراء بعدي فمن كره برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» الحديث.

قال: والصواب اعتبار الشرط المذكور ويدل عليه حديث :«لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه» ثم فسره بأن يتعرض من البلاء لما لا يطيق انتهى ملخصًا .

وقال غيره : يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه ولم يخف على نفسه منه ضررًا ولو كان الآمر متلبسًا بالمعصية لأنه في الجملة يؤجر على الأمر بالمعروف ولا سيما إن كان مطاعًا ، وأما إثمه الخاص به فقد يغفره الله له وقد يؤاخذه به، وأما من قال: لا يأمر بالمعروف إلا من ليست فيه وصمة فإن أراد أنه الأولى فجيد وإلا فيستلزم سد باب الأمر إذا لم يكن هناك غيره.

ثم قال الطبري : فإن قيل :كيف صار المأمورون بالمعروف في حديث أسامة المذكور في النار؟ فالجواب: أنهم لم يمتثلوا ما أمروا به فعذبوا بمعصيتهم وعذب أميرهم بكونه كان يفعل ما ينهاهم عنه،وفي الحديث تعظيم الأمراء والأدب معهم وتبليغهم ما يقول الناس فيهم ليكفوا ويأخذوا حذرهم بلطف وحسن تأدية بحيث يبلغ المقصود من غير أذية للغير.

عثمان. قال المصريون: فمن كتبه؟ قال: لا أدري. قالوا: فيجترأ عليك ويبعث غلامك وجملا من الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لا تعلم؟ قال: نعم. قالوا: ما أنت إلا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا بغير حق، وإن كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع نفسك لضعفك عن هذا الأمر وغفلتك وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك منه كما خلعك الله! فقال: لا أنزع قميصا ألبسنيه الله، ولكني أتوب وأنزع. قالوا: لو كان هذا أول ذنب تبت منه قبلنا، ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا منصرفين حتى نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله تعالى، وإن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك. فقال: أما إن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إلي من ذلك، وأما قولكم تقاتلون من منعني فإني لا آمر أحدا بقتالكم، فمن قاتلكم فبغير أمري قاتل، ولو أردت قتالكم لكتبت إلى الأجناد فقدموا علي أو لحقت ببعض أطرافي. وكثرت الأصوات واللغط.

فقام علي فخرج وأخرج المصريين ومضى علي إلى منزله، وحصر المصريون عثمان، وكتب إلى معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمرهم بالعجل وإرسال الجنود إليه. فتربص به معاوية، فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبد الله القسري فتبعه خلق كثير، فسار بهم إلى عثمان، فلما كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا. وقيل: بل سار من الشام حبيب بن مسلمة الفهري، وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي، فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم صرارا بناحية المدينة أتاهم قتل عثمان فرجعوا.

وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره، فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي يطلب إليه أن يردهم ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه إمداده. فقال: إنهم لا يقبلون التعلل، وقد كان مني في المرة الأولى ما كان. فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك، فإنهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم.

فدعا عليا فقال له: قد ترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمي، فارددهم عني فإني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي وغيري. فقال علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، ولا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم أولا عهدا فلم تف به فلا تغرني هذه المرة فإني معطيهم على الحق. فقال: أعطهم فوالله لأوفين. فخرج علي إلى الناس فقال لهم: أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق وقد أعطيتموه وقد زعم أنه منصفكم من نفسه. فقال الناس: قبلنا فاستوثق منه لنا فإنا لا نرضى بقول دون فعل. فدخل عليه علي فأعلمه فقال: اضرب بيني وبينهم أجلا فإني لا أقدر على أن أرد ما كرهوا في يوم واحد. فقال علي: أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم، فأجلني فيما في المدينة ثلاثة أيام، فأجابه إلى ذلك، وكتب بينهم كتابا على رد كل مظلمة وعزل كل عامل كرهوه.

فكف الناس عنه، فجعل يتأهل للقتال ويستعد بالسلاح واتخذ جندا، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئا ثار به الناس، وخرج عمرو بن حزم الأنصاري إلى المصريين فأعلمهم الحال، وهم بذي خشب، فقدموا المدينة وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم. فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن. فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالا سربلنيه الله، فحصروه واشتد الحصار عليه، فأرسل إلى علي وطلحة والزبير فحضروا، فأشرف عليهم فقال: يا أيها الناس اجلسوا. فجلسوا المحارب والمسالم. فقال لهم: يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم؟ أتقولون إن الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه؟ أم تقولون: هان على الله دينه فلم يبال من ولي الدين لم يتفرق أهله يومئذ؟ أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة إنما كان مكابرة فوكل الله الأمة إذا عصته ولم يشاوروا في الإمامة؟ أم تقولون: إن الله لم يعلم عاقبة أمري! وأنشدكم بالله أتعلمون لي من سابقة خير وقدم

خير قدمه الله لي ما يوجب على كل من جاء بعدي أن يعرفوا لي فضلها! فمهلا لا تقتلوني فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة: رجل زنى بعد إحصانه، أو كفر بعد إيمانه، أو قتل نفسا بغير حق، فإنكم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا.

قالوا: أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر ثم ولوك فإن كل ما صنع الله خيرة، ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عباده، وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد كنت كذلك وكنت أهلا للولاية، ولكن أحدثت ما علمته ولا نترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا، وأما قولك: إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة، فإنا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت، قتل من سعى في الأرض فسادا، وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه، وقتل من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه، وقد بغيت ومنعت وحلت دونه وكابرت عليه ولم تقد من نفسك من ظلمت، وقد تمسكت بالإمارة علينا، فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة، فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك! فسكت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن بن علي وابن عباس ومحمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم، واجتمع إليه ناس كثير، فكانت مدة الحصار أربعين يوما، فلما مضت ثماني عشرة ليلة قدم ركبان من الأمصار فأخبروا بخبر من تهيأ إليهم من الجنود وشجعوا الناس، فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شيء حتى الماء. فأرسل عثمان إلى علي سرا وإلى طلحة والزبير وأزواج النبي، صلى الله عليه وسلم، إنهم قد منعوني الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا. فكان أولهم إجابة علي، وأم حبيبة زوج النبي، صلى الله عليه وسلم، فجاء علي في الغلس فقال: يا أيها الناس إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة، فإن الروم وفارس لتأسر

فتطعم وتسقي! فقالوا: لا والله ولا نعمة عين! فرمى بعمامته في الدار بأني قد نهضت ورجعت، وجاءت أم حبيبة على بغلة لها مشتملة على إداوة فضربوا وجه بغلتها فقالت: إن وصايا بني أمية عند هذا الرجل، فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلك أموال الأيتام والأرامل. فقالوا: كاذبة، وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فنفرت وكادت تسقط عنها، فتلقاها الناس فأخذوها وذهبوا بها إلى بيتها، فأشرف عثمان يوما فسلم عليهم ثم قال: أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة بمالي ليستعذب بها فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين؟ قالوا: نعم. قال: فلم تمنعوني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟ ثم قال: أنشدكم بالله هل تعلمون أني اشتريت أرض كذا فزدتها في المسجد؟ قيل: نعم. قال: فهل علمتم أن أحدا منع أن يصلي فيه قبلي؟ ثم قال: أنشدكم بالله أتعلمون أن النبي، ﷺ، قال عني كذا وكذا؟ أشياء في شأنه. ففشا النهي في الناس يقولون: مهلا عن أمير المؤمنين. فقام الأشتر فقال: لعله مكر به وبكم. وخرجت عائشة إلى الحج واستتبعت أخاها محمدا فأبى، فقالت: والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن. فقال له حنظلة الكاتب: تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها وتتبع ذؤبان العرب إلى ما لا يحل؟ وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبك عليه بنو عبد مناف.

ثم رجع حنظلة إلى الكوفة وهو يقول:

عجبت لما يخوض الناس فيه ... يرومون الخلافة أن تزولا

ولو زالت لزال الخير عنهم ... ولاقوا بعدها ذلا ذليلا

وكانوا كاليهود وكالنصارى ... سواء كلهم ضلوا السبيلا

وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات. فأشرف عثمان على الناس فاستدعى ابن عباس فأمره أن يحج بالناس، وكان ممن لزم الباب، فقال: جهاد هؤلاء أحب إلي من الحج.

فأقسم عليه فانطلق.

قال عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة: دخلت على عثمان فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على بابه، فمنهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع. قال: فبينما نحن واقفون إذ مر طلحة فقال: أين ابن عديس؟ فقام إليه فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده. فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة، اللهم اكفني طلحة فإنه حمل علي هؤلاء وألبهم علي! والله إني لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه! قال: فأردت أن أخرج فمنعوني حتى أمرهم محمد ابن أبي بكر فتركوني أخرج. وقيل: إن الزبير خرج من المدينة قبل أن يقتل عثمان، وقيل: أدرك قتله.

ولما رأى المصريون أن أهل الموسم يريدون قصدهم وأن يجمعوا ذلك إلى حجهم مع ما بلغهم من مسير أهل الأمصار قالوا: لا يخرجنا من هذا الأمر الذي وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل الناس عنا بذلك. فراموا الباب فمنعهم الحسن وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة واجتلدوا، فزجرهم عثمان وقال: أنتم في حل من نصرتي، فأبوا، ففتح الباب لمنعهم، فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلن فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين، فقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض، وكان من الصحابة، فنادى عثمان، فبينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلت الكندي بسهم فقتله.

فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتله لنقتله به. قال: لم أكن لأقتل رجلا نصرني وأنتم تريدون قتلي. فلما رأوا ذلك ثاروا إلى الباب، فلم يمنعهم أحد منه، والباب مغلق لا يقدرون على الدخول منه، فجاؤوا بنار فأحرقوه والسقيفة التي على الباب، وثار أهل الدار، وعثمان يصلي قد افتتح ﴿طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ فما شغله ما سمع، ما يخطىء وما يتتعتع، حتى أتى عليها، فلما

فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فيه، وقرأ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١) ، فقال لمن عنده بالدار: إن رسول الله ﷺ ، قد عهد إلي عهدا فأنا صابر عليه، ولم يحرقوا الباب إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه، فأحرج على رجل أن يستقتل أو يقاتل، وقال للحسن: إن أباك الآن لفي أمر عظيم من أمرك فأقسمت عليك لما خرجت إليه. فتقدموا فقاتلوا ولم يسمعوا قوله، فبرز المغيرة بن الأخنس بن شريق، وكان قد تعجل من الحج، في عصابة لينصروا عثمان وهو معه في الدار، وارتجز يقول:

قد علمت ذات القرون الميل والحلي والأنامل الطفول

لتصدقن بيعتي خليلي بصارم ذي رونق مصقول

لا أستقيل إذ أقلت قيلي

وخرج الحسن بن علي وهو يقول:

لا دينهم ديني ولا أنا منهم حتى أسير إلى طمار شمام

وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:

أنا ابن من حامى عليه بأحد ورد أحزابا على رغم معد

وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:

صبرنا غداة الدار والموت واقف بأسيافنا دون ابن أروى نضارب

وكنا غداة الروع في الدار نصرة نشافههم بالضرب والموت نائب

وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير فكان يحدث عن عثمان بآخر ما كان عليه، وأقبل أبو هريرة والناس محجمون فقال: هذا يوم طاب فيه الضرب! ونادى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾(٢) ، وبرز مروان وهو يقول:

---

(١) آل عمران: (١٧٢).

(٢) غافر: (٤١).

قد علمت ذات القرون الميل والكف والأنامل الطفول

أني أروع أول الرعيل بغارة مثل القطا الشليل

فبرز إليه رجل من بني ليث يدعى النباع، فضربه مروان وضرب هو مروان على رقبته فأثبته وقطع إحدى علباويه، فعاش مروان بعد ذلك أوقص، وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقي ليدفف عليه، فقامت فاطمة أم إبراهيم بن عدي، وكانت أرضعت مروان وأرضعت له، فقالت: إن كنت تريد قتله فقد قتل، وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح! فتركه وأدخلته بيتها، فعرف لها بنوه ذلك واستعملوا ابنها إبراهيم بعد. ونزل إلى المغيرة بن الأخنس بن شريق رجل فقتل المغيرة، قال: فلما سمع الناس يذكرونه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال له عبد الرحمن بن عديس: ما لك؟ فقال: رأيت فيما يرى النائم هاتفا يهتف فقال: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، فابتليت به.

واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها ودخلوها من دار عمرو بن حزم إلى دار عثمان حتى ملؤوها ولا يشعر من بالباب، وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا يقتله، فانتدب له رجل، فدخل عليه البيت فقال: اخلعها وندعك. فقال: ويحك! والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله ﷺ، ولست خالعا قميصا كسانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة! فخرج عنه، فقالوا: ما صنعت؟ فقال: والله لا ينجينا من الناس إلا قتله ولا يحل لنا قتله. فأدخلوا عليه رجلا من بني ليث فقال له: لست بصاحبي لأن النبي ﷺ، دعا لك أن تحفظ يوم كذا وكذا ولن تضيع. فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: إن رسول الله ﷺ، استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دما حراما. فرجع وفارق أصحابه. وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله فقال: يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه! ويلكم! إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة، فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف.

ويلكم! إن مدينتكم محفوفة بالملائكة فإن قتلتموه ليتركنها. فقالوا: يا ابن اليهودية ما أنت وهذا! فرجع عنهم. وكان آخر من دخل عليه ممن رجع محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويلك أعلى الله تغضب؟ هل لي إليك جرم إلا حقه أخذته منك؟.

فأخذ محمد لحيته وقال: قد أخزاك الله يا نعثل! فقال: لست بنعثل ولكني عثمان وأمير المؤمنين، وكانوا يلقبون به عثمان. فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان! فقال عثمان: يا ابن أخي فما كان أبوك ليقبض عليها. فقال محمد: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك، والذي أريد بك أشد من قبضي عليها! فقال عثمان: أستنصر الله عليك واستعين به! فتركه وخرج.

وقيل: بل طعن جبينه بمشقص كان في يده. والأول أصح.

قال: فلما خرج محمد وعرفوا انكساره ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقي، فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله، فاستدار المصحف واستقر بين يديه وسالت عليه الدماء، وجاء سودان ليضربه، فأكبت عليه امرأته واتقت السيف بيدها، فنفح أصابعها فأطن أصابع يدها وولت، وضرب عثمان فقتله.

وقيل: الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي. وكان عثمان رأى النبي، صلى الله عليه وسلم، تلك الليلة يقول له: إنك تفطر الليلة عندنا. فلما قتل سقط من دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ . ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه، وكان عثمان قد أعتق من كف يده منهم، فلما ضربه سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت وخرجوا ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلما خرجوا وثب غلام عثمان على قتيرة فقتله، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى أخذوا ما على النساء، وأخذ كلثوم التجيبي ملاءة من على نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وتنادوا: أدركوا

بيت المال ولا تسبقوا إليه، فسمع أصحاب بيت المال كلامهم وليس فيه إلا غرارتان، فقالوا: النجاء فإن القوم إنما يحاولون الدنيا! فهربوا، وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس.

وقيل: إنهم ندموا على قتله. وأما عمرو بن الحمق فوثب على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات، قال: فأما ثلاث منها فإني طعنتهن إياه لله تعالى، وأما ست فلما كان في صدري عليه. وأرادوا قطع رأسه فوقعت نائلة عليه وأم البنين فصحن وضربن الوجوه. فقال ابن عديس: اتركوه. وأقبل عمير بن ضابئ فوثب عليه فكسر ضلعا من أضلاعه وقال: سجنت أبي حتى مات في السجن.

وكان قتله رضي الله عنه لثماني عشر خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، وقيل: إلا ثمانية أيام، وقيل: بل كان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقيل: بل قتل أيام التشريق وكان عمره اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمانيا وثمانين سنة، وقيل: تسعين سنة، وقيل: خمسا وسبعين سنة، وقيل: ستا وثمانين سنة.

* * *

الفتنة بين أصحاب الجمل

قال الحافظ في الفتح(١) في بيان قصة أصحاب الجمل(٢) : وملخصها أن عثمان لما قتل وبويع عليٌّ بالخلافة خرج طلحة والزبير إلى مكة فوجدا عائشة ـ رضي الله عنها ـ وكانت قد حجت، فاجتمع رأيهم على التوجه إلى البصرة ؛ يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان فبلغ ذلك عليًا ـ رضي الله عنه ـ فخرج إليهم فكانت وقعة الجمل ونسبت إلى الجمل الذي كانت عائشة قد ركبته وهي في هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح.

وقال في الفتح (٣) : ونقل ابن بطال عن المهلب أن ظاهر حديث أبي بكرة يوهم توهين رأي عائشة فيما فعلت، وليس كذلك لأن المعروف من مذهب أبي بكرة أنه كان على رأي عائشة في طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصدهم القتال، ولكن لما انتشبت الحرب لم يكن لمن معها بد من المقاتلة، ولم يرجع أبو بكرة عن رأى عائشة وإنما تفرس بأنهم يغلبون لما رأى الذين مع عائشة تحت أمرها لما سمع في أمر فارس، قال: ويدل لذلك أن أحدًا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليًا في الخلافة ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على علي منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم، وكان علي ينظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان اقتص منه، فاختلفوا بحسب ذلك وخشي من نسب إليه القتل أن يصطلحوا على قتلهم فأنشبوا الحرب بينهم إلى أن كان ما كان، فلما انتصر علي عليهم حمد أبو بكرة رأيه في ترك القتال معهم، وإن كان رأيه كان موافقًا لرأى عائشة في الطلب بدم عثمان ،انتهى كلامه ،قال الحافظ : وفي بعضه نظر.

---

(١) انظر : الصحيح المسند (ص / ١٣١ ـ ١٣٢).
(٢) الفتح (٨ / ١٢٨).
(٣) (١٣/ ٥٦) .

الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما(١)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة**».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (٢) : والمراد بهما من كان مع علي ومعاوية لما تحاربا بصفين، وقوله : «دعواهما واحدة» أي دينهما واحد لأن كلاً منهما كان يتسمى بالإسلام ، أو المراد أن كلاً منهما كان يدعي أنه المحق، وذلك أن عليا كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة، ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتخلف عن بيعته معاوية في أهل الشام ثم خرج طلحة والزبير ومعهما عائشة إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر علي فخرج علي إليهم فراسلوه في ذلك فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولي الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه، ورحل علي بالعساكر طالبًا الشام داعيًا لهم إلى الدخول في طاعته مجيبًا لهم عن شبههم في قتلة عثمان بما تقدم فرحل معاوية بأهل الشام فالتقوا بصفين بين الشام والعراق فكانت بينهم مقتلة عظيمة كما أخبر به ﷺ وآل الأمر بمعاوية ومن معه عند ظهور علي عليهم إلى طلب التحكيم ثم رجع علي إلى العراق فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك وخرج ابنه الحسن بن علي بعده بالعساكر لقتال أهل الشام وخرج إليه معاوية فوقع بيهم الصلح كما أخبر به ﷺ في حديث أبي بكرة : «**إن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين**».

* * *

---

(١) رواه البخاري (٣٦٠٨).

(٢) الفتح: (٦ / ٦١٦).

وقعة صفين (١)

لما عاد علي من البصرة بعد فراغه من الجمل قصد الكوفة وأرسل إلى جرير ابن عبد الله البجلي، وكان عاملا على همذان استعمله عثمان، وإلى الأشعث ابن قيس، وكان على أذربيجان استعمله عثمان أيضا، يأمرهما بأخذ البيعة والحضور عنده، فلما حضرا عنده أراد علي أن يرسل رسولا إلى معاوية، قال جرير: أرسلني إليه فإنه لي ود. فقال الأشتر: لا تفعل فإن هواه مع معاوية. فقال علي: دعه حتى ننظر ما الذي يرجع إلينا به. فبعثه وكتب معه كتابا إلى معاوية يعلمه فيه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته ونكث طلحة والزبير وحربه إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته.

فسار جرير إلى معاوية، فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمرا، فاشار عليه أن يجمع أهل الشام ويلزم عليا دم عثمان ويقاتله بهم، ففعل معاوية ذلك، وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوبا بالدم بأصابع زوجته نائلة إصبعان منها وشيء من الكف وإصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الإبهام، وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الأجناد إليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه، وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسهم الماء إلا للغسل من الجنابة، وأن لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن قام دونهم قتلوه، فلما عاد جرير إلى أمير المؤمنين علي وأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وأنهم يبكون على عثمان ويقولون: إن عليا قتله وآوى قتلته وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه، قال الأشتر لعلي: قد كنت نهيتك أن ترسل جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه، ولو كنت أرسلتني لكان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع بابا

(١) الكامل في التاريخ (٣/ ١٤٨) بتصرف واختصار.

يرجو فتحه إلا فتحه، ولا بابا يخاف منه إلا أغلقه. فقال جرير: لو كنت ثم لقتلوك، لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان. فقال الأشتر: والله لو أتيتهم لم يعنيني جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك حتى يستقيم هذا الأمر. فخرج جرير إلى قرقيسيا وكتب إلى معاوية، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم إليه.

وقيل: كان الذي حمل معاوية على رد جرير البجلي غير مقضي الحاجة شرحبيل بن السمط الكندي.

وكان سبب ذلك أن شرحبيلا كان قد سيره عمر بن الخطاب إلى العراق إلى سعد بن أبي وقاص وكان معه، فقدمه سعد وقربه، فحسده الأشعث بن قيس الكندي لمنافسة بينهما، فوفد جرير البجلي على عمر، فقال له الأشعث: إن قدرت أن تنال من شرحبيل عند عمر فافعل. فلما قدم على عمر سأله عمر عن الناس، فأحسن الثناء على سعد، قال: وقد قال شعرا:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك وزبرا وابن السمط في لجة البحر

فيغرق أصحابي وأخرج سالما على ظهر قرقور أنادي أبا بكر

فكتب عمر إلى سعد يأمره بأن يرسل زبرا وشرحبيلا إليه، فأرسلهما، فأمسك زبرا بالمدينة وسير شرحبيلا إلى الشام، فشرف وتقدم، وكان أبوه السمط من غزة الشام، فلما قدم جرير بكتاب علي إلى معاوية في البيعة انتظر معاوية قدوم شرحبيل، فلما قدم عليه أخبره معاوية بما قدم فيه جرير، فقال: كان أمير المؤمنين عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا، فانصرف جرير، فقال النجاشي:

شرحبيل ما للدين فارقت أمرنا ولكن لبغض المالكي جرير [1]

وقولك ما قد قلت عن أمر أشعث فأصبحت كالحادي بغير بعير

---

(١) جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، فنسب إلى جده مالك.

وخرج علي فعسكر بالنخيلة، وتخلف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم: مرة الهمذاني ومسروق، أخذا أعطياتهما وقصدا قزوين، فأما مسروق فإنه كان يستغفر الله من تخلفه عن علي بصفين، وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة، وبلغ ذلك معاوية، فاستشار عمرا، فقال: أما إذا سار علي فسر إليه بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك، فتجهز معاوية وتجهز الناس وحضهم عمرو وضعف عليا وأصحابه وقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وفلوا حدهم، وأهل البصرة مخالفون لعلي بمن قتل منهم، وقد تفانت صناديدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار علي في شرذمة قليلة وقد قتل خليفتكم، والله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تطلبوه! وكتب معاوية أهل الشام وعقد لواء لعمرو، ولواء لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان، وعقد علي لواء لغلامه قنبر.

وبعث علي زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثماني آلاف، وبعث مع شريح ابن هانىء أربعة آلاف، وسار علي من النخيلة وأخذ معه من بالمدائن من المقاتلة، وولى على المدائن سعد بن مسعود، عم المختار بن أبي عبيد الثقفي. ولما سار علي كان معه نابغة بني جعدة، فحدا به يوما فقال:

قد علم المصران والعراق … أن عليا فحلها العتاق
أبيض جحجاح له رواق … إن الأولى جاروك لا أفاقوا
لكم سباق ولهم سباق … قد علمت ذلكم الرفاق

ووجه علي من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف، وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه على الرقة، فلما وصل إلى الرقة قال لأهلها ليعملوا له جسرا يعبر عليه إلى الشام، فأبوا، وكانوا قد ضموا سفنهم إليهم، فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الأشتر، فناداهم الأشتر وقال: أقسم بالله لئن لم تعملوا جسرا يعبر عليه أمير المؤمنين لأجردن فيكم السيف ولأقتلن

الرجال ولآخذن الأموال! فلقي بعضهم بعضا وقالوا: إنه الأشتر وإنه قمن أن يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه. فنصبوا له جسرا وعبر عليه علي وأصحابه وازدحموا عليه، فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبي الحصين الأزدي فنزل فأخذها ثم ركب، وسقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج الأزدي فنزل فأخذها، ثم قال لصاحبه:

فإن يك ظن الزاجري الطير صادقا كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل

فقال ابن أبي الحصين: ما شيء أحب إلي مما ذكرت! فقتلا جميعا بصفين.

ولما بلغ علي الفرات دعا زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه في اثني عشر ألفا نحو معاوية على حالهما التي خرجا عليها من الكوفة، وكان سبب عودهما إليه أنهما حيث سيرهما علي من الكوفة أخذا على شاطئ الفرات مما يلي البر، فلما بلغا عانات بلغهما أن معاوية قد أقبل في جنود الشام، فقالا: لا والله ما هذا لنا برأي نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر! وما لنا خير في أن نلقى جنود الشام بقلة من معنا، فذهبوا ليعبروا من عانات، فمنعهم أهلها، فرجعوا فعبروا من هيت، فلحقوا عليا دون قرقيسيا، فلما لحقوا عليا قال: مقدمتي تأتيني من ورائي، فأخبره شريح وزياد بما كان، فقال: سددتما، فلما عبر الفرات سيرهما أمامه، فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي في جند من أهل الشام، فأرسلا إلى علي فأعلماه، فأرسل علي إلى الأشتر وأمره بالسرعة وقال له: إذا قدمت فأنت عليهم، وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدأوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم ولا يحملك بغضهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا، ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب، ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك، فإني حثيث المسير في إثرك إن شاء الله تعالى، وكتب علي إلى شريح وزياد بذلك وأمرهما بطاعة الأشتر.

فسار الأشتر حتى قدم عليهم واتبع ما أمره وكف عن القتال، ولم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي، فثبتوا له واضطربوا ساعة، ثم انصرف أهل الشام وخرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة المرقال، وخرج إليه أبو الأعور، فاقتتلوا يومهم وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا، وحمل عليهم الأشتر وقال: أروني أبا الأعور؛ وتراجعوا، ووقف أبو الأعور وراء المكان الذي كان فيه أول مرة، وجاء الأشتر فصف أصحابه بمكان أبي الأعور بالأمس، فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعي: انطلق إلى أبي الأعور فادعه إلى البراز، فقال: إلى مبارزتي أو مبارزتك، فقال الأشتر: لو أمرتك بمبارزته فعلت؟ قال: نعم، والله لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي لفعلت! فدعا له وقال: إنما تدعوه لمبارزتي، فخرج إليهم فقال: أمنوني فإني رسول، فأمنوه، فانتهى إلى أبي الأعور وقال له: إن الأشتر يدعوك إلى أن تبارزه، فسكت طويلا ثم قال: إن خفة الأشتر وسوء رأيه حملاه على إجلاء عمال عثمان عن العراق وتقبيح محاسنه وعلى أن سار إليه في داره حتى قتله فأصبح متبعا بدمه لا حاجة لي في مبارزته، قال له الرسول: قد قلت فاسمع مني أجبك، قال: لا حاجة لي في جوابك، اذهب عني! فصاح به أصحابه، فانصرف عنه ورجع إلى الأشتر فأخبره، فقال: لنفسه نظر، فوقفوا حتى حجز الليل بينهم، وعاد الشاميون من الليل وأصبح علي غدوة عند الأشتر، وتقدم الأشتر ومن معه فانتهى إلى معاوية فواقفه ولحق بهم علي فتواقفوا طويلا.

ثم إن عليا طلب لعسكره موضعا ينزل فيه، وكان معاوية قد سبق فنزل منزلا اختاره بسيطا واسعا أفيح وأخذ شريعة الفرات، وليس في ذلك الصقع شريعة غيرها، وجعلها في حيزه، وبعث عليها أبا الأعور السلمي يحميها ويمنعها، فطلب أصحاب علي شريعة غيرها فلم يجدوا، فأتوا عليا فأخبروه بفعلهم وبعطش الناس، فدعا صعصعة بن صوحان فأرسله إلى معاوية يقول له: إنا سرنا مسيرنا هذا ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم، فقدمت إلينا خيلك ورجالك

فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، منعتم الناس عن الماء والناس غير منتهين، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء وليكفوا لننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له، فإن أردت أن نترك ما جئنا له ونقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان، اقتلهم عطشا قتلهم الله! فقال عمرو بن العاص: خل بين القوم وبين الماء وإنهم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء، فانظر فيما بينك وبين الله. فأعاد الوليد وعبد الله بن سعد مقالتهما وقالا: امنعهم الماء إلى الليل، فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا وكان رجوعهم هزيمة، امنعهم الماء منعهم الله إياه يوم القيامة! قال صعصعة: إنما يمنعه الله الفجرة وشربة الخمر، لعنك الله ولعن هذا الفاسق! يعني الوليد بن عقبة. فشتموه وتهددوه.

وقد قيل: إن الوليد وابن أبي سرح لم يشهدا صفين.

فرجع صعصعة فأخبره بما كان وأن معاوية قال: سيأتيكم رأيي، فسرب الخيل إلى أبي الأعور ليمنعهم الماء، فلما سمع علي ذلك قال: قاتلوهم على الماء. فقال الأشعث بن قيس الكندي: أنا أسير إليهم. فسار إليهم، فلما دنوا منهم ثاروا في وجوههم فرموهم بالنبل فتراموا ساعة ثم تطاعنوا بالرماح ثم صاروا إلى السيوف فاقتتلوا ساعة، وأرسل معاوية يزيد بن أسد البجلي القسري، جد خالد بن عبد الله القسري، في الخيل إلى أبي الأعور، فأقبلوا، فأرسل علي شبث بن ربعي الرياحي، فازداد القتال، فأرسل معاوية عمرو بن العاص في جند كثير، فأخذ يمد أبا الأعور ويزيد بن أسد، وأرسل علي الأشتر في جمع عظيم وجعل يمد الأشعث وشبثا، فاشتد القتال، فقال عبد الله بن عوف الأزدي الأحمري:

خلوا لنا ماء الفرات الجاري أو اثبتوا لجحفل جرار

لكل قرم مستميت شاري مطاعن برمحه كرار

ضراب هامات العدى مغوار لم يخش غير الواحد القهار

وقاتلوهم حتى خلوا بينهم وبين الماء وصار في أيدي أصحاب علي، فقالوا: والله لا نسقيه أهل الشام! فأرسل علي إلى أصحابه: أن خذوا من الماء حاجتكم وخلوا عنهم، فإن الله نصركم ببغيهم وظلمهم، ومكث علي يومين لا يرسل إليهم أحدا ولا يأتيه أحد، ثم إن عليا دعا أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي التميمي، فقال لهم: ائتوا هذا الرجل وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة. فقال له شبث: يا أمير المؤمنين ألا تطمعه في سلطان توليه إياه أو منزلة تكون له بها أثرة عندك إن هو بايعك؟ قال: انطلقوا إليه واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه. وهذا في أول ذي الحجة. فأتوه فدخلوا عليه، فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله محاسبك بعملك ومجازيك عليه، وإني أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الأمة وأن لا تسفك دماءها بينها.

فقطع عليه معاوية الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ فقال أبو عمرو: إن صاحبي ليس مثلك، إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة بالرسول ﷺ، قال: فماذا يقول؟ قال: يأمرك بتقوى الله وأن تجيب ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دنياك وخير لك في عاقبة أمرك! قال معاوية: ونترك دم ابن عفان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدا.

قال: فذهب سعيد بن قيس يتكلم، فبادره شبث بن ربعي فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم مع معاوية بشدة.

قال: فحمد معاوية الله ثم قال: أما بعد فإن أول ما عرفت به سفهك وخفة حلمك أن قطعت على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم اعترضت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت! انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف. وغضب، وخرج القوم. فقال له شبث بن ربعي: أتهول بالسيف؟ أقسم بالله لنعجلنها إليك.

فأتوا عليا فأخبروه بذلك، فأخذ علي يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج ومعه جماعة من أصحابه ويخرج إليه آخر من أصحاب معاوية ومعه جماعة، فيقتتلان في خيلهما ثم ينصرفان، وكرهوا أن يلقوا جمع أهل العراق بجمع أهل الشام لما خافوا أن يكون فيه من الاستئصال والهلاك، فكان علي يخرج مرة الأشتر، ومرة حجر بن عدي الكندي ومرة شبث بن ربعي، ومرة خالد بن المعمر، ومرة زياد ابن النضر الحارثي ومرة زياد بن خصفة التيمي ومرة سعيد بن قيس الهمداني، ومرة معقل بن قيس الرياحي، ومرة قيس بن سعد الأنصاري، وكان الأشتر أكثرهم خروجا، وكان معاوية يخرج إليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبا الأعور السلمي وحبيب بن مسلمة الفهري وابن ذي الكلاع الحميري، وعبيد الله ابن عمر بن الخطاب وشرحبيل بن السمط الكندي وحمرة بن مالك الهمداني، فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها، وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين.

فتنة الخوارج

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال[١] : «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا ، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل، فقال: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال: «**دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من المسلمين** » .

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعتُ هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته.

وعن الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال: قال عليّ رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢] : «**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**».

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم .

(٢) رواه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦)، وأبو داود (٤٧٦٧) وغيرهم.

وعن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري قال[١] : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضي الله عنها ونحن عندها جلوس مرجعه من العراق ليالي قتل عليّ رضي الله عنه فقالت له: يا عبد الله ابن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي رضي الله عنه قال: وما لي لا أصدقك ! قالت: فحدثني عن قصتهم قال: فإن عليا رضي الله عنه لما كاتب معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها : حروراء من جانب الكوفة وأنهم عتبوا عليه فقالوا: انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به ثم انطلقت فحكمت في دين الله فلا حكم إلا لله تعالى فلما أن بلغ عليا رضي الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه عليه فأمر مؤذنًا فأذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف حدث الناس فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد ؟

قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالي في كتابه في امرأة ورجل: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾[٢] فأمة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أن كاتبت معاوية ،وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالح قومه قريشًا فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال: كيف نكتب ؟ فقال: اكتب باسمك اللهم لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك فكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشًا يقول الله تعالى في كتابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ**

---

(١) رواه أحمد (١ / ٨٦ ـ ٨٧)، وأبو يعلى (١ / ٣٦٧).

(٢) النساء: (٣٥).

فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[١] فبعث إليهم علي عبد الله بن عباس رضي الله عنه فخرجت معه إذا توسطنا عسكرهم قام ابن الكواء يخطب الناس فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرف به هذا ممن نزل فيه وفي قومه: ﴿ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٢] فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله فإن جاء بحق نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبكتنه ببطاله، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب فيهم ابن الكواء حتى أدخلهم على عليّ الكوفة فبعث عليّ رضي الله عنه إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بينا وبينكم أن لا تسفكوا دمًا حرامًا أو تقطعوا سبيلاً أو تسلبوا ذمة فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين فقالت له عائشة رضي الله عنها : يا ابن شداد فقد قتلهم فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلوا أهل الذمة فقالت: آلله ! قال : الله الذي لا إله إلا هو لقد كان ، قالت: ما شيء بلغني عن أهل الذمة يتحدثونه يقولون : ذو الثدي وذو الثدي ؟ قال: قد رأيته وقمت مع علي رضي الله عنه عليه في القتلى فدعا الناس فقال: أتعرفون هذا ؟

فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي ورأيته في مسجد بني فلان يصلي، ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك قالت: فما قول علي رضي الله عنه حين قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال: اللهم لا، قالت: أجل صدق الله ورسوله يرحم الله عليا رضي الله عنه إنه كان من كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال :صدق الله ورسوله فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث.

وعن عبد الله بن عباس قال: لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم وكانوا

---

(١) الأحزاب: (٢١).

(٢) الزخرف: (٩).

ستة آلاف فقلت لعليّ رضي الله عنه[1] : يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم قال: إني أخاف عليك قلت: كلا، قال: فقمت وخرجت ودخلت عليهم في نصف النهار وهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا: النبي ﷺ وصهره ،وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون ويخبرون بما تقولون، قلت: أخبروني ماذا نقمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه ؟ قالوا: ثلاث ، قلت: ما هن؟

قالوا: أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾[2] ما شأن الرجال والحكم ؟

فقلت: هذه واحدة ، قالوا :وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا كفاراً سلبهم،وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم. قلت: هذه اثنان فما الثالثة؟ قالوا: إنه محي نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شيء غير هذا ؟ قالوا: حسبنا هذا .

قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترضون ؟ قالوا: نعم .

قلت: أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم فأمر الرجال أن يحكموا فيه قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الآية [3]، فأنشدتكم بالله تعالى أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم وأنتم تعلمون أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بل هذا أفضل ،وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[4] فأنشدتكم بالله حكم

---

(١) رواه النسائي (١٨٥ ـ الخصائص).

(٢) سورة الأنعام: (٥٧).

(٣) سورة المائدة: (٩٥)

(٤) سورة النساء: (٣٥)

الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في امرأة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلتم : إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، ولئن قلتم :ليست بأمنا فقد كفرتم ؛لأن الله تعالى يقول: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾(١) فأنتم تدورون بين ضلالتين فأتوا منهما بمخرج قلت: فخرجت من هذه ؟ قالوا: نعم.

وأما قولكم: محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأراكم قد سمعتم أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعليّ رضي الله عنه: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ** » فقال المشركون: لا والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك فاكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله ﷺ : «**امح يا علي رسول الله، اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**» فوالله لرسول الله ﷺ خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة ، خرجت من هذه ؟

قالوا: نعم فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقاتلوا على ضلالتهم فقتلهم المهاجرون والأنصار.

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال(٢) : قال رسول الله ﷺ : «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق**» رواه مسلم.

وعنه رضي الله عنه أنه لما سئل عن الحرورية؟ قال : لا أدري ما الحرورية؟ سمعت النبي ﷺ يقول(٣) : «**يخرج في هذه الأمة ـ** ولم يقل منها ـ **قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم أو حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**» رواه البخاري .

* * *

(١) سورة الأحزاب: (٦).
(٢) الحديث : رواه مسلم في «صحيحه» (٧ / ١٦٨) بشرح النووي.
(٣) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (١٢ / ٢٨٣ ـ فتح).

قتال الخوارج

وقد أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج، وبين أن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم، وهذا دليل على فساد هذه الطائفة، وبعدها عن الإسلام، وضررها العظيم على الأمة، بما تثيره من فتن وقلائل، ففي «الصحيحين» عن علي رضي الله عنه[١] ؛ قال: سمعت سول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم في آخر الزمان، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**».

قال الإمام البخاري[٢] : «كان ابن عمر يراهم شرار خلق الله ، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين».

وقال الحافظ ابن حجر: «عظم البلاء بهم، وتوسعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادرًا وإن لم يكن قادرًا؛ فقد ارتكب كبيرة، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقًا، وفتكوا فيمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب»[٣] .

* * *

---

(١) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (١٢ / ٢٨٣ ـ فتح)، ومسلم في «صحيحه» (٧ / ١٦٩) بشرح النووي.

(٢) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (١٢ / ٢٨٢ ـ فتح).

(٣) انظر: «فتح الباري » (١٢ / ٢٨٥)، وانظر «أشراط الساعة» (ص / ١٠٦ ـ ١٠٨) بتصرف يسير.

فتنة الشيعة الروافض

قال ابن الجوزي [(١)] : وكما لَبَّسَ إبليسُ على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا عليَّ بن أبي طالب، حمل آخرين على الغلو في حُبِّه فزادوه على الحد، فمنهم من كان يقول: هو الإله، ومنهم من يقول: هو خير من الأنبياء، ومنهم مَنْ حمله على سبِّ أبي بكر وعمر حتى إن بعضهم كفَّر أبا بكر وعمر، إلى غير ذلك من المذاهب السخيفة التي يُرْغَبُ عن تضييع الزمان بذكرها، وإنما نشير إلى بعضها.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدث أبو يعقوب إسحاق بن محمد النخعي، عن عبيدالله بن محمد عن عائشة، وأبي عثمان المازني وغيرهما، وسمعت عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي يقول: إسحاق بن محمد النخعي الأحمر كان يقول: إن علياً هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وبالمدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه. قال الخطيب: ووقع إليّ كتاب لأبي محمد الحسن بن يحيى النوبختي من تصنيفه في الردِّ على الغُلاة، وكان النُّوبختي هذا من متكلمي الشيعة الإمامية، فذكر أصناف مقالات الغُلاة إلى أن قال: وقد كان ممن جرَّد الجنون في الغُلُوِّ في عصرنا إسحاقُ بن محمدٍ المعروف بالأحمر، كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل، وأنه يظهر في كل وقتٍ فهو الحسنُ في وقت وكذلك هو الحسين، وهو الذي بعث محمداً ﷺ .

قال المصنف: قلت: وقد اعتقد جماعةٌ من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين، وقال بعضهم: ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ ومنهم من يقول بالتبرّي من غير علي. وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن علي بالتَّبرُّؤ ممن خالف علياً

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص:٨٦)، دار المنار، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

في إمامته، فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرَّافضة.

ومنهم طائفة يقال لها: الجناحية، وهم أصحاب عبد الله بن معاوية عبد الله ابن جعفر ذي الجناحين، يقولون: إن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله، وأنه لم يمت، وهو المنتظر.

ومنهم طائفة يقال لها الغُرابية يثبتون شركة عليَ في النبوة.

وطائفة يقال لها المُفوِّضة، يقولون: إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوَّض خلق العالم إليه.

وطائفة يقال لها الذَّماميَّة يذُمُّون جبريل، ويقولون: كان مأموراً بالنُّزول على عليَ فنزل على محمد.

ومنهم من يقول: إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها.

وقد روينا عن السَّفَّاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أَعنِّي على من ظلمني، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه، قال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم. قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه.

قال ابن عقيل: الظاهرُ أنَّ مَنْ وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم أمرٌ غائب عنَّا، وإنما نثقُ في ذلك بنقلِ السلفِ وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم، فكأننا نظرنا إذا نظر لنا من نثقُ بدينه وعقله، فإذا قال قائلٌ: إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى، فإن الاعتقادات الصحيحة لا سيما في الأنبياء تُوجبُ حفظ قوانينهم

بعدهم لاسيما في أهليهم وذريتهم، فإذا قالت الرافضة إن القوم استحلُّوا هذا بعده خابت آمالنا في الشرع، لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم.

فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خِبْنَا في المنقول، وزالت ثقتنا فيما عوَّلنا عليه من اتباع ذوي العقول ولم نأمن أن يكون القومُ لم يروا ما يُوجبُ اتِّباعهُ فراعوه مُدَّة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة، ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله، فطاحت الاعتقاداتُ، وضعفت النفوس، عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة.

قال المصنف: وغلوّ الرافضة في حُبِّ علي رضي الله عنه حملهُم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينُهُ وتؤذيه، وقد ذكرت منها جملة في كتاب الموضوعات.

منها: أن الشمس غابت ففاتت علياً صلاةُ العصر فرُدَّتْ له الشمسُ، وهذا من حيث النقل موضوعٌ، لم يروه ثقة، ومن حيث المعنى فإن الوقت قد فات وعودُها طلوعٌ متجدد فلا يُراد الوقت.

وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفي بذلك الغُسل، وهذا من حيث النقل كذبٌ، ومن حيث المعنى قلَّةُ فهمٍ، لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصحُّ قبله. ثم لهم خرافاتٌ لا يسندونها إلى مستند، ولهم مذاهبُ في الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع.

فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل، قال: نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الإمامية. منها: أنه لا يجوز السجودُ على ما ليس بأرضٍ ولا من نبات الأرض، فأما الصُّوف والجلود والوبرُ فلا. وأن الاستجمار لا يُجزىءُ في البول بل في الغائط خاصة. ولا يُجزىءُ مسحُ الرأس إلا بباقي البلل الذي في اليد فإن استأنف للرأس بللاً مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة. وانفردوا بتحريم من زُني بها وهي تحت زوجٍ أبداً، فلو طلقها زوجها لم تحلَّ للزاني بها بنكاح أبداً.

وحرَّمُوا الكتابيات، وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وُجد شرطُهُ، وأن الطلاق لا يقعُ إلا بحضور شاهدين عدلين.

وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط، وأن المرأة إذا جزَّت شعرها فعليها الكفارةُ مثل قتل الخطأ، وأن من شقَّ ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارةُ يمين، وأن من تزوَّج امرأةً ولها زوجٌ وهو لا يعلمُ لزمهُ الصدقة بخمسة دراهم.

وأن شارب الخمر إذا حُدَّ ثانية قُتِلَ في الثالثة، ويُحدُّ شاربُ الفُقَّاع كشارب الخمر، وأنَّ قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكفُّ فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى. فإن سرق الثالثة خُلِّد في الحبس إلى أن يموت.

وحرَّموا السمك الجري (كذا) وذبائح أهل الكتاب، واشترطوا في الذَّبح استقبال القبلة في مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسوَّل لهم إبليسُ وضعها على وجهٍ لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس، بل إلى الواقعات.

ومقابح الرَّافضة أكثرُ من أن تحصى، وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء، والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً، وابتُلُوا بسبِّ الصحابة.

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تَسُبُّوا أصحابي فإن أحدكُم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» (١) .

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي، قالا: أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة، نا أبو ظاهر المخلص، ثنا البغوي، ثنا محمد بن عبَّاد المكي، ثنا محمد بن طلحة المديني، عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبَّهم فعليه لعنةُ

(١) مسلم (٢٥٤٠) .

الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبلُ الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» (١).

قال المصنف: والمراد بالعدل: الفريضة، والصرف: النافلة.

أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز، نا أبو بكر الطريثيثي، نا هبة الله بن الحسن الطبري، نا عبيد الله بن محمد بن أحمد، نا علي بن محمد بن أحمد بن يزيد الرِّياحي، ثنا أبي، ثنا الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرو، عن سويد ابن غفلة، قال: مررتُ بنفرٍ من الشيعة يتناولون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على علي بن أبي طالب فقلت: يا أمير المؤمنين، مررتُ بنفرٍ من أصحابك يذكرون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما بغير الذي هما له أهلٌ، ولولا أنهم يرون أنَّك تُضمِرُ لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك.

قال علي: أعوذ بالله، أعوذ بالله أن أُضمِرَ لهما إلا الذي ائتمنني النبيُّ عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله وصاحباه ووزيراه رحمةُ الله عليهما. ثم نهض دامع العينين يبكي قابضاً على يدي حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه مُتمكِّناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع لنا الناس، ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بالُ أقوام يذكرون سيِّدي قريشٍ وأبوي المسلمين بما أنا عنه مُتنزِّهٌ، ومما قالوه بريءٌ، وعلى ما قالوا مُعاقبٌ. أما والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة لا يُحبُّهُما إلا مؤمنٌ تقي ولا يبغضهما إلا فاجرٌ شقي، صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلّم على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان، ويغضبان ويعاقبان، فما يتجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما، ولا يحبُّ كحبِّهما أحداً. مضى رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهما، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون.

أمَّرهُ رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام في حياة

---

(١) الحاكم (٣/ ٦٣٢)، والحديث ضعيف.

رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده، ولاَّهُ المؤمنون ذلك، وفوَّضُوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، وأنا أولُ من سنَّ له ذلك من بني عبد المطلب وهو لذلك كارهٌ يود لو أنَّ منا أحداً كفاه ذلك، وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة وأسنه ورعاً وأقدمه سِنّاً وإسلاماً، شبَّههُ رسول الله ﷺ بميكائيل رأفةً ورحمةً وبإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمةُ الله عليه.

ثم ولي الأمر بعده عمر رضي الله عنه وكنتُ فيمن رضي، فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه، يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه، وكان والله رفيقاً رحيماً بالضعفاء ناصراً للمظلومين على الظالمين، لا يأخذه في الله لومةُ لائمٍ وضرب اللهُ الحقَّ على لسانه وجعل الصدق من شأنه حتى إن كُنَّا لنظنُّ أن ملكاً ينطقُ على لسانه، أعزَّ الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرتهُ للدِّين قواماً، وألقى له في قلوب المنافقين الرهبة، وفي قلوب المؤمنين المحبة، شبَّهُهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء. فمن لكم بمثلهما رحمةُ الله عليهما، ورزقنا المُضيَّ على سبيلهما فمن أحبَّني فليحبهما، ومن لم يُحبهُما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت في هذا أشدَّ العقوبة، ألا فمن أُتيتُ به يقولُ بعد هذا اليوم فإنَّ عليه ما على المفتري. ألا وخيرُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما ثم اللهُ أعلمُ بالخير أين هو؟ أقولُ قولي وأستغفرُ الله لي ولكم.

أخبرنا سعد الله بن علي، نا الطريثيثي، نا هبة الله الطبري، نا محمد بن عبد الرحمن، نا البغوي، ثنا سويد بن سعيد، ثنا محمد بن خازم، عن أبي جنابٍ الكلبيِّ عن أبي سليمان الهمداني، عن علي كرم الله وجهه قال: يخرجُ في آخر الزمان قومٌ لهم نبز يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآيةُ ذلك أنهم يشتمون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشدَّ القتل فإنهم مشركون.

وقعة الحرة [١]

قال يعقوب بن سفيان: حدثني إبراهيم بن المنذر، حدثني ابن فليح عن أبيه، عن أيوب بن عبد الرحمن، عن أيوب بن بشير المعافري أن رسول الله ﷺ خرج في سفر من أسفاره فلما مر بحرة زهرة وقف فاسترجع، فساء ذلك من معه وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما الذي رأيت؟

فقال رسول الله: «أما إن ذلك ليس من سفركم هذا».

قالوا: فما هو يا رسول الله؟

قال: «يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي» هذا مرسل.

وقد قال يعقوب بن سفيان: قال وهب بن جرير: قالت جويرية: حدثني ثور بن زيد عن عكرمة، عن ابن عباس قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا﴾ [٢].

قال: لأعطوها يعني: إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، وتفسير الصحابي في حكم المرفوع عند كثير من العلماء .

وقال نعيم بن حماد في كتاب الفتن والملاحم: حدثنا أبو عبد الصمد العمي، ثنا أبو عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله : «يا أبا ذر أرأيت إن الناس قتلوا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف أنت صانع؟».

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «تدخل بيتك».

قال: قلت: فإن أتى علي؟

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٢٣٣).
(٢) سورة الأحزاب : (١٤).

قال: «يأتي من أنت منه».

قال: قلت: وأحمل السلاح؟

قال: «إذا تشرك معهم».

قال: قلت: فكيف أصنع يا رسول الله؟

قال: «إن خفت أن يبهرك شعاع السيف فألق طائفة من ردائك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه».

ورواه الإمام أحمد في مسنده عن مرحوم ـ هو ابن عبد العزيز ـ عن أبي عمران الجوني، فذكره مطولاً.

قلت: وكان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم وأطلق لأميرهم ـ وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ـ قريبًا من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه فخلعوه عند المنبر النبوي فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية يقدمها رجل يقال له: مسلم بن عقبة، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام فقتل في غضون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل في غضون ذلك ألف بكر فالله أعلم.

وقال عبد الله بن وهب: عن الإمام مالك، قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن، حسبت أنه قال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله وذلك في خلافة يزيد.

وقال يعقوب بن سفيان: سمعت سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري يقول: قتل يوم الحرة عبد الله بن يزيد المازني، ومعقل بن سنان الأشجعي، ومعاذ بن الحارث القاري، وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر.

قال يعقوب: وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث قال: وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

مقتل علي رضي الله عنه (*)

عن زيد بن وهب قال قدم علي على قوم من أهل البصرة من الخوارج، فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتق الله يا علي فإنك ميت: فقال له علي رضي الله عنه: بل مقتول ضربة على هذا تخضب هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ عهد معهود ، وقضاء مقضي، وقد خاب من افترى.

وعاتبه في لباسه فقال: ما لكم وللباس؟ هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم (١) .

وعن أبي الطفيل قال: دعا علي الناس إلى البيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فرده مرتين ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها؟ لتخضبن أو لتصبغن هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ ثم تمثل بهذين البيتين:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت آتيك

ولا تجزع من القتل إذا حل بواديك (٢)

وعن أبي مجلز قال: جاء رجل من مراد إلي علي وهو يصلي في المسجد فقال: احترس فإن ناسا من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر عليه ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة (٣) .

قال العلماء بالسير: ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين منه سنة أربعين فبقي

(*) انظر «صفة الصفوة» (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(١) صحيح: أحمد (ص/ ١٦٥) في الزهد، والحاكم (٣/ ١٤٣) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨٢، ٨٣).

(٢) حسن: ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٥٨١) .

(٣) ابن سعد (٢/ ٥٨١) في الطبقات الكبرى.

الجمعة والسبت ومات ليلة الأحد وغسله ابناه وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن ودفن في السحر، وفي سنه أربعة أقوال: أحدها ثلاث وستون، والثاني: خمسة وستون، والثالث: سبع وخمسون، والرابع: ثمان وخمسون.

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قتل علي رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين ومات لها حسن وقتل لها الحسين ومات علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين، وسمعت جعفراً يقول: سمعت أبي يقول لعمته فاطمة بنت حسين أم عبد الله بن حسن: هذه توفي لي ثمانيا وخمسين فمات لها.

قال سفيان: وسمعت جعفر بن محمد يقول: وقد زدت أنا على ثمان وخمسين.

وعن أبي جعفر قال: هلك علي بن أبي طالب وله خمس وستون سنة قال: وكان علي وطلحة والزبير في سن واحد.

* * *

قتل الحسين بن علي[(١)]

قتل سيد شباب أهل الجنة، في يوم عاشوراء ، من شهر المحرم سنة إحدى وستين، بعث إليه عبيد الله بن زياد بعمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف، ومعه شمر بن ذي الجوشن ـ قبحه الله ـ وكتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أن حل بينهم ـ أي الحسين وأصحابه وآل بيته ـ وبين الماء كما فعل بالتقي الزكي المظلوم؛ أمير المؤمنين عثمان بن عفان، واعرض على الحسين أن يبايع هو ومن معه لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فإذا فعلوا ذلك رأينا رأينًا، وجعل أصحاب عمر بن سعد يمنعون أصحاب الحسين من الماء، وعلى سرية منهم عمرو بن الحجاج، فدعا عليهم بالعطش، فمات هذا الرجل من شدة العطش.

وطلب الحسين منه أحد أمرين: إما أن يرجع من حيث جاء، وإما أن يدعه يذهب في الأرض العريضة حتى ينظر ما يصير أمر الناس إليه.

ونادى عمر بن سعد في الجيش: يا خيل الله، اركبي وأبشري، ولما وصلوا إلى حيث مضارب الحسين، أرسلوا بعشرين فارسًا، فقال العباس بن علي: ما لكم؟ فقالوا: جاء أمر الأمير؛ إما تأتوا على حكمه، وإما أن نقاتلكم، ولما رجع العباس إلى الحسين، قال له: ارجع، فارددهم هذه العشية، لعلنا نصلي لربنا هذه الليلة ونستغفره وندعوه؛ فقد علم الله مني أني أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، والاستغفار والدعاء، وأوصى الحسين في هذه الليلة إلى أهله، وخطب لأصحابه: من أحب أن ينصرف إلى أهله في ليلته هذه فقد أذنت له فإن القوم

(١) انظر: «الجزاء من جنس العمل» (٢ / ١٦٣ ـ ١٧٧) بتصرف ، ونقل من «البداية والنهاية»، و«مجابو الدعوة» لابن أبي الدنيا ، و«التبصرة»، «سير أعلام النبلاء» بتحقيق الأرناؤوط، وانظر كتابنا «الحوادث العظام في تاريخ أمة الإسلام» (ص / ٣١ ـ ٤٢) طبعة خاصة، وانظره في نفس الكتاب طبعة دار التقوى.

إنما يريدونني، فامتنعوا ، وقال له سعيد بن عبد الله الحنفي: والله، لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا عيبة رسول الله ﷺ ، والله، لو علمت أني أقتل دونك ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عنك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك، لأحببت ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة.

وتكلم جماعة من أصحابه، بكلام يشبه بعضه بعضًا، فقالوا: والله لا نفارقك، وأنفسنا الفداء لك، نقيك بنحورنا وجباهنا،وأيدينا وأبداننا، فإذا نحن قتلنا وفينا وقضينا ما علينا، وقال له أخوه العباس: لا أرانا الله يوم فقدك، ولا حاجة لنا في الحياة بعدك، وقال الحسين: يا بني عقيل، حسبكم بمسلم أخيكم ـ وكان رسول الحسين إلى أهل العراق بعد أن كاتبوه أن يقدم عليهم وله عندهم المنعة فقتلوا رسوله مسلمًا ـ اذهبوا، فقد أذنت لكم، قالوا: فما يقول الناس: إن تركنا شيخنا وسيدنا، وبني عمومتنا؛ خير الأعمام، لم نبرم معهم بسيف ، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، رغبة في الحياة الدنيا، لا والله لا نفعل،ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردَك ، فقبح الله العيش بعدك.

وفي ليلة عاشوراء، جعل الحسين يقول:

يا دَهْرُ أفٍّ لك مِنْ خليل ... كَم لك بالإشرافِ والأصيل

مِنْ صاحبٍ أو طَالبٍ قَتيلِ ... والدهرُ لا يقنعُ بالبديل

وإنَّما الأمرُ إلى الجليلِ ... وكلُ حي سالكُ السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثًا ، فقامت إليه زينب ـ رضي الله عنها ـ حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه!!

ليت الموت أعد مني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي، وثمال الباقي، فنظر إليها، وقال: أي أخيَّة، لا يُذهبن حلمك الشيطان، فقالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، أستقتل ؟ وخرت مغشيًا عليها، فقام إليها، فصب على وجهها الماء، وقال: يا أخية اتقي الله

واصبري، وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله ؛ الذي خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقهره وعزته، ويعيدهم فيعبدونه وحده، وهو فرد وحده، واعلمي أن أبي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله ﷺ أسوة حسنة، ثم حرج عليها، أن تفعل شيئًا من هذا بعد مهلكه.

وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلون، ويستغفرون ، ويدعون ويتضرعون، والحسين يقرأ: ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾[١] .

في صبيحة عاشوراء اغتسل الحسين، وتطيب بمسك كثير، ثم ركب على فرسه، وأخذ مصحفًا ، فوضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعًا يديه يدعو: اللهم، أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي من كل أمر نزل ثقة وعدة، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزلته بك وشكوته إليك رغبة فيه إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته وكفيتنيه فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل غاية.

ونادى الحسين: أيها الناس، اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم، فأنصت الناس كلهم ، فقال ـ بعد حمد الله، والثناء عليه : أيها الناس، إن قبلتم مني، وأنصفتموني ، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم على سبيل، وإن لم تقبلوا مني ﴿ **فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ** ﴾[٢] ﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾[٣] .

---

(١) سورة آل عمران: (١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) سورة يونس: (٧١).

(٣) سورة الأعراف: (١٩٦).

ثم شـرع يذكر للناس فـضله وعظم نسبـه، وعلو قدره وشـرفه، ويـقول: راجعوا أنفسكم وحاسبـوها؛ هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وعلى أبي، وجعفر ذو الجناحين عمي، وحمزة سـيد الشهداء عم أبي، وقـال لي رسول الله ﷺ ولأخي: «**هذان سيدا شباب أهل الجنة**» فإن صدقتموني بما أقول فـهو الحق، فو الله ما تعمدت كذبة، منذ علمت أن الله يمقت على الكذب، وإلا فاسألوا أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، جابر بن عبد الله ، وأبا سعـيد، وسهل بن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس ابن مالك يخبـرونكم بذلك ، ويحكم! أما تتقون الله؟ أمـا في حاجز لكم عن سفك دمي؟

فقـال عند ذلك شمـر بن ذي الجوشن: هو يعبـد الله على حرف، إن كنت أدري ما يقـول ؟ فقال له حـبيب بن مطهر: والله يا شـمر، إنك لتعـبد الله على سبعين حرفًا، وأما نحن؛ فـو الله إنا لندري ما يقول، وإنه قد طبع على قلبك، ثم قـال: يا أيهـا الناس: ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾[1]، ثم أناخ راحلته ، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، ثم قال: أخبروني، أتطلبوني بقتيل لكم قتلته ؟ أو مالٍ لكم أكلته ؟ أو بقصاصة على جراحة ؟

فأخـذوا لا يكلمونه ، فنادى: يا شبـيث بن ربعي، يا حجـار بن أبحر، يا قيس بـن الأشعث، يا زيد بن الحـارث ،ألم تكتبوا إلـي أنه قد أينعت الثـمار، واخضر الجناب، فاقدم علينا، فـإنك إنما تقدم على جند مجندة ؟ فقالوا له: لم نفعل، فقـال : سبحان الله! والله، لقد فعلتم، ثم قـال: يا أيها الناس، إذا قد كرهتموني ، فدعوني أنصـرف عنكم ،فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بني عـمك، فـإنهم لـن يؤذوك ، ولا ترى منهم إلا مـا تحب؟ فـقـال له الحـسين: أنت أخو أخـيك، أتريد أن تطلبك بنو هاشم بأكـثر من دم مـسلم بن

(١) سورة غافر: (٢٧).

عقيل؟ لا والله ، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل،ولا أقر لهم إقرار العبيد.

فأقبلوا يزحفـون نحوه، وقد تحيز إلى جيش الحـسين طائفة قريب من ثلاثين فارسًـا من جيش العـراق، منهم الحر بن يزيد، أمـير مـقدمة جـيش ابن زياد، فاعتذر إلى الحسين، ثم تقدم بين يدي أصـحاب الحسين فخاطب: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل، أدعوتم الحـسين إليكم ،حتى إذا أتاكم أسلمتمـوه، وزعمتم أنكم قاتلو أنـفسكم دونه، ثم عدوتم علـيه لتقـتلوه، ومنعتـموه التوجـه في بلاد الله العريضة الواسعـة، التي لا تمنع الكلب والخنزير، وحلتم بينه، وبين الماء الفرات الجـاري؛ الذي يشرب مـنه الكلب والخنزير، وقـد صرعـهم العطش، بئس مـا خلفتم محمدًا في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر، إن لم تتوبوا وترجعوا، عما أنتم عليه؛ من يومكم هذا، في ساعتكم هذه .

وقـال أيضًا: ويحـكم منعتم الحـسين، ونسـاءه ، وبناته الماء الفـرات الذي يشرب منه اليهود والنصارى، ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه؛ فهو كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا.

وقال لهم زهير بن القين: إن ولد فاطمة أحق بالود والنصـر، من ابن سمية، فإن أنتم لم تنصروهم، فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، خلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية، يذهب حيث يشـاء، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم، بدون قتل الحسين، فرماه شـمر بن ذي الجوشن بسهم، وقال له: اسكت، أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: إياك أخاطب؟

إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة، والعذاب الأليم، فقال له شمـر: إن الله قاتلك، وصاحبك بعد ساعة، فقال له زهير: أبالموت تخوفني؟ فوالله، للموت معه أحب إلي من الخلد معكم، ثم إن زهيرًا أقـبل على الناس رافعًـا صوته يقـول: عباد الله ، لا يـغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشـباهه ، فوالله لا ينال شـفاعة محـمد ﷺ ، قوم أهرقوا دماء ذريته، وقتلوا من نصره، وذبَّ عن حريمهم.

وشمر عمر بن سعد عن ساعده، ورمى بسهم، وقال: اشهدوا أني أول من رمى القوم، وترامى الناس بالنبال، وحمل رجل يقال له: عبد الله بن حوزة، حتى وقف بين يدي الحسين، فقال له : يا حسين، أبشر بالنار! فقال له الحسين: كلا، ويحك إني أقدم على رب رحيم، وشفيع مطاع، بل أنت أولى بالنار، قالوا: فانصرف، فوقصته فرسه فسقط ، وتعلقت قدمه بالركاب، وكان قد سأل عنه، فقال: أنا ابن حوزة ، فرفع الحسين يده، وقال: اللهم حزه إلى النار، فغضب ابن حوزة، وأراد أن يقحم عليه الفرس، وبينه وبينه نهر، فجالت به الفرس، فانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر متعلقًا بالركاب، وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه فأطار رجله اليمنى، وغارت به فرسه، فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات.

وكثرت المبارزة بين الفريقين، والنصر في ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم، فأشار بعض الأمراء على عمر بن سعد بعدم المبارزة ، وحمل شمر ابن ذي الجوشن بالميسرة ، وقصدوا نحو الحسين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعًا عظيمًا، فأرسلوا يطلبون من عمر بن سعد طائفة من الرماة الرجالة، فبعث إليهم نحوًا من خمسمائة، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقي جميعهم رجالة، واستمر القتل في أصحاب الحسين، ومنهم حبيب بن مطهر، وحمل عليه رجل من بني تميم فطعنه فوقع، ثم ذهب ليقوم فضربه الحصين بن نمير على رأسه بالسيف فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه وحمله إلى ابن زياد ، فرأى ابن حبيب رأس أبيه فعرفه، فقال لحامله : أعطني رأس أبي حتى أدفنه ، ثم بكى، قال: فمكث الغلام إلى أن بلغ أشده ثم لم تكن له همة إلا قتل قاتل أبيه، قال: فلما كان زمن مصعب بن الزبير، دخل الغلام عسكر مصعب ، فإذا قاتل أبيه في فسطاطه ، فدخل عليه وهو قائل فضربه بسيفه حتى برد.

وقتل كل أصحاب الحسين، وجاء رجل من بني بداء، يقال له: مالك بن البشير، فضرب الحسين على رأسه بالسيف فأدمى رأسه، وكان على الحسين

برنس فقطعه، وجرح رأسه، فامتلأ البرنس دمًا، فقال له الحسين: لا أكلت لها، ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين.

وكان أول قتيل قتل من أهل الحسين من بيت أبي طالب علي الأكبر ابن الحسين ابن علي، قتلوا مع الحسين سبعة عشر رجلاً، كلهم من أولاد فاطمة، وعن الحسن البصري أنه قال: قتل مع الحسين ستة عشر رجلاً كلهم من أهل بيته ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه وقال غيره : قتل معه من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً: فمن أولاد علي رضي الله عنه : جعفر، والحسين، والعباس، ومحمد، وعثمان، وأبو بكر، والقاسم، بنو الحسن بن علي بن أبي طالب، ومن أولاد عبد الله بن جعفر اثنان: عون، ومحمد، ومن أولاد عقيل : جعفر، وعبد الله وعبد الرحمن،ومسلم قتل قبل ذلك؛ فهؤلاء أربعة لصلبه، واثنان آخران هما: عبد الله بن مسلم بن عقيل، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل، فكملوا ستة من ولد عقيل.

وقد اشتد عطش الحسين، فحاول أن يشرب من ماء الفرات فما قدر، بل منعوه عنه فخلص إلى شربة منه ، فرماه رجل يقال له: حسين بن تميم بسهم في حنكه فأثبته، فانتزعه الحسين من حنكه، ففار الدم فتلقاه بيديه ، ثم رفعهما إلى السماء، وهما مملوءتان دمًا ، ثم رمى به إلى السماء، وقال: اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تذر على الأرض منهم أحدًا، ودعا عليهم دعاءً بليغًا.

يقول ابن كثير :فوالله، إن مكث الرجل الرامي له إلا يسيرًا، حتى صب الله عليه الظمأ، فجعل لا يروى ، ويسقى الماء مبردًا، وتارة يبرد له باللبن والماء جميعًا ، ويسقى فلا يروى، بل يقول: ويلكم، اسقوني، قتلني الظمأ، فوالله، ما لبث إلا يسيرًا حتى انقد بطنه انقداد البعير.

وجعل شمر بن ذي الجوشن يحرضهم على قتل الحسين، ويقول: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم، وجعل الحسين يشد على الرجال

وهو يقول: أعلى قتلي تحابون ؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبدًا من عباد الله، أسخط عليكم بقتله مني، وايم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون، أما والله لو قد قتلتموني، لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

وجعل رضي الله عنه يحمل من على يمينه، حتى انذعروا عنه، وهو كالليث الهصور، قد قتل أولاده، بل منهم من ذبح بين يديه، وقتل أصحابه، وما رأى الناس أربط منه جأشًا، ولا أمضى جنانًا، فحملت الرجال ـ بل والله الصعاليك ـ من كل جانب على الحسين، وضربه زرعة بن شريك التميمي على كتفه اليسرى، وضرب على عاتقه ، ثم انصرفوا عنه، وهو ينوء ويكبو، ثم جاء إليه سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي، فطعنه بالرمح فوقع، ثم نزل فذبحه، وحز رأسه ،ثم دفع رأسه إلى خولى بن يزيد، وجاء سنان بن أنس إلى فسطاط عمر ابن سعد، فنادى بأعلى صوته:

أوْقِرْ ركابي فضةً وذهبَا أنا قتلتُ الملك المُحجبَا

قتلْتُ خيرَ الناس أمًّا وأبًا وخيرهُمْ إذ ينسبونَ نسبَا

فضربه عمر بن سعد بالسوط:

ثم حملوا رأس الحسين رضي الله عنه إلى عبيد الله بن زياد، فوضع في طست، فجعل ينكت بقضيب في أنفه، ويقول: ما رأيت مثل هذا حسنًا، وفي رواية: جعل ينكت فيه بقضيب بين ثناياه سعة، فقال له زيد بن أرقم: ارفع هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فو الله الذي لا إله إلا هو، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الثنيتين يقبلهما.

وأمر ابن زياد ، فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر، فذكر ما فتح الله عليه من قتل الحسين، الذي أراد أن يسلبهم الملك، ويفرق الكلمة عليهم فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، فقال: ويحك يا ابن زياد! تقتلون

أولاد النبيين ، وتتكلمـون بكلام الصديقين! فأمر به ابن زياد فـقتل وصلب، ثم أمر برأس الحسين ، فنصب بالكوفة ،وطيف به في أزقتها، ثم سيره مع زحر بن قيس،ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية.

لما انتهت المعركة، مروا بنساء أهل البيت على القتلى،ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين، هنالك بكته النساء، وصرخن، وندبت زينب أخاها الحسين وأهلها، فقالت؛ وهي تبكي: يا محمداه! يا محمداه! صلى عليك الله! وملك السماء! هذا حسين بالعراه! مزمل بالدماه! مقطع الأعضاء! يا محمداه ! وبناتك سبايا! وذريتك مقتلة! تسفى عليها الصبا ! فأبكت والله كل عدو وصديق .

لما أتى بالرأس بين يدي يزيد دمعت عينا يزيد، وقال لعبد الله بن سمية: أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، ورحم الله الحسين،ثم قال: لما وضع الرأس بين يديه: أما والله، لو أني صاحبك ما قتلتك، ثم جعل ينكت بقضيب كان في يده في ثغره، ثم أنشد قول الحسين ابن لحمام المري الشاعر:

يُفلقْن هامًا من رجالٍ أعزة   علينَا وهُم كانُوا أعق وأظلمنَا

فقال له أبو برزة الأسلمي: ارفع قضيبك ،أما والله لقد أخذ قضيبك هذا مأخذًا لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشفه، ثم قال: ألا إن هذا سيجيء يوم القيامة،وشفيعه محمد،وتجيء وشفيعك ابن زياد، ثم قام فولى.

روى ابن أبي الدنيا بسنده عن زيد بن جدعان ؛ قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع،وقال: قتل الحسين،والله ،فقال له أصحابه: لم يا ابن عباس؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ ،ومعه زجاجة من دم،فقال: «**أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتلوا الحسين، وهذا دمه، ودم أصحابه، أرفعهما إلى الله**» فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه،وتلك الساعة،وما لبثوا إلا أربعة وعشرين يومًا، حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم في تلك الساعة.

وروى الترمذي عن سلمى، قالت: دخلت أم سلمة ـ وهي تبكي ـ فقلت: ما يبكيك؟ فقالت: رأيت رسول الله ﷺ ،وعلى رأسه، وعلى لحيته تراب، فقلت: مالك يا رسول الله، قال: «**شهدت قتل الحسين آنفًا**».

جَزاءُ قتلة الحسين في الدنيا

يقول ابن كثير: أما ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت من قتله، فأكثرها صحيح؛ فإنه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفةٍ وعاهة، في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون.

وقال أيضًا: لا شك أن قتل قتلة الحسين كان متحتمًا، والمبادرة إليه كان مغنمًا ،ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب ،الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافراً، وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**» وقد قال ـ تعالى ـ في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون ﴿**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1] .

وقال بعض الشعراء:

ومَا مِن يدٍ إلا يدُ الله فوقَهَا ولا ظَالم إلا سيُبلى بِظَالِمِ

فهذا شمر بن ذي الجوشن ـ قبحه الله ـ هذا الأبرص الذي أغرى الناس بقتل الحسين، يقتله أبو عمرة أمير حرس المختار ومن معه من الجنود، شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله.

قال ابن كثير: خطب المختار أصحابه، فقال: ما ذنبنا نترك أقوامًا، قتلوا حسينا، يمشون في الدنيا أحياء آمنين، بئس ناصرو آل محمد، إني إذا كذاب، كما سميتموني أنتم، فإني بالله أستعين عليهم، فالحمد لله الذي جعلني سيفًا أضربهم ،ورمحًا أطعنهم ،وطالب وترهم ،وقائمًا بحقهم ، وإنه كان حقا على الله أن يقتل من قتلهم، وأن يذل من جهل حقهم، فسموهم ، ثم اتبعوهم حتى

---

(١) سورة الأنعام: (١٢٩).

تقتلوهم، فإنه لا يسيغ لي الطعام والشراب، حتى أطهر الأرض منهم، وأنفي مَنْ في المصر منهم، ثم جعل يتتبع من في الكوفة ـ وكانوا يأتون بهم، حتى يوقفوا بين يديه، فيأمر بقتلهم على أنواع من القتلات، ما يناسب ما فعلوا، ومنهم من حرقه بالنار، ومنهم من قطع أطرافه، وتركه حتى مات ، ومنهم من يُرمى بالنبال حتى يموت ، فأتوه بمالك بن بشر ، فقال له المختار: أنت الذي نزعت برنس الحسين عنه ؟ فقال: خرجنا، ونحن كارهون ، فامنن علينا، فقال: اقطعوه، يديه ، ورجليه ،ففعلوا به ذلك، ثم تركوه يضطرب حتى مات، وقتل عبد الله بن أسيد الجهني،وغيره شر قتلة.

وأما خولى بن يزيد الأصبحي؛ الذي احتز رأس الحسين؛ فقد بعث إليه المختار أبا عمرة، صاحب حرسه، فكبس بيته، فخرجت إليهم امرأته، فسألوها عنه، فقالت: لا أدري أين هو، وأشارت بيدها إلى المكان الذي هو مختف فيه، وكانت تبغضه من ليلة قدم برأس الحسين معه إليها، وكانت تلومه على ذلك، فدخلوا عليه فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة، فحملوه إلى المختار، فأمر بقتله قريبًا من داره،وأن يحرق بعد ذلك .

وقتل حكيم بن فضيل السبنسي،الذي سلب العباس بن على بن أبي طالب.

وقتل يزيد بن ورقاء؛ وكان قد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل.

وقتل فما بعد سنان بن أنس.

وعمر بن سعد بن أبي وقاص أمير الذين قتلوا الحسين.

عمر هذا الذي دعا عليه سعد بن أبي وقاص والده؛وكان مستجاب الدعوة: اللهم اقتله، وأسل دمه، لما أسال دم غلامٍ لسعد.

عمر هذا الذي استجار بعبد الله بن جعد بن هبيرة،وكان صديقًا للمختار، فأتى المختار، فأخذ منه لعمر بن سعد أمانًا مضمونة؛ أنه آمن على نفسه، وأهله، وماله، ما أطاع، ولزم رحله ومصره،ما لم يحدث حدثًا، وأراد المختار ما لم يأت الخلاء فيبول أو يغوط.

وجعل عمر ينتقل من محلة إلى محلة ، ولما بلغ المختار انتقاله من موضع إلى موضع؛ فقال: كلا والله، إن في عنقه سلسلة، ترده لوجهه، إن يطر، لأدركه دم الحسين فأخذ برجله، ثم أرسل إليه أبا عمرة، فأراد الفرار منه، فعثر في جبته، فضربه أبو عمرة بالسيف حتى قتله، وجاء برأسه في أسفل قبائه، حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص - وكان جالسًا عند المختار : أتعرف هذا الرأس فاسترجع،وقال : نعم، ولا خير في العيش بعده، قال: صدقت، ثم أمر به فضربت عنقه ووضع رأسه مع رأس أبيه، ثم قال المختار: هذا بالحسين وهذا بعلي بن الحسين الأكبر،ولا سواء .

أما عبيد الله بن زياد رأس الفسق؛ الذي كتب كتابًا لعمر بن سعد في قتل الحسين؛ والذي قال لعمر بن سعد بعد قتل الحسين: أين الكتاب الذي كتبته إليك في قتل الحسين؟ فقال له: مضيت لأمرك،وضاع الكتاب، فقال له ابن زياد: لتجيئن به، قال: ضاع، قال:والله لتجيئن به، قال: ترك والله،يقرأ على عجائز قريش، أعتذر إليهم بالمدينة، أما والله، لقد نصحتك في حسين نصيحة، لو نصحتها إلى سعد بن أبي وقاص؛ لكنت قد أديت حقه ،فقال عثمان بن زياد، أخو عبيد الله: صدق عمر والله ولوددت الله، أنه ليس من بني زياد رجل، إلا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأن حسينًا لم يقتل.

وقد قتل عبيد الله بن زياد، في يوم عاشوراء، سنة سبع وستين ، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين. ظفر به ابن الأشتر، فقتله شر قتلة، على شاطئ نهر الخاز؛ قريبًا من الموصل بخمس مراحل ، بعد هزيمة جيشه أمام جيش ابن الأشتر، ثم بعث ابن الأشتر برأسه إلى المختار، ومعه رأس حصين بن نمير وشراحبيل بن ذي الكلاع ،وجماعة من رؤساء أصحابهم ، فسر بذلك المختار.

لما جيء برأس ابن مرجانة وأصحابه،طرحت بين يدي المختار، فجاءت حية رقيقة، ثم تخللت الرؤوس ، حتى دخلت في فم ابن مرجانة، وخرجت من

منخره، ودخلت في منخره، وخرجت من فمه، وجعلت تدخل، وتخرج من رأسه من بين الرؤوس.

وروى الترمذي عن عمارة بن عمير، قال: لما جيء برأس عبيد الله، وأصحابه، فنصبت في المسجد في الرحبة، فانتهيت إليها، وهم يقولون : قد جاءت، قد جاءت ، فإذا حية قد جاءت، تخلل الرؤوس ، حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيهة، ثم خرجت فذهبت ، حتى تغيبت ، ثم قالوا: قد جاءت ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا .

مثلما فعل بالقضيب في فم ومنخري الحسين.

وعن أبي الطفيل قال: عزلنا سبعة أرؤس ، وغطينا منها رأس عبيد الله بن زياد، فجئت فكشفتها، فإذا حية في رأس عبيد الله تأكل.

* * *

أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم(١)

في هذه الفتن: خرج ركب العراق، وأميرهم منصور الديلمي، فوصلوا إلى مكة سالمين، وتوافدت الركوب هناك، من كل مكان وجانب وفج، فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة، وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، الذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول:

أنا الله وبالله أنا   أخلق الخلق وأفنيهم أنا

فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف، فلما قضى طوافه أخذته السيوف، فلما وجب أنشد وهو كذلك:

ترى المحبين صرعى في ديارهم   كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

فلما قضى القرمطي لعنه الله ـ أمره، وفعله، وما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام، ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة، وذلك المدفن والمكان، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصلِّ عليهم لأنهم محرمون شهداء في نفس الأمر ، وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلاً أن يصعد إلى ميزاب الكعبة ليقتلعه، فسقط

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ١٣٩ ـ ١٤١) حوادث سنة ٣١٧ هـ، وانظر الحوات العظام (ص ٧٧ ـ ٨٠) طبعة خاصة ، وانظره في طبعة دار التقوى.

على أم رأسه فمات إلى النار ، فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقل في يده وقال: أين الطير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجيل؟

ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه، كما في أحداث سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما رجع القرمطي إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده، وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع في مكانه، وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يلتفت إليه، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطي وقتل أكثر أهل بيته وأهل مكة وجنده، واستمر ذاهباً إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج.

وقد ألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازيه على ذلك الذي ﴿ **فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ** ﴾[1] . وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع، أنهم كفار زنادقة، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا في هذه السنة ببلاد إفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بالمهدي، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وقد كان صباغاً بسلمية، وكان يهودياً فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إفريقية، فادّعى أنه شريف فاطمي، فصدقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة، وصارت له دولة، فملك مدينة سجلماسة، ثم ابتنى مدينة وسماها المهدية، وكان قرار ملكه بها، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه، ويترامون عليه ،ويقال: إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لا حقيقة له.

---

(١) سورة الفجر: (٢٥ ـ ٢٦).

وذكر ابن الأثير: أن المهدي هذا كتب إلى أبي طاهر يلومه على ما فعل بمكة حيث سلط الناس على الكلام فيهم، وانكشفت أسرارهم التي كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح، وأمره برد ما أخذه منها، وعوده إليها، فكتب إليه بالسمع والطاعة، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك.

وقد أسر بعض أهل الحديث في أيدي القرامطة، فمكث في أيديهم مدة، ثم فرج الله عنه، وكان يحكي عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم، وأن الذي أسره كان يستخدمه في أشق الخدمة وأشدها ، وكان يعربد عليه إذا سكر، فقال لي ذات ليلة وهو سكران : ما تقول في محمدكم؟ فقلت: لا أدري، فقال: كان سائساً، ثم قال: ما تقول في أبي بكر ؟ فقلت: لا أدري، فقال: كان ضعيفاً مهيناً، وكان عمر فظاً غليظاً ، وكان عثمان جاهلاً أحمق، وكان علي ممخرقاً ليس عنده أحد يعلمه ما ادعى أنه في صدره من العلم، أما كان يمكنه أن يعلم هذا كلمة وهذا كلمة ؟، ثم قال: هذا كله مخرقة. فلما كان من الغد قال: لا تخبر بهذا الذي قلت لك أحداً ، ذكره ابن الجوزي في (منتظمه).

وروي عن بعضهم أنه قال: كنت في المسجد الحرام يوم التروية في مكان الطواف، فحمل علي رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي، ثم قال: يا حمير - ورفع صوته بذلك - أليس قلتم في بيتكم هذا: ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ (١) فأين الأمن؟ قال: فقلت له: اسمع جوابك، قال: نعم. قلت: إنما أراد الله: فأمنوه، قال: فثنى رأس فرسه وانصرف.

وقد سأل بعضهم ههنا سؤالاً ، فقال: قد أحلَّ الله سبحانه بأصحاب الفيل - وكانوا نصارى - ما ذكره في كتابه، ولم يفعلوا بمكة شيئًا مما فعله هؤلاء، ومعلوم أن القرامطة شرٌ من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن عبدة الأصنام، وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة، كما عوجل

---

(١) سورة آل عمران: (٩٧).

أصحاب الفيل؟

وقد أجيب عن ذلك: بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم، من البلد الذي فيه البيت الحرام، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها وإرسال الرسول منها أهلكهم سريعاً عاجلاً، ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله، فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله. وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا في الحرم إلحاداً بالغاً عظيماً، وأنهم من أعظم الملحدين الكافرين، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله، فلهذا لم يحتج الحال إلى معالجتهم بالعقوبة، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار، والله سبحانه يمهل ويملي ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، كما قال النبي ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**»[١]، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾[٢].

قال: ﴿**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد**﴾[٣]، وقال: ﴿**نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ**﴾[٤].

وقال: ﴿**متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون**﴾[٥].

وفيها: وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي، وبين طائفة من العامة اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً**

---

(١) الحديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٨٣).

(٢) سورة إبراهيم: (٤٢).

(٣) سورة آل عمران: (١٩٦ ـ ١٩٧).

(٤) سورة لقمان: (٢٤).

(٥) سورة يونس: (٧٠)

مَحْمُودًا ﴾(١) .

فقالت الحنابلة : يجلسه معه على العرش، وقال الآخرون : المراد بذلك الشفاعة العظمى ، فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك : مقام الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم ، حتى إبراهيم، ويغبطه به الأولون والآخرون.

وفيها : وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش، وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا، وجرت بينهم شرور ثم سكنت.

وفيها : وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بني ساسان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بسعيد.

وخرج في شعبان خارجيّ بالموصل، وخرج آخر بالبواريج، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم.

وفيها: التقى مفلح الساجي وملك الروم الدمستق، فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم، وقتل منهم خلقاً كثيراً.

وفيها: هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رماداً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز، فامتلأت منه البيوت.

* * *

(١) سورة الإسراء: (٧٩).

فتنة القول بخلق القرآن

ظهرت هذه الفتنة في عهد العباسيين، وقد تزعم هذه المقالة الخليفة العباسي المأمون، وامتحن بسببها عدد كثير من العلماء، وحلَّ بكثير منهم البلاء، منهم من قتل ، ومنهم من سجن ومنهم من عذب ، ومنهم من فصل من عمله، وقامت بسببها العديد من المناظرات، منها على سبيل المثال لا الحصر، مناظرة الإمام أحمد بن حنبل مع القاضي أحمد أبي داود.

مناظرة بين الإمام أحمد وابن أبي دؤاد (١)

لما أحضر المعتصم الإمام أحمد من السجن زاد في قيوده، قال أحمد : فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في التكة وحملتها بيدي ، ثم جاؤوني بداية فحملت عليها فكدت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم، فأدخلت في بيت وأغلق علي وليس عندي سراج، فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه ، ثم قمت ولا أعرف القبلة ، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة ولله الحمد .

ثم دعيت فأدخلت على المعتصم ، فلما نظر إلي وعنده ابن أبي دؤاد .

قال: أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل؟ فلما دنوت منه وسلمت قال لي: ادنه . فلم يزل يدنيني حتى قربت منه.

ثم قال: اجلس! فجلست وقد أثقلني الحديد ، فمكثت ساعة .

ثم قال: اجلس ! فجلست وقد أثقلني الحديد ، فمكثت ساعة .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله ﷺ ؟ قال:

---

(١) انظر البداية والنهاية » [١٠/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨] ، وانظر « مناظرات الأئمة » للمؤلف (ص/ ٤٥ ـ ٤٨) ،وانظر:« المناظرة وروائع المناظرات » للمؤلف (ص/ ٢٣٤ ـ ٢٣٨) ط . دار التقوى .

إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

قلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله .

قال: ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله ﷺ .

قال: ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه، وذلك أني لم أتفقه كلامه .

ثم قال المعتصم: لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك، ثم قال: يا عبد الرحمن ألم آمرك أن ترفع المحنة ؟

قال أحمد: فقلت، الله أكبر، هذا فرج للمسلمين، ثم قال: ناظره يا عبد الرحمن، كلمه. فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن؟ فلم أجبه، فقال المعتصم: أجبه .

فقلت: ما تقول في العلم ؟ فسكت، فقلت: القرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله ، فسكت فقالوا فيما بينهم : يا أمير المؤمنين كفرك وكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك، فقال عبد الرحمن : كان الله ولا قرآن .

فقلت: كان الله ولا أعلم ؟ فسكت .فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا، فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به، فقال: ابن أبي دؤاد : وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا ؟

فقلت: وهل يقوم الإسلام إلا بهما .وجرت مناظرات طويلة ، واحتجوا عليه بقوله: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾(١) .

وبقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) .وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾(٣) .

(١) سورة [الأنبياء : ٢].

(٢) سورة [الرعد : ١٦].

(٣) سورة [الأحقاف: ٢٥] .

فقال ابن أبي دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهنا قضاتك والفقهاء فسلهم .

فقال ابن أبي دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع، وهنا قضاتك والفقهاء فسلهم .

فقال لهم : ما تقولون؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضا ثم في اليوم الثالث، وفي ذلك كله يعلو صوته عليهم، وتغلب حجته حججهم .

قال: فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد ،وكان من أجهلهم بالعلم والكلام، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم بالنقل ، فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج بها ، وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحدًا يقولها ، وقد تكلم معي ابن غوث بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه .

فقلت: لا أدري ما تقول ، إلا أني أعلم أن الله أحد صمد، ليس كمثله شيء، فسكت عني .

وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين كلامًا يتسلقون به إلى الطعن فيه ، وهيهات ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ؟

وفي غضون ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول : يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وممن يطأ بساطي .

فأقول: يا أمير المؤمنين يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله ﷺ حتى أجيبهم إليها .

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ**

وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ ﴾(١) . وبقوله : ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾**﴾ (٢) . وبقوله : ﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي** ﴾(٣). وبقوله : ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾**﴾ (٤) . ونحو ذلك من الآيات.

فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة، فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل .

وقال لـه إسحاق بن إبـراهيم نائب بغداد : يا أمـير المؤمنين ليس من تدبـير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين ، فعند ذلك حمي واشتد غضبه ، وكان ألينهم عريكة ، وهو يظن أنهم على شيء .

قال أحـمد فـعند ذلك قال لي: لعنك الله ، طمـعت فيك أن تجيـبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه .

قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا أنظر ، وكـان معي شـعرات من شـعر النبـي ﷺ مصـرورة في ثوبي ، فجـردوني منه وصرت بين العقابين .

فقلت يا أمـير المؤمنين الله الله ، إن رسول الله ﷺ قـال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهـد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث» (٥) وتلوت الحديث ، وأن رسول الله ﷺ قـال: «أمرت أن أقـاتل الناس حـتى يقولوا لا إلـه إلا الله ،فإذا قـالوها عصمـوا مني دماءهم وأموالهم » (٦). فبم تستحل دمي ولـم آت شيئاً من هذه؟ يا

---

(١) سورة [مريم : ٤٢].

(٢) سورة [النساء : ١٦٤].

(٣) سورة [طه: ١٤].

(٤) سورة [النحل : ٤٠].

(٥) الحديث : متفق عليه ـ رواه البـخاري (٦٤٨٤) ، ومسلم (١٦٧٦) ، وأحمد (٣٦٢١)، والترمذي (١٤٠٢) ، وقال: حـسن صحيح ، وأبو داود (٤٣٥٢) ، والنسائي (٤٠١٦)، وابن ماجه (٢٥٣٤) ،وعبد الرزاق(١٨٧٠٤) ، وابن أبي شيبة (٣٦٤٩٢) .

(٦) الحديث مـتفق عليه: رواه البـخاري (١٣٣٥)، ومسلم (٢١)،وأحـمد (١٠٢٥)، وأبو داود (٢٦٤٠)، والترمـذي (٢٦٠٦)،وقال: حـسن صحـيح ،والنسائي(٣٩٧١)، وابن مـاجه (٣٩٢٧) عن أبي هريرة .

أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك ، فكأنه أمسك.

ثم لم يزالوا يقولون له :يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر، فأمر بي فقمت بين العقابين وجيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم، فتخلعت يداي وجيء بالضرابين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له - يعني المعتصم - شد قطع الله يديك ، ويجيء الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك، فضربوني أسواطاً فأغمي علي وذهب عقلي مرارًا، فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي، وقام المعتصم إليّ يدعوني إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك!! الخليفة على رأسك، فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه ، فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة، فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب ، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدي وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفًا وثلاثين سوطاً ، وقيل : ثمانين سوطًا ولكن كان ضرباً مبرحًا شديداً جدّاً .

وقد كان الإمام أحمد رجلاً طوالا رقيقًا أسمر اللون كثير التواضع رحمه الله.

* * *

الخسف والمسخ والقذف والرجف في هذه الأمة(١)

يقع في هذه الأمة من أنواع البلاء الخسف والقذف والمسخ بسبب تعاطيها للذنوب والمعاصي واستعلان ذلك فيها ، كشرب الخمر ولبس الرجال الحرير، وتعاطى الزنا ، وأكل الربا، ونحو ذلك من الفساد الذي يصل درجة استحلال الحرام .

ففي معجم الطبراني الكبير بإسناد صحيح عن سهل بن سعد أن الرسول ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلت الخمر**»(٢) .

ورواه ابن ماجه عن عبد الله بلفظ: «**بين يدي الساعة مسخ ، وخسف، وقذف**» ولهذا الحديث شواهد كثيرة تشهد بصحته، منها حديث عائشة عند الترمذي: «**يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**»، قالت: قلت: يارسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « **نعم، إذا ظهر الخبث**».

ومنها حديث عمران، وهو قريب من حديث عائشة إلا أنه قال: «فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: « **إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور**» أخرجه الترمذي(٣)

وروى أبو نعيم في أخبار أصبهان بإسناده إلى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليبيتن أقوام من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحوا قد**

---

(١) انظر «القيامة الصغرى» (ص / ١٩٤ ـ ١٩٦) د/ عمر سليمان الأشقر.

(٢) ورواه أيضًا في معجمه «الكبير والأوسط» عن أبي سعيد، ورواه الترمذي عن عمران بن حصين، انظر «صحيح الجامع الصغير»: (٣ / ٣١٦) حديث رقم (٣٥٥٩).

(٣) انظر الكلام على روايات الحديث في: سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤ / ٢٩٣) حديث رقم (١٧٨٧).

مسخوا قردة وخنازير»(١) .

وروى البخاري تعليقًا عن أبي عامر أو أبي مالك أن النبي ﷺ قال: «**ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علَم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**» وقد وصل الحديث الطبراني والبيهقي وابن عساكر وغيرهم، وإسناده صحيح، وقد أخطأ ابن حزم في تضعيفه للحديث(٢)

ومن الخسوف الكبيرة التي تكون قرب قيام الساعة الخسف بجيش كامل في آخر الزمان، كما في الحديث الذي يرويه أحمد والحميدي عن بقيرة امرأة القعقاع ابن أبي حدرد الأسلمي، قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «**يا هؤلاء، إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريبًا، فقد أظلت الساعة**»(٣) .

ولعل هذا الجيش الذي يخسف به قرب المدينة، ويدل على هذا قوله «قريبًا».

وقد أخبرنا الرسول ﷺ ببعض المواضع التي يقع فيها الخسف والقذف والمسخ، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أنس، إن الناس يمصرون أمصارًا، فإن مصرًا يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فإياك وسباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير**»(٤) .

* * *

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤ / ١٣٥) ، حديث رقم (١٦٠٤).
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١ / ١٣٩) ، حديث رقم (٩١).
(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٣ / ٢٤٠) ، حديث رقم (١٣٥٥).
(٤) مشكاة المصابيح: (٣ / ١٩). ورقم الحديث: (٥٤٣٣).

بعض آثار الفتن في بعض الأقطار

غرق بغداد(١)

قال ابن كثير : وفي سنة ٤٦٦ هـ وفي جمادى الآخرة، نزل مطر عظيم، وسيل قوي كثير، وسالت دجلة ،وزادت حتى أغرقت جانبًا كبيرًا من بغداد، حتى خلص ذلك إلى دار الخلافة، فخرجت الجواري حاسرات عن وجوههن، حتى صرن إلى الجانب الغربي، وهرب الخليفة من مجلسه، فلم يجد طريقًا يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى التاج وكان ذلك يومًا عظيمًا، وأمرًا هائلاً، وهلك للناس أموال كثيرة جدا، ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد، والغرباء، وجاء على وجه السيل من الأخشاب ، والأحطاب ، والوحوش، والحيات، شيء كثير جدا، وسقطت دور كثيرة في الجانبين، وغرقت قبور كثيرة، من ذلك قبر الخيزران، ومقبرة أحمد بن حنبل، ودخل الماء من شبابيك المارستان العضدي، وأتلف السيل في الموصل شيئًا كثيرًا، وصدم سور سنجار، فهدمه: وأخذ بابه من موضعه، إلى مسيرة أربعة فراسخ.

وفي ذي الحجة منها جاءت ريح شديدة، في أرض البصرة فانجعف منها نحو من عشرة آلاف نخلة.

* * *

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٢ / ٩٣ ـ ٩٤) حوادث سنة ٤٦٦ هـ وانظر «الحوادث العظام» للمؤلف (ص / ١١١ ـ ١١٢).

زلزلة وخسف وقتل[١]

قال ابن كثير: ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة فمن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساعات في يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الأولى، وهو الثامن والعشرين آذار، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها، فذهب أكثرها وانهدم سورها، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس، وانخسفت إيليا ، وجفل البحر حتى انكشفت أرضه، ومشى ناس فيه، ثم عاد وتغير ،وانهدمت إحدى زوايا جامع مصر، وتبعت هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان.

وفيها : توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلاثمائة ألف مقاتل، فنزل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم، وفزع المسلمون بحلب وغيرها منه فزعاً عظيماً، فأقام ستة عشر يوماً ثم رده الله خاسئاً وهو حسير، وذلك لقلة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع، ولله الحمد والمنة.

وفيها : ضاقت النفقة على أمير مكة، فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة، فضرب ذلك دراهم ودنانير، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوي.

وفيها : كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب، ونزل الوزير يوماً عن بغلته، فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها، فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (١٢ / ٨٦) حوادث سنة ٤٦٢ هـ، وانظر «الحوادث العظام» (ص / ١١٣ ـ ١١٤).

بادية، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء، ويدفن رؤوسهم وأطرافهم، ويبيع لحومهم، فقتل وأكل لحمه.

وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد، لا يتجاسرون يدخلون لئلا يخطف وينهب منهم، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً، وإنما يدفنه ليلاً خفية، لئلا ينبش فيؤكل.

واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده، من ذلك أحد عشر ألف درع، وعشرون ألف سيف محلى، وثمانون ألف قطعة بلور كبار، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن، وكذلك الأملاك وغيرها، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة، مما نهب من بغداد في وقعة البساسيري .

* * *

بدع وموت وهلاك (١)

قال ابن كثير: وفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة في سادس المحرم منها: استسقى أهل بغداد، لتأخر المطر عن أوانه، فلم يسقوا، وكثر الموت في الناس، ولما كان يوم عاشوراء، عملت الروافض بدعتهم، وكثر النوح والبكاء، وامتلأت بذلك الطرقات والأسواق، وفي صفر منها أمر الناس الخروج إلى الاستسقاء، فلم يخرج من أهل بغداد - مع اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد.

وفي رجب غلت الأسعار جدًا ببغداد وغيرها من أرض العراق، ولم يحج أحد منهم، وفيها وقع موتان عظيمان، ببلاد الهند، وغزنة، وخراسان، وجرجان، والري، وأصبهان، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة، وفي نواحي الموصل، والجبل، وبغداد، طرف قوي من ذلك بالجدري، بحيث لم تخل دار من مصاب به، واستمر ذلك في حزيران، وتموز، وآزار، وأيلول، وتشرين الأول، والثاني، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف، قاله ابن الجوزي في المنتظم.

وقد رأى رجل في منامه، من أهل أصبهان، في هذه السنة، مناديًا ينادي بصوت جهوري: يا أهل أصبهان سكت، نطق، سكت، نطق، فانتبه الرجل مذعورًا، فلم يدر أحد تأويلها ما هو، حتى قال رجل ببيت أبي العتاهية، فقال: احذروا يا أهل أصبهان، فإني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله:

سكت الدهر زمانًا عنهم ثم أبكاهم دمًا حين نطق

فما كان إلا قليل، حتى جاء الملك مسعود بن محمود، فقتل منهم خلقًا كثيرًا، حتى قتل الناس في الجوامع.

---

(١) انظر «البداية والنهاية» (١٢ / ٣٠) حوادث سنة ٤٢٣ هـ، وانظر الحوادث العظام، للمؤلف (ص/ ٨٧ - ٨٨) طبعة دار التقوى.

فتن وقتل وسبي وسلب[1]

قال ابن كثير: في المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين، في هذه السنة اعترض ذكرويه في أصحابه إلى الحجاج من أهل خراسان، وهم قافلون من مكة، فقتلهم عن آخرهم، وأخذ أموالهم، وسبى نساءهم، فكان قيمة ما أخذه منهم ألف ألف دينار، وعد من قتل عشرين ألف إنسان، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج، وفي أيديهم الآنية من الماء، يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان، فمن كلمهن من الجرحى، قتلنه، وأجهزن عليه، لعنهن الله ولعن أزواجهن.

* * *

(١) انظر «البداية والنهاية» (١١ / ٨٧) حوادث سنة ٢٩٤ هـ، وانظر الحوادث العظام، للمؤلف (ص/ ٥٦) طبعة دار التقوى.

اضطراب ونهب وحريق وزلازل(١)

في سنة اثنتين وأربعين ومائتين:

وقع اضطراب بفارس، والروم، وخراسان، والشام، وخرج الروم بعد خروج علي بن يحيى الأرمني من الصائفة حتى قاربوا آمد، ثم خرجوا من الثغور الجزرية، فانتهبوا عدة قرى، ثم رجعوا إلى بلادهم.

وفي ربيع الأول: احترق بالكرخ مائتا حانوت ونيف واحترق بالكرخ رجال ونساء وصبيان.

قال ابن حبيب الهاشمي: وفي شعبان زلزلت الدامغان، فسقط نصفها على أهلها، وعلى الوالي فقتله، ويقال: إن الهالكين كانوا خمسة وأربعين ألفًا.

وكانت بقوس ورساتيقها في هذا الشهر زلازل، فهدمت منها الدور، وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، وسقط نحو من ثلثي بسطام وزلزلت الري، وجرجان، وطبرستان، ونيسابور، وأصبهان، وقم، وقاشان، وذلك كله في وقت واحد، وسقطت جبال، ودنا بعضها من بعض، ونبع الماء مكان الجبال، ورجفت إستراباذ رجفة أصيب فيها الناس كلهم، وسمع بين السماء والأرض أصوات عالية، وانشقت الأرض بقدر ما يدخل الرجل فيها .

قال: ورجمت قرية يقال لها: السويداء، ناحية مصر بخمسة أحجار، فوقع منها حجر على خيمة أعرابي، فاحترقت ، ووزن منها حجر فكان خمسة أرطال، فحمل منها إلى الفسطاط، وواحد إلى تنيس.

قال: وذكر أن جبلاً باليمن عليه مزارع لأهله، سار حتى أتى مزار قوم، فصار فيها، فكتب بذلك إلى المتوكل.

---

(١) انظر: «المنتظم» (١١ / ٢٩٤)، و«تاريخ الطبري» (٩ / ٢٠٧) حوادث سنة ٢٤٢ هـ، وانظر «الحوادث العظام» للمؤلف (ص / ٥٥ ـ ٥٦) طبعة دار التقوى.

وسقطت صاعقة بالبردان، فأحرقت رجلين، وأصابت ظهر الرجل الثالث، فاسود منها، وسقطت في الماء.

قال ابن حبيب: وذكر علي بن أبي الوضاح أن طائرًا دون الرخمة، وفوق الغراب أبيض، وقع على دابة بحلب لسبع بقين من رمضان، فصاح: يا معشر الناس: اتقوا الله اتقوا الله اتقوا الله، حتى صاح أربعين مرة، ثم طار وجاء من الغد، فصاح أربعين مرة، ثم طار وجاء من الغد، فصاح أربعين صوتًا، وكتب بذلك صاحب البريد، وأشهد خمسمائة سمعوه[1].

* * *

(١) انظر: «المنتظم» (١١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٦)، حوادث سنة ٢٤٢ هـ، وانظر «الحوادث العظام» للمؤلف (ص / ٥٦) طبعة دار التقوى.

رجفة وقتل وهدم وبلاء(١)

وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وفي ربيع الآخر: رجفت دمشق رجفة شديدة لارتفاع الضحى، وانتفضت منها البيوت، وتزايلت الحجارة العظيمة، وسقطت عدة منازل وطاقات في الأسواق على من فيها، فقتلت خلقًا كثيرًا من الرجال والنساء والصبيان، وسقط بعض شرفات المسجد الجامع وتصدعت طاقات القبة التي في وسط الجامع مما يلي المحراب، وانقطع ربع منارة الجامع، فهرب الناس بالنساء والصبيان، وهرب أهل الأسواق إلى ذلك، ورجعوا فأخذوا في إخراج الموتى من تحت الهدم وذكر بعض من كان في دير مران أنه كان يرى مدينة دمشق وهي ترتفع وتستقل مرارًا، وأصاب أهل القرية من عمل الغوطة من الرجفة أنها انكفأت عليهم، فلم ينج منهم إلا رجل واحد على فرسه، فأتى أهل دمشق فأخبرهم.

وأصاب أهل البلقاء مثل ما أصاب دمشق، من هدم المنازل ، في ذلك اليوم، وتزايلت الحجارة من سور مدينتها، وسقط حائط لها عرضه ذراع في ستة عشر ذراعًا، وخرج أهلها بنسائهم وصبيانهم، فلم يزالوا في دعاء وضجيج حتى كف الله عنهم برحمته.

وعظمت الزلازل بأنطاكية ومات من أهلها خلق كثير، وكذلك الموصل ويقال: إنه مات من أهلها عشرون ألفًا.

وفي رجب: مطر أهل الموصل مطرًا شديدًا، وسقط برد مختم كالسكر وبعضه كبيض الحمام، فسد مجاري الماء، ثم سال واد من ناحية البرية ذكروا أنه لم يسيل قط فما زالوا كذلك في ضجة حتى أتى ربع الليل وحمل الماء قومًا

---

(١) انظر: «المنتظم» (١١ / ١٨٩ ـ ١٩١) ، حوادث سنة ٢٣٣ هـ، وانظر « شذرات الذهب » (٢ / ٧٧) ، وانظر «الحوادث العظام» للمؤلف (ص / ٥٣ ـ ٥٤) طبعة دار التقوى.

فأغرقــهم ووقعت الدور على بعضهم فقــتلتهم، وكان ما سقط وتهــدم أكثر من ألفي دار.

وفقد في بستان أكثر من مائتي نخلة بـأصولها فلم يبن لها أثر، وكانت معها زلزلة شديدة وصواعق.

دفن أكثر من عشرة آلاف والذين غرقوا أكثر.

* * *

بين يدي الساعة دجالون كذابون

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع أن أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: فكتب إلي: سمعت رسول الله ﷺ يوم جمعة عشية رجم الأسلمي، يقول[1] : «**لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»، وسمعته يقول: «**عصيبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض، بيت كسرى أو آل كسرى**»، وسمعته يقول: «**إن بين يدي الساعة كذابين، فاحذروهم**»، وسمعته يقول: «**إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته**»، وسمعته يقول: «**أنا الفرطُ على الحوض**».

وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا**»[2] . قال: قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: «**مما مضى**».

* * *

(١) رواه مسلم (١٨٢٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٥٤).

لا تقوم الساعة حتى يظهر دجالون كذابون

عن جابر بن سمرة سمعت رسول الله ﷺ يقول[١] : «**إن بين يدي الساعة كذابين** » قال جابر: فاحذروهم.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال[٢] : «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله**» الحديث.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[٣] : «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله**».

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال[٤] : «**لا تقوم الساعة حتى يظهر دجالون ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله ويفيض المال فيكثر وتظهر الفتن ويكثر الهرج والمرج**» قال: ما الهرج؟ قال: «**القتل القتل** » ثلاثًا تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وقد رواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن العلاء به.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال[٥] : «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كذابًا كلهم يكذب على الله وعلى رسوله ﷺ** ».

وعن أبي عثمان الأصبحي قال: سمعنا أبا هريرة يقول[٦] : إن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يغشونكم**».

---

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم (٢٩٢٣).
(٢) الحديث: صحيح البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٥٧).
(٣) الحديث: صحيح رواه مسلم (١٥٧).
(٤) هو كما قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ أخرجه أحمد في «مسنده».
(٥) الحديث: حسن أبو داود (٤٣٣٤).
(٦) الحديث: صحيح أحمد (٢ / ٣٤٩)، والحاكم (١ / ١٨٤).

فتنة المختار بن أبي عبيد الثقفي الدجال (١)

الكذاب، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف ابن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف قد أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم نعلم له صحبة. استعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة جسر أبي عبيد.

ونشأ المختار، فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين، وقد قال النبي ﷺ: «**يكون في ثقيف كذاب ومبير**» فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وكان المبير الحجاج، قبحهما الله(٢).

عن رفاعة الفتياني **قال**: دخلت على المختار، فألقى لي وسادة، وقال: لولا أن جبريل قام عن هذه، لألقيتها لك، فأردت أن أضرب عنقه، فذكرت حديثًا حدثنيه عمرو بن الحمق، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما مؤمن أمن مؤمنًا على دمه فقتله، فأنا من القاتل بريء**».

وعن الشعبي **قال**: أقرأني الأحنف كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي، وكان المختار قد سار من الطائف بعد مصرع الحسين إلى مكة، فأتى ابن الزبير، وكان قد طرد لشره إلى الطائف، فأظهر المناصحة، وتردد إلى ابن الحنفية، فكانوا يسمعون منه ما ينكر. فلما مات يزيد، استأذن ابن الزبير في الرواح إلى العراق، فركن إليه، وأذن له، وكتب إلى نائبه بالعراق عبد الله بن مطيع يوصيه به، فكان

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣ / ٥٣٨ ـ ٥٤٤) برقم (١٤٤) بتصرف ـ بتحقيق الأرناؤوط وانظر: «تاريخ الطبري» (٥ / ٥٦٩ ، ٦ / ٧ ، ٣٨) وما بعدها، و«تاريخ الإسلام» (٢ / ٣٧٧ ، ٣ / ٧٠)، و«البداية والنهاية» (٨ / ٢٨٩) و«شذرات الذهب» (١ / ٧٤ ، ٧٥).

(٢) المرجع السابق (٣ / ٥٣٩)، وانظره في «الحوادث العظام» (ص / ٤٣ ـ ٤٧) طبعة خاصة، وفي نفس المرجع للمؤلف طبعة ـ دار التقوى.

يختلف إلى ابن مطيع، ثم أخذ يعيب في الباطن ابن الزبير، ويثني على ابن الحنفية، ويدعو إليه، وأخذ يشغب على ابن مطيع، وفر من الكوفة، وتمكن هو، ودعا ابن الزبير إلى مبايعة محمد ابن الحنفية، فأبى، فحصره، وضيق عليه، وتوعده، فتألمت الشيعة له، ورد المختار إلى مكة. ثم بعث معه ابن الزبير إبراهيم بن محمد طلحة على خراج الكوفة، فقدم المختار يفسدهم، ويقول: إني جئت من قبل المهدي ابن الوصي، يريد ابن الحنفية، فتبعه خلق ، وقال: إن سليمان لا يصنع شيئًا، إنما يلقى بالناس إلى التهلكة، ولا خبرة له بالحرب.

وخاف عمر بن سعد بن أبي وقاص، فذهب عبد الله بن يزيد الخطمي نائب ابن الزبير وإبراهيم بن محمد إلى ابن صرد ، فقالا: إنكم أحب أهل بلدنا إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم، قفوا حتى نتهيأ.

قال ابن صرد: قد خرجنا لأمر ولا نرانا إلا شاخصين . فسار، ومعه كل مستميت ، ومروا بقبر الحسين، فبكوا ، وأقاموا يومًا عنده وقالوا: يا رب قد خذلناه، فاغفر لنا، وتب علينا، ثم نزلوا قرقيسيا، فتم المصاف بعين الوردة، وقتل ابن صرد وعامة التوابين، ومرض عبيد الله بالجزيرة ، فاشتغل بذلك وبقتال أهلها عن العراق سنة وحاصر الموصل.

وأما المختار، فسجن مدة، ثم خرج، فصار به أهل الكوفة، فقتل رفاعة بن شداد، وعبد الله بن سعد، وعدة. وغلب على الكوفة، وهرب منه نائب ابن الزبير، فقتل جماعة ممن قاتل الحسين، وقتل الشمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد ، وقال: إن جبريل ينزل علي بالوحي، واختلق كتابًا عن ابن الحنفية إليه يأمره بنصر الشيعة، وثار إبراهيم بن الأشتر في عشيرته، فقتل صاحب الشرطة، وسربه المختار، وقوي، وعسكروا بدير هند، فحاربهم نائب ابن الزبير، ثم ضعف واختفى، وأخذ المختار في العدل، وحسن السيرة.

وبعث إلى النائب بمال، وقال: اهرب. ووجد المختار في بيت المال سبعة آلاف ألف درهم، فأنفقها في جيشه، وكتب إلى ابن الزبير: إني رأيت عاملك

مداهنًا لبني أمية، فلم يسعني أن أقره، فانخدع له ابن الزبير، وكتب إليه بولاية الكوفة، فجهز ابن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد في آخر سنة ست وستين، ومعه كرسي على بغل أشهب.

وقال المختار: هذا فيه سر، وهو آية لكم، كما كان التابوت لبني إسرائيل. فحفوا يدعون، فتألم ابن الأشتر، وقال: اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، سنة بني إسرائيل إذ عكفوا على العجل.

وعن طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: كان لي جار زيات له كرسي، فاحتجت، فقلت للمختار: إني كنت أكتمك شيئًا، والآن أذكره. قال: وما هو؟ قلت: كرسي كان أبي يجلس عليه، كان يري أن فيه أثارة من علم. قال: سبحان الله! لم أخرته؟ فجيء به وعليه ستر، فأمر لي باثني عشر ألفًا، ودعا بالصلاة جامعة، فاجتمعوا ، فقال: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن فيكم، وقد كان في بني إسرائيل موت ، وإن فينا مثله، اكشفوا هذا فكشفوا الأثواب، وقامت السبائية. فرفعوا أيديهم، فأنكر شبث بن ربعي ، فضرب فلما انتصروا على عبيد الله افتتنوا بالكرسي، وتغالوا فيه، فقلت إنا لله، وندمت فلما زاد كلام الناس غيب. وكان المختار يربطهم بالمحال والكذب، ويتألفهم بقتل النواصب.

وعن الشعبي قال: خرجت أنا وأبي مع المختار، فقال لنا: أبشروا، فإن شرطة الله حسوهم بالسيوف بقرب نصيبين. فدخلنا المدائن ، فوالله إنه ليخطبنا، إذ جاءته بشري بالنصر، فقال: ألم أبشركم بهذا؟ قالوا: بلى ، فقال لي همداني: أتؤمن الآن؟ قلت: بماذا ؟ قال: بأن المختار يعلم الغيب، ألم يقل لنا: إنهم هزموا؟ قلت: إنما زعم ذلك بنصيبين، وإنما وقع ذلك بالخازر من الموصل. قال: والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم.

وقيل: كان رجل يقول: قد وضع لنا اليوم وحي ما سمع الناس بمثله؛ فيه نبأ ما يكون.

وعن موسى بن عامر قال: إنما كان يضع لهم عبد الله بن عوف ، ويقول: إن المختار أمرني به، ويتبرأ من ذلك المختار، فقال سراقة:

كفرت بوحيكم وجعلت نذرًا على هجاءكم حتى الممات

أرى عيني ما لم تر إياه كلانا عالم بالترهات

ووقع المصاف، فقتل ابن زياد، قده ابن الأشتر نصفين. وكان بطل النخع، وفارس اليمانية فدخل الموصل، واستولى على الجزيرة. ثم وجه المختار أربعة ألاف فارس في نصر محمد ابن الحنفية، فكلموا ابن الزبير، وأخرجوه من الشعب، وأقاموا في خدمته أشهرًا، حتى بلغهم قتل المختار، فإن ابن الزبير علم مكره، فندب لحربه أخاه مصعبًا ، فقدم محمد بن الأشعث ، وشبث بن ربعي إلى البصرة يستصرفان الناس على الكذاب ، ثم التقى مصعب وجيش المختار، فقتل ابن الأشعث، وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، وانفل الكوفيون، فحصرهم مصعب في دار الإمارة، فكان المختار يبرز في خرسانه ، ويقاتل حتى قتله طريف الحنفي وأخوه طراف في رمضان سنة سبع وستين، وأتيا برأسه مصعبًا، فوهبهما ثلاثين ألفًا، وقتل من الفريقين سبعمائة .

وقيل: كان المختار في عشرين ألفًا. ثم إن مصعبًا أساء ، فأمن بقصر الإمارة خلقًا، ثم قتلهم غدرًا، وذبحت عمرة بنت النعمان بن بشير صبرًا، لأنها شهدت أن زوجها المختار عبد صالح. وأقبل في نجدة مصعب المهلب بن أبي صفرة في الرجال والأموال، ولما خذل المختار، قال لصاحبه: ما من الموت بد، وحبذا مصارع الكرام. وقل عليه القوت في الحصار والماء، وجاعوا في القصر، فبرز المختار للموت في تسعة عشر مقاتلاً، فقال المختار: أتؤمنوني؟ قال: لا، إلا على الحكم، قال: لا أحكم في نفسي.

وقاتل حتى قتل، وأمكن أهل القصر من أنفسهم، فبعث إليهم عباد بن حصين، فكان يخرجهم مكتفين، ويقتلهم. فقال رجل لمصعب بن الزبير: الحمد لله الذي ابتلانا بالأسر، وابتلاك أن تعفو، وهما منزلتان إحداهما رضا الله

والأخرى سخطه ، من عفا عفا الله عنه ومن قتل، لم يأمن القصاص، نحن أهل قبلتكم وعلى ملتكم، لسنا تركا ولا ديلمًا، قاتلنا إخواننا كما اقتتل أهل الشام بينهم، ثم اصطلحوا، وقد ملكتم فأسجحوا، فرق مصعب، وهم أن يدعهم، فوثب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال: اخترنا أو اخترهم، وقال آخر: قتل أبي في خمسمائة من حمدان وتخليهم؟!. وسمرت كف المختار إلى جانب المسجد.

وروى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: جاء مصعب يزور ابن عمر، فقال: أي عم! أسألك عن قوم خلعوا الطاعة، وقاتلوا حتى إذا غلبوا، تحصنوا، وطلبوا الأمان، أعطوا، ثم قتلوا، قال: كم العدد؟ قال: خمسة آلاف، فسبح ابن عمر، ثم قال: يا مصعب ! لو أن امرءًا أتى ماشية الزبير، فذبح منها خمسة آلاف شاة في غداة أكنت تعده مسرفًا؟ قال: نعم، قال: فتراه إسرافًا في البهائم. وقتلت من وحد الله. أما كان فيهم مكره أو جاهل ترجى توبته، أصب يا ابن أخي من الماء البارد ما استطعت في دنياك.

وقد كان المختار معظمًا لابن عمر ينفذ إليه بالأموال، وكان ابن عمر تحته صفية أخت المختار.

ونشأ المختار بالمدينة يعرف بالميل إلى بني هاشم، ثم سار إلى البصرة يظهر بها ذكر الحسين في أيام معاوية، فأخبر به عبيد الله بن زياد، فأمسك به، وضربه مائة ودرعه عباءة، ونفاه إلى الطائف . فلم عاد ابن الزبير بالبيت، خرج إليه.

* * *

فتنة الحارث الكذاب الدَّجال (١)

إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروي عن عبد الوهاب ابن نجدة الحوطي قال: ثنا محمد بن المبارك، ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاش وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس. وكان متعبدًا زاهدًا لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة، وكان إذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال: فكتب إلى أبيه يا أبتاه أعجل علي فإني قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال: فزاده أبوه غيا وكتب إليه: يا بني أقبل على أمرت به إن الله يقول: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(٢) ولست بأفاك ولا أثيم فامض لما أمرت به. وكان يجيء إلى أهل المساجد رجلاً رجلاً فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رأي رضي قبل وإلا كتم عليه، وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح ، وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول: اخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجالاً على خيل، فتبعه بشر كثير وفشا الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم بن مخيمرة فقال له: إني نبي، فقال له القاسم: كذبت يا عدو الله فقال له أبو إدريس: بئس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه ، الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه وخرج عبد الملك حتى نزل العنيبرة فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص / ٣٣٣ ـ ٣٣٥).
(٢) سورة الشعراء: (٢٢١).

يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل الحارث فأخذ في التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل. فقال: إن كلامك لحسن ولكن لي في هذا نظر. قال: فانظر. فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه فقال: إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم. فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصري يتردد إليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به ثم قال له: أتأذن لي فقال: إلى أين؟ فقال: إلى البصرة فأكون أول داع لك بها قال: فأذن له فخرج مسرعًا إلى عبد الملك وهو بالعنيبرة فلما دنا من سرادقه صاح: النصيحة النصيحة، فقال أهل العسكر: وما نصيحتك؟ قال: نصيحة لأمير المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه، فدخل وعنده أصحابه، قال: فصاح النصيحة، قال: وما نصيحتك؟ قال: اخلني لا يكن عندك أحد فأخرج من في البيت وقال له: ادنني ، قال : ادن فدنا وعبد الملك على السرير قال: ما عندك ؟ قال: الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال: أين هو؟ قال: يا أمير المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال: أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا فمرني بما شئت قال: يا أمير المؤمنين ابعث معي قومًا لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلاً من فرغانة؟ فقال: انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال: وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلانًا هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به.

فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال: مرني بما شئت، فقال: اجمع لي كل شمعة تقدر عليها ببيت المقدس وادفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت: أسرجوا، أسرجوا جميعًا فرتبهم في أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصري إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب: استأذن لي على نبي الله . قال : في هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح قال: أعلمه أني ما رجعت إلا شوقًا إليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه

بكلامه فأمره بفتح الباب.

قال: ثم صاح البصري أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال: من مر بكم فاضبطوه كائنًا من كان ودخل هو إلى الموضع الذي يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث: هيهات تريدون تقتلون نبي الله قد رفع إلى السماء. قال فطلبه في شق قد هيأه سربا فأدخل البصري يده في ذلك السرب فإذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين: اربطوه، فبينما هم يسيرون به على البريد إذ قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك أنت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلاً فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون: الأنبياء لا يجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى إليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله، قال الوليد: بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال: لو حضرتك ما أمرتك بقتله، قال: ولم ؟ قال: إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه، وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال: لما حمل الحارث على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عتبة بيت المقدس تلا هذه الآية: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ [1] فتقلقلت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها ثم ساروا به فلما أشرفوا على عتبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجالاً من أهل الفقه أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصُلب وجاء رجل بحربة فطعنه

---

(١) سورة سبأ: (٥٠).

فانثنت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغي لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه وسمعت من قال: قال عبد الملك للذي ضربه بالحربة لما انثنت: أذكرت الله حين طعنته؟ قال نسيت قال: فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله ثم طعنه فأنفذها.

* * *

فتنة الحلاج
أحد الدجاجلة الكبار

قال ابن كثير(١) : ونحن نعوذ بالله، أن نقول عليه، ما لم يكن قاله، أو نتحمل عليه، في أقواله وأفعاله، فنقول: هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج أبو مغيث، ويقال أبو عبد الله، كان جده مجوسيًا، اسمه محمي من أهل فارس من بلدة يقال لها: البيضاء، ونشأ بواسط، ويقال: بتستر، ودخل بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها في وسط المسجد في البرد والحر، مكث على ذلك سنوات متفرقة، وكان يصابر نفسه ويجاهدها، ولا يجلس إلا تحت السماء في وسط المسجد الحرام، ولا يأكل إلا بعض قرص ويشرب قليلاً من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة. وكان يجلس على صخرة في شدة الحر في جبل أبي قبيس، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية، كالجنيد بن محمد، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي الحسين النوري.

قال الخطيب البغدادي: والصوفية مختلفون فيه، فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم، وأبى أن يعده فيهم، وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصراباذي النيسابوري، وصححوا له حاله، ودونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف: الحسين ابن منصور عالم رباني. وقال أبو عبد الرحمن السلمي ـ واسمه محمد بن الحسين : سمعت إبراهيم بن محمد النصراباذي وعوتب في شيء حكي عن الحلاج في الروح فقال للذي عاتبه: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١١ / ١١٥ ـ ١٢٤) حوادث سنة ٣٠٩ هـ، وانظر: «المنتظم»، و«شذرات الذهب» (٢ / ٢٥٣ ـ ٢٥٨)، وانظر: «تلبيس إبليس» لأبي الفرج ابن الجوزي، وانظر: «بشارات أولياء الرحمن وحسرات أولياء الشيطان» للمؤلف، وانظر «الحوادث العظام» للمؤلف أيضًا (ص / ٦١ ـ ٧٦) طبعة خاصة وانظره في طبعة دار التقوى.

الحلاج. قال أبو عبد الرحمن: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روي عن الشبلي من وجه آخر أنه قال، وقد رأى الحلاج مصلوباً: ألم أنهك عن العالمين؟

قال الخطيب: والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة في فعله، وإلى الزندقة في عقيدته وعقده. قال: وله إلى الآن أصحاب ينسبون إليه ويغالون فيه ويغلون. وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق، وله شعر على طريقة الصوفية.

قلت: لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره، فأما الفقهاء فحكي عن غير واحد من العلماء والأئمة: إجماعهم على قتله، وأنه قتل كافراً، وكان كافراً ممخرقاً مموهاً مشعبذاً، وبهذا قال أكثر الصوفية . ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه، وغرهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله، فإنه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك، ولكن لم يكن له علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان. فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى، ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد، فصار من أهل الانحلال والانحراف.

وقد روى من وجه: أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان، وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله عز وجل. وصح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال: أدعو به إلى الله وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ـ أي: أنه من رجال المغيث ـ ويكاتبه أهل سركسان بالمقيت. ويكاتبه أهل خراسان بالمميز، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد. وأهل خوزستان بأبي عبد الله الزاهد حلاج الأسرار. وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له: المصطلم، وأهل البصرة يقولون له: المحير.

ويقال: إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان يكاشفهم عن ما في ضمائرهم، وقيل: لأنه مرة قال لحلاج: اذهب لي في حاجة كذا وكذا. فقال: إني مشغول بالحلج. فقال: اذهب فأنا أحلج عنك، فذهب ورجع سريعاً فإذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه، يقال: إنه أشار بالمرود فامتاز الحب عن القطن، وفي صحة هذا ونسبته إليه نظر، وإن كان قد جرى مثل هذا، فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم. وقيل: لأن أباه كان حلاجاً. ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها: شعره في ذلك فمن ذلك قوله:

جبلت روحك في روحي كما … يجبل العنبر بالمسك الفنق

فإذا مسك شيء مسني … فإذا أنت أنا لا نفترق

وقوله أيضًا:

مزجت روحك في روحي كما … تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني … فإذا أنت أنا في كل حال

وقوله أيضاً:

قد تحققتك في سر … ي فخاطبك لساني

فاجتمعنا لمعان … وافترقنا لمعان

إن يكن غيبك التعظيـ … ـم عن لحظ العيان

قد صيرك الوجـ … ـد من الأحشاء دان

وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاج:

أريدك لا أريدك للثواب … ولكني أريدك للعقاب

وكل مآربي قد نلت منها … سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

فقال ابن عطاء: قال هذا لما تزايد به عذاب الشغف وهيام الكلف، واحتراق الأسف، فإذا صفا ووفا علا إلى مشرب عذب وهاطل من الحق دائم

سكب.

وقد أنشد لأبي عبد الله بن خفيف قول الحلاج:

سبـــحان من أظهر ناسوته سرَّ سنا لاهوته الثـــاقب
ثم بدا في خــــلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خــــلقه كلحظة الحاجب بالحـاجب

فقال ابن خفيف: على من يقول هذا لعنه الله؟ فقيل له: إن هذا من شعر الحلاج.

فقال: قد يكون مقولاً عليه. وينسب إليه أيضاً:

أوشكت تــــسأل عني كيف كــــنت وما لاقيت بعدك من هم وحزن
لا كنــت إن كنــت أدري كــيف كـنت ولا لا كنت أدري كيف لم أكن

قال القاضي ابن خلكان: ويروى لسمنون لا للحلاج.

ومن شعره أيضاً قوله:

متى سهرت عيني لغيرك أو بــكت فلا أعطيـــت ما أملت وتمنت
وإن أضمرت نفسي سواك فلا زكت رياض المنى من وجنتيك وجنت

ومن شعره أيضاً:

دنيا تـــغالطني كأن ني لسـت أعرف حالها
حظر المليك حرامها وأنا احتمـــيت حلالها
فوجدتها مـــحتاجة فوهبــــــت لذتها لها

وقد كان الحلاج يتلّون في ملابسه، فتارة يلبس لباس الصوفية، وتارة يتجرد في مـلابس زرية، وتارة يلبـس لبـاس الأجناد ويعـاشـر أبناء الأغنيـاء والملوك والأجناد. وقد رآه بعض أصـحابه في ثياب رثة وبيده ركـوة وعكازة وهو سائح

فقال له: ما هذه الحالة يا حلاج؟ فأنشأ يقول:

لئن أمسيت في ثوبي عديم   لقد بليا على حرّ كريم
فلا يغررك أن أبصرت حالاً   مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستتلف أو سترقى   لعمرك بي إلى أمر جسيم

ومن مستجاد كلامه وقد سأله رجل أن يوصيه بشيء ينفعه الله به. فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك عن الحق. وقال له رجل: عظني. فقال: كن مع الحق بحكم ما أوجب.

وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال: علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع كلمات: حب الجليل وبغض القليل، واتباع التنزيل، وخوف التحويل.

قلت: وقد أخطأ الحلاج في المقامين الأخيرين، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة، بل تحول عنها إلى الاعوجاج والبدعة والضلالة، نسأل الله العافية.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي: أنه قال: كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته.

قال الخطيب: وحدثني مسعود بن ناصر أنبأنا ابن باكوا الشيرازي سمعت أبا زرعة الطبري يقول: الناس فيه - يعني حسين بن منصور الحلاج - بين قبول ورد. ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول: سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول: لو قدرت عليه لقتلته بيدي. فقلت له: إيش الذي وجد الشيخ عليه؟ قال: قرأت آية من كتاب الله فقال: يمكنني أن أؤلف مثله وأتكلم به. قال أبو زرعة الطبري: وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتي من الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده، فبان لي منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر.

قلت: كان تزويجه إياها بمكة، وهي أم الحسين بنت أبي يعقوب الأقطع فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريق الخطيب.

وذكر أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن. قال: فدعا عليه فلم يفلح بعدها. وأنكر على أبي يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته. وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتباً كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه، فشرد الحلاج في البلاد فعاث يميناً وشمالاً، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من الحيل، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق، والله أعدل من أن يسلطه على صديق، كيف وقد تهجم على القرآن العظيم، وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1] ولا إلحاد أعظم من هذا. وقد أشبه الحلاج كفار قريش في معاندتهم، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[2] .

ذكر أشياء من حيل الحلاج:

روى الخطيب البغدادي: أن الحلاج بعث رجلاً من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد، فإذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمي، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح، فإذا سعوا في مداواته، قال لهم: يا جماعة الخير، إنه لا ينفعني شيء مما تفعلون. ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ في

---

(١) سورة الحج: (٢٥).

(٢) سورة الأنفال: (٣١).

المنام وهو يقول له: إن شفاءك لا يكون إلا على يديّ القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني، وصفته كذا وكذا. وقال له الحلاج: إني سأقدم عليك في ذلك الوقت. فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد، ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن. فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه، ثم أظهر لهم أنه قد عمي فمكث حيناً على ذلك، ثم أظهر لهم أنه قد زمن، فسعوا بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شيء، فقال لهم: يا جماعة الخير هذا الذي تفعلونه معي لا ينتج شيئاً وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: إن عافيتك ، وشفاءك، إنما هو على يدي القطب، وإنه سيقدم عليك في اليوم الفلاني، في الشهر الفلاني ، وكانوا أولاً يقودونه إلى المسجد، ثم صاروا يحملونه، ويكرمونه، ولما كان في الوقت الذي ذكر لهم، واتفق هو والحلاج عليه، أقبل الحلاج حتى دخل البلد، مختفيًا، وعليه ثياب صوف بيض، فدخل المسجد، ولزم سارية يتعبد فيه، لا يلتفت إلى أحد فعرفه الناس بالصفات التي وصف لهم ذلك العليل، فابتدروا إليه، يسلمون عليه، ويتمسحون به، ثم جاءوا إلى ذلك الزمن المتعافي، فأخبروه بخبره، فقال صفوه لي، فوصفوه له فقال: هذا الذي أخبرني عنه رسول الله ﷺ في المنام، وأن شفائي على يديه ، إذهبوا بي إليه. فحملوه حتى وضعوه، بين يديه، فكلمه ، فعرفه فقال: يا أبا عبد الله إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ثم ذكر له رؤياه ، فرفع الحلاج يديه فدعا. له، ثم تفل من ريقه، في كفيه، ثم مسح بهما على عينيه، ففتحهما، كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر، ثم أخذ من ريقه، فمسح على رجليه، فقام من ساعته، فمشى ، كأنه لم يكن به شيء، والناس حضور، وأمراء تلك البلاد، وكبراؤهم عنده، فضج الناس ضجة عظيمة، وكبروا الله، وسبحوه، وعظموا الحلاج تعظيمًا زائدًا، على ما أظهر لهم، من الباطل، والزور. ثم أقام عندهم مدة، يكرمونه ، ويعظمونه، ويودون لو طلب منهم ما عساه أن يطلب من أموالهم فلما أراد الخروج عنهم، أرادوا أن يجمعوا له مالاً

كثيراً فقال: أما أنا فلا حاجة لي بالدنيا ، وإنما وصلنا ما وصلنا إليه بترك الدنيا، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان، وأصحاب من الأبدال، الذين يجاهدون بثغر طرسوس ، ويحجون، ويتصدقون، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك، فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافي: صدق الشيخ، قد رد الله علي بصري، ومن الله علي بالعافية، لأجعل بقية عمري في الجهاد في سبيل الله، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال، والصالحين، الذين نعرفهم، ثم حثهم على إعطائه من المال، ما طابت به أنفسهم، ثم إن الحلاج خرج عنهم، ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم، مدة إلى أن جمعوا له مالاً كثيراً ألوفاً من الذهب والفضة، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال.

وروي عن بعضهم قال: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات، فأحببت أن أختبر ذلك فجئته فسلمت عليه فقال لي: تشتهي علي الساعة شيئاً؟ فقلت أشتهي سمكاً طرياً. فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج علي ومعه سمكة تضطرب ورجلاه عليهما الطين. فقال: دعوت الله فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه السمكة، فخضت الأهواز وهذا الطين منها. فقلت: إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك، فإن ظهرت على شيء وإلا آمنت بك. فقال: ادخل، فدخلت فأغلق علي الباب وجلس يراني. فدرت البيت فلم أجد فيه منفذاً إلى غيره، فتحيرت في أمره ثم نظرت فإذا أنا بتأزيرة ـ وكان مؤزراً بإزار ساج ـ فحركتها فانفلقت فإذا هي باب منفذ فدخلته فأفضى بي إلى بستان هائل، فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة، قد أحسن إبقاءها. وإذا أشياء كثيرة معدودة للأكل، وإذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير صغار وكبار، فدخلتها فأخرجت منها واحدة فنال رجلي من الطين مثل الذي نال رجليه، فجئت إلى الباب فقلت: افتح قد آمنت بك. فلما رآني على مثل حاله أسرع خلفي جرياً يريد أن يقتلني. فضربته بالسمكة في وجهه وقلت: يا عدو الله أتعبتني في هذا اليوم. لما خلصت منه لقيني بعد أيام فضاحكني وقال: لا تفش

ما رأيت لأحد، وإلا بعثت إليك من يقتلك على فراشك. قال: فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه فلم أحدث به أحداً حتى صلب.

وقال الحلاج يوماً لرجل: آمن بي حتى أبعث لك بعصفورة تأخذ من ذرقها وزن حبة، فتضعه على كذا مناً من نحاس فيصير ذهباً. فقال له الرجل: آمن أنت بي حتى أبعث إليك بفيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه إلى السماء، وإذا أردت أن تخفيه وضعته في إحدى عينيك. قال: فبهت وسكت.

ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من المخاريق والشعوذة وغيرها من الأحوال الشيطانية، وأكثر ما كان يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل. وقد استدعى يوماً برئيس من الرافضة فدعاه إلى الإيمان به، فقال له الرافضي: إني رجل أحب النساء، وإني أصلع الرأس، وقد شبت، فإن أنت أذهبت عني هذا وهذا، آمنت بك وأنك الإمام المعصوم، وإن شئت قلت إنك نبي، وإن شئت قلت : إنك أنت الله. قال: فبهت الحلاج ولم يحر إليه جواباً.

قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: كان الحلاج متلوناً تارة يلبس المسوح، وتارة يلبس الدراعة، وتارة يلبس القباء، وهو مع كل قوم على مذهبهم: إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقاً أو غيرهم.

ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القدرة، فسئل الشيخ أبو علي الجبائي عن ذلك فقال: إن هذا كله مما يناله البشر بالحيلة، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له ثم سلوه أن يخرج لكم جرزتين من شوك. فلما بلغ ذلك إلى الحلاج تحول من الأهواز.

قال الخطيب: أنبأ إبراهيم بن مخلد أنبأ إسماعيل بن علي الخطيب في تاريخه قال: وظهر أمر رجل يقال له: الحلاج الحسين بن منصور، وكان في حبس السلطان بسعاية وقعت به، وذلك في وزارة علي بن عيسى الأولى، وذكر

عنه ضروب من الزندقة ووضع الحيل على تضليل الناس، من جهات تشبه الشعوذة والسحر، وادعاء النبوة، فكشفه علي بن عيسى عند قبضه عليه وأنهى خبره إلى السلطان ـ يعني الخليفة المقتدر بالله ـ فلم يقر بما رمي به من ذلك فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادى عليه بما ذكر عنه، ثم ينزل به ثم يحبس. فأقام في الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس، خوفاً من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم، إلى أن حبس آخر حبسة في دار السلطان، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموه عليهم واستمالهم بضروب من الحيل، حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه ويرفهونه بالمآكل المطيبة، ثم راسل جماعة من الكتاب وغيرهم ببغداد وغيرها، فاستجابوا له وترقى به الأمر إلى أن ادعى الربوبية، وسعى بجماعة من أصحابه إلى السلطان فقبض عليهم ووجد عند بعضهم كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه، وأقر بعضهم بذلك بلسانه، وانتشر خبره وتكلم الناس في قتله. فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمره أن يكشفه بحضرة القضاة والعلماء ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره ووقف على ما ذكر عنه، وثبت ذلك على يد القضاة وأفتى به العلماء فأمر بقتله وإحراقه بالنار. فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي في يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، ثم ضربت عنقه، وأحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يداه ورجلاه.

وقال أبو عبد الرحمن بن الحسن السلمي: سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول: قال أبو القاسم الرازي: قال أبو بكر بن ممشاذ: حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها ليلاً ولا نهاراً، فأنكروا ذلك من حاله ففتشوا مخلاته فوجدوا فيها كتاباً للحلاج، عنوانه: (من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان) - يدعوه إلى الضلالة والإيمان به ـ فبعث بالكتب إلى بغداد فسئل الحلاج

عن ذلك فأقر أنه كتبه فقالوا له: كنت تدعي النبوة فصرت تدعي الألوهية والربوبية؟ فقال: لا ولكن هذا عين الجمع عندنا. هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة؟ فقيل له: معك على ذلك أحد؟ قال: نعم ابن عطاء وأبو محمد الحريري وأبو بكر الشبلي. فسئل الحريري عن ذلك فقال: من يقول بهذا كافر. وسئل الشبلي عن ذلك فقال: من يقول بهذا يمنع. وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال: القول ما يقول الحلاج في ذلك. فعوقب حتى كان سبب هلاكه.

ثم روى أبو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الرحمن الرازي: أن الوزير حامد بن العباس لما أحضر الحلاج سأله عن اعتقاده فأقر به فكتبه، فسأل عن ذلك فقهاء بغداد فأنكروا ذلك وكفروا من اعتقده، فكتبه فقال الوزير: إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا. فقالوا: من قال بهذا فهو كافر. ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله فجاءه فجلس في صدر المجلس، فسأله عن قول الحلاج فقال: من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد. فقال الوزير لابن عطاء: ويحك تصوب مثل هذا القول وهذا الاعتقاد؟ فقال ابن عطاء: ما لك ولهذا، عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم، فما لك ولكلام هؤلاء السادة من الأولياء. فأمر الوزير عند ذلك بضرب شدقيه ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم من منخريه، وأمر بسجنه. فقالوا له: إن العامة تستوحش من هذا ولا يعجبها. فحمل إلى منزله، فقال ابن عطاء: اللهم اقتله واقطع يديه ورجليه. ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام، ثم بعد مدة قتل الوزير شر قتلة، وقطعت يداه ورجلاه وأحرقت داره. وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء على دعوتهم في مرائيهم فيمن أوذي ممن لهم معه هوى: بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذي ابن عربي أو يحط على حسين الحلاج أو غيره: هذا بخطيئة فلان. وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته، وأجمعوا على قتله وصلبه، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا.

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهري حين أحضر الحلاج في المرة الأولى قبل وفاة أبو بكر هذا وسئل عنه فقال: إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقاً وما جاء به حقاً، فما يقوله الحلاج باطل. وكان شديداً عليه.

وقال أبو بكر الصولي: قد رأيت الحلاج وخاطبته فرأيته جاهلاً يتعاقل، وغبياً يتبالغ، وخبيثاً مدعياً، وراغباً يتزهد، وفاجراً يتعبد. ولما صلب في أول مرة ونودي عليه أربعة أيام سمعه بعضهم وقد جيء به ليصلب وهو راكب على بقرة يقول: ما أنا بالحلاج، ولكن ألقي علي شبهه وغاب عنكم، فلما أدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته وهو مصلوب يقول: يا معين الفنا علي أعني على الفنا.

وقال بعضهم: سمعته وهو مصلوب يقول: إلهي أصبحت في دار الرغائب، أنظر إلى العجائب، إلهي إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف بمن يؤذى فيك.

صفة مقتل الحلاج:

قال الخطيب البغدادي وغيره: كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد فصحب الصوفية وانتسب إليهم، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس، فبلغه أن الحلاج قد أضل خلقاً من الحشم والحجاب في دار السلطان، ومن غلمان نصر القشوري الحاجب، وجعل لهم في جملة ما ادعاه أنه يحيي الموتى، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه. وقال: إنه أحيى عدة من الطير.وذكر لعلي بن عيسى: أن رجلاً يقال له: محمد بن علي القنائي الكاتب، يعبد الحلاج ويدعو الناس إلى طاعته، فطلبه فكبس منزله فأخذه فأقر أنه من أصحاب الحلاج، ووجد في منزله أشياء بخط الحلاج مكتوبة بماء الذهب في ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود. ووجد عنده سفطاً فيه من رجيع الحلاج وعذرته وبوله وأشياء من آثاره، وبقية خبز من زاده. فطلب الوزير من المقتدر أن يتكلم في أمر الحلاج ففوض أمره إليه، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاج

فتهددهم، فاعترفوا له أنه قد صح عندهم أنه إله مع الله، وأنه يحيي الموتى، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك ورموه به في وجهه، فجحد ذلك وكذبهم. وقال: أعوذ بالله أن أدعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير، لا أعرف غير ذلك. وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد ويكثر أن يقول: سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وكانت عليه مدرعة سوداء وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً، والمدرعة واصلة إلى ركبتيه، والقيود واصلة إلى ركبتيه أيضاً، وكان مع ذلك يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة.

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه في حجرة من دار نصر القشوري الحاجب، مأذوناً لمن يدخل إليه وكان يسمي نفسه تارة بالحسين بن منصور، وتارة محمد بن أحمد الفارسي، وكان نصر الحاجب هذا قد افتتن به وظن أنه رجل صالح، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله عنه، وكذلك وقع لوالدة المقتدر السيدة رقاها فزالت عنها. فنفق سوقه وحظي في دار السلطان فلما انتشر الكلام فيه سلم إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه في قيود كثيرة في رجليه، وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته، وأنه ساحر ممخرق. ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه، أحدهما أبو علي هارون بن عبد العزيز الأوارجي، والآخر يقال له: الدباس، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والمخرفة والسحر شيئاً كثيراً، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة. من ذلك: أنه أراد أن يغشاها وهي نائمة فانتبهت فقال: قومي إلى الصلاة، وإنما كان يريد أن يطأها. وأمر ابنتها بالسجود له فقالت: أو يسجد بشر لبشر؟ فقال: نعم إله في السماء وإله في الأرض. ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك ما أرادت، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة.

ولما كان معتقلاً في دار حامد بن العباس الوزير دخل عليه بعض الغلمان

معه طبق فيه طعام ليأكل منه، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه، فذعر ذلك الغلام وفزع فزعاً شديداً، وألقى ما كان في يده من ذلك الطبق والطعام، ورجع محموماً فمرض عدة أيام.

ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضي أبو عمر محمد بن يوسف، وجيء بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه: من أراد الحج ولم يتيسر له، فليبن في داره بيتاً لا يناله شيء من النجاسة، ولا يمكن أحداً من دخوله، فإذا كان في أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة، ثم يفعل في داره ما يفعله الحجيج بمكة .ثم يستدعي ثلاثين يتيماً فيطعمهم من طعامه، ويتولى خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً، ويعطي كل واحد منهم سبعة دراهم ـ أو قال: ثلاثة دراهم ـ فإذا فعل ذلك قام له مقام الحج. وإن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا في اليوم الرابع على ورقات هندبا، أجزأه ذلك عن صيام رمضان. ومن صلى في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره، أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك. وأن من جاور بمقابر الشهداء وبمقابر قريش عشرة أيام يصلي ويدعو ويصوم، ثم لا يفطر إلا على شيء من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره. فقال له القاضي أبو عمر: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري. فقال له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعنا كتاب الإخلاص للحسن بمكة ليس فيه شيء من هذا. فأقبل الوزير على القاضي فقال له: قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأنفذها الوزير إلى المقتدر، وجعل الحلاج يقول لهم: ظهري حمى ودمي حرام، وما يحل لكم أن تتأولوا عليّ ما يبيحه، واعتقادي الإسلام، ومذهبي السنة، وتفضيل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وأبي عبيدة بن الجراح، ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين، فالله الله في دمي. فلا يلتفتون إليه ولا إلى شيء

مما يقول. وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الأمر. ورد الحلاج إلى محبسه، وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد ابن العباس، فكتب إلى الخليفة يقول له: إن أمر الحلاج قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان، وقد افتتن كثير من الناس به. فجاء الجواب: بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، وليضربه ألف سوط، فإن مات وإلا ضربت عنقه. ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة، فسلمه إليه وبعث معه طائفة من غلمانه، يصلونه معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربي خوفاً من أن يستنقذ من أيديهم. وذلك بعد عشاء الآخرة في ليلة الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة من هذه السنة، وهو راكب على بغل عليه إكاف وحوله جماعة من أعوان السياسة على مثل شكله، فاستقر منزله بدار الشرطة في هذه الليلة، فذكر أنه بات يصلي تلك الليلة ويدعو دعاء كثيراً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا بكر الشاشي يقول: قال أبو الحديد ـ يعني المصري ـ: لما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها الحلاج قام يصلي من الليل فصلى ما شاء الله، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ومد يده نحو القبلة، فتكلم بكلام جائز الحفظ، فكان مما حفظت منه قوله: نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدى ما شئت من شأنك ومشيئتك. وأنت الذي في السماء إله وفي الأرض إله تتجلى لما تشاء مثل تجليك في مشيئتك كأحسن الصورة، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة، ثم إني أوعزت إلى شاهدك لأني في ذاتك الهوى كيف أنت إذا مثلت بذاتي عند حلول لذاتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي، وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي، صاعداً في معارجي إلى عروش أزلياتي عند التولي عن برياتي، إني احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت سافيات الذاريات. ولججت في الجاريات، وأن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتي، لأعظم من الراسيات. ثم أنشأ يقول:

أنعى إليك نفوساً طاح شاهدها ... فيما وراء الحيث بل في شاهد القدم

أنعى إليك قلوباً طالما هـــطلت سحائب الوحى فيها أبحـــر الحكم

أنعى إليك لسان الحق منك ومن أودى وتذكاره في الوهم كالعـــدم

أنعي إليك بياناً يســـــتكين له أقوال كل فصـــــيح مقول فهم

أنعى إليك إشارات العقول معاً لم يبق منهـــــن إلا دارس العلم

أنعى وحبك أخلاقاً لــــطائفة كانت مطاياهم من مكمـــد الكظم

مضى الجـــميع فلا عين ولا أثر مضي عاد وفقـــدان الأولى إرم

وخلفوا معشراً يحذون لبـــستهم أعمى من البهم بل أعمى من النعـم

قالوا: ولما أخرج الحلاج من المنزل الذي بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد:

طلبت المســـتقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مســـتقرا

وذقت من الزمان وذاق مني وجدت مذاقه حلوا ومـــرا

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لعشت حرا

وقيل: إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب، والمشهور الأول.

فلما أخرجوه للصلب مـشى إليه وهو يتبختر في مشـيته، وفي رجليه ثلاثة عشر قيداً وجعل ينشد ويتمايل:

نديمي غير منـسوب إلى شيء من الحيـــف

فلـــما دارت الكأس دعا بالنطع والســـيف

سقاني مثل ما يـــشر ب فعل الضيف بالضيف

كذا من يشرب الراح مع التنين في الصــــيف

ثم قال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ (١) ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

---

(١) سورة الشورى: (١٨).

قالوا: ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو في ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة، ولم يتغير لونه، ويقال: إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد.

قال أبو عبد الرحمن: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت عيسى القصار يقول: آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال: حسب الواحد إفراد الواحد له. فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له، واستحسن هذا الكلام منه

وقال السلمي: سمعت أبا بكر المحاملي يقول: سمعت أبا الفاتك البغدادي ـ وكان صاحب الحلاج ـ قال: رأيت في النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأني واقف بين يدي ربي عز وجل، وأنا أقول: يا رب ما فعل الحسين ابن منصور؟ فقال: كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسه فأنزلت به ما رأيت.

ومنهم من قال: بل جزع عند القتل جزعاً شديداً وبكى بكاء كثيراً، فالله أعلم.

وقال الخطيب: ثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي قال: قال لنا أبو عمر بن حيويه : لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج ليقتل مضيت في جملة الناس، ولم أزل أزاحم حتى رأيته فدنوت منه فقال لأصحابه: لا يهولنكم هذا الأمر، فإني عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً. ثم قتل فما عاد.

وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والي الشرطة: ادع بي إليك فإن عندي نصيحة تعدل فتح القسطنطينية. فقال له: قد قيل لي: إنك ستقول مثل هذا، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل. ثم قطعت يداه ورجلاه وحز رأسه وأحرقت جثته وألقى رمادها في دجلة، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر، ثم حمل إلى خراسان وطيف به في تلك النواحي، وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوماً.

وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار في طريق النهروان فقال: لعلك من هؤلاء النفر الذين ظنوا أني أنا هو المضروب المقتول، إني لست به، وإنما ألقي شبهي على رجل ففعل به ما رأيتم، وكانوا بجهلهم يقولون: إنما قتل عدو من أعداء الحلاج. فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال: إن كان هذا الرأي صادقاً، فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به، كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب.

قال ابن كثير: وفي يوم الإثنين السادس عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجامع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد، ويكرر ذلك لا يفتر، ولم يصل مع الناس ولا صلّى على الجنازة الحاضرة، على أن الناس في الصلاة، وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به، فلما فرغنا من الصلاة نبهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضي القضاة الشافعي في تلك الجنازة حاضر مع الناس.

فجئت إليه واستنطقته من الذي ظلم آل محمد؟ فقال: أبو بكر الصديق، ثم قال جهرة والناس يسمعون: لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد، فأعاد ذلك مرتين فأمر به الحاكم إلى السجن، ثم استحضره المالكي وجلده بالسياط، وهو مع ذلك يصرح بالسب واللعن والكلام الذي لا يصدر إلا عن شقي واسم هذا اللعين علي بن أبي الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبحه الله وأخزاه.

ثم لما كان يوم الخميس سابع عشرة عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك فقدر الله أن حكم نائب المالكي بقتله، فأخذ سريعاً فضرب عنقه تحت القلعة وحرقه العامة وطافوا برأسه البلد ونادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله ﷺ [١].

---

١) انظر: «البداية والنهاية» (١٤ / ٢١٠) حوادث سنة ٧٥٥ هـ.

فتنة ابن صياد الدجال (١)

وهو رجل من يهود المدينة اسمه صاف كان شبيهًا بالدجال في كثير من صفاته وكان الرسول مشككًا في أمره، وحاول الرسول أن يكشف أمره أكثر من مرة.

فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه انطلق مع رسول الله في رهط قِبَل ابن صياد حتى وجده يلعب مع الصبيان عند أطم بني مغالة، وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله ظهره بيده ثم قال رسول الله ﷺ لابن صياد: «**أتشهد أني رسول الله**» ، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين.

فقال ابن صياد لرسول الله: أتشهد أني رسول الله فرفضه رسول الله وقال: «**آمنت بالله ورسوله**» ثم قال رسول الله ﷺ: «**ماذا ترى؟**» .

قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، فقال له رسول الله ﷺ: «**خلط عليك الأمر... القصة**».

قال النووي في شرحه على مسلم على قصة ابن صياد: قال العلماء: وقصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة.

قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال(٢) .

وكان عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر يجزمان بأن ابن صياد هو الدجال.

---

(١) انظر «معجم ألفاظ العقيدة» أبو عبد الله عامر عبد الله فالح [ص ١٧ ـ ١٨] مكتبة العبيكان.

(٢) القيامة الصغرى، عمر الأشقر / ٢٥١ .

والصحيح أنه ليس الدجال لمعارضته الأحاديث الدالة على أنه لن يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة من عهد النبي ﷺ أحد، ولأنه يحرم على الدجال دخول مكة والمدينة.

وقد قيل: إن ابن صياد أسلم ولكن لم يثق أحد بإسلامه وبقي الناس يشككون في أمره.

* * *

ظهور الدجاجلة الذين يزعمون أنهم رسل الله

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال[١] : «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كل يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج ـ وهو القتل ـ وحتى يكثر المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورأها الناس آمنوا جميعًا وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي منه ولتقومن الساعة وقد رفع اللقمة إلى فيه فلا يطعمها**».

وقال مسلم[٢] : حدثني حرملة بن يحيى التجيبي، حدثنا ابن وهب، حدثنا يونس عن ابن شهاب أن أبا إدريس الخولاني قال: قال حذيفة بن اليمان وعدتم من حديث بدأتم، والله إني لأعلم الناس بكل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي إلا يكون رسول الله أسر إلى في ذلك شيئًا لم يحدثه غيري .

ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسًا أنا فيه عن الفتن فقال ﷺ وهو يعد الفتن[٣] « **منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار**» قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري .

---

(١) الحديث: صحيح ـ البخاري (٧١٢١).
(٢) الحديث: صحيح ـ مسلم (٢٨٩١).
(٣) «النهاية في الفتن والملاحم» (ص / ٤٠).

فتنة الأئمة المضلين

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أخاف على أمتي أئمة مضلين**».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله**»[١].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ، ونحن تسعة، خمسة، وأربعة، أحد العددين من العرب، والآخر من العجم، فقال: «**اسمعوا: هل سمعتم أنه ستكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني، ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم - فهو مني، وأنا منه، وهو وارد علي الحوض**»[٢].

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين عليكم أمراء، يقربون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم، فلا يكونن عريفًا ولا شرطيا، ولا جابيًا، ولا خازنًا**»[٣].

عن مطرف بن عامر قال[٤]: لما قاتل مروان الضحاك بن قيس، أرسل إلى أيمن بن خزيم الأسدي، فقال: إنا نحب أن تقاتل معنا، فقال: إن أبي وعمي شهدا بدرًا، فعهدا إلي ألا أقاتل أحدًا يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءة من النار، قاتلت معك!!

---

(١) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»(٢٢٢٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه»(٢٢٥٩)، والنسائي (٧/ ١٦٠).

(٣) حسن لغيره: وانظره لابن حبان في «الموارد»(١٥٥٨).

(٤) رواه البيهقي في «سننه» (٨/ ١٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٩٠) وغيرهما.

فقال: اذهب ووقع فيه وسبه، فأنشأ أيمن يقول:

ولست مقاتلاً رجُلا يصلي   على سلطان آخر من قريش
له سلطانه، وعلي إثمي   معاذ الله من جهل وطيش!
أقاتل مسلمًا في غير شيء؟!   فليس بنافعي ما عشت عيش

وعن زياد بن مسلم أن عمر قال: حدثنا أبو الأشعث الصنعاني قال: «بعثنا يزيد بن معاوية إلى ابن الزبير، فلما قدمت المدينة، دخلت على فلان ـ سمى زياد اسمه ـ فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا، فما ترى؟ فقال: أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ إن أدركت شيئًا من هذه الفتن، فاعمد إلى أحد، فاكسر به سيفك، ثم اقعد في بيتك، قال: فإن دخل عليك أحد، فقم إلى المخدع، فإن دخل عليك المخدع، فاجث على ركبتيك، وقل بوء بإثمي وإثمك، فتكون من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين، فقد كسرت حد سيفي، وقعدت في بيتي»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ قال: **«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً إلى الله، وقالت ملائكة العذاب، إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه،**

---

(١) الحديث: حسن رواه أحمد في «مسنده» (١٨١٤٥).

فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة» [١] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله[٢] : «وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها، لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك، ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوءٍ، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها، وفيه فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب، ودله على طريق النجاة».

* * *

(١) الحديث: صحيح رواه البخاري في «صحيحه» (٣٤٧٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٦٦) واللفظ لمسلم.

(٢) انظر «فتح الباري» (٦ / ٥١٧).

من علامات الساعة الصغرى

زخرفة المساجد والتباهي بها (١)

زخرفة المساجد والتباهي بها : فقد روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» ، وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : « من أشراط الساعة أن يتباهى الناس بالمساجد » [أخرجه النسائي وابن خزيمة بسند صحيح] . وزخرفة المساجد، هو نقشها، وعلة النهي والله أعلم أن ذلك علامة الترف والتبذير والإسراف، إضافة إلى أنه يشغل الناس عن صلاتهم، أضف إلى ذلك قول ابن عباس كما في صحيح البخاري أنه من عمل اليهود والنصارى : " لتُزخرفُنّها كما زخرفت اليهود والنصارى » . لهذا ولغيره ورد النهي ، ولمّا أمر عمر بن الخطاب بتجديد المسجد النبوي على عهده، نهى عن الزخرفة وأكد على ذلك فقال : « أكنّ الناس من المطر، وإياك أن تحمرّ أو تصفرّ، فتفتن الناس ».

فانظر كيف فهم فاروق الأمة رضي الله عنه أحاديث النهي ، لأن الزخرفة تفتن الناس وتشغلهم عن صلاتهم ، وتلهيهم عنها ، وتُذهب الخشوع ، وتنزع الطمأنينة من القلوب .

ولقد كان مسجد رسول الله ﷺ مبنياً من اللبن ، وأعمدته من خشب النخل ،وسقفه مظلل بالجريد ، ولما نُخرت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، جدده بمثل ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نُخرت في خلافة عمر رضي الله عنه ، فوسع المسجد ولم يغير ما بُني سابقاً ، بل بناه باللبن والجريد وخشب النخل ، ولم يزخرفه ولم ينقشه ، مع كثرة الفتوحات الإسلامية في عهده رضي الله عنه ، واتساع رقعة الديار الإسلامية ، وكثرة الأموال بسبب

---

(١) علامات الساعة الصغرى (١٠٩ ـ ١١٣) ، يحيى بن موسى الزهراني.

الفتوحات ، ومع ذلك أبقاه كما كان عليه صاحبيه ، ولكن ليس معنى هذا أن يبقى المسجد من اللبن والجريد فقط ، وكلما نخرته السوس أُعيد بناؤه ، بل يجب العناية بالمساجد فهي بيوت الله تعالى ، يجب على المسلمين العناية بها أكثر مما يعتنون ببيوتهم ، وليس معنى ذلك أن نقوم بزخرفتها والتكلف في بنائها وصرف الأموال العظيمة الطائلة في ذلك ، ونترك الفقراء والمساكين والمحتاجين ، بل هذا الفعل هو المنهي عنه في الحديث ، فالمنهي عنه أن النقوش والتصاوير والزخارف وخصوصاً إذا كانت بالذهب (١).

فرحم الله الفاروق عمر، فإن من أتوا بعده، لم يأخذوا بوصيته، ولم يقتصروا على التحمير والتصفير، بل وتعدوا ذلك إلى النقش كما ينقش الثوب .

والتباهي في بناء المساجد، صار أمراً ظاهراً لكل أحد، ومنذ القديم، والسلاطين والملوك والخلفاء، يتباهون في بناء المساجد وتزويقها وزخرفتها، حتى أتوا وعلى مر التاريخ بالعجب، ولا زالت بعض هذه المساجد قائمة حتى الآن في الشام ومصر وتركيا، وبلاد المغرب والأندلس والهند، وغيرها. ولا تزال هذه العادة مستمرة إلى يومنا هذا، التباهي، والزخرفة، الأول يبني مسجداً يتباهى بأنه صاحب أطول مئذنة في العالم، والثاني أكبر قبة، والثالث أوسع، والرابع أجمل، والخامس أحسن، المهم أنه على وزن أفعل ما في العالم، ويمكن أن يلحق ما هو على وزن أفعل: أسوء، وأقبح، إذا كان مخالفاً لهدي النبي ﷺ.

إن عمارة بيوت الله جل وتعالى إنما تكون، بالطاعة والذكر والصلاة، وتحقيق ما وجدت المساجد في هذا الدين من أجله، يكفي في المسجد أن يقي الناس الحر والبرد والمطر.

إن مسجد رسول الله ﷺ كان في وقته من جريد النخل لكنه كان مكاناً للصلاة والذكر، وكان مقراً لاجتماع مجلس الشورى، وكان قاعدة عسكرية،

---

(١) أحكام المساجد في الإسلام (ص / ٥١) .

ينطلق منها جحافل الإيمان إلى أصقاع المعمورة، يفتحون البلاد وينشرون دين الله، وكان جامعة تخرج منها الفقهاء والمحدثين والمفسرين، وكان مأوى للفقراء والمساكين، كأهل الصفة وغيرهم.

إلى غير ذلك مما وجد المسجد في الإسلام لأجله، أما اليوم فصحيح أن مساجدنا، أطول، وأكبر، وأوسع، و . . و . . لكن المقاصد الشرعية الأخرى للمساجد عطلت، فأصبح أسوأ، وأبشع، وأبعد من السنة.

لقد جاء الوعيد من نبيكم بالخبر الصحيح بالدمار إذا زخرفت المساجد وحليت المصاحف، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « إذا زوقتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » [(١)] ، والحديث وإن كان موقوفاً على أبي الدرداء ، فإنه في حكم المرفوع لأن مثل هذا الأمر لا يُقال بالرأي .

والذي عليه الشافعية كما نقله المناوي رحمه الله : « أن تزويق المساجد ولو الكعبة بذهب أو فضة حرام مطلقاً، وبغيرهما مكروه » [(٢)] .

فكم من المساجد اليوم يتباهى بها أهلها ، من زخرفة وكتابات بخطوط مختلفة ، وأشكال ورسوم ، ورخام وأشياء عجيبة لم تُرى قبل ذلك ، يأتون بها من أقصى الدنيا وأدناها ، حتى يدخل المصلي إلى المسجد ويخرج وهو منذهل متعجب من تلك الأمور ، بل إن البعض يدخل الصلاة ويخرج منها ولا يذكر إلا تلك الزخرفة ، ولو سئل عما قرأ الإمام لما عرف ، والكثير من الناس إذا أتوا من الحج أو زيارة المسجد النبوي ، لا يحدثونك عن حلقات تحفيظ القرآن ، ولا يحدثونك عن المحاضرات والدروس العلمية المقامة هناك ، بل يتحدثون عما رأوا من زخارف ومصاعد كهربائية ومياه باردة ، وسلالم مختلفة ، فأصبحت المساجد أماكن للفرجة والنزهة ، ولا أقول ذلك من باب الاعتراض على ما هو حاصل اليوم من توسعة للمساجد في بلاد المسلمين ، لا بل المقصود أن لا تصل

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه الألباني في الصحيحة برقم ١٣٥١ .

(٢) فيض القدير ٢ / ٧١٤ .

الأمور بالمسلمين حتى يتباهوا بالمساجد وزخرفتها وترك الجوهر والأصل وهو عمارتها بذكر الله ، وأن تكون مكاناً للتعليم ، ومنطلقاً للفتوحات الإسلامية ، كما كانت في الصدر الأول للإسلام .

واليوم أصبحت المساجد تئن من فقد المصلين، وتشتكي من كثرة المتسولين ، ولا يحرك أكثر المسلمين ساكناً تجاه هذه الأحداث المؤلمة المؤثرة على العقيدة ، والقادحة في الدين ، فهناك من الناس من يؤيد التسول في بيوت الله ، وهي لم تبن لذلك ، قال تعالى : ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ ، فالواجب على الجميع احترام بيوت الله تعالى من كل ما يدنسها ، أو يثير الجدل والكلام الغير لائق بها ، فليست بأماكن كسب وسبل ارتزاق ، لجمع حطام الدنيا ، لذلك فهي لا تصلح مكاناً للتسول ، ورفع الصوت ولغط الكلام ، كمن يتسول ويسأل الناس من أموالهم . ويحرم أن تكون بيوت الله تعالى مكاناً لكسب حطام الدنيا ، والتمول من أموال الناس . وأقرب ما تقاس عليه مسألة التسول ، مسألة نشدان الضالة ، والجامع بينهما البحث والمطالبة بأمر مادي دنيوي ، فناشد الضالة يبحث عن ماله دون شبهة ، ومع ذلك أمر الشارع الكريم كل من في المسجد بأن يدعو عليه بأن لا يجد ضالته ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد ، فليقل : لا ردها الله عليك ، فإن المساجد لم تبن لهذا » [أخرجه مسلم أبو داود] . أما المتسول فهو يطلب مال غيره ، والشبهة قائمة ألا يكون محتاجاً أصلاً بل إنه يسأل الناس تكثراً والعياذ بالله . فكان أجدر ألا يُعطى نكالاً له . فمسألة التسول مسألة أرقت الأمة اليوم ، وأيقظت الغيرة عند الغيورين ، وكثر فيها الجدل عند الكثيرين ، فلا تكاد تصلي في مسجد إلا ويداهمك متسول وشحاذ ، ويطاردك سائل ومحتاج ، وليس العجب في هذا ، ولكن العجب عندما ترى رجلاً أو شاباً يافعاً وهو يردد كلمات لطالما سمعناها ، ولطالما سئمناها ، فيقف أحدهم ويردد كلمات عكف على حفظها أياماً طوالاً ،

وساعات عديدة ، مدفوعاً من قبل فئة مبتزة ، أو جهة عاطلة ، تريد المساس بأمن هذا البلد واستقراره ، وتشويه صورته أمام المجتمعات ، إن تلك المناظر المخجلة التي نراها في بيوت الله تعالى ، لهي دليل على عدم احترام المساجد ، وعدم معرفة السبب الذي من أجله بنيت ، ودليل على نزع الحياء ، وعدم توقير لبيوت الله تعالى ، ووضاعة في أخلاق أولئك المتسولين والشحاذين والمبتزين لأموال الناس والآكلين لها بالباطل ، وكم تطالعنا الصحف اليومية بتحقيقات صحفية مع أولئك المبتزين من رجال ونساء ، ولسان حالهم جميعاً يقول : نريد مالاً بلا عمل ، لقد فسخوا الحياء من وجوههم ، ولهذا قال ﷺ : « إن لم تستح فاصنع ما شئت » .

إننا في هذا الوقت من الزمان ، الذي تفشى فيه الجهل ، وانتشرت فيه البطالة ، اعتدنا كل يوم وبعد كل صلاة تقريباً على مناظر مؤذية، ومشاهد مؤلمة، يقوم بتمثيلها فئة من الشباب المدربين على إتقان صناعة النصب والاحتيال بممارسة مهنة الشحاذة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ولهم في ذلك أحوال وأشكال ، فمنهم من يقوم بتجبيس يده أو رجله أو أي جزء من جسده ، ومنهم من يتصنع البلاهة والجنون ، ومنهم من يدعي الإصابة بحادث أو موت والد أو أم ، أو حصول مرض ، أو ترك ديون ، وتُرك له أخوة وأخوات ، ويقوم برعايتهم ، والإنفاق عليهم ، والدين أثقل كاهله ولا يستطيع السداد ، ومنهم من يفتعل البكاء وقد يجلب معه ابن الجيران أو ابنتهم ليمارس الشحاذة بها ، لاستعطاف القلوب ، وقد يقسم بالله كاذباً أنه لولا تلك الديون ، وعظم المسؤولية لما وقف أمام الناس ، وغير ذلك من الأعذار والأكاذيب التي لم تعد تنطلي على أحد من العقلاء . وكل يوم يقومون بتطوير أساليب الشحاذة ونهب أموال الناس ، بل لقد وصل الأمر إلى بشاعة عظيمة ، وأمر لا يقره دين ولا عقل ، وذلك بوجود فئة من إماء الله من النساء اللاتي يأتين إلى بيوت الله تعالى لممارسة الشحاذة والتسول ، وهذا أمر خطير .

ومن علامات الساعة: ضياع الأمانة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال[١] : قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟

قال: «**إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة**».

وعن حذيفة رضي الله عنه، قال[٢] : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها، قال: «**ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك، فنفط ، فتراه منتبراً ، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه ! وما أجله! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا، رده الإسلام، وإن كان نصرانيًا، رده على ساعيه، فأما اليوم؟ فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا**» .

❊ ❊ ❊

(١) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (١١ / ٣٣٣ فتح).
(٢) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (١١ / ٣٣٣ فتح)، (١٣ / ٣٨ ـ فتح).

ومن علامات الساعة: ظهور صنفين من أهل النار

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (١) : « صِنْفَانِ مِن أهلِ النار لم أَرَهُما بَعْدُ:

قومٌ مَعَهُم سِيَاطٌ كأَذْنَابِ البَقَرِ يضربون بها الناس، ونساءٌ كَاسِيَاتٌ عارِيَاتٌ مَائِلاتٌ مُمِيلاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبخْتِ المائلةِ لا يَدْخُلْنَ الجنَّةَ ولا يَجِدْنَ ريحهَا وإن ريحها لتوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا » .

* * *

(١) الحديث: صحيح ـ مسلم (٢٨٥٧)، وأحمد (٨٦٥٠)، (٩٦٧٨) وغيرهما. ليوجد من مسيرة خمسمائة عام.

شرطة آخر الزمان الذين يجلدون الناس[١]

يكثر الظلم في آخر الزمان، حتى إن الرجال الذين يوكل إليهم القيام على الأمن وردع الظالمين يفسدون، فإذا بهم يتحولون إلى ظلمة يجلدون ظهور العباد بسياطهم، وهذا كثير مشاهد في ديار الإسلام اليوم.

روى أحمد والحاكم والطبراني في «الكبير» بإسناد صحيح عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه**»[٢] .

وخبر هؤلاء ومصيرهم مذكور في صحيح مسلم، فقد روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات، مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٣] .

* * *

(١) انظر «القيامة الصغرى» د/ عمر سليمان الأشقر (ص / ٢٠١).
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤/ ٥١٧)، ورقم الحديث: (١٨٩٣).
(٣) صحيح مسلم: (٤ / ١٦٨٠)، ورقم الحديث: (٢١٢٨).

إحراز الجهجاه الملك[1]

الجهجاه رجل من قحطان سيصير إليه الملك، وهو شديد القوة والبطش، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: «لا تذهب الأيام والليالي، حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه»[2] .

ويحتمل أن يكون هذا الذي في الرواية الأخيرة غير الأول، فقد صَحّ في سنن الترمذي عن أبي هريرة أن هذا الجهجاه من الموالي، ففي سنن الترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له: الجهجاه**»[3] .

والمراد بكونه يسوق الناس بعصاه أنه يغلب الناس فينقادون له ويطيعونه، والتعبير بالسوق بالعصا للدلالة على غلظته وشدته، وأصل الجهجاه الصيَّاح، وهي صفة تناسب العصا كما يقول ابن حجر[4] ،وهل يسوق هذا الرجل الناس إلى الخير أم الشر؟ ليس عندنا بيان من الرسول ﷺ بذلك .

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[5] : «**يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال ـ أو قال: يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان ـ معهم سياط، كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله، ويروحون في غضبه**».

---

(١) القيامة الصغرى (ص / ٢١٠) .
(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب تغير الزمان، فتح الباري: (١٣ / ٧٦).
(٣) انظر صحيح الجامع الصغير: (٦ / ٢٣٠) حديث رقم : (٧٥٦١).
(٤) فتح الباري: (١٣ / ٧٨).
(٥) الحديث: رواه أحمد في «مسنده» (٥ / ٢٥٠).

وفي رواية للطبراني في «الكبير»[١] : «**سيكون في آخر الزمان شرطة يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم**».

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ[٢] : «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ...**»

قال النووي رحمه الله: «وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به ﷺ فأما أصحاب السياط، فهم غلمان والي الشرطة»[٣] .

وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه[٤] : «**إن طالت بك مدة؛ أوشكت أن ترى قومًا يغدون في سخط الله ، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر**».

❊ ❊ ❊

---

(١) « إتحاف الجماعة » (١ / ٥٠٧ ، ٥٠٨)، والحديث صحيح ، وانظر « أشراط الساعة » (ص / ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) الحديث: رواه مسلم في «صحيحه» (١٧ / ١٩٠) بشرح النووي.

(٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم (١٧ / ١٩٠).

(٤) الحديث: رواه مسلم في «صحيحه» (١٧ / ١٩٠) بشرح النووي.

ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة(١)

عن أبي هريرة قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ في مجلس يحدث القوم إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال.

وقال بعضهم: بل لم يسمع ما قال حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين السائل عن الساعة؟**».

قال: ها أنا يا رسول الله ﷺ قال: «**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال: وكيف إضاعتها؟

قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**».

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله: الرواية الصحيحة عند جميع رواة البخاري «إذا وسد» ورواه الفقيه الإمام المحدث أبو الحسن القابسي: «أسد» قال: والذي أحفظ وسد وفي نسخة من البخاري إشكال بين وسد أو أسد على ما قيد له لأنه كان أعمى وهما بمعنى.

قال أهل اللغة: يقال إساد ووساد واشتقاقهما واحد، يقال: إساد ووسادة فمعنى قوله ﷺ: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله**» أي أسند وجعل إليهم وقلدوه بمعنى الإمارة، كما في زماننا اليوم، لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله ﷺ(٢): «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر في أمور الأمة، فإذا قلدوا غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم.

---

(١) التذكرة (ص / ٦٢٤ ـ ٦٢٧) باختصار واكتفاءً بالصحيح.

(٢) البخاري، وأبو داود، والترمذي (١٧٠٥).

وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال : أخبرني عن الساعة قال[١] : «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان**».

وفي رواية: «**إذا رأيت المرأة تلد ربها فذلك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها**» .

وروى الترمذي عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ[٢] : «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع بن لكع**» قال: حدث حسن غريب إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو.

وخرج الغيلاني أبو طالب محمد: حدثنا أبو بكر والشافعي، حدثنا موسى ابن سهل بن كثير، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عبد الملك بن قدامة عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[٣] ،قال: «**سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة** » ، قيل: يا رسول الله وما الرويبضة؟

قال: «**الرجل التافه ينطق في أمر العامة**» وقال أبو عبيد: التافه: (الرجل الخسيس الخامل من الناس، وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه قال: ومما يثبت حديث الرويبضة الحديث الآخر أنه قال: «**من أشراط الساعة أن ترى رعاء الشاء رؤوس الناس ، وأن ترى العراة الحفاة يتبارون في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها**».

وذكر أبو عبيد في الغريب له في حديث النبي ﷺ[٤] : «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش ، والبخل، ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن، ويهلك الوعول، ويظهرالتحوت**» قالوا: يا رسول الله وما الوعول وما التحوت؟

---

(١) مسلم (١/ ١٦٣ ـ نووي)، والحديث أيضا رواه البخاري (١/ ١١٤ فتح).
(٢) أحمد (٥ / ٣٨٩)، والترمذي (٢٢٠٩).
(٣) أحمد (٢ / ٢٩١)، وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٤ / ٥١٢).
(٤) أحمد (٢ / ١٦٢).

قال: « **الوعول وجوه الناس والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم**».

وفي معناه أنشدوا:

أيا دهر أعملت فينا إذاكا ووليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رؤوساً وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت عاديتنا فها قد صنعت بنا ما كفاكا

وقال آخر:

ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضًا ليدفع مغرور عن معور

قال علماؤنا رحمة الله عليهم[1] : ما أخبر النبي ﷺ في هذا الباب وغيره مما تقدم ويأتي قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه، فوسد الأمر إلى غير أهله وصار رؤوس الناس أسافلهم وعبيدهم وجهالهم فيملكون البلاد والحكم في العباد، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان، فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية فهم صم بكم عمي.

قال قتادة: صم عن استماع الحق . بكم عن التكلم به. عمي عن الإبصار له، وهذه صفة أهل البادية والجهالة.

والبهم: جمع بهيمة وأصلها صغار الضأن والمعز، وقد فسره في رواية أخرى في قوله: رعاء الشاة.

وقوله: «وأن تلد الأمة ربها»، وفي رواية: « ربتها» بتأنيث رب أي سيدها، وقال وكيع: هو أن تلد العجم العرب، ذكره ابن ماجه في السنن.

قال علماؤنا : وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسري

(١) التذكرة (ص / ٦٢٦ ـ ٦٢٧).

فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه، وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاد المسلمين واتساع خطتهم وكثرة الفتوح وهذا قد كان، وقيل: هو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك.

فيتداول الملاك المستولدة، فربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربها، وعلى هذا الذي يكون من أشراط الساعة غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد وهم الجمهور.

وقيل: المراد أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة والسب، ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي هريرة: المرأة مكان الأمة وقوله عليه الصلاة والسلام: «**حتى يكون الولد غيظًا**». وسيأتي إن شاء الله تعالى.

قلت[1] : وهذا ظاهر في الوجود من غير نكير مستفيض وشهير .

وقيل: إنما كان سيدها وربها لأنه كان سبب عتقها.

قلت[2] : وقول خامس: سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النحوي المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القرطبي المعروف بابن حجة يقوله غير مرة: وهو الإخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان التي قد استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان، فتسبى المرأة وهي حبلة أو ولدها صغير فيفرق بينهما فيكبر الولد فربما يجتمعان ويتزوجها كما قد وقع من ذلك كثير، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويدل على هذا قوله: إذا ولدت المرأة بعلها، وهذا هو المطابق للأشراط مع قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض**»[3] .

---

(١) التذكرة (ص / ٦٢٧). (٢) المرجع السابق (ص / ٦٢٧).
(٣) مسلم (٢٨٩٨).

بأسُ هذه الأمة بينها

عن عامر بـن سعد، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية[١] حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل، فركـع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فـقال ﷺ: «**سـألت ربي ثلاثًا، فأعطـاني ثنتين ومنعني واحدة، سـألت ربي أن لا يهلك أمـتي بالسنة فأعطانيـها وسـألته أن لا يهلك أمـتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**».

وعن عـبد الرحـمن بن أبي ليلى، عن معـاذ، قال: صلى رسـول الله ﷺ صلاة، فأحسن فيها القيام والخشوع والركوع والسجود قال[٢] : «**إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله فيها ثلاثًا فـأعطاني اثنتين وزوى عني واحدة، سألته أن لا يبعث على أمتي عـدوًا من غيرهم فـيجتـاحهم فأعطانيـه، وسألته أن لا يبـعث عليهم سنة تقتلهم جوعًا فأعطانيه وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي**».

وعن ثوبان ، قال: قال رسول الله ﷺ[٣] : «**إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشـارقها ومـغاربها، وإن أمـتي سيبـلغ ملكها ما زوي لي منهـا ، وأعطيت الكنزين الأحمـر والأبيض وإني سألت ربي لأمـتي أن لا يهلكهم بسنة عامـة، وأن لا يسلط عليهم عـدوًا من سوى أنفسهم، فيـستبيح بيـضتهم وإن ربي قال: يا مـحمد إني إذا قضـيت قضـاءً فإنه لا يُرد ، وإني أعطيـتك لأمتك أن لا أُهلكهم بسنة عـامة وأن لا أسلط عليـهم عدوًا من سـوى أنفسـهم يستبـيح بيضـتهم ولو اجـتمع عليـهم من بأقطارها ـ أو قال من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهـم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا**».

---

(١) رواه مسلم (٢٨٩٠).

(٢) رواه أحمد (٥ / ٢٤٣، ٥ / ٢٤٧)، وله طريق عند ابن ماجه عن معاذ (٣٩٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢).

آخر الأمة يصيبها بلاءٌ وفتن

عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة عن عبد الله بن عمرو، وكنت جالسًا معه في ظل الكعبة، وهو يحدث الناس قال[1] : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فما من يصلح خباءه ومنا من يتنضل ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ ، فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعِلَ عافيتُها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرافق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع**»، وقال مرة: «ما استطاع» قال عبد الرحمن : فلما سمعت أدخلت رأسي بين رجلي وقلت : فإن ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا، وقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾[2] ، الآية، قال: فجمع يديه فوضعها على جبهته، ثم ذكر هنيهة ثم رفع رأسه فقال: أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله، قلت له: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم سمعته أذناي، ووعاه قلبي.

* * *

---

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤)، وأبو داود (٤٢٤٨)، والنسائي (٤١٩١)، وابن ماجه (٣٩٥٦) وأحمد في مسنده (٢ / ١٩١).

(٢) سورة النساء: (٢٩) .

ظهور هذه العلامات قبل الساعة

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[١] : «لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان، ولا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتكثر الفتن ويكثر الهرج، ولا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله، ولا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ليتني مكانك، ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، حتى يهم الرجل رب المال من يقبله منه».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:[٢] «إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد».

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال[٣] : «لا تذهب الأيام والليالي حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، وحتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، وينجو واحدا ».

* * *

---

(١) الحديث: صحيح رواه البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٥٧).

(٢) الحديث: صحيح رواه البخاري (٦٨٠٨)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) الحديث: صحيح رواه مسلم (٢٨٩٤).

تقارب الزمان وذهاب البركة من الوقت

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:[١] «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة» .

والسعفة : الخوصة .

* * *

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢ / ٥٣٧)، وابن حبان (٦٨٤٢) .

كثرة النساء وقلة الرجال (*)

عن أنس رضي الله عنه قال: لأحدثنكم حديثا لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد**»(١).

قيل: إن سبب ذلك كثرة الفتن، فيكثر القتل في الرجال، لأنهم أهل الحرب دون النساء» (٢).

وقيل: إن سبب ذلك كثرة الفتوح، فتكثر السبايا، فيتخذ الرجل عدة موطوءات.

قال الحافظ ابن حجر: «فيه نظر؛ لأنه صرح بالقلة في حديث أبي موسى.. فقال: «من قلة الرجال وكثرة النساء» (٣)، والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم»(٤).

قلت: ولا يمنع أن يكون ذلك بما ذكره الحافظ ابن حجر، وبغيره من

(*) انظر «أشراط الساعة» (ص/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (١/ ١٧٨ مع الفتح)، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الفتن في آخر الزمان، (١٦/ ٢٢١ ـ مع شرح النووي)، وجامع الترمذي، باب ما جاء في أشراط الساعة، (٦/ ٤٤٨) (ح ٢٣٠١).

(٢) انظر التذكرة (ص ٦٣٩)، وشرح النووي لمسلم(٧/ ٩٦ ـ ٩٧)، وفتح الباري (١/ ١٧٩).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة، (٧/ ٩٦ مع شرح النووي).

(٤) فتح الباري (١/ ١٧٩).

الأسباب التي ينشأ عنها قلة الرجال وكثـرة النساء، كوقوع الفتن التي تكون سببا في القتـال ، فقد جاء في رواية الإمـام مسلم ما يدل على أن كثـرة النساء وقلة الرجال يـكون بسبب ذهاب الرجـال وبقاء النسـاء، والذي يذهب الرجال غـالبا يكون كثرة القتال، ولفظ مسلم هو قوله ﷺ : «ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»[١] .

وليس المراد هنا حقـيقة العدد (خـمسين)، فقد جاء في حـديث أبي موسى رضي الله عنه: «ويُرى الرجل يتـبعـه أربعون امـرأة يلذن به»[٢] . فيكون ذلك مجازا عن الكثرة[٣] ، والله أعلم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العـلم وقبضه وظهور الجهل والفتن (١٦/ ٢٢١ مع شرح النووي).
(٢) صحيح مسلم (٧/ ٩٦ ـ مع شرح النووي).
(٣) انظر: «فتح الباري» (١/ ١٧٩).

قبل الساعة سنوات خداعات

أخبـرنا الرسول ﷺ (١) أن المقاييس التي يـقوم بها الرجـال تختل قبل قـيام الساعة، فـيقبل قول الكاذب ويصدق، ويرد على الصادق خـبره، ويؤتمن الخونة على الأموال والأعراض، ويخون الأمناء ويتهمون ، ويتكلم التافهون من الرجال في القضايا التي تهم عامة الناس، فـلا يقدمون إلا الآراء الفجة، ولا يهدون إلا للأمور المُعوجة، فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فـيها الكاذب، ويكذب فـيهـا الصادق، ويؤتمـن فيـها الخـائن، ويخون فـيـها الأمين، وينطق فـيهـا الرويبضة**»، قيل: وما الرويبضة ؟

قال: «**الرجل التافه، يتكلم في أمر العامة**»(٢) .

ومن تأمل في أحـوال عالمنا اليوم وجـد أننا نعيش هذا العـصر الذي أخـبر الرسول ﷺ عنه، فـالكذبة من الكفار والمشـركين الذين يملكون وكالات الأنـباء والإذاعات ومن على طريقهم يصدقـون، وأهل الصدق والعدل يكذبون، والأمة الإسلامـية تضع أموالهـا في أيدي الخونة الكفرة، ويؤتمـنون على ذلك، ويخون المسلمون ولا يؤتمنون على شيء من ذلك ، وقد تكلم في شؤون العالم التافهون من الرجال، وقادوه قيادة هوجاء توشك أن تدمر البشرية جمعاء.

قلت(٣) : ويندرج هذا أيضًا على المـنافقين والفاسقـين من المسلمين، وصرنا نرى هذا رأى العين، ونعيش هـذا الواقع ليل نهار من خلال الشـارع، والعمل، والأسواق، والهيئات، والمؤسسات وشاشات الفضائيات.

حيث صار الكثـيرون يصدقون الكاذبين من اللادينيين والسيـاسيين المنافقين،

(١) «القيامة الصغرى» (ص / ٢٠٠).

(٢) أحمد في مسنده (٢ / ٣٣٨).

(٣) المؤلف ـ محمد الزغبي ـ غفر الله له.

كمـا صار الكثيـرون يأتمنون الخونة، ممن يتاجـرون بالدين، وركبـوا الدين مطية للدنيا، ويأتمنون الأفـاكين الذين يظهرون على الشاشات وكـأنهم النجوم الزواهر وهم لصوص.

كمـا نرى الرويبضة الآن في وسـائل الإعلام، وفي المجالس النيـابية، وفي المؤتمرات وهو يتكلم في أمر العامة [١] .

* * *

(١) وهذا لا يخفى على إنسان ولا ينكره عاقد.

فتنة الأحلاس، وفتنة السراء، وفتنة الدهيماء[1]

عن عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ قعودًا نذكر الفتن، فأكثر من ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: «**هي فتنة هرب وحرب، ثم فتنة السراء، دخلها أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني، وليس مني، وإنما وليي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، إذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من اليوم أو غد**»[2].

والأحلاس جمع حلس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهت به الفتنة لملازمتها للناس حين تنزل بهم كما يلازم الحلس ظهر البعير، وقد قال الخطابي: يحتمل أن تكون هذه الفتنة شبهت بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها.

والحرب بفتح الراء: ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل فهو حريب فلان إذا سلب ماله وأهله.

والسراء النعمة التي تسر الناس من وفرة المال والعافية، وأضيفت الفتنة إليها لأن النعمة سببها، إذ إن الإنسان يرتكب الآثام والمعاصي بسبب ما يتوفر له من الخير.

وقوله: «كورك على ضلع» هذا مثل للأمر الذي لا يستقيم ولا يثبت، لأن الورك لا يتركب على الضلع، ولا يستقيم معه.

---

(١) «القيامة الصغرى» (ص / ٢١١).

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود وأحمد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني (٢ / ٧٠٢)، حديث رقم (٩٧٤).

والدهيماء : الداهية التي تدهم الناس بشرها [١] .

عن عمر بن هانئ العنسي سمعت عبد الله بن عمر يقول : كنا قُعودًا عند رسول الله ﷺ حتى ذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس وقال قائل: يا رسول الله ، وما فتنة الأحلاس؟ قال: **«هي هرب وحرب ثم فتنة السراء، دخلها أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي ، يزعم أنه مني وليس مني . إنما أوليائي المتقون ، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته ، حتى إذا قيل انقضت عادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافر، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه ، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»** تفرد به أبو داود، وقد رواه أحمد في «مسنده» عن أبي المغيرة بمثله[٢] .

* * *

(١) انظر «القيامة الصغرى» د/ عمر سليمان الأشقر (ص / ٢١١ ـ ٢١٢).
(٢) الحديث: صحيح رواه أبو داود في «سننه» (٤٢٤٢).

فتنة قتلاها كلهم في النار

عن عمرو بن وابصة الأسدي عن أبيه قال: إني بالكوفة في داري إذ سمعت على باب الدار: السلام عليكم، إلخ.

فقلت: عليكم السلام ، فلما دخل فإذا به عبد الله بن مسعود، فقلت: يا أبا عبد الرحمن أية ساعة زيارة هذه، وذلك في نحر الظهيرة قال: طال على النهار فذكرت من أتحدث معه، قال فجعل يحدثني عن رسول الله ﷺ وأحدثه. ثم أنشأ يحدثني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[1] : «**تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع والمضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الراكب والراكب خير من الساعي، قتلاها كلهم في النار**».

قلت: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: «**ذلك أيام الهرج**» قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال: «**حين لا يأمن الرجل جلسته**». قال قلت: فما تأمرني إذا أدركت ذلك؟ قال: «**اكفف نفسك ويدك وادخل دارك**» قال: قلت يا رسول الله : أرأيت إن دخل على رجل داري؟ قال: «**فاقفل بيتك**» قلت أفرأيت إن دخل علي بيتي؟ قال: «**فادخل مسجدك ، واصنع هكذا وقبض بيمينه على الكوع، وقل: ربي الله حتى تموت على ذلك** ».

* * *

---

(١) الحديث: صحيح ـ مسلم (٢٨٨٦) مختصراً، وأحمد (١ / ٤٤٩) بلفظه، برقم (٤٢٨٧)، وفي (١ / ٤٤٨) برقم (٤٢٨٦).

ستكون فتن والنجاة في اعتزالها

وعن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ[١] : «**إنها ستكون فتنة المضطجع فيها خير من الجالس والجالس فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**».

قال: يا رسول الله ما تأمرني؟

قال: «**من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**» قال: «**فمن لم يكن له شيء من ذلك فليعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ما استطاع النجاء**». وقد رواه مسلم من حديث عثمان السحام بنحوه.

وقال أبو داود: حدثنا الفضل عن عياش عن بكير عن بشر بن سعيد عن حسين بن عبد الرحمن الأشجعي أنه سمع سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث. قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ فقال رسول الله ﷺ[٢] : «**كن كابن آدم**» وتلا ﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ** ﴾[٣] الآية. انفرد بها أبو داود من هذا الوجه وقال أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد. حدثنا ليث بن سعد عن عياش بن عباس عن بكير بن عبد الله عن بشير بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال: عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال[٤] : «**ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**».

قال: أفرأيت إن دخل بيتي فبسط يده ليقتلني؟ قال: «**كن كابن آدم**».

---

(١) الحديث: صحيح ـ أبو داود (٤٢٥٦).

(٢) الحديث: صحيح ـ أبو داود (٤٢٥٧).

(٣) سورة المائدة: (٢٨).

(٤) الحديث: صحيح ـ أحمد (١ / ١٨٥)، والترمذي (٢١٩٤).

بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم

عن أبي موسى الأشعري قال[١] : قال رسول الله ﷺ : «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل ـ يعني ـ على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم**».

ثم قال الإمام أحمد: حدثني مرحوم حدثني أبو عمران الجواني عن عبد الله ابن الصامت عن أبي ذر قال: ركب رسول الله ﷺ حمارًا وأردفني خلفه فقال[٢] : «**يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع**».

قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**اصبر**» قال: «**يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا. يعني حتى تغرق حجارة البيت من الدماء ـ كيف تصنع؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «**اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك**».

قلت: فإن لم أترك أفآخذ سلاحي؟ .

قال: «**إذا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فالق طرف ردائك على وجهك، كي يبوء بإثمه وإثمك**».

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عاصم الأحول عن أبي كبشة قال: سمعت أبا

---

(١) الحديث: صحيح ـ أبو داود (٤٢٥٩)، والترمذي (٢٢٠٤)، وابن ماجه (٣٩٦١).
(٢) الحديث: صحيح ـ أبو داود (٤٤٠٩)، وأحمد (٥ / ١٤٩).

موسى يقول: قال رسول الله ﷺ[١]: «**إن بيني أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي**».

قالوا: فما تأمرنا ؟

قال: «**كونوا أحلاس بيوتكم**».

* * *

(١) الحديث: صحيح ـ أبو داود (٤٢٦٢)، وأحمد (٤ / ٤٠٨).

فتن تجعل القابض على دينه كالقابض على الجمر

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [(١)]: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر».

أو قال: «على الشوك».

* * *

(١) الحديث: صحيح أحمد (٢/ ٣٩٠)، والترمذي (٢١٩٥).

قبائل من الأمة ستلحق بالمشركين

عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ[١]: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وإني أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي أن لا يهلكوا بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي عز وجل قال: يا محمد إني قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها ـ أو قال: من بأقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضًا وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع في أمتي السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل**».

* * *

---

(١) الحديث: صحيح ـ مسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢) وغيرهما.

فتن تجعل الحي يغبط الميت

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[1] : «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني كنت مكانه».

* * *

(١) الحديث: صحيح البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) .

اشتداد الفتن مع مضي الزمن[١]

ووجدنا مع تأخر الـزمن شدة الفتن، وهذا من موجبات هـذه القاعدة، ثبت في «صحيح البخاري» ، وغيره بسنده إلى الزبير بن عدي قال[٢] : أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليـه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصـبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه، حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ .

قال الحـافظ ابن حـجر: «وقـد استـشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الـشـر دون التي قـبلهـا ، ولو لم يـكن في ذلـك إلا زمـن عـمـر بن عبد العزيز، وهو بعـد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهـر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبـد العزيز، وقد حمله الحسن البصري على الأكـثر الأغلب فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج؟ فقال: لابد للناس من تنفيس.

وأجاب بعضهم: أن المراد بالتفضيل: تفضيل مجـموع العصر على مجموع العصر، فإن عـصر الحجاج كان فيـه كثير من الصحابة من الأحـياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا ، والزمـان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده، لقوله ﷺ : «**خير القرون قرني**».

وقال أيضًا: «ثم وجدت من عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتباع، فـأخرج يعقوب بن شيـبة من طريق الحارث بن حصـيرة، عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي قبله حـتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيـش يصيبه ولا مالاً يفـيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليـوم الذي مضى قبله، فـإذا ذهب العلماء استـوى الناس؛ فـلا يأمرون بالمعروف ولا يـنهون عن

---

(١) انظر «العراق» (١ / ١٤٢ ـ ١٤٤) للشيخ الحبيب/ مشهور بن حسن.
(٢) انظره في صحيح البخاري (٧٠٦٨).

المنكر، فعند ذلك يهلكون[١] .

واستشكلوا ـ أيضًا ـ زمان عيسى ابن مريم بعد زمان الدجال، قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة ما قبل وجود العلامات العظام كالدجال وما بعده، فيكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشر في زمن الحجاج فما بعده إلى زمن الدجال، وأما زمن عيسى ـ عليه السلام ـ فله حكم مستأنف، والله أعلم.

ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة، بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك، فيختص لهم، لكن الصحابي ـ رضي الله عنه ـ فهم التعميم، فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر، وكذلك التعميم واضح وصريح في قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه.

والشاهد من هذا: أن الاستشكال المذكور بسبق الحجاج لعمر بن عبد العزيز في الزمن، مع قوله ﷺ: «**لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه، حتى تلقوا ربكم**» لا يزول إلا بتذكر هذه القاعدة؛ وهي: (الفتن في كل زمان حسب رجاله)، فالرجال الموجودون في زمن الحجاج هم الصحابة ، بخلاف الموجودين في زمن عمر بن عبد العزيز فإنهم التابعون.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١ / ٦٥)، والطبراني في الكبير (٩ / ١٠٩) رقم (٨٥٥١)، وابن وضاح في «البدع» (٧٨ ، ٢٤٨)، وابن أبي زمنين في «السنة» رقم (١٠)، والفسوي في «المعرفة» (٣ / ٣٩٣)، وغيرهم ـ انظر هامش (١ / ١٤٣ ـ ١٤٤) العراق.

بؤرة الفتن ومصدرها[١]

أخبرنا الرسول ﷺ بالجهة التي تهب منها رياح الفتن على الديار الإسلامية، ففي صحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم**»[٢] .

وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر، فقال: «**الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان، أو قال: قرن الشمس**». رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم عن عائشة: «**رأس الكفر ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٣] ، وفي حديث آخر عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**، قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»[٤] .

وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق، ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة[٥]

ولا شك أن العراق في جهة المشرق، وأنها تعد بالنسبة لالمدينة نجدًا، وهذا

---

(١) القيامة الصغري (ص / ١٨٢ ـ ١٨٤).

(٢) جامع الأصول: (١٠ / ٦١)، ورقم الحديث: (٧٥٢٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ (الفتنة من قبل الشرق) فتح الباري: (١٣ / ٤٥) ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب الفتن من المشرق (٤ / ٢٢٢٩) حديث رقم (٢٩٠٥).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق، فتح الباري: (١٣ / ٤٥).

(٥) فتح الباري : (١٣ / ٤٧).

ما فقهه سالم بن عبد الله بن عمر، فعندما كان أهل العراق يرتكبون العظائم ويسألون عن التوافه من الأمور، قال لهم سالم: «يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة، وأركبكم الكبيرة! سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من ها هنا**» وأومأ بيده نحو المشرق: «**من حيث يطلع قرنا الشيطان**»، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض[١] .

ومن استقرأ التاريخ علم أن الفتن كانت تهب على الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي من جهة المشرق ، فمنها ثارت الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة الراشد عثمان، ومنها خرجت فرقة الحرورية المارقة: الخوارج، وبقيت رياح الخوارج تعصف بالأمة في العهد الأموي، وبها قامت ثورة الزنج في عام ٢٥٥هـ بالبصرة، وفي عام ٢٧٨ هـ انبعثت منها حركة القرامطة ومن اطلع على ما أحدثه الزنج والقرامطة في الأمة الإسلامية يذهل مما ارتكبوه من فظائع.

وليس المشرق قصراً على العراق، فمن الشرق هبت رياح التتار، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تأتي رايات الدجال من خراسان كما أخبر الرسول ﷺ .

ولا تعارض هذه الأحاديث ـ التي تحدد البؤرة التي تنبعث منها الفتن على الأمة الإسلامية ـ حديث الرسول ﷺ الذي يرويه عنه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: «أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة، فقال: «**هل ترون ما أرى؟**» قالوا: لا. قال: «**فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر**»[٢] رواه البخاري[٣] .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق (٤ / ٢٢٢٩) حديث رقم (٢٩٠٥).

(٢) أشار الرسول ﷺ في هذا الحديث إلى كثرة الفتن وعمومها للناس لا تختص بها طائفة دون أخرى، كما يعم المطر النواحي التي ينزل فيها، ومن قرأ التاريخ وما جرى بعد مقتل عثمان ومقتل الحسين علم صدق مقالة الرسول ﷺ.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب» فتح الباري (١٣ / ١١)، ورواه مسلم (٤ / ٢٢١١) واللفظ للبخاري.

يقول ابن حجر في شرح الحديث: «اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب مقتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك، أو عن شيء تولد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه، ثم عليه بتوليه لهم، وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهي من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب، وبين الحديث الآتي أن الفتنة من جهة المشرق[1].

* * *

(١) فتح الباري: (١٣ / ١٣).

مصدر الفتن (١)

وقال صاحب فقه التعامل مع الفتن في ظهور الفتن ومصدرها:

حرص النبي ﷺ كل الحرص على توجيه أمته إلى الخير وأسبابه ، وتحذيرها من الشر ودواعيه ، رحـمة بالأمة الإسلامية، ورأفة بها كـما قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (٢) .

ومن شفـقة المصطفى صلوات الله وسلامـه عليه وعظيم رأفـته بالمؤمنين أن أخبرهم عن الفتن التي ستظهر في أواخر الزمان ليتخذوا الأسباب والوسائل التي تقيهم من زلاتها وتخلصهم من نذير شؤمها، وكان هذا الإنذار والتحذير من تمام بلاغ النبي ﷺ لرسالته التي بُعث بها رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ (٣) .

ومن ذلك الإنذار النبـوي ما ورد عنه ﷺ من الإخبـار عن ظهور الفتن في آخر الزمان وبيان مصدر ظهورها الذي تنبع منه.

١ ـ وذلك ما رواه أسامـة بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ أشرف على أُطُم من آطام المدينة ثم قال: «**هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**» (٤) .

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يتـقارب الزمـان، وينقص العمـل، ويلقى الشح، ويظهر الفتن، ويكثـر الهرج**». قالوا: يا رسول الله

---

(١) انظر: «فقه التعامل مع الفتن» (ص / ٤٠ ـ ٤٩).

(٢) سورة التوبة: (١٢٨).

(٣) سورة الأحزاب: (٤٥).

(٤) أخرجـه البخاري، في الفتن، باب قول النـبي ﷺ ويل للعرب من شر قد اقـترب (١٣ / ١١)، ومسلم، في الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ٧).

أيما هو؟ قال: «**القتل القتل**»(١) .

٣ ـ وعن أم المؤمنين أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات ـ يريد أزواجه ـ لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»(٢) .

٤ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال: «**الفتنة ها هنا، الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس**».

وفي لفظ آخر عنه أيضًا: أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»(٣) .

٥ ـ وفي رواية لمسلم: أن رسول الله ﷺ قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «**الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان قالها مرتين أو ثلاثًا**»(٤) .

٦ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: «**رأس الكفر من ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان**» ـ يعني المشرق(٥) .

٧ ـ وفي لفظ يقول ابن عمر رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يشير بيديه نحو المشرق فيقول: «**ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة ها هنا ـ ثلاثًا ـ حيث يطلع قرنا الشيطان**»(٦) .

---

(١) أخرجه البخاري، في الفتن، باب ظهور الفتن (١٣ / ١٣) ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه (١٦ / ٢٢٢).
(٢) أخرجه البخاري، في الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه (١٣ / ٢٠).
(٣) أخرجه البخاري، في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق» (١٣ / ٤٥).
(٤) أخرجه مسلم، في الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ٣١).
(٥) أخرجه مسلم، في الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ٣١ ـ ٣٣).
(٦) أخرجه البخاري، في بدء الخلق (٦ / ٣٣٦)، ومسلم، في الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ٣٢).

٨ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»، قالوا : يا رسول الله ! وفي نجدنا؟ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**».

قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**»[١] .

٩ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدادين**[٢] **أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم**»[٣] .

١٠ ـ وعن أبي مسعود يبلغ به النبي ﷺ قال: «**من هاهنا جاءت الفتن نحو المشرق، والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر، عند أصول أذناب الإبل والبقر في ربيعة ومضر**»[٤] .

١١ ـ وعن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال: أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال: «**الإيمان يمان هاهنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر**»[٥] .

١٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان يمان والكفر قبل المشرق والسكينة في أهل الغنم والفخر والرياء في الفدادين أهل الخيل**

---

(١) أخرجه البخاري، في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق» (١٣ / ٤٥).

(٢) الفدادين: بالتشديد؛ الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم. انظر: النهاية: في غريب الحديث، لابن الأثير (٣ / ٤١٩).

(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٦ / ٣٥٠) ومسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان (٢ / ٣٠).

(٤) أخرجه البخاري، في المناقب باب قول الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) (٦ / ٥٢٦).

(٥) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٦ / ٣٥٠).

والوبر»[١]

فقه الأحاديث:

هذه الأحاديث النبوية علم من أعلام نبوتهﷺ ، وفيها الإخبار عن ظهور الفتن ليحذر منها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن بعدهم.

وقد ورد التحذير من الفتن في القرآن الكريم:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾[٢] .

وقوله عز وجل: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٣] .

ففي الأحاديث الآنفة الذكر، وهاتين الآيتين، تحذير بالغ من الفتن والوقوع فيها لما في ذلك من الشرور والبلايا والآثام.

وقد بين النبي ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، وقد ورد عن حذيفة رضي الله عنه قوله: «إذا اشتبه عليك الحق بالباطل فلم تدر أيهما تتبع فتلك الفتنة»[٤] .

وتدور الأحاديث الآنفة الذكر حول محورين:

الأول: التحذير من الفتن والإخبار بعمومها ففي قوله: «**كمواقع القطر**» إشارة إلى عموم الفتن، وأنها لا تختص بأقوام بأعيانهم بل تعم غيرهم.

قال الحافظ ابن حجر: «والمراد بالمواقع مواضع السقوط والخلال النواحي... والرؤية بمعنى النظر أي: كُشف لي فأبصرت ذلك عيانًا... وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم؛ لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها ولو في بعض جهاتها»[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم، في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان (٢ / ٣١).

(٢) سورة الأنفال: (٢٥).

(٣) سورة الأنبياء: (٣٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف (١٥ / ٧٠).

(٥) انظر فتح الباري (١٣ / ١٣).

والمحور الثاني: مصدر الفتن ، فبين النبي ﷺ أن مصدرها المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان وإنما ترك الدعاء لأهل المشرق ليضعفوا عن الشر الذي هو موضوع في جهتهم لاستيلاء الشيطان بالفتن[١] .

وقوله: «قرن الشيطان» .

١ ـ قيل : للشيطان قرنٌ حقيقة .

٢ ـ ويحتمل : أن يريد بالقرن قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وذكر الحافظ أنه أوجه .

٣ ـ وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عبدتها له .

٤ ـ ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه .

٥ ـ وذهب الخطابي[٢] إلى أن القرن الأمة يحدثون بعد فناء آخرين .

٦ ـ وقال غيره: كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر فأخبر النبي ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر[٣] .

فالأحاديث الآنفة الذكر تلفت الأنظار إلى هذين الأمرين: «**ظهور الفتن وعمومها، وبيان مصدرها**».

أما ظهور الفتن فلا ريب أن الفتن ظهرت وتنوعت درجاتها ودركاتها فمن فتنة القتل في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى فتنة النساء ومن بعدها كثير من الفتن كانفتاح الدنيا على المسلمين تلك الفتن التي كان يخشاها النبي ﷺ على أمته .

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الخطابي: أبو سليمان ، حمد بن إبراهيم بن خطاب البستي ، صاحب التصانيف ومنها: (معالم السنن) شرح مختصر سنن أبي داود ، كان من أوعية العلم وله شعر جيد، توفي سنة ٣٨٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧ / ٢٣).

(٣) لخص هذه الأقوال ابن حجر والنووي رحمهما الله ، انظر: فتح الباري (١٣ / ٤٦ ـ ٤٧)، وشرح صحيح مسلم (٢ / ٣٤).

ومن الفتن الظاهرة ما جعله الله تعالى في خلقه إذ جعل بعضهم لبعض فتنة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾(١) .

قال ابن رجب(٢) : «فالرجل فتنة للمرأة، والمرأة فتنة للرجل ، والغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والفاجر فتنة للبر، والبر فتنة للفاجر، والكافر فتنة للمؤمن، والمؤمن فتنة للكافر، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾(٣) .

فجعل كل ما يصيب الإنسان من شر أو خير امتحن به شكره، وإن أصيب بشر امتحن صبره، وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء.

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبُلينا بفتنة السراء فلم نصبر»(٤) .

وقال بعضهم: «فتنة الضراء يصبر عليها البر والفاجر، ولا يصبر على فتنة السراء إلا صديق»(٥) .

ووردت الإشارة إلى قرب وقوع الفتن وظهورها في أحاديث أخر في غير «الصحيحين» كما روى كرز الخزاعي رضي الله عنه(٦) قال: قال أعرابي: يا

---

(١) سورة الفرقان: (٢٠).

(٢) ابن رجب: هو زين الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن رجب البغدادي الحنبلي، الأصولي الفقيه المحدث، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم منها: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، وصل فيه إلى الجنائز، و(جامع العلوم والحكم)، و(شرح علل الترمذي) وغيرها كثير، توفي سنة ٧٩٥هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٨ / ٢٨١)، والرد الوافر لابن ناصر الدين (٨٧١).

(٣) سورة الأنعام: (٥٣).

(٤) أخرجه الترمذي، في صفة القيامة، باب (٣٠) (٤ / ٤٢) بلفظ: «ابتلينا مع رسول الله ﷺ بالضراء فصبرنا، ثم ابتلينا بالسراء فلم نصبر»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٥) اختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى (١٢٢ ـ ١٢٣).

(٦) كرز الخزاعي: هو الصحابي الجليل كرز بن علقمة بن هلال الخزاعي، ويقال: كرز بن حبيش، أسلم يوم الفتح وعمر طويلاً، وهو الذي استأجره المشركون ليقفو أثر النبي ﷺ لما=

رسول الله هل للإسلام منتهى؟ قال: «**نعم من يرد الله به خيرًا من عرب أو عجم أدخله عليه**» قال: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: «**ثم تقع الفتن كالظلل..**»(١) .

وأما مصدر الفتن فاختص المشرق الإسلامي بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما قال في الحديث الآخر: «**رأس الكفر نحو المشرق**» وكان ذلك في عهده ﷺ حين قال ذلك، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة، ومثار الكفرة الترك الغاشمة العاتية الشديدة البأس كما قال النووي رحمه الله(٢) .

وقوله ﷺ لما قيل له: وفي نجدنا؟ قال: «**هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان**» فأصل النجد ما ارتفع من الأرض.

نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابي أنه قال: «نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجدُه بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو بخلاف الغور فإنه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة»(٣) .

قال الحافظ: «وعرف بهذا وهاء ـ ضعف ـ ما قال الداودي(٤) أن نجدًا من

= خرج من مكة وهو الذي أعاد معالم الحرم في زمن معاوية رضي الله عنهما. انظر: الإصابة لابن حجر (٨ / ٢٨١).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣ / ٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (١ / ٣٤ ـ ٤ / ٤٥٤) وصححه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني بأسانيد جيدة أحدها رجاله رجال الصحيح». انظر: المجمع (٧ / ٣٢١).

(٢) شرح صحيح مسلم (٢ / ٣٤).

(٣) انظر: فتح الباري (١٣ / ٤٧).

(٤) الداودي: جمال الإسلام، مسند الوقت أبو الحسن، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد البوشنجي نسبة إلى بوشنج: بشين معجمة ـ وقيل أوله فاء ـ بلدة على سبع فراسخ من هراة، وبعضهم يقول: بسين مهملة سمع (الصحيح) و(مسند عبد بن حميد) وتفسيره و(مسند الدارمي) كان عابدًا ورعًا، لا تسكن شفته عن ذكر الله فقيل له: سكن شفتيك فقال: قل للزمان يسكن. توفي سنة (٤٦٧ هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨ / ٢٢٢ ـ ٢٢٦).

ناحية العراق؛ فإنه توهم أن نجدًا موضع مخصوص وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجدًا والمنخفض غورًا»[١] .

ولا يخفى أن العراق في جهة المشرق، وأنها تعد بالنسبة للمدينة نجدًا، وقد صرحت بعض الروايات بأن منشأ الفتن من جهة العراق فيما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده يؤم العراق: «**ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا ـ ثلاث مرات ـ من حيث يطلع قرن الشيطان**»[٢] .

ومن استقرأ التاريخ علم أن رياح الفتن العاتية كانت تهب على الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي من جهة الشرق فمنها ثارت الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان رضي الله عنه الذي انفتح بقتله باب الفتن إلى اليوم، ومن قبله مقتل عمر الفاروق رضي الله عنه، وفي العراق كان وقعة الجمل وصفين، وخرجت الحرورية المارقة الخوارج وبقيت رياح الفتن تعصف بالأمة في العهد الأموي، وفيه كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وأصحابه، وفي العراق كانت فتنة المختار وسائر فتن الأهواء المضلة كالروافض والجهمية ، وفيها ظهر القول بالقدر والإرجاء وظهرت المعتزلة وكان أصحابها لهم نشاط قوي عصف بالعقيدة الإسلامية ولا تزال آثار آرائهم المنحرفة قائمة إلى اليوم[٣] .

وفي البصرة ظهرت فتنة الزنج عام(٢٥٤ هـ)[٤] ، وفي عام (٢٧٨ هـ) ظهرت فتنة القرامطة[٥] .

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٤٧).

(٢) أخرجه أحمد، في «المسند» (٢ / ١٤٣).

(٣) انظر في هذا الفرق: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، المتوفي سنة (٤٢٩هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم المتوفى سنة (٤٥٦ هـ)، الشيعة وآل البيت لإحسان إلهي ظهير، تبديد الظلام وتنبيه النيام لإبراهيم بن سليمان الجبهان.

(٤) انظر الكامل، لابن الأثير (٦ / ٢٠٦).

(٥) انظر: الكامل، لابن الأثير (٦ / ٤٠٩)، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد أحمد الخطيب (١٣٥).

وقد أحدثت فتنة الزنج والقرامطة في حق المسلمين من الدمار والخراب ما الله به عليم، وكذلك من المشرق زحفت جيوش التتر على الأمة الإسلامية ففعلت بالمسلمين من القتل والفساد ما يجعل الحليم كالحيران وما يشيب له صغار الولدان، حتى قال ابن الأثير رحمه الله: «لقد بقيت سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا»[١].

فكيف لو عاش رحمه الله إلى عصرنا اليوم ورأى ما رأينا وسمع ما سمعنا في بعض أقطار العالم الإسلامي إني أحسبه سيموت كمدًا من ساعته والله المستعان.

وفي عصرنا الحاضر ظهرت فتنة الثورة الإيرانية[٢] التي خُدع بها كثير من المسلمين وبعض علمائهم حيث رفعت الثورة شعار الإسلام وهو منها براء إذ كانت ثورة شيعية رافضية أرادت إحياء عهد الدولة الصفوية[٣].

وفي هذا العصر أيضًا تمكن حزب البعث العراقي[٤] من تثبيت أقدامه على أرض العراق الحبيبة دار السلام مما ترتب على ذلك تتابع الفتن العظيمة على المسلمين في العراق وغيرها، فأول فتنة إبادة علماء أهل السنة واستعباد عوامهم

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير (١٠ / ٣٩٩).

(٢) انظر: صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، لأبي الحسن الندوي (٥٢).

(٣) الدولة الصفوية: أسسها إسماعيل الصفوي عام (١٥٠٠م) في أذربيجان ثم بسط نفوذه على شروان والعراق وفارس، واتخذ من تبريز عاصمة لدولته، والصفويون سلالة من سلالات ملوك فارس بعد الفتح الإسلامي، عاشت إلى عام (١١٤٩ هـ) (١٧٢٢م) حيث قضى عليهم العثمانيون والأفغان، انظر: وجاء دور المجوس، للدكتور عبد الله محمد الغريب (٨٠).

(٤) حزب البعث: عربي قومي أسسه ميشيل عفلق، يؤمن ببعث القومية العربية ويتخذها دينا ولا يعتبر الإسلام إلا مرحلة من مراحل القومية مرت وانتهت.
انظر: الحركات القومية الحديثة بقلم: محمد منير نجيب (٣٣).

وتصفية قرى الأكراد السنية من أهلها فأوقع بهم من الفتن والشدائد ما يذكرنا بعهود التتر بل أشد؛ لأن التتريين لم يكن عندهم الأسلحة الفتاكة ما لدى طاغية العراق، وما «حَلَبْجَة» (١) إلا أحد الشواهد في تاريخه المظلم.

وكان من فتنه وبلاياه انقضاضه على المسلمين في أرض الكويت عام (١٤١١هـ) فقتل الرجال والولدان ونهب الأموال واغتصب النساء وشرد أهلها في الأقطار، وهكذا تتوالى الفتن من المشرق حتى تقبل رايات الدجال من خراسان وهي آخر وأعظم فتنة تهب رياحها على العالم الإسلامي من المشرق(٢).

هذا ولا تعارض بين حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي فيه: «فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر» وبين الأحاديث المصرحة بأن الفتن والزلازل والقتل من قبل المشرق، قال الحافظ ابن حجر: «اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهروان(٣) كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيءٍ من ذلك أو عن شيءٍ تولد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم، وأول ما نشأ من العراق ، وهي من قبل المشرق فلا منافاة بين حديث الباب ـ يعني حديث أسامة ـ وبين الحديث الآتي أن الفتنة من قبل المشرق»(٤) .

* * *

(١) حلبجة: إحدى القرى الكردية التي محيت من خريطة العراق بما حل بها من فتن بعثية خبيثة تتفطر لها القلوب وتحترق لهولها النفوس وتقشعر الأبدان، ويعجز عن وصفها اللسان، فإلى الله المشتكى.

(٢) يأتي تفصيل فتنة الدجال.

(٣) النهروان: اسم الواقعة التي بين علي رضي الله عنه والخوارج سميت بنهر خارج الكوفة قاتلهم عنده، انظر: الكامل لابن الأثير (٣ / ٢١٢).

(٤) فتح الباري (١٣ / ١٣).

مكان الفتنة [١]

ومكانها: الوصول إلى كل مكان بمرور الزمان، ولكن لها محل تنزله، وتستقر به، ثم تهيج منه، وهو العراق بخاصة، وجهة شرق المدينة بعامة.

أجاب الشيخ مقبل بن هادي ـ رحمه الله تعالى ـ عن سؤال في بيان معنى (نجد): أهي نجد الحجاز أم هي نجد العراق؟

فقال: «الذي يظهر أنها تشمل هذا وهذا، فنجد عبارة عما ارتفع من الأرض، والعراق مرتفع، ويسمى نجدًا، وهكذا ـ أيضًا ـ اليمامة وغيرها فهو مرتفع، ويسمى نجدًا، ولكن إخواننا النجديين يريدون أن يرموا به أهل العراق، فالظاهر أنه يشمل هذا وهذا، وإن جاء في بعض الروايات العراق، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن الشمس تطلع بين قرني شيطان، فكلها في المشرق، والظاهر أنه يشمل هذا وهذا، والله أعلم»[٢].

وفي بعض الروايات تفسير (نجدنا) بالعراق: حيث قالوا[٣]: يا رسول الله، وفي عراقنا، قال: «**إن بها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»[٤].

وفي حديث سالم عن ابن عمر مرفوعًا بلفظ: فقال رجل:

يا رسول الله، وفي عراقنا! فأعرض عنه، فرددها ثلاثًا، يقول الرجل: وفي عراقنا، فقال: «**بها الزلازل والفتن فيها كل ذلك يطلع قرن الشيطان**»[٥].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال: يا أهل العراق! ما أسألكم عن

(١) انظر: «العراق» (١ / ١٦٣ ـ ١٦٤) للشيخ الحبيب/ مشهور بن حسن.
(٢) السابق نقلاً عن المصارعة (ص / ٤٠١ ـ ٤٠٢) و«موقف المسلم من الفتن» (ص / ١٦٢ ـ ١٦٣).
(٣) انظر: «فقه أشراط الساعة» (ص / ٢٨٠ ـ ٢٨٣).
(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٣٤٢٢)، وانظر «فتح الباري» (١٣ / ٤٧).
(٥) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢ / ٧٤٦ ـ ٧٤٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦ / ١٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١ / ١٣٠ ، ١٣١).

الصغيرة، وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي عبد الله بن عمر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من هاهنا، وأومأ بيده نحو المشرق، من حيث يطلع قرن الشيطان**»(١).

أضف إلى هذا كله أدلة الواقع التاريخي، حيث هبت من العراق رياح فتن كثيرة.

منها: الجماعة الذين تألبوا على قتل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد استتبع ذلك حرب الجمل وصفين.

ومنها: قتل الحسين رضي الله عنه شهيداً بكربلاء بعد أن خذله الشيعة، وتخلوا عنه.

ومنها: تحزب الخوارج، والحرورية.

ومنها: ظهور القدرية، والجهمية، والمعتزلة.

ومنها: فتنة ابن الأشعث، وثورة الزنج.

ومنها: فتنة المختار الذي ادعى النبوة.

ومنها: ما جرى في ولاية الحجاج من القتال وسفك الدماء.

ومنها: خروج التشيع والإرجاء من الكوفة، وخروج القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد، وحركة القرامطة من البصرة.

ومنها: غزو التتار للمسلمين في القرن السابع بقيادة هولاكو.

أما الفتن التي تخرج في المستقبل إن شاء الله:

فمنها: المقتلة التي تقع عندما يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

ومنها: خروج الدجال ويأجوج ومأجوج.

---

(١) الحديث: رواه مسلم (٢٩٠٥).

أما فتن العصر الحديث:

فمنها: قتال العراق وإيران الذي دام ثماني سنوات.

ومنها: غزو «صدام حسين» الكويت، وما جره من بلايا ومحن على المسلمين.

ومنها: تسلط الرافضة على أهل السنة في العراق، وإراقة دمائهم .

تنبيه خطير:

ليس يعني ما تقدم أن أهل الشرق لا خير فيهم، فإن الواقع أيضًا يشهد في الجهة المقابلة ـ أن الله سبحانه وتعالى ـ أخرج من تلك البلاد جهابذة وفحولاً من العلماء الراسخين، والأئمة المجتهدين، والنساك الصالحين، ويكفي أن كثيراً من كبار الصحابة ـ رضي الله عنهم رحلوا إليها واستوطنوها .

ومنها: خرج كبار أئمة التابعين من الكوفة والبصرة وبغداد، وانتقل الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ من مكة إلى العراق؛ لنشر الكتاب وخدمة السنة، حتى لقب هناك بناصر السنة، وفي العراق ولد إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وكبار مشايخ العلم وأئمة الزهد كالجنيد، وغيره، وأكثر أئمة الجرح والتعديل من العراق.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله تعالى:

«الذم إنما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل، . . . ويكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن؛ لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل، وإن كانت الأماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها، فإن الله يداول بين خلقه، حتى في البقاع، فمحل المعصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر، وبالعكس».

ثم قال ـ رحمه الله تعالى:

«فلو ذم نجد بمسيلمة بعد زواله ، وزوال من يصدقه، لذم اليمن بخروج

الآسود العنسي ودعواه النبوة. . . ، وما ضر المدينة سكنى اليهود بها، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ومعقل الإسلام، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها لرسول الله ﷺ وشدة عداوتهم ، بل هي أحب أرض الله إليه»[١] اهـ.

وقال الدكتور / عمر سليمان الأشقر:[٢]

كانت الجزية التي يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية، والخراج الذي يدفعه من يستغل الأراضي التي فتحت في الدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين ، وقد أخبر الرسول ﷺ بأن ذلك سيتوقف ، وسيفقد المسلمون بسبب ذلك موردًا إسلاميًا مهمًا، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «**منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مدها ودينارها ، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم**» شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه[٣] .

والقفيز والمد والإردب مكاييل لأهل ذلك الزمان في تلك البلاد، وبعضها لا يزال معروفًا إلى أيامنا ، والدرهم والدينار أسماء للعملات المعروفة في ذلك الوقت، ومنع تلك البلاد للمذكورات في الحديث بسبب استيلاء الكفار على تلك الديار في بعض الأزمنة، فقد استولى الروم، ثم التتار على كثير من البلاد الإسلامية، وفي عصرنا احتل الكفار ديار الإسلام، وأذهبوا دولة الخلافة الإسلامية، وأبعدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم. قال النووي في تعليقه عل الحديث: «الأشهر في معناه أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين وقد روى مسلم هذا بعد ذاك بورقات

(١) انظر: «المرجع السابق نقلاً من مجموعة الرسائل والمسائل» (٤ / ٢٦٤ ، ٢٦٥) بتصرف.
(٢) انظر «القيامة الصغرى» د / عمر سليمان الأشقر (ص / ١٦٠ - ١٦١)طبعة دار النفائس ودار السلام.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن (٤ / ٢٢٢٠) ورقم الحديث: (٢٨٩٦).

عن جابر قال: «**يوشك أن لا يجيء إليهم قفيز ولا درهم**»، قلنا: من أين ذلك.

قال: «**من قبل العجم، يمنعون ذاك**»، وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود، وقيل: لأنهم يرتدون آخر الزمان، فيمنعون ما لديهم من الزكاة وغيرها، وقيل: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان، فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، وغير ذلك» [١]، وكل هذه التعليلات لسبب منع تلك الإيرادت لخزينة الدولة الإسلامية التي ذكرها النووي وجدت، علاوة على انهيار الدولة الإسلامية التي كانت تقيم اقتصادها على الشريعة الإسلامية فإلى الله المشتكى.

* *

---

(١) شرح النووي على مسلم: (١٨ / ٢٠).

حديث منعت العراق... الحديث(*)

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال (١) :

قال رسول الله ﷺ :« منعت العراقُ درهمها وقَفيزَها ،ومَنعتِ الشام مُديها ودينارها، ومنعت مصــرُ إردبّها ،ودينارها، وعدتم من حــيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم » .

شهد على ذلك لحمُ أبي هريرة ودمُه .

(*) انظر العــراق » (١/ ١٨٧ ـ ١٨٨) وهو أعظم الكتب الــتي صنفت في هذا البــاب ، إن لم يكن أعظمهم مطلقًا . .

(١) الحديث أخرجه مسلم في « صحيـحه » (٢٨٩٦) بعد (٣٣) ـ ومن طريقه أبو عمرو الداني في « الفتن » (رقم ٦٠٢) ـ من طريق يحيى بن آدم ـ وهو في الخراج » (ص ٦٧ ، ٦٨ / رقم ٢٢٧) له ـ عن زهيــر ،عن سهــيل بن أبي صــالح ، عن أبيــه عن أبي هريرة .واللفظ السابق له .

وأخرجه البيهقي في « الخلافيات (٢/ ق١٣١ / ب) من طريق الحسين بن علي بن عفان ، نا يحيى بن آدم ، به .

وأخرجه أبو داود في «سننه » (٣٠٣٥) من طريق أحمد بن يونس عن زهير بن معاوية به .

ولم يعزه في «تحفة الأشراف» (٩/ ٤٠٣ رقم ١٢٦٥٢) من هذا الطريق إلا لمسلم وأبي داود ، ووقع الحديث معزواً في « أحكام أهل الذمة » (١/ ٢٦٦ـ ط . رمادي) للشيخين ! وهو ليس عند البخاريّ بهذا اللفظ ، وفيه ما يدلّ عليه ، كما سيأتي قريباً ، فقول المعلقين عليه: « بل هو في « صحيح مسلم » ، ولم يخرجه البخاري ، كــما ذكر ابن القيم ـ رحمه الله »؛ فيه نظر ! مع أنّ أخانا الشيخ عبد الله العبيــلان ـ حفظه الله ـ ذكره في كتابه « إرشاد القارى إلى أفراد مسلم عن البخاري » (١) (٢/ ٢١٢ رقم ١٠٩٣) .

قلت (٢): وأخرجــه أحمــد (٢/ ٢٦٢)، وأبو عبــيد في الأمــوال» (ص ٩١/ رقم ١٨٢)، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٢/ ١٢٠) و«أحكام القرآن» (٢/ ١٨٢)، وابن المنذر =

---

(١) فاته فيــه جملة من (انفرادات مسلم) ،وفيــه ـ أيضاً ـ بعض ما أخرجــه البخاري ، وبينتُ ذلك في طبــعة لي لـ « صــحيح مسلــم » ، تظهر ـ إن شاء الــله تعالى ـ قــريبًا عن مكتــبة المعارف، الرياض .

(٢) أبو عبيدة ـ مشهور بن حسن ـ حفظه الله .

حديث العراق

للحديث ألفاظ متعددة منها [١] .

أولاً : حديث أبي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ :« منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مُديها ودينارها، ومنعت مصر إردبّها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم » .

ثانيًا : قول أبي هريرة: كيف أنتم إذا لم تجتبوا دينارًا ولا درهمًا ؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائنًا يا أبا هريرة؟ قال: إي ؛ والذي نفس أبي هريرة بيده ! عن قول الصادق المصدوق . قالوا: عمّ ذاك ؟ قال: تُنتهك ذمّة الله وذمة رسوله ﷺ ، فيشدّ الله ـ عز وجل ـ قلوب أهل الذّمة، فيمنعون ما في أيديهم .

والأول لفظ مسلم مرفوعًا، والثاني لفظ البخاري ، والقسم الأول منه موقوف له حكم الرفع ، والآخر مرفوع .

= في « الأوسط» (١١/ ٤٥ رقم ٦٤٣٣) ، وأبو القاسم البغوي في « الجعديات » (رقم ٢٧٦٧ـ ط. الفلاح ، أو ٢٦٧٣ ـ ط . مؤسسة نادر أو ٢٦٨٤ ـ ط . الخانجي) ، وابن زنجويه في الأموال » (١/ ٢١٧ رقم ٢٧٤)، وابن عبد البر في « التمهيد » (٩/ ٤٥٧) ، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٨٦ ـ ط . دار الفكر ، أو ٤/ ٥٢٣ ـ ط. دار الكتب العلمية) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٢٩) و « السنن الكبرى » (٩/ ١٣٧)، وأبو محمد البغوي في «شرح السنة » (٢٧٥٤)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق» (٢/ ٢١٠ـ ط. دار الفكر) من طرق عن زهير ، به .

وعزاه ابن حجر في « إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة » (١٤/ ٥٤٩ رقم ١٨١٩٥) إلى أبي عوانة في مسنده » (كتاب الفتن) من طرق عن زهير، به وهو في (القسم المفقود) منه .

وأعاده (١٤ / ٥٨٥ رقم ١٨٢٧٣) معزواً لابن الجارود .

وهو في « المنتقى» له (ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ رقم ١١٠٨) من طريق زهير ـ أيضًا.

(١) « العراق » (١/ ٢٧٠) لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان .

معنى في حديث المنع :« منعت العراق »[*]

يمكننا أن نحصر المعاني التي أوردها العلماء في معنى (المنع) الوارد في الحديث بالأمور الآتية :

أولا : هذا منه ﷺ إخبار بأن أمور الدين وقواعدهُ يُترك العمل بها لضعف القائم عليها، أو لكثرة الفتن واشتغال الناس بها ، وتفاقم أمر المسلمين ، فلا يكون مَنْ يأخذ الزكاة ولا الجزية ممن وجبت عليه ، فيمتنع من وجب عليه حقّ من أدائه. قال أبو العباس القرطبي في« المفهم » (٧/ ٢٣٠ـ ط. دار ابن كثير).

وهذا كلام عامّ[١] ، ينقصه :

أولاً: بيانُ هل وقع ذلك في عصر المصنف ـ وهو من وفيات سنة (٦٥٦هـ ـ أم لا ؟

ثانيًا : بيانُ من هو المانعُ للخيرات المذكورة في الأحاديث ؟

ثالثًا : وفيه أن سبب المنع: عدمُ وجود من يأخذ الزكاة والجزية، ولفظ الحديث لا يساعد عليه .

رابعًا : أما قوله:يُترك العملُ بها لضعف القائم عليها أو لكثرة الفتن ، واشتغال الناس بها ، وتفاقم أمر الناس » ؛ فبعيد ـ أيضاً ـ ؛ إذ البلادُ المذكورة هي التي تمنع خيراتها، و (المنع) فيه معنى الكف [٢] والحرمان مع جبر وقسْر وغلبة، والمذكور فيه غفلة وقلة الوازع للقيام بها ، وشتان ما بين المعنيين !

(*) انظر:« العراق » (١/ ٢٢٧ ، ٢٢٨) بالهوامش .

(١) ومثله في « منية المنعم » (٤/ ٣٥١) :« المراد بمنع الدرهم والقفيز: منع خيرات البلاد من الزكاة والعشر والجزية والخراج » .

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة » (٥/ ٢٧٨)، « القاموس المحيط» (ص٩٨٨) ط. مؤسسة الرسالة) .

وذكر بعض الشرّاح[١] معانيَ رجحوا غيرها عليها ؛ هي:

ثانيًا : أنّ هذه البلاد تمنع خيراتها بسبب إسلام أهلها، فتسقط عنهم الجزية[٢]، قال النووي ـ وتبعه صدّيق حسن خان[٣] ، وصاحب « عون المعبود» (٨/ ٢٨٢) ـ عنه: «وهذا قد وجد » .

وقال السخاوي في « القناعة » (ص ١٠٦):« وفي تأويله ـ أي : المنع ـ قولان»، وجعل الأول: « لإسلامهم فسقطت عنهم الجزية » .

قلت: نعم ، ولكن يرد عليه ما يرد على سابقه ـ وهو (حق)[٤] ، ولكن لا صلة لهذا المعنى بمنطوق الحديث، وقد يقال: لازمٌ أن تمنع هذه البلاد خيراتها أن تكون ـ قبل ذلك ـ تحت سيطرة المسلمين، وفي هذا دلالة على إسلام أهلها أو بعضهم .

المانعون في حديث «يوشك أهل العراق »[*]

الثالثة: المتأمل قول جابر :« يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، . . . من قبل العجم ، يمنعون ذلك ، يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مُدي، . . . من قبل الروم » يخلص إلى :

١ـ منع أهل العراق هو الأول، ثم يتبعه منع أهل الشام [٥]،إذ معنى قوله ـ رضي الله عنه:« يوشك » يسرع .وقيل: عسى» [٦].والمعنى الأول يفيد الزمن،

---

(١) مثل: النووي في « منهاجه » (١٨/ ٢٨ ـ ط. قرطبة)، وعنه صدّيق حسن خان في «السراج الوهاج» (١١/ ٣٦٧ ، ٣٦٨).

(٢) قاله بنحوه البيهقي في « الدلائل» (٦/ ٣٣٠) ، ومضى كلامه قريباً .

(٣) في السراج الوهاج » (١١/ ٣٦٧) .

(٤) ينقصه (العدل) والخير كله في اجتماع الأمرين، فافهم !

(*) « العراق » (١/ ٢٥١ ـ ٢٥٧) بالهوامش .

(٥) وأما أهل مصر؛ فمسكوت عنه في كلام جابر ، ومصرح به في الحديث المرفوع الذي نحن بصدده، والظاهر أنه متأخر عنهما ، ولكن نحتاج إلى معرفة من يقوم به .

(٦) « إكمال المعلم» (٨/ ٤٥٧) ، و« شرح النووي على صحيح مسلم » (١٨/ ٥٣).

وكـ ـع ترتيبه في حديث أبي هريرة ، وأثر جابر .

ـ المانعون لخيرات العراق هم العجم، والمانعون لخيرات الشام هم الروم، وهـ مختلفان، وهذا هو الفرق بينهما :

لعجم : من (العُجمة)؛ وهي :« كون اللفظ مما وضعه غير العرب »[١]؛ بمعنى: «أن تكون الكلمة أو الجملة على غير أوزان الكلام، عند العرب الفصحاء»[٢].

وعليه فـ (الأعجمي): « معناه في كلام العرب: الذي في لسانه (عُجمة)، وإن كان من العرب . والعجميّ: الذي أهله من العجم ، وإن كان فصيح اللسان . يقال: رجل أعجمي، ورجل أعجم : إذا كان في لسانه عُجمة . ويقال للدواب: عُجم ؛ لأنها لا تتكلم»[٣].

فهؤلاء هم الذين يمنعون العراق خيراتهم، فهم خليط وأمشاج من الناس، تجمعهم (العُجمة).

وأما الروم : فهم « جيل من الناس معروف ، كالعرب والفرس والزنج وغيرهم، والروم الذين تسمّيهم أهل البلاد[٤] : الإفرنج . قال الإمام الواحدي ـ رحمه الله تعالى : هم جيل من ولد (روم بن عيصون بن إسحاق)، غلب اسم أبيهم عليهم ، فصار كالاسم للقبيلة . قال: وإن شئت: هو جمع (روميّ) منسوب إلى (روم بن عيصو) ،كما يقال: زنجيّ وزنج ، ونحو ذلك »[٥].

وجاء ذكرهم كثيراً في النصوص ، وسموا في بعض الأحاديث الصحيحة

---

(١) « دستور العلماء » (٢/ ٢١٧ـ ط . دار الكتب العلمية) .

(٢) « معجم مصطلحات أصول الفقه » (ص ٢٨٠) لقطب سانو .

(٣) «الزاهر في معاني كلمات الناس » (٢/ ٦١ ـ ط . العراقية) تحقيق حاتم الضامن .

(٤) القائل ـ كما يأتي ـ هو النووي ،ويريد: أهل الشام من العرب .

(٥) « تهذيب الأسماء واللغات » (٣/ ١٣٠)، وذكر في أسباب تسميتهم أمور أخرى؛ انظرها في معجم البلدان » (٣/ ٩٧) ، و« لسان العرب » (١٢/ ٢٥٨)، و« مختار الصحاح » (ص٢٦٤) .

بـ (بني الأصفر) (١).

وعليه؛ فيحتمل أن يكون الحديث « مُنِعت» ـ بضم الميم وكسر النون ـ على البناء للمجهول ، وهو حينئذ يلتقي مع : « يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم».

قال صاحب « تكملة فتح الملهم(٢) شارحًا حديث :« منعت العراق . . .» :

«إنه إخبار بأن الكفار يسيطرون في آخر الزمان على معظم البلاد، فيمنعون مسلمي هذه البلاد من الحصول على ما يحتاجون إليه من الأموال ويؤيده ما سيأتي في باب (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل . . . إلخ) من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ ، قال: « يوشك أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيز ولا درهم . قلنا : من أين ذاك ؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مُدي قلنا : من أين ذاك ؟ قال: من قبل الروم». والظاهر على هذا التفسير أن يكون حديث الباب بلفظ : «مُنِعت» ، بضم الميم وكسر النون على البناء للمجهول، ولم أر ذلك مصرحًا في شيء من الروايات ،والله أعلم » انتهى .

ودرج على هذا جماعة من السابقين؛مثل:

* القاضي عياض .

قال في « إكمال المعلم » (٣)

« وقوله: « يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم. .» هو مثل قوله:«منعت العراق درهمها. . . » الحديث، وقد فسّره في الحديث أن

---

(١) لراقم هذه السطور رسالة مفردة في « الملاحم» ، فيها البيان التفصيلي لهذا الإجمال، يسر الله إتمامها وإظهارها .

(٢) (٦/ ٢٩٢).

(٣) (٨/ ٤٥٧) .

معناه: منعها الجزية والخراج؛ لغلبة العجم والروم على البلاد» .

* النووي في هذا المواطن .

فإنه اكتفى بقوله في شرح صحيح مسلم»[(١)] عند أثر جابر: «يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم . . . » :

« قد سبق شرحه قبل هذا بأوراق » ؛يريد: كلامه الذي قدمناه عنه[(٢)].

* صديق حسن خان .

نقل كلام النووي على حديث أبي هريرة السابق بتمامه، وقال عقبة:

« قلت : « وقد وجد ذلك كله في هذا الزمان الحاضر في العراق والشام ومصر . واستولى الروم ـ يعني : النصارى ـ على أكثر البلاد ، في هذه المئة الثالثة عشرة، ولهم الاستيلاء على سائرها كل يوم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد »[(٣)] .

ودرج على هذا جماعة من الباحثين والمطَّلعين المعاصرين، فإنهم اعتنوا بكلام النووي، وأقروه على ما قال ، ومنهم من أورد مقولته في سياق كلام زاد الحديث معنى وبياناً، وإليك شذرات من كلامهم :

* قال الأستاذ مُصطفى أبو النصر الشلبي في كتابه « صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة » تحت عنوان (قطع المال والغذاء عن العراق وغيرها من بلاد الإسلام):

« ومن علامات الساعة في آخر الزمان وأشراطها: استيلاء العجم والروم

---

(١) (١٨/ ٥٣) .

(٢) ومثله صنع صديق حسن خان في « السراج الوهاج» (١١/ ٣٨٠).

(٣) « السراج الوهاج » (١١/ ٣٦٨). وسيأتي تفصيل قوله :« قد وجد ذلك كله في هذا الزمان الحاضر » .

(٤) (ص ١٧٦ـ ١٧٨).

على البلاد، أو يحاصرونها سياسيّا واقتصاديّا ، فيمنعون عنها المال والغذاء لإجبارها على الخضوع لإرادتها وسيطرتها على البلاد والعباد، والتحكم في أرزاقهم ومعاشهم، وسلب ما عندهم من الخيرات ؛ كالبترول وغيره مما أنعم الله به على هذه البلاد » .

ثم أورد حديث جابر بلفظ مسلم ، وكلام النووي بتمامه عليه، وعلق عليه قائلاً :

« قلت: لا يعني من قوله أنه قد وُجد في زمانه أن ذلك لا يتكرر ؛ فإنّ من أشراط الساعة ما يتكرر أكثر من مرة، كما في حديث تداعى الأمم على الأمة الإسلامية؛ فقد حدث هذا أكثر من مرة في تاريخ الأمة ، وهو يحدث الآن بشكل أوسع وأوضح » .

* وقال الأستاذ عمر سليمان الأشقر ـ حفظه الله تعالى ـ في كتابه « اليوم الآخر القيامة الصغرى»[1] تحت عنوان (توقُّف الجزية والخراج) ما نصه :

« كانت الجزية التي يدفعها أهل الذمة في الدولة الإسلامية من أهم مصادر بيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسولﷺ بأن ذلك سيتوقف ، وسيفقد المسلمون بسبب ذلك موردًا إسلاميّا هامّا ، ففي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ، قال: قال رسول اللهﷺ :« منعت العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مدها[2] ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها ،وعدتم من حيث بدأتم ، وعدتم من حيث بدأتم » شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

والقفيز والمد[3] والإردب: مكاييلُ لأهل ذلك الزمان في تلك البلاد ، وبعضها لا يزال معروفاً إلى أيامنا ، والدرهم والدينار أسماءٌ للعملات المعروفة في ذلك الوقت ،ومع تلك البلاد للمذكورات في الحديث بسبب استيلاء الكفار

(١) (ص ١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٢) كذا في المطبوع ، وصوابه: « مُديها ».
(٣) كذا في المطبوع،وصوابه : « مُدْي » .

على تلك الديار في بعض الأزمنة، فقد استولى الروم ،ثم التتار على كثير من البلاد الإسلامية ، وفي عصرنا احتلّ الكفار ديار الإسلام، وأذهبوا دولة الخلافة الإسلامية، وأبعدوا الشريعة الإسلامية عن الحكم. قال النووي في تعليقه على الحديث: « الأشهر في معناه: أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين، وقد روى مسلم هذا بعد ذاك بورقات عن جابر ، قال : « يوشك أن لا يجيء(١) إليهم قفيز ولا درهم . قلنا: من أين ذلك ؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك » . وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله، وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود . وقيل: لأنهم يرتدون آخر الزمان، فيمنعون ما لديهم من الزكاة وغيرها، وقيل: معناه: أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان، فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج، وغير ذلك » .وكل هذه التعليلات لسبب منع تلك الإيرادات لخزينة الدولة الإسلامية التي ذكرها النووي وُجدت ، علاوة على انهيار الدولة الإسلامية التي كانت تقيم اقتصادها على الشريعة الإسلامية ، فإلى الله المشتكى».

وقال العلامة الشيخ التويجري في كتابه « إتحاف الجماعة فيما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة »(٢) بعد أن ورد حديث أبي هريرة ـ وعزاه لأحمد ومسلم وأبي داود.

«وقد اختلف في معنى الحديث: فقيل : معناه:أنهم يسلمون ، فيسقط عنهم الخراج. ورجحه البيهقي(٣) . وقيل: معناه: أنهم يرجعون عن الطاعة، ولا يؤدّون الخراج المضروب عليهم ، ولهذا قال: وعدتم من حيث بدأتم ؛ أي: رجعتم إلى ما كنتم عليه قبل ذلك. ورجح هذا القول ابن كثير ، ولم يحك الخطابيّ في« معالم السنن »(٤) سواه .

---

(١) كذا في المطبوع،وصوابه :« يجبى » .
(٢) (٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ـ ط . الصميعي) .
(٣) في « الدلائل »(٦/ ٣٣٠)، وسبق كلامه.
(٤) (٤/ ٢٤٨ ـ مع مختصر السنن »، وفي هذا نظر، انظر ما قدمناه (ص ٢٥٠).

واستشهد له ابن كثير بما رواه الإمام أحمد ومسلم[١] من حديث أبي نضرة، قال: كنا عند جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ . . . . »وساقه ، ثم قال: «قلت: وأصرح من هذا ما رواه الإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: « كيف إذا أنتم تجتبوا دينارًا ولا درهما ؟!فقيل له: وكيف ترى ذلك كائنًا يا أبا هريرة ؟ قال : إي ؛ والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق . قالوا: عم ذلك؟ قال: تنتهك ذمة الله وذمة رسوله ﷺ فيشد الله ـ عز وجل ـ قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم [٢].

والذي يظهر لي في معنى قوله: « منعت العراق درهمها . . . » الحديث: أن ذلك إشارة إلى ما صار إليه الأمر في زماننا وقبله بأزمان، ومن استيلاء الأعاجم من الإفرنج وغيرهم على هذه الأمصار المذكورة في حديث أبي هريرة ـ وانعكاس الأمور بسبب ذلك، حتى صار أهلُ الذّمة أقوى من المسلمين وأعظم شوكة ، فامتنعوا من أحكام الإسلام التي كانت تجرى عليهم من قبل ، وانتقض حكم الخراج وغيره ، ثم زاد الأمر شدة ، فوُضعتْ قوانين أعداء الله ونظمهم مكان الأحكام الشرعية ،وألزموا بها من تحت أيديهم من المسلمين ،والذين انفلتوا من أيدي المتغلبين عليهم ما زالوا على ما عهدوه من تحكيم القوانين وسنن أعداء الله ـ تعالى ، والتخلق بأخلاقهم الرذيلة ، بل على شرّ مما عهدوه؛ كما لا يخفى على من له أدنى علم ومعرفة » انتهى .

---

(١) مضى تخريجه مفصلاً .

(٢) سيأتي تخريجه .

فتنة جهيمان والحرم المكي[1]

فتنة جهيمان بن محمد سيف العتيبي في الحرم المكي، ابتدأت في وقت ظهر الثلاثاء الأول من المحرم، وانتهت بعصر الخميس السابع عشر من المحرم لسنة ١٤٠٠هـ، وسببها الظاهر اعتقاد جماعة من خلال الرؤى وإسقاط أحاديث الفتن على غير وجهها، أن رجلاً منهم ـ واسمه: محمد بن عبد الله القحطاني ـ هو المهدي، فدخلوا المسجد الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأبلغوا الناس عند المغرب: اليوم ستخسف الأرض بالجيش القادم إلينا، ولم تخسف الأرض بالطبع، فقالوا للناس: أرجئ الأمر أربعة أيام أخرى ، وهلم جرا، واستمر القتال عشرين يومًا تقريبًا، وتوفي فيها من الجيش الذي جاء لهم (١٢) ضابطًا و(١١٥) ضابط صف وجندي، وأدخل المستشفيات للمعالجة من الإصابات (٤٩) ضابطًا و(٤٠٢) ضابط صف وجندي.

ونفذ حكم القتل في (٦٣) شخصًا من هؤلاء (بغاة الحرم)، وعثر على (١٥) جثة من هذه الفئة عند تطهير أقبية الحرم، وتم التعرف على أصحابها من قبل من اعتقلوا من هذه الفئة، وذكر أن (٢٧) شخصًا من هذه الفئة قد توفوا متأثرين بإصاباتهم ، وأن عقوبة القتل قد خفضت إلى السجن لمدد مختلفة على (١٩) شخصًا، وأن عدد النساء والصبيان الذين وجدوا مع هذه الفئة قد بلغ (٢٣)، وأن (٣٨) شخصًا لم يثبت التحقيق اشتراكهم، وتم الإفراج عنهم.

فهذه الفتنة العظيمة التي حلت بأرض الحرم المكي الشريف سببها عدم فقه إسقاط أحاديث الفتنة على الواقع ، على الرغم من أن بعض رؤوس المشاركين

---

(١) انظر «العراق» في أحاديث وآثار الفتن» أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (١ / ٦٨ ـ ٦٩) مكتبة الفرقان ـ نقلاً عن تصريحات بجريدة الرياض بتاريخ الأحد ٢٥ صفر سنة ١٤٠٠، وكذلك في ٢٢ صفر سنة ١٤٠٠ هـ.

فيها لهم اطلاع على الأحاديث ، ودراية بأهمية الوقوف على الصحيح منها، ونبذ الواهي والضعيف ، ووصفهم بيان هيئة كبار العلماء آنذاك في دورة مجلسهم الخامسة عشرة بأنهم «فئة ضالة آثمة؛ لاعتدائها على حرم الله، وسفكها فيه الدم الحرام، وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين، وشق عصاهم».

ووصفوا ما دعت إليه هذه الفئة بأنه «بذور فتنة وضلال، وطريق إلى الفوضى والاضطراب، والتلاعب بمصالح العباد والبلاد، وأن دعواهم قد يغتر بظاهرها السذج ، وفي باطنها الشر المستطير وحذروا ـ جزاهم الله خيراً ـ المسلمين مما في تلك النشرات من التأويلات الباطلة، والشبه الآثمة ، والاتجاهات السيئة».

نقل ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر الواقدي في ترجمة (محمد بن عجلان)، قال [1] :«وخرج محمد بن عجلان مع محمد بن عبد الله بن حسن، حين خرج بالمدينة، فلما قتل محمد بن عبد الله وولي جعفر بن سليمان على المدينة، بعث إلى محمد بن عجلان فأتي به، فبكته وكلمه كلامًا، وقال:

خرجت مع الكذاب ، وأمر به تقطع يده، فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة، إلا أن يحرك شفتيه بشيء لا يدري ما هو، يظن أنه يدعو ، قال: فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء أهل المدينة وأشرافهم.

فقالوا: أصلح الله الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها! وإنما شبه عليه وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية . فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه، فولى محمد بن عجلان منصرفًا لم يتكلم حتى أتى منزله».

ومن الفتن التي (لم يعقد نوارها) ، واصطلى المسلمون بنارها، وهي من مهيجات فتن العراق، وكانت لوقعتها أثر قوي في استمرارها.

روى التابعي يزيد بن صهيب أبو عثمان الكوفي، المعروف بـ (الفقير)، فإنه

---

(١) انظر «العراق» (١ / ٧٤)، وانظر «الطبقات » لابن سعد (٧ / ٥٢٦).

قال فيمـا أخرج مسلم في «صحيحـه» رقم (١٩١) بعد (٣٢٠) بسنده إليه[١] : كنت قد شـغفني رأي من رأى الخـوارج ، فخـرجنا في عصابـة ذوي عدد نريد الحج، ثم نخرج على الناس (أي: بالثـورة المسلحة)، قال: فمـررنا المدينة، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم ـ جالس إلى سارية ـ عن رسول الله ﷺ ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين.

قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله ! ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾[٢] ، ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾[٣] فما هذا الذي تقولون؟

فقال له: أتقـرأ القرآن؟ قال يزيد: نعم. قال: فـهل سمعت بمقام مـحمد ـ عليه السلام ـ يعـني: الذي يبعثه الله فيـه ؟ قال يزيد : نعم. قال: فإنه مـحمد ﷺ المحمود الذي يُخرج الله به من يُخرج؟

ثم نعت (أي: جـابر) وضع الصـراط، ومـر الناس عليـه. . . و«أن قومًـا يخرجون من النار، بعد أن يكونوا فيها».

قال: فرجعنا ـ أي : إلى الكـوفة ـ قلنا ويحكم ! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟

قال يزيد ـ كما في «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ: «فرجعنا ، فلا والله ما خرج منا ـ أي: للثورة المسلحة ـ غير رجل واحد».

قال ابن تـيميـة في «منهاج السنة النـبوية» (٤ / ٥٢٨ ـ ٥٣٢)[٤] : «وغاية هؤلاء إما أن يغلبوا وإمـا أن يُغلبوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقـبة، فإن

(١) انظر «العراق» (١ / ١١٠ ـ ١١١).
(٢) سورة آل عمران: (١٩٢).
(٣) سورة السجدة: (٢٠).
(٤) انظر «العراق» (١ / ١٢٤).

عبد الله بن علي وأبا مسلم هما اللذان قتلا خلقًا كثيرًا، وكلاهما قتله أبو جعفر المنصور، وأما أهل الحرة وابن الأشعث وابن المهلب وغيرهم فهزموا وهزم أصحابهم، فلا أقاموا دينًا ولا أبقوا دنيا، والله تعالى لا يأمر بأمر لا يحصل به صلاح الدين ولا صلاح الدنيا - وإن كان فاعل ذلك من أولياء الله المتقين ومن أهل الجنة، فليسوا أفضل من على، وعائشة، وطلحة، والزبير وغيرهم، ومع هذا لم يحمدوا ما فعلوه من القتال، وهم أعظم قدرًا عند الله وأحسن نية من غيرهم.

* * *

بين يدي الساعة كثرة القتل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[١]: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج**». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل، القتل**».

عن عبد الله بن مسعود[٢]: «**بين يدي الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم، ويظهر فيها الجهل**».

قال أبو موسى: والهرج: القتل؛ بلسان الحبشة.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال[٣]: «**إن بين يدي الساعة الهرج**». قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتل**».

قالوا: أكثر مما نقتل؛ إنا نقتل في العام الواحد أكثر من سبعين ألفًا. قال: «**إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا**».

قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ. قال: «**إنه لينزع عقول أكثر أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال[٤]: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده؛ لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل، ولا المقتول فيم قتل؟**».

فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهرج، القاتل والمقتول في النار**».

قلت: ونرى ذلك عيانًا في هذه الأيام في العراق، وأفغانستان، والصومال، وغيرهما من البلدان. نرى الهرج، ولا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما

---

(١) الحديث: رواه مسلم في «صحيحه» (٨ / ١٣) بشرح النووي.
(٢) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (١٣ / ١٤ ـ فتح).
(٣) الحديث: رواه ابن ماجه في «سننه» (٣٩٥٩)، وأحمد في «مسنده» (٤ / ٤١٤).
(٤) الحديث: رواه مسلم في «صحيحه» (١٨ / ٣٥) بشرح النووي.

قتل، حيث تكون الأسـرة في بيتها آمنة مطمـئنة في حال نومهم فتسـقط القذيفة عليهم فتقتلهم جميعًا.

وما كـان القاتل يقـصدهم إنما كـان يقصد هـدفًا ، فعـجزت الذخـيرة عن الوصول إلى الهدف فـسقطت عليهم فقـتلتهم فلا يدري القاتل فيـما قتل ، ولا المقتـول يدري فيـما قتل ولا بأي ذنـب قتل؟ كذلك الحـال بالنسبـة للميلشـيات المأجورة بإثارة الفـوضى والإرباك في البلاد، تفجـر يمينًا وشمالاً بقـصد الإرباك وإحداث الفوضى ـ ويـتسببون بل ويقـتلون الكثير من الرجال والـنساء والأطفال بسبب ذلك.

ومن الهرج أيضـا ـ أي القتل ـ مـا جرى في السنوات الخـوالي في الحروب العالمية ، وغير ذلك على غرار القتل في القرون السابقة.

* * *

ومن الهرج «القتل» أيضاً
ما جرى في الحرب العالمية الأولى

مقال تفصيلي: ما بعد الحرب العالمية الأولى:

حيث أسفرت الحرب العالمية الأولى عن سقوط الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية ـ المجرية، وروسيا القيصرية، ثم سقوط الإمبراطورية العثمانية عامة ١٣٤١ ـ ١٩٢٤م وعن خسائر مادية وبشرية جسيمة وعن تراجع الدور الرائد لأوروبا في توجيه سياسة العالم أما أهم نتيجة لهذه الحرب فقد تمثلت في قيام سلام منقوص يحتوي على جميع العناصر التي من شأنها إشعال الحرب العالمية الثانية. والتي قامت في عام ١٩٣٩ م.

وفي أثناء الحرب اضطرت الدول الأوروبية المتحاربة إلى شراء الكثير من المعدات والمواد المعيشية من دول فتية لم تتعرض أراضيها لأذى الحرب مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا والأرجنتين الأمر الذي جعل أوروبا مدينة لهذه الدول بعد الحرب وقد رأت أوروبا نفسها بعد الحرب مجبرة على دفع ديونها من احتياطي الذهب الذي كانت تملكه وأدى ذلك إلى تراجع قيمة النقد الأوروبي إلى ظهور التضخم المالي .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية المستفيدة الأولى من هذا الوضع على أساس أنها الدائنة الأولى لأوروبا قبل الحرب وخلالها فقد جمعت الولايات المتحدة بعد الحرب نتيجة تسديد أوروبا لديونها ٤٥٪ من احتياطي الذهب في العالم فأصبحت بذلك أول دائن في العالم.

الخسائر البشرية والمادية :

قدرت خسائر الحرب العالمية الأولى بالأرواح ب ٨,٥٣٨,٣١٥ وأكثر من ضعف هذا العدد من الجرحى، وقد أتت خسائر روسيا في رأس قائمة الخسائر

البشرية تلتهـا خسائر كل من ألمانيا والنمسا وفرنسـا وبريطانيا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية.

أما أهم الخسائر المادية فقد وقعت في الأراضي التي دارت فيها المعارك حيث أتلفت المحاصيل الزراعية وقضت على المواشي ودمرت مئات آلاف المنازل وآلاف المصانع إضافـة إلى الأضرار التي ألحقت بالسكك الحـديدية وبمناجم الفحم التي غمرها هذا الطرف أو ذاك بالماء لمنع استغلالها من قبل العدو.

ولذلك كـان على الدول المتحـاربة في مـرحلة السلام إعـادة بناء ما دمـرته الحرب وتحـويل الصناعات الحـربية إلى صناعات مـدنية لكن قلة الأمـوال واليد العاملة الـتي قضت عليهـا الحرب عـرقل إلى حد كبـير عملـية إعادة الإعـمار المرجوة.

نرى من الجدول أدناه أن خسائر الدول في الحرب الـعالمية الأولى بلغت أكثر من ٣٧ مليون جندي بينهم أكثر من ثمانية ملايين قتيل.

الدولة	القتلى والوفيات	الجرحى	الأسرى والمفقدون	إجمالي الخسائر
الإمبراطورية الألمانية	١,٧٧٣,٧٠٠	٤,٢١٦,٠٥٨	١,١٥٢,٨٠٠	٧,١٤٢,٥٥٨
الإمبراطورية الروسية	١,٧٠٠,٠٠٠	٤,٩٥٠,٠٠٠	٢,٥٠٠,٠٠٠	٩,١٥٠,٠٠٠
فرنسا	١,٣٥٧,٨٠٠	٤,٢٦٦,٠٠٠	٥٣٧,٠٠٠	٦,١٦٠,٨٠٠
الإمبراطورية النمساوية المجرية	١,٢٠٠,٠٠٠	٣,٦٢٠,٠٠٠	٢,٢٠٠,٠٠٠	٧,٠٢٠,٠٠٠
دول الكومنولث	٩٠٨,٣٧١	٢,٠٩٠,٢١٢	١٩١,٦٥٢	٣,١٩٠,٢٣٥
إيطاليا	٦٥٠,٠٠٠	٩٤٧,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٢,١٩٧,٠٠٠
رومانيا	٣٣٥,٧٠٦	١٢٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٥٣٥,٧٠٦
الإمبراطورية العثمانية	٣٢٥,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	٢٥٠,٠٠٠	٩٧٥,٠٠٠
الولايات المتحدة	١٢٦,٠٠٠	٢٣٤,٣٠٠	٤,٥٠٠	٣٦٤,٨٠٠

الدولة	القتلى والوفيات	الجرحى	الأسرى والمفقدون	إجمالي الخسائر
بلغاريا	٨٧,٠٠٠	١٥٢,٣٩٠	٢٧,٠٢٩	٢٦٦,٩١٩
صربيا	٤٥,٠٠٠	١٣٣,١٤٨	١٥٢,٩٥٨	٣٣١,١٠٦
بلجيكا	١٣,٧١٦	٤٤,٦٨٦	٣٤,٦٥٩	٩٣,٠٦١
البرتغال	٧,٢٢٢	١٣,٧٥١	١٢,٣١٨	٣٣,٢٩١
اليونان	٥,٠٠٠	٢١,٠٠٠	١,٠٠٠	٢٧,٠٠٠
مونتيغرو	٣,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٧,٠٠٠	٢٠,٠٠٠
اليابان	٣٠٠	٩٠٧	٣	١,٢١٠
المجموع	٨,٥٣٨,٣١٥	٢١,٢١٩,٤٥٢	٧,٧٥٠,٩١٩	٣٧,٥٠٨,٦٨٦

❊ ❊ ❊

وأيضًا عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية [١]:

قتلى الحرب ابتداءً من سبتمبر ١٩٣٩

البلد	عسكريين	مدنيين	مجموع
الاتحاد السوفيتي	٨,٧٠٠,٠	١٨,٣٠٠,٠	٢٧,٠٠٠,٠٠٠
الصين	١,٣٢٤,٠	١٠,٠٠٠,٠	١١,٣٢٤,٠
ألمانيا	٣,٢٥٠,٠	٣,٨١٠,٠٠٠	٧,٠٦٠,٠٠٠
بولندا	٨٥٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠	٦,٨٥٠,٠٠
اليابان	١,٣٠٠,٠	٧٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠
يوغوسلافيا	٣٠٠,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠	١,٧٠٦,٠٠
رومانيا	٥٢٠,٠٠٠	٤٦٥,٠٠٠	٩٨٥,٠٠٠
فرنسا	٣٤٠,٠٠٠	٤٧٠,٠٠٠	٨١٠,٠٠٠
المجر	—	—	٧٥٠,٠٠٠
النمسا	٣٨٠,٠٠٠	١٤٥,٠٠٠	٥٢٥,٠٠٠
اليونان	—	—	٥٢٠,٠٠٠
الولايات المتحدة	٥٠٠,٠٠٠	—	٥٠٠,٠٠٠
إيطاليا	٣٣٠,٠٠٠	٨٠,٠٠٠	٤١٠,٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	—	—	٤٠٠,٠٠٠
المملكة المتحدة	٣٢٦,٠٠٠	٦٢,٠٠٠	٣٨٨,٠٠٠

---

(١) انظر: ويكبيديا الموسوعة الحرة.

هولندا	١٩٨,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٢١٠,٠٠٠
بلجيكا	٧٦,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٨٨,٠٠٠
فنلندا	ـــ	ـــ	٨٤,٠٠٠
كندا	٣٩,٠٠٠	ـــ	٣٩,٠٠٠
الهند	٣٦,٠٠٠	ـــ	٣٦,٠٠٠
أستراليا	٢٩,٠٠٠	ـــ	٢٩,٠٠٠
ألبانيا	ـــ	ـــ	٢٨,٠٠٠
أسبانيا	١٢,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٢٢,٠٠٠
بلغاريا	١٩,٠٠٠	٢,٠٠٠	٢١,٠٠٠
نيوزلندا	١٢,٠٠٠	ـــ	١٢,٠٠٠
النرويج	ـــ	ـــ	١٠,٢٦٢
شمال أفريقيا	٩,٠٠٠	ـــ	٩,٠٠٠
لوكسمبورغ	ـــ	ـــ	٥,٠٠٠
الدنمارك	٤,٠٠٠	ـــ	٤,٠٠
البرازيل	٤٤٣	٦٠٧	١,٠٥٠
المكسيك	٨٥	٢٣	١٠٨
المجموع	ـــ	ـــ	٦١,٨٢٠,٣

عدد النتائج البشرية والاقتصادية:

تجاوز عدد ضحايا الحرب في العالم العسكريين والمدنيين ٦٢ مليون نسمة أي ما يعادل ٢.٧٪ من سكان العالم وكان نصفهم من المدنيين. يضاف إلى هذا العدد عشرات الملايين من الجرحى والمشوهين وقد شهدت هذه الفترة تعديات خطيرة على حقوق الإنسان فمات الملايين من الأبرياء نتيجة للغازات الجوية وفي معسكرات الإبادة والتعذيب زيادة على اعتقال الأطفال والنساء وارتكبت المجازر في حق العديد من الشعوب واستعملت ضدها الأسلحة الكيماوية والذرية.

وقد كان كل من الاتحاد السوفيتي وبولندا وألمانيا من أكثر البلدان الأوروبية تضرراً من ويلات تلك الحرب.

لقد أنتج انشغال الآباء بالحرب انحلالاً كبيراً في الحياة العائلية فانخفضت نسبة الولادات مقابل ارتفاع ملحوظ في نسبة الوفيات كما برزت المشكلات الاجتماعية المترتبة على كثرة عدد المشوهين والأرامل واليتامى والمحرمين من العمل بسبب تفشي البطالة وتزايد عدد الإناث بالقياس إلى الذكور كما كثر عدد المشردين وتضخمت المشاكل النفسية واحتد التساؤل حول مبررات اللجوء إلى العنف وتقتيل الأبرياء من الناحية الأخلاقية اعتباراً لطابع الإفناء الذي رافق المواجهات العسكرية وما خلفته من مآس شملت المدنيين أساساً الأمر الذي أدى إلى ازدياد الشك والنفور من كل تقدم علمي والخوف مما يخبئه المستقبل .

كانت نفقات الحرب باهظة جداً وهو ما اضطر العديد من الدول الأوروبية المشاركة فيها إلى الاقتراض وتكديس الديون كما كانت الخسائر المادية كبيرة فقد أصاب الدمار المساكن والمصانع ووسائل النقل والمزارع وانقلبت دول أوروبا من دول مصدرة إلى دول مستوردة لذلك فقدت الدول القوية مكانتها لصالح الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد أن تمكنت هذه الأخيرة من تجاوز الصعوبات الاقتصادية لأزمة الثلاثينات وتضاعف إنتاجها الصناعي وتجمع عندها ما يعادل ٨٠٪ من الرصيد العالمي للذهب وأصبح الدولار عملة تبادل عالمية.

ترتبت على الحرب العالمية الثانية اختراعات علمية وتقنية هامة غير أن توظيف الاختراعات الجديدة تم بطرق متباينة منها ما هو سلبي مثل القنبلة الذرية ومنها ما هو إيجابي كتطوير وسائل النقل والموصلات (الطائرة وجهاز الراديو والرادار) واختراع ما يخدم الإنسان كالعقاقير الطبية واللقاحات والمضادات الحيوية ومن أهمها البنسيلين.

النتائج السياسية:

أسفرت الحرب العالمية الثانية عن هزيمة الدكتاتوريات في إيطاليا وألمانيا واليابان وتراجعت مكانة القارة الأوروبية فلم تعد فرنسا وبريطانيا تهيمنان على العالم بل برز قطبان جديدان هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي كما تغيرت أنظمة الحكم بأوروبا الوسطى والشرقية حيث نشأت الديمقراطيات الشعبية وتطورت المستعمرات خارج أوروبا واتضحت المطالب المشروعة لحركات التحرر من الاستعمار وانقسم العالم إلى كتلتين متنافستين الكتلة الغربية برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية والكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفييتي ثم ظهرت على إثر حصول العديد من المستعمرات على استقلالها الدول النامية التي شكلت ما سمي بالعالم الثالث وقد كان للدول العربية والإسلامية دور فعال .

كان من نتائج الحرب العالمية عودة جميع بلدان أوروبا إلى حدودها القديمة باستثناء بولندا التي توسعت على حساب ألمانيا وانقسمت أوروبا إلى منطقتي نفوذ سوفيتية في الشرق وأمريكية في الغرب كما قسمت ألمانيا إلى دولتين واحدة في الشرق وعاصمتها برلين والثانية في الغرب وعاصمتها بون.

تأسست الأمم المتحدة على إثر انعقاد مؤتمر سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية في يونيو ١٩٤٥ وقد حضر هذا المؤتمر نواب عن خمسين دولة محبة للسلام.

تمثلت أهداف منظمة الأمم المتحدة في الحفاظ على السلام والأمن الدوليين

تطوير التعاون الدولي، ضمان حق الشعوب في تقرير مصيرها، وحماية حقوق الإنسان.

اتفق واضعو ميثاق منظمة الأمم المتحدة على اتخاذ مدينة نيويورك مقرًا رئيسيا لها وتتألف أجهزة هذه المنظمة من الهيئات التالية:

* مجلس الأمن: يتكون هذا المجلس في الأصل من ١١ عضو (١٥ حاليًا) من بينهم خمسة أعضاء دائمين (الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي، وبريطانيا، وفرنسا، والصين) وتتمتع هذه الدول بحق النقض أو الفيتو وينتخب باقي الأعضاء لمدة سنتين ويعد مجلس الأمن صاحب السلطة الفعلية في المنظمة إذ تخول له قوانينها صلاحية استعمال القوة المسلحة للحفاظ على السلم.

* المجلس الاقتصادي والاجتماعي: ينسق جهود الدول الأعضاء في المجالات الاجتماعية والاقتصادية.

* محكمة العدل الدولية: مقرها لاهاي بهولندا ومهمتها حل النزاعات التي تنشب بين الدول.

النتائج البشرية والمادية:

دمرت مدنًا بأكملها وأحدثت خسائر بشرية كبرى، فقد استعملت في الحرب مدافع ثقيلة وقنابل بكثافة حيث بلغ ضحايا الحرب (قتلى، جرحى، مشردون) أكثر من ٨٠ مليون نسمة وأدت بالتالي إلى نقص كبير في الأيدي العاملة وانخفضت الولادات وتغيير هرم الأعمار للدول. أما الآثار الاقتصادية فتتمثل في تراجع القوة الاقتصادية لأوربا المدمرة لصالح الولايات المتحدة فكثرت مديونيتها، وانخفضت قيمة عملاتها وارتفعت أسعار السلع فيها وذلك نتيجة تحطم البنية الإنتاجية من طرق مواصلات وأراضي زراعية.

عالم من الخراب:

في نهاية الحرب، كان هناك ملايين اللاجئين المشردين، انهار الاقتصاد

الأوروبي، ودمر ٧٠٪ من البنية التحتية الصناعية فيها.

طلب المنتصرون في الشرق أن تدفع لهم تعويضات من قبل الأمم التي هزمت، وفي معاهدة السلام في باريس عام ١٩٤٧، دفعت الدول التي عادت الاتحاد السوفييتي وهي المجر، فنلندا ورومانيا ٣٠٠ مليون دولار أمريكي (بسعر الدولار لعام ١٩٣٨) للاتحاد السوفييتي . وطلب من إيطاليا أن تدفع ٣٦٠ مليون دولار تقاسمتها وبشكل رئيس اليونان ويوغسلافيا والاتحاد السوفييتي.

* * *

إحصائيات وأرقام للقتلى

وللتوسع نذكر ما كان في الحرب العالمية الأولى وقتلاها من حروب من خلال الإحصائيات والأرقام:

لقد وصمت الأمة الإسلامية بالعنف والإرهاب[1] وراجع ذلك إلى قيام عدد محدود من المسلمين أو المحسوبين عليهم والذين تم ويتم استغلالهم من قبل أعداء الأمة بعمل العنف ضد أبناء أمتهم ودولها وشعوبها من المسلمين .. من أجل وصم الأمة الإسلامية واتهامها بكاملها بالإرهاب والعنف..

إلا أن الإحصاءات الواضحة والدقيقة تجعل كل هذه الادعاءات من قبل أعداء الإسلام غير صحيحة .. وأن الإرهاب من قلة قليلة من الأفراد لا يعني أبداً أن تكون الأمة كلها كذلك .. فقد أوردت الباحثة (تانيا هسو)المحللة السياسية (في معرض تحليلها حول العنف داخل الديانة الواحدة وكذلك الديانات فيما بينها .. أن القارئ والمحلل السياسي سوف يفاجأ بالأرقام والمعلومات في هذا الجانب .. وسيتساءل أي أمة هي الأكثر عنفاً وأكثر قتلاً بين الأمم .. فالإحصاءات للقتل خلال المائة سنة الأخيرة أي منذ ١٩٠٧ إلى ٢٠٠٧ تقول الآتي:

هناك (250.000.000) ربع بليون إنسان قتلوا خلال المائة سنة الماضية من غير المسلمين بيد غير مسلمين .. وفي نفس المرحلة هناك (1300.000) مليون وثلاثمائة ألف قتيل من المسلمين قتلوا بيد مسلمين .. وأن هناك (6000.000) ستة ملايين مسلم قتلوا بيد مسلمين وغير مسلمين

ويمكن تفنيد هذه الأرقام على النحو الآتي:

ـ **الحرب العالمية الأولى** : مسيحيون ضد مسيحيين قتل فيها (15.000.000)

(١) انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

خمسة عشر مليون إنسان قتيل

ـ الحربة الأهلية الروسية : شيوعيون ويهود ضد مسيحيين (10.000.000) عشرة ملايين إنسان قتيل

ـ الحرب الأهلية الأسبانية :كاثوليك ضد كاثوليك (1.200.000) مليون ومائتا ألف إنسان قتيل

ـ الاتحاد السوفيتي إبان الثورة الصناعية :شيوعيون ضد شيوعيين ومسيحيين (20.000.000)عشرون مليون إنسان قتيل

ـ الحرب الهندية الصينية الأولى :مسيحيون ضد هندوس (1.200.000) مليون ومائتا ألف إنسان قتيل

ـ الحرب العالمية الثانية :مسيحيون ضد مسيحيين وبوذيين (55.000.000) خمسة وخمسون مليون إنسان قتيل . . ويمكن تقسيمها إلى الآتي :

ـ القصف الأمريكي لألمانيا (600.000) ستمائة ألف إنسان قتيل .

ـ القصف الأمريكي لرومانيا (50.000) خمسون ألف قتيل .

ـ القصف الأمريكي لليابان (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتيل .

ـ هتلر ألمانيا بالحرب العالمية الثانية :مسيحيون ضد يهود (4.000.000) أربعة ملايين إنسان قتيل في مخيمات الموت و (1.300.000) مليون وثلاثمائة ألف يهودي قتلوا بالمذابح الجماعية .

ـ يابانيون ضد صينيين (23.000.000) ثلاثة وعشرون مليون إنسان قتيل .

ـ يابانيون ضد فيتناميين وفلبينيين وأندونيسيين وبورميين (7.000.000) سبعة ملايين إنسان قتيل .

ـ حرب التصفيات داخل الاتحاد السوفيتي :روسي ضد روسي(4.000.000)

أربعة ملايين إنسان قتيل.

ـ إيطاليون ضد أثيوبيين وليبيين ويونانيين وإيطاليين (1.400.000) مليون وأربعمائة ألف إنسان قتيل.

ـ يوغسلافيا (1.000.000) مليون إنسان قتيل.

ـ تشيكوسلوفاكيا (2.000.000) مليونا إنسان قتيل.

ـ صينيون ضد صينيين (43.000.000) ثلاثة وأربعون مليون إنسان قتيل.

ـ الكنغو في أفريقيا : أفريقي ضد أفريقي (1.200.000) مليون ومائتا ألف قتيل.

ـ الثورة المكسيكية كاثوليك ضد كاثوليك (1.000.000) مليون إنسان قتيل.

ـ آرمن (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتيل.

ـ الحرب الكورية (3.000.000) ثلاثة ملايين إنسان قتيل.

ـ رواندا . . هوتسو ضد توتسي (1.500.000) مليون ونصف إنسان قتيل.

ـ الحرب الفيتنامية (3.000.000) ثلاثة ملايين إنسان قتيل.

ـ أثيوبيا (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتيل.

ـ نيجيريا (1.000.000) مليون إنسان قتيل.

ـ كمبوديا (1.500.000) مليون وخمسمائة ألف إنسان قتيل.

ـ موزمبيق (1.000.000) مليون إنسان قتيل.

ـ السودان (2.500.000) مليونان وخمسمائة ألف إنسان قتيل.

ـ أنجولا : كاثوليك ضد غير الكاثوليك (600.000) ستمائة ألف إنسان قتيل

ـ الصومال (300.000) ثلاثمائة ألف إنسان ماتوا وغالبيتهم من المجاعة.

ـ زائير (200.000) مائتا ألف إنسان قتيل بفعل القتل الجماعي لقبيلة

الهوتسو.

- **كولمبيا**: كاثوليك ضد الشوعيين (50.000) خمسون ألف إنسان قتيل.

الذين قتلوا وكان المسلمين طرفا في القتال:

- **إسرائيل** عام ١٩٤٨ يهود ضد مسلمين (3.000) ثلاثة آلاف يهودي قتل مقابل (11.000) أحد عشر ألف مسلم قتيل.

- حرب السويس يهود ضد مسلمين (180) مائة وثمانون يهوديا قتلوا مقابل (4.000) أربعة آلاف مسلم قتيل.

- **حرب الأيام الستة ١٩٦٧** يهود ضد مسلمين (750) سبعمائة وخمسون يهوديا قتيلا مقابل (16000)ستة عشر ألف مسلم قتيل.

- **حرب الاستنزاف المصرية**: يهود ضد مسلمين (1000) ألف قتيل مقابل (5000) خمسة آلاف مسلم قتيل.

- **حرب ١٩٧٣**: يهود ضد مسلمين (2500) ألفان وخمسمائة يهودي قتيل مقابل (15000) مسلم قتيل.. الإسرائيليون ضد الفلسطينيين بعد الانتفاضة الأولى: يهود ضد مسلمين (1000) ألف يهودي قتيل مقابل (5000) خمسة آلاف مسلم قتيل.

- **الاسرائيليون** ضد الفلسطينيين الانتفاضة الثانية: يهود ضد مسلمين (350) ثلاثمائة وخمسون يهودي قتيل مقابل (5500) خمسة آلاف وخمسمائة مسلم قتيل.

- **الحرب الأهلية اللبنان - (١٩٧٠ - ١٩٩٠)** (مسيحيون ضد مسلمين) (150.000) مائة وخمسون ألف إنسان قتيل.

- **إسرائيل** ضد لبنان ١٩٨٢ يهود ضد مسلمين (18000) ثمانية عشر ألف إنسان قتيل.

ـ العراق: نظام (صدام حسين) مسلم ضد مسلم (300.000) ثلاثمائة ألف إنسان قتيل.

ـ البوسنة والهرسك غالبية القتلى من المسلمين (175.000) مائة وخمسة وسبعون ألف إنسان قتيل.

ـ الحرب العراقية الإيرانية : مسلم ضد مسلم (1.000.000) مليون إنسان قتيل.

ـ الجزائر: مسيحيون ضد مسلمين (1.000.000) مليون مسلم قتيل.

ـ أفغانستان سوفيت ضد مسلمين (2.000.000) مليونا مسلم قتيل.

ـ أحداث الحادي عشر من سبتمبر معظم القتلى من المسيحيين (3000) ثلاثة آلاف قتيل.

ـ الحرب الأمريكية على العراق وأفغانستان مسيحيون ضد مسلمين (3300) ثلاثة آلاف وثلاثمائة . . أمريكيون ٩٨ % مسيحيون مقابل (1.000.000) مليون مسلم قتيل.

ـ أحداث الجزائر مسلم ضد مسلم (60.000) ستون ألف مسلم قتيل.

وبالنظر التحليلي لهذه الأرقام يمكن الحصول على صورة عامة مفادها الآتي:

ـ أن جميع المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين خلال آخر مائة سنة أي من عام ١٩٠٧ ـ ٢٠٠٧ م هو (1.400.000) مليون وأربعمائة ألف مسلم.

ـ غير المسلمين الذين قتلوا على يد مسلمين هم (25.500) خمسة وعشرون ألف وخمسمائة إنسان قتيل.

ـ المسلمون الذين قتلوا بيد غير المسلمين (4.500.000) أربعة ملايين وخمسمائة ألف إنسان قتيل.

ـ غير المسلمين الذين قتلوا غير مسلمين خلال المائة سنة الماضية هم

(250.000.000) ربع بليون إنسان.

وجدت في الويكيبيديا إحصائية حول عدد ضحايا الحروب خلال التاريخ المدون، بعض هذه الأرقام مرت على من قبل وبعضها الآخر كانت جديدة ولم أسمع بها من قبل، وبعضها كان مفاجئاً جداً (تيمورلنك على سبيل المثال):

فأردت أن أضع منها هنا أول عشرة أسباب أو حروب، و هي كالتالي:

١ ـ الحرب العالمية الثانية:

* من ٦٠ إلى ٧٠ مليون شخص خلال ست سنوات من ١٨٨٩ حتى ١٩٤٥ميلادية.

٢ ـ ثورة آن شين في الصين:

حوالي ٣٦ مليون شخص، خلال ثمان سنوات من ٧٥٥ حتى ٧٦٣ ميلادية.

٣ ـ جنكيز خان والغزو المغولي:

* من ٣٠ إلى ٦٠ مليون شخص و ذلك خلال القرن الثالث عشر.

٤ ـ فتح منشوريا في الصين:

حوالي ٢٥ مليون شخص، خلال سبع وأربعين سنة من ١٦١٦ حتى ١٦٦٢ ميلادية.

٥ ـ الحرب العالمية الأولى ـ

بإجمالي تقريبي ٧٠ مليون شخص.

* حوالي ٢٠ مليون شخص ضحايا الحرب خلال خمس سنوات من ١٩١٤ حتى ١٩١٨ ميلادية.

* من ٢٠ إلى ٥٠ مليون شخص بين الفترة من سبتمبر ١٩١٨ و يوليو ١٩١٩ بسبب الإنفلونزا الإسبانية ـ فايروس H1N1.

٦ ـ ثورة تابيي في الصين:

* حوالي ٢٠ مليون شخص، خلال أربع عشرة سنة من ١٨٥١ حتى ١٨٦٤ ميلادية.

٧ ـ الحرب اليابانية الثانية:

الرقم لا يشمل ضحايا الحرب العالمية الثانية.

* حوالي ٢٠ مليون شخص، خلال أربع عشرة سنة من ١٩٣٧ حتى ١٩٤٥ ميلادية.

٨ ـ عهد دوله وارينغ في الصين:

* حوالي ٢٠ مليون شخص، خلال مائتين وخمس سنوات من ٤٧٥ حتى ٢٢١ قبل الميلاد.

٩ ـ فتوحات تيمورلنك:

من ٧ إلى ٢٠ مليون شخص، خلال ست وأربعين سنة الفترة من ١٣٦٠ و ١٤٠٥ ميلادية.

١٠ ـ الحرب الأهلية الروسية:

(الثورة البلشفية) ـ الرقم لا يشمل ضحايا الحرب العالمية الأولى.

* من ٥ إلى ٩ مليون شخص، خلال ست وأربعين سنة الفترة من ١٩١٧ و ١٩٢١ ميلادية.

لم أصدق عيني عندما قرأت الموضوعات التي تتحدث عن إمبراطورية تيمورلنك و ضحاياه، كنت قد قرأت من قبل عنه و عن صلفه و تجبره في مملكته، لكني لم أتصور ان يصل عدد ضحايا حكمه حتى ٢٠ مليون إنسان .

في الإحصائيات التي بالأعلى، ستلاحظ تكرر الصين أربع مرات بإجمالي ١٠١ مليون شخص . . سبحان الله . . !!

إحصاء قتلى الحروب: آلاف المدنيين يموتون يوميا:

كيف يمكنك أن تحصي حصيلة القتلى في حرب بدولة لا توجد بها إحصاءات أو سجلات طبية والناس بها منتشرون في قرى نائية بالغابات أو محشورون في مخيمات مؤقتة.

تقول وكالات المساعدات: إنه إذا علم السياسيون والناس كيف أن آلافا كثيرة من المدنيين يموتون يوميا في بعض من أسوأ مناطق الحروب في العالم مثل جمهورية الكونجو الديمقراطية وأوغندا والسودان فربما يصبحون أكثر ميلا إلى التحرك.

غير أن تحديد معدلات وفيات دقيقة في بعض من أكثر البيئات التي تشهد عداءات شديدة في العالم قد يكون صعبا وخطيرا وقد تكون له في بعض الأحيان جوانب سياسية.

وقال فرانسيسكو شيكشي الخبير في سجلات الوفيات في مناطق الكوارث «الأرقام . . . تهم لأنها يمكن أن تغير سياسة».

وعندما كشف مسح أجراه في عام ٢٠٠٤ خبراء في الصحة العامة أن ١٠٠ ألف عراقي توفوا منذ إطاحة القوات التي تقودها الولايات المتحدة بنظام الرئيس صدام حسين في عام ٢٠٠٣ قالت الحكومة البريطانية: إن منهجية المسح لم تكن سليمة رغم أن التقرير نشر في نشرة (لانسيت) الموثوقة.

وقال ريتشارد هورتون مدير تحرير (لانسيت) إن السياسيين يدركون أن معدلات الوفيات المرتفعة يمكن أن تظهرهم في صورة سيئة لذلك يواجه الباحثون في بعض الأحيان حملات تشويه وفحص دقيقة.

وفي بعض الأحيان تهز الأرقام الكبيرة بخصوص الوفيات العالم وتدفعه إلى التحرك.

وفي عام ٢٠٠٠ نشرت لجنة الإغاثة الدولية مسحا أظهر أن الحرب في

جمهورية الكونجو الديمقراطية كانت الأكثر دموية منذ الحرب العالمية الثانية حيث قتل قرابة ١,٧ مليون شخص بسبب العنف أو الأمراض المرتبطة بالحرب وبسبب الجوع.

واحتل هذا الرقم العناوين الرئيسة بوسائل الإعلام واحيا الاهتمام بواحدة من أكبر «العمليات الطارئة المنسية» في العالم، وقال ريتشارد برينان مدير شؤون الصحة بلجنة الإغاثة الدولية : إن تمويل المساعدات الدولية لجمهورية الكونجو الديمقراطية الواقعة في وسط أفريقيا ارتفع إلى أكثر من ثلاثة أضعافه بعد نشر نتائج المسح.

وقال رينان: «لا يمكن أن نقول: إن بيانات لجنة الإغاثة الدولية فقط هي التي فعلت ذلك.. ولكن من المؤكد أنها لعبت دوراً».

لكن التمويل الجديد لم يضع حدا لمأساة الشعب الكونجولي.

وفي عام ٢٠٠٤ أظهر مسح آخر للجنة الإغاثة أن حصيلة الوفيات ارتفعت إلى رقم مذهل بلغ ٣,٩ مليون شخص.

غير أن ميليشيات وجنود ومقاتلين قبليين كانوا لا يزالون يستهدفون المدنيين خاصة في منطقة الشرق النائية ويحرمون القرويين من المحاصيل والمياه الآمنة والمراكز الصحية.

ولا يزال التمويل المطلوب لجمهورية الكونجو الديمقراطية قاصرا غير أن الاستجابة الكبيرة عقب المسح الذي أجري في عام ٢٠٠٠ تظهر أن البيانات الخاصة بالوفيات يمكن أن تحث على بذل جهود أكبر على الأقل لبعض الوقت. لكن المشكلة تكمن في الحصول على بيانات دقيقة ثم بعد ذلك التأكد من أنها غير قابلة للطعن فيها.

ورغم أن الكونجو تضم حاليا أكبر قوة حفظ سلام في العالم ومن المقرر أن تجرى بها انتخابات تاريخية في يونيو حزيران فإن عملية جمع البيانات مهمة

معقدة في بلد التنقل فيه عبر الأنهار دائما ما يكون أكثر أمنا من الطرق ويتعرض لدرجة حرارة خانقة ونسبة رطوبة تقترب من ١٠٠ في المائة.

وقال بريتان: «إنها الطائرات والقطارات والسيارات».

وكان بين كوجلان مع فريق لجنة الإغاثة الدولية الذي ذهب إلى الكونجو خلال الفترة من أبريل نيسان وحتى يوليو تموز ٢٠٠٤ لإعداد دراسة حول عدد الوفيات نشرتها لانسيت في يناير كانون الثاني ٢٠٠٦.

وعمل الفريق مع باحثين محليين زاروا عينة من المنازل وسألوا عن أعداد المواليد والوفيات خلال فترة محددة. وقارنوا النتائج بتقديرات حول معدلات الوفيات «الطبيعية» في بلدان مشابهة وانتهوا إلى حصيلة كبيرة.

وكانت الرحلة بالنسبة للزائرين كابوسا فيما يتعلق بالنقل والمؤن.

فقد اضطروا إلى حمل حقائب مملوءة بعملات كونجولية بينما كانوا يسافرون وسط الغابات إلى مخيمات اللاجئين المترامية.

وقال كوجلان الذي شارك في كتابة المسح نيابة عن معهد بيرنت الأسترالي: «لقد جعلنا ذلك أكثر غضبا».

وفي إحدى المراحل وجد كوجلان نفسه يقود دراجة بخارية مؤجرة وسط حرائق الغابات ومعه نقود وخزان وقود فارغ مربوط في مؤخرة الدراجة. وفي حادثة أخرى كان على فريقه أن يتحدث إلى طفل من الجنود وقاده المخمورون مرة واحدة على الأقل في طريقهم للسماح له بالمرور.

وكان على الباحثين أيضا أن يكسبوا ود السلطات المحلية والوطنية وهو ما يعني دائما التفاوض مع حكومات متغطرسة وسريعة الغضب للسماح لهم بالمرور إلى مناطق الحرب وبعد ذلك السماح لهم بنشر معلومات قد لا تروق لهم.

وقدر مسح لعدد الوفيات في مخيمات النازحين في شمال أوغندا التي تقوم جماعة متمردة متدينة بالإغارة على المدنيين به منذ قرابة ٢٠ عاما أن ٢٦ ألف

شخص توفوا خلال الفترة ما بين يناير كانون الثاني وحتى يوليو تموز ٢٠٠٥.

وواجه الباحثون في البداية مشكلات في إقناع كمبالا بالتصديق على تقريرهم الذي أظهر أن معدلات الوفاة في الأسبوع الواحد تصل إلى ١٠٠٠ شخص.

وتعد منطقة دارفور بغرب السودان إحدى المناطق الأخرى التي يصعب إجراء بحوث فيها. وقتل عشرات الآلاف من الأشخاص واضطر أكثر من مليونين آخرين إلى النزوح خلال ثلاث سنوات من الحرب.

وفي عام ٢٠٠٤ قدرت منظمة الصحة العالمية أن ما بين ٥٠٠٠ و١٤ ألف شخص كانوا يموتون شهريا كما أحصت نحو ٧٠ ألف متوف بين النازحين أغلبهم بسبب أمراض يمكن الوقاية منها خلال الفترة من مارس آذار وحتى سبتمبر أيلول من العام نفسه.

وشكت منظمات دولية غير حكومية من تعرضها لتحرشات من جانب السلطات السودانية كما طلب من عدد من تلك المنظمات المغادرة.

وحتى في الوقت الذي ينشر فيه الباحثون نتائجهم في إصدارات مثل لانسيت فيمكن أيضا أن يتعرضوا لانتقادات من جانب صحفيين وحكومات تهاجم الحلول التي تطلبها تلك النتائج.

وهذا هو السبب وراء الأهمية الكبيرة للدقة الشديدة.

وقال هورتون مدير تحرير (لانسيت): «إذا كنت ستدخل في تقديم مشورة سياسية أو القيام بدور دفاعي.. فيجب أن تتأكد من أن الأرقام صحيحة... ذلك من أجل مزج العلم بفكرة الشهادة... والهدف هو تقليل الخسائر في الأرواح».

وإضافة إلى ما سبق و«الهرج» ندون ما جاء في الهجمات الإرهابية في العالم:

واشنطن: «الشرق الأوسط» والوكالات.

ارتفع عدد الهجمات الإرهابية «الكبيرة» في العالم أكثر من ثلاث مرات العام الماضي، حسبما أشارت إحصائيات حكومية أمريكية قبيل صدور تقرير وزارة الخارجية الامريكية عن الإرهاب، الذي قالت الوزارة: إنه لم يتضمن أرقاماً عن ضحايا الهجمات الإرهابية.

وأفاد مساعدون في الكونغرس أن إحصائيات وزارة الخارجية الأمريكية ومسؤولي الاستخبارات تظهر أن عدد الهجمات الإرهابية «الكبيرة» في العالم ارتفع الى حوالي ٦٥٠ هجوماً عام ٢٠٠٤ من حوالي ١٧٥ هجوماً عام ٢٠٠٣. وأشارت الخارجية الأمريكية إلى أن ١٧٥ هجوماً هو أعلى رقم عن الهجمات الإرهابية خلال ٢٠ سنة.

وقال المساعدون: إن القفزة ترجع جزئيا لزيادة أرقام حوادث العنف في إقليم كشمير الذي تتنازعه الهند وباكستان وإلى زيادة عدد المشاركين في أعمال المراقبة الأمريكية، الأمر الذي يؤدي لزيادة عدد الهجمات المرصودة.

وكانت وزارة الخارجية نشرت بشكل مبدئي العام الماضي أرقاما خاطئة تقلل من عدد الهجمات والقتلى والمصابين عام٢٠٠٣، ثم تراجعت لاحقاً وقالت إن عدد القتلى والمصابين عام ٢٠٠٣ هو أكثر من مثلي ما ورد في تقريرها الأولي. وقال مراقبون إن استخدام الأرقام المنخفضة تم لإظهار أن إدارة الرئيس جورج بوش تنتصر في الحرب على الإرهاب.

وتوصف العملية بأنها إرهابية «كبيرة» إذ تسببت في قتل أو إصابة فرد بجروح خطيرة أو خسائر تزيد على ١٠ آلاف دولار أو إذا كانت محاولة لتحقيق

(١) انظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية ـ منتديات أبناء سوهاج.

أحد هذه الأمور. وكانت وزارة الخارجية أثارت جدلا جديدا الأسبوع الماضي بشأن أرقام ضحايا الإرهاب عندما قالت إنها لن تدرجها بعد ذلك في تقاريرها السنوية عن الإرهاب، موضحة أن المركز القومي لمكافحة الإرهاب الذي أنشئ حديثا هو الذي سيقوم بجمع الأرقام، غير أن وكالة «رويترز» نقلت أمس عن مسؤول استخباراتي أمريكي طلب عدم نشر اسمه قوله: إن الأرقام ستنشر يوم غد الجمعة.

وكتب النائب الديمقراطي هنري واكسمان إلى وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس أول من أمس وطلب منها نشر البيانات. وجاء في رسالة واكسمان أن «الزيادات الكبيرة في الهجمات الإرهابية عام ٢٠٠٤ ربما تقوض مزاعم الحكومة في النجاح في الحرب على الإرهاب، لكن عدم الملاءمة السياسية لم يكن قط أساسا شرعيا لحجب الحقائق عن الشعب الأميركي».

وأفاد مساعدون بالكونغرس أن حوالي عشرة موظفين متفرغين عكفوا على جمع بيانات العمليات الإرهابية لعام ٢٠٠٤ مقارنة مع ثلاثة فقط في الاعوام الماضية، مشيرين إلى أن زيادة العدد ساعد في تقديم إحصاء أكثر شمولا.

وجاء في رسالة واكسمان أن حوالي ٣٠٠ عملية إرهابية وقعت في الهند وباكستان العام الماضي بما يعني أن حوالي ٣٥٠ هجوما وقعت في باقي أنحاء العالم، وهو ما يزيد على مثلي أرقام عام ٢٠٠٣، وأشار إلى أن هذا يعكس تحسن الجهود الأميركية لمراقبة التقارير الإعلامية عن أعمال العنف وبالتالي رصد «مزيد من الهجمات التي تقع في الهند وباكستان وترتبط بكشمير».

* * *

وأيضًا قتلى الثورات العربية

وذلك من خلال ما جاء في تقارير الثورات العربية:

منها على سبيل المثال:

* مصر: حيث صرح وزير الصحة بجمهورية مصر العربية سامح فريد ـ وقتئذ ـ بأن عدد القتلى بلغ ٣٨٤ قتيلاً.

وبلغ عدد المصابين ٦٤٦٧ مصابًا.

* تونس: بحسب تقرير الأمم المتحدة بلغ عدد القتلى ٢١٩ قتيلاً، وعدد الجرحى ٢٠٧ جريحًا.

* ليبيا: لم نقف على إحصائية موثقة حيث قدر عدد القتلى بـ ٢٥,٠٠٠ قتيل فضلاً عن آلاف الجرحى، والمفقودين.

* اليمن: لم نقف لها على إحصائية دقيقة ولكن ما نعلمه أن عدد القتلى بالمئات ، وعدد الجرحى بالآلاف.

* سوريا: إلى وقت كتابة هذا التقرير لا زالت الثورة قائمة بأرض سوريا، واقترب عدد القتلى طبقًا لإحصائية الحقوقيين إلى ٦٠٠٠ قتيل، فضلاً عن آلاف الجرحى، وآلاف المفقودين.

* * *

خروج نار من أرض الحجاز

قال ابن كثير[١] : ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستمائة كتب من مدينة رسول الله ﷺ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[٢] ، فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب. قال: وكنا في بيوتنا تلك الليالي، وكان في دار كل واحد منا سراج، ولم يكن لها حر ولفح على عظيمها، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل.

قال أبو شامة: وهذه صورة ما وقفت عليه من الكتب الواردة فيها: لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ظهر بالمدينة النبوية دوي عظيم، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور.

ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظا مسيل الماء، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل، والله لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيراناً، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجيء إلينا.

ورجعت تسيل في الشرق، فخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة.

(١، ٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٣ / ١٦٠ ـ ١٦٤) حوادث سنة ٦٥٤ هـ.

فيها: أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [(١)] وقد أكلت الأرض، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستمائة والنار في زيادة ما تغيرت، وقد عادت إلى الحرار في قريظة طريق عير الحاج العراقي إلى الحرة كلها نيران تشتعل نبصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج. وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند قريظة، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أي شيء يتم بعد ذلك، والله يجعل العاقبة إلى خير، فما أقدر أصف هذه النار.

قال أبو شامة: وفي كتاب آخر: فظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ووقع في شرقي المدينة المشرفة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم: انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد. ثم وقفت وعادت إلى الساعة، ولا ندري ماذا نفعل.

قال: وفي كتاب آخر: «لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين وستمائة وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة، أقام على هذه الحالة يومين، فلما كانت ليلة الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل فنقيم على هذه الحال ثلاثة أيام يقع في اليوم والليلة أربع عشرة زلزلة فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله ﷺ وهي برأي العين من المدينة، نشاهدها وهي ترمي بشرر كالقصر، كما قال الله تعالى، وهي بموضع يقال له أحيلين وقد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ، وعرضه

---

(١) الحديث: متفق عليه، رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف، وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمهاد وجبال صغار، وتسير على وجه الأرض وهو صخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك، فإذا جمد صار أسود، وقبل الجمود لونه أحمر، وقد حصل بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصي، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات، وخرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة إلى أهلها».

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: «ومن كتاب شمس الدين بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني قاضي المدينة إلى بعض أصحابه: لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة بالثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقن منها، وباتت باقي تلك الليلة تزلزل كل يوم وليلة قدر عشر نوبات، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله ﷺ اضطرب لها المنبر إلى أن أوجسنا منه إذ سمعنا صوتاً للحديد الذي فيه. واضطربت قناديل الحرم الشريف، وتمت الزلزلة إلى يوم الجمعة ضحى، ولها دوي مثل دوي الرعد القاصف، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس جبلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة، وما باتت لنا إلا ليلة السبت وأشفقن منها وخفنا خوفاً عظيماً، وطلعت إلى الأمير كلمته وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله تعالى، فأعتق كل مماليكه ورد على جماعة أموالهم، فلما فعل ذلك قلت: اهبط الساعة معنا إلى النبي ﷺ، فهبط وبتنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم، وما بقي أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي ﷺ وأشفقن منها وظهر ضوؤها إلى أن أبصرت من مكة ومن الفلاة جميعها.

ثم سال منها نهر من نار، وأخذ في وادي أحيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحر الحاج وهو بحر نار يجري، وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادي وادي الشفا، وما عاد يجيء في الوادي سيل قط، لأنها حضرته نحو قامتين وثلث علوها، والله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكدرة والمدينة قد تاب جميع أهلها، ولا

بقي يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب، وتمت النار تسيل إلى أن سدت بعض طرق الحاج وبعض بحرة الحاج.

وجاء في الوادي إلينا منها يسير وخفنا أنه يجيؤنا، فاجتمع الناس ودخلوا على النبي ﷺ وتابوا عنده جميعهم ليلة الجمعة، وأما فتيرها الذي مما يلينا فقد طفئ بقدرة الله وأنها إلى الساعة وما نقصت إلا ترى مثل الجمال حجارة ولها دوي ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب، وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الأهوال.

وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها، وما أصبح يقدر يصفها من عظمها، وكتب الكتاب يوم خامس رجب، وهي على حالها، والناس منها خائفون، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما يطلعان إلا كاسفين، فنسأل الله العافية».

ثم قال أبو شامة: «ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه: وصل إلينا في جمادى الآخرة نجابة من العراق وأخبروا عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى طفح الماء من أعلى أسوار بغداد إليها، وغرق كثير منها، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد، وانهدمت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون داراً، وانهدم مخزن الخليفة، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير، وأشرف الناس على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلدة، وتخترق أزقة بغداد.

قال: وأما نحن فإنه جرى عندنا أمر عظيم: لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين، عاد الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد، فانزعج له الناس كلهم، وانتبهوا من مراقدهم وضج الناس بالاستغفار إلى الله تعالى. وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه، وبقيت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى الصبح، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس

كلها وليلة الجمعة، وصبح يـوم الجمعة ارتجت الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بعـضه ببعض، وسمع لسقف المسجـد صرير عظيم، وأشفق الناس من ذنوبهم، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر.

ثم ظهرت عندنا بالحرة وراء قريظة على طريق السوارقيـة بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفـجر من الأرض، فارتاع لنا الناس روعة عظيمة. ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينعقـد حتى يبقى كالسحاب الأبيض، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة.

ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء إلى السـماء حمراء كأنها القلعة، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجـرة الشريفة، واستجار الناس بها وأحاطـوا بالحجرة وكشفـوا رؤوسهم وأقروا بذنوبهم وابتـهلوا إلى الله تعالى واستجـاروا نبيه عليه الصلاة والسلام، وأتـى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل، وخرج النساء من البيوت والصبيان، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله، وغطت حمـرة النار السماء كلها حـتى بقي الناس في مثل ضوء القمـر، وبقيت السمـاء كالقلعة، وأيقن الناس بالهلاك أو الـعذاب. وبات الناس تلك الليلة بين مصل وتال للقـرآن وراكع وساجد، وداعٍ إلى الله عـز وجل، ومتنصل من ذنوبه ومستغفـر وتائب، ولزمت النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيـبها، وصعد الفقيـه والقاضي إلى الأمير يعظونه، فطرح المكس وأعتق مماليكه كلهم وعـبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده، وعلى غيرنا، وبقيت تلك النار على حالها تلتهب التهاباً، وهي كالجبل العظيم ارتفاعاً و كـالمدينة عرضاً، يخرج منها حصى يصعد في السماء ويهوي فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمي كالرعد.

وبقيت كذلك أياماً ثم سالت سيلاناً في وادي أحيلين تنحدر مع الوادي إلى الشظا، حتى لحق سيـلانها بالبحرة بحرة الحاج، والحـجارة معها تتحـرك وتسير

حتى كادت تقارب حرة العريض.

ثم سكنت ووقفت أياماً، ثم عادت ترمي بحجارة خلفها وأمامها، حتى بنت لها جبلين وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً، ثم إنها عظمت الآن وسناؤها إلى الآن، وهي تتقد كأعظم ما يكون، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل إلى ضحوة، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على الكمال، وإنما هذا طرف منها كبير يكفي.

والشمس والقمر كأنهما منكسفان إلى الآن. وكتب هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر» .

وقد قال فيها بعضهم أبياتاً:

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا — لقد أحاطت بنا يا رب بأساءُ
نشكو إليك خطوباً لا نطيق لها — حملاً ونحن بها حقا أحقاءُ
زلازل تخشع الصم الصلاب لها — وكيف يقوى على الزلزال شماءُ
أقام سبعاً يرج الأرض فانصدعت — عن منظر منه عين الشمس عشواءُ
بحر من النار تجري فوقه سفن — من الهضاب لها في الأرض إرساءُ
كأنما فوقه الأجبال طافيةٌ — موج عليه لفرط البهج وعثاءُ
ترمي لها شرراً كالقصر طائشةً — كأنها ديمةٌ تنصب هطلاءُ
تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت — رعباً وترعد مثل السعف أضواءُ
منها تكاثف في الجو الدخان إلى — أن عادت الشمس منه وهي دهماءُ
قد أثرت سفعةً في البدر لفحتها — فليلة التم بعد النور ليلاء
تحدث النيرات السبع ألسنها — بما يلاقى بها تحت الثرى الماءُ

وقد أحاط لظاها بالبروج إلى ... أن كاد يلحقها بالأرض إهواءُ

فيا لها آية من معجزات رسو ... ل الله يعقلها القوم الألباءُ

فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت ... منا الذنوب وساء القلب أسواءُ

فاسمح وهب وتفضل وامح واعف وجد ... واصفح فكل لفرط الجهل خطاءُ

فقوم يونس لما آمنوا كشف الـ ... ـعذاب عنهم وعم القوم نعماءُ

ونحن أمة هذا المصطفى ولنا ... منه إلى عفوك المرجو دعاءُ

هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت ... محجة في سبيل الله بيضاءُ

فارحم وصل على المختار ما خطبت ... على علا منبر الأوراق ورقاءُ

* * *

تداعي الأمم على الأمة الإسلامية (١)

من علامات الساعة: تكالب أمم الكفر على هذه الأمة، ففي الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة على قصعتها**، قال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهْن**»، فقال قائل: يارسول الله وما الوَهْن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**» (٢) .

وقد وقع هذا عبر التاريخ أكثر من مرة، عندما تداعت الأمم الصليبية إلى غزو هذه الأمة، ومرة أخرى عند اجتياح التتار العالم الإسلامي، ولكن هذه النبوءة تحققت في القرن الأخير بصورة أوضح فقد اتفق الصليبيون واليهود والملاحدة على هدم الخلافة الإسلامية، ثم جزؤوا الديار التي كانت تحكمها، وتقاسموا ديار المسلمين فيما بينهم، وأعطوا فلسطين لليهود وأصبح المسلمون أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، ولا تزال قوى الشر إلى اليوم متداعية لتدمير هذه الأمة وامتصاص خيراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال رجالها، والأمة الإسلامية خانعة ذليلة، لم تغن عنها كثرتها، غثاء كغثاء السيل، وعلتها كما أخبر الرسول ﷺ:

«**الوَهن: حب الدنيا، وكراهية الموت**».

---

(١) الساعة الصغرى، د/ عمر الأشقر (ص/ ١٩٢، ١٩٣).

(٢) الحديث بمجموع طرقه صحيح، كما قال الشيخ ناصر الدين الألباني، وقد عزاه إلى أبي داود، والروياني، وابن عساكر، وأحمد في مسنده، وأبو نعيم في (الحلية) وغيرهم (سلسلة الأحاديث الصحيحة): (٢/ ٦٨٤)، حديث رقم (٩٥٨).
قلت: الزغبي ـ الحديث الصحيح ـ أحمد (٢/ ٣٥٩)، وأبو داود (٤٢٩٧)، والروياني (٢/ ١٣٤/ ٢٥).

السر في هذا التداعي:

إن اعتصام هذه الأمة بدينها ووحدتها حاجز يقف دون مطامع أعدائها، فمهما كان مكر الأعداء وقوتهم فإنهم لن ينالوا من هذه الأمة نيلاً إذا كانت متحدة، وفي الحديث الذي يرويه ثوبان أن الرسول ﷺ قال: «**وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قالَ: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**»[١] .

وواضح من الحديث أن وحدة الأمة عصمة لها من أعدائها، فإذا أصبح بأسها بينها، ووقعت الفرقة والاختصام فيما بينها سلط الله عليها أعداءها، وتلك نتيجة حتمية ، لأن قوتها في هذه الحال لا تتجه إلى الأعداء، بل إلى نفسها فتدمر نفسها بنفسها، مما يُطمِعُ أعداءها فيها.

* * *

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (٢ / ٢٢١٥) حديث رقم (٢٨٨٩) والمراد بالبيضة، أي: جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضًا: العز والملك. والمراد بقوله: «ألا أهلكهم بسنة عامة» أي: لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط يكون في ناحية يسيرة، بالنسبة إلى باقي بلاد المسلمين.

إخراجُ الأرض كنوزها المخبوءة[١]

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت ! ويجيء القاطع ، فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق، فيقول: في هذا قُطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا**»[٢] .

وهذه آية من آيات الله، حيث يأمر الحق الأرض أن تخرج كنوزها المخبوءة في جوفها، وقد سمى الرسول ﷺ تلك الكنوز (بأفلاذ الكبد)، وأصل الفلذ «القطعة من كبد البعير، وقال غيره: هي القطعة من اللحم، ومعنى الحديث: التشبيه، أي: تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها، والأسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمته وكثرته»[٣] .

وعندما يرى الناس كثرة الذهب والفضة يزهدون فيه، ويألمون؛ لأنهم ارتكبوا الذنوب والمعاصي في سبيل الحصول على هذا العرض التافه.

* * *

---

(١) الساعة الصغرى (ص / ٢٠٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل ألا يوجد من يقبلها، حديث رقم (١٠١٣) (٧٠١).

(٣) شرح النووي على مسلم: (١٨ / ٩٨).

إخراج الأرض ما في جوفها من الكنوز والأموال[١]

روى الأئمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»**.

وفي رواية: **«عن جبل من ذهب»**[٢] لفظ البخاري ومسلم.

وقال مسلم في رواية[٣]: **«فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل واحد منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو»**.

وقال ابن ماجه[٤]: **«فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة»**.

وخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال[٥]: قال رسول الله ﷺ: **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت ! ويجيء القاطع، فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق، فيقول: في هذا قُطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»** لم يذكر الترمذي السارق وقطع يده، وقال: حديث غريب.

قال الحليمي رحمه الله في كتاب «منهاج الدين» له: وقال عليه الصلاة والسلام: **«يوشك أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا»** فيشبه أن يكون هذا في آخر الزمان الذي أخبر النبي ﷺ أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد، وذلك زمن عيسى عليه السلام، فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك الجبل مع ما يغنمه المسلمون من أموال المشركين، ويحتمل أن يكون نهيه

---

(١) الساعة الصغرى (ص / ٦٢٣ ، ٦٢٤).
(٢) البخاري ، وأبو داود (٤٣١٣).
(٣) مسلم (٢٨٩٤).
(٤) ابن ماجه (٤٠٤٦).
(٥) مسلم ، والترمذي (٢٢٠٨).

عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظـهور أشراطه ، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار مع ذلك جهل واغترار .

ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه تدافعوا وتقاتلوا.

ويحتمل أن يكون لا يجري به مجرى المعدن، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعـالى فيه؛ فكان الانقباض عنه أولى.

* * *

يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[١] : «**يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**».

قال عقبة: وحدثنا عبد الله حدثنا أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله إلا أنه قال: «**يحسر عن جبل من ذهب**» وكذلك رواه مسلم من حديث عقبة بن خالد من الوجهين ثم رواه عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل ، عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال[٢] : «**لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو**».

ثم روى من حديث عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفًا مع أبي ابن كعب في ظل أجم[٣] حسان فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا فقلت: أجل قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول[٤] : «**يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله. قال: فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون**».

* * *

---

(١) الحديث: متفق عليه: البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).
(٢) الحديث: صحيح: مسلم (٢٨٩٤).
(٣) هو الحصن.
(٤) الحديث: صحيح: مسلم (٢٨٩٥).

عودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً [١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ: «**لا تقـوم الساعـة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل زكاة ماله، فلا يجد أحداً يقبلها، وحتى تعود أرض العرب جنات وأنهاراً**» رواه مسلم[٢] .

وعودتها جنات وأنهاراً إما بسبب مـا يقوم أهلها به من حفر الآبار، وزراعة الأرض ونحو ذلك مما هو حاصل في زمـاننا ، وإما بسبب تغير المناخ، فـيتحول مناخها الحار إلى جو لطيف جـميل، ويفجر خالقها فيهـا من الأنهار والعيون ما يحول جدبها خصـبًا، ويحيل سهولها الجرداء إلى سهول مخـضرة فيحاء، وهذا هو الأظهر ، فإنه يحكي حالة ترجع فيها الجزيرة إلى ما كانت عليه من قبل.

* * *

(١) الساعة الصغرى (ص / ٢٠٣).
(٢) مشكاة المصابيح: (٣ / ٢١)، حديث رقم (٥٤٤٠)

محاصرة المسلمين إلى المدينة

من أشراط الساعة أن يهزم المسلمون، وينحسر ظلهم، ويحيط بهم أعداؤهم يحاصرونهم في المدينة المنورة.

عن ابن عمر رضي الله منهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك المسلمون أن يُحاصروا إلى المدينة، حتى يكون أبعد مسالحهم سلاحٌ**»[١].

والمسالح: جمع مسلحة، وهي الثغر، والمراد أبعد مواضع المخافة من العدو.

وسلاح: موضع قريبٌ من خيبر[٢].

* * *

(١) حديث: صحيح، رواه أبو داود والحاكم، صحيح الجامع: (٦ / ٣٦٣) ورقم الحديث: (٨٠٣٣).

(٢) سنن أبي داود (٤٢٥١)، وانظر: القيامة الصغرى» د/ عمر سليمان الأشقر (ص ٢٠٩).

ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض أول علم يرفع من الناس[(١)]

عن سالم بن أبي الجعد، عن زياد بن لبيد قال[(٢)] : ذكر النبي ﷺ شيئًا قال: «**ذاك عند أوان ذهاب العلم**».

قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟

قال: «**ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء منهما**».

وخرجه الترمذي عن جبير بن نفير، عن أبي الدرداء قال[(٣)] : كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «**هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا على شيء منه**».

فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا ونحن قد قرأنا القرآن فوالله لنقرؤه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا.

فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد: إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم**».

قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت فقلت: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء ، قال: صدق أبو الدرداء ، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس.

---

(١) التذكرة (ص / ٦٣٣ ، ٦٣٤).

(٢) أحمد (٤ / ١٦٠)، وابن ماجه (٤٠٤٨).

(٣) الترمذي (٢٦٥٣)، والحاكم (١ / ٩٩) .

الخشوع يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلاً خاشعًا.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا أعلم أحدًا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان. وروى بعضهم هذا الحديث، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك.

قال المؤلف رحمه الله: خرجه بهذا الإسناد الحافظ أبو محمد عبد الغني فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث قال: حدثني إبراهيم بن أبي عبلة، عن الوليد ابن عبد الرحمن عن جبير بن نفير قال: حدثني عوف بن مالك الأشجعي قال: نظر رسول الله ﷺ إلى السماء يومًا وقال:

«**هذا أوان رفع العلم**» فقال له رجل من الأنصار يقال له: زياد بن لبيد يا رسول الله، وكيف يرفع العلم وقد كتب في الكتب ووعته الصدور؟

فقال رسول الله ﷺ: «**إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة**» وذكر اليهود والنصارى وضلالتهم على ما في أيديهم من كتاب الله.

فذكرت ذلك لشداد بن أوس فقال: صدق عوف بن مالك.

ألا أخبرك بأول ذلك؟ يُرفع الخشوع حتى لا ترى رجلاً خاشعًا. ذكره في باب تقييد الحديث بالكتابة وهو حديث حسن.

قلت: وقد ذكرناه في مسند زياد بن لبيد بإسناد صحيح على ما ذكره ابن ماجه وهو يبين لك ما ذكرناه من أن المقصود برفع العلم العمل به، كما قال عبد الله بن مسعود: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده، ثم بعد رفع العمل بالعلم يرفع الرقم والكتاب ولا يبقى في الأرض من القرآن آية تتلى على ما يأتي في الباب بعد هذا.

دروس الإسلام وذهاب القرآن(١)

عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة قال(٢) : قال رسول الله ﷺ : «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري بكتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها** » . قال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثًا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة فقال: يا صلة تنجيهم من النار ـ ثلاثًا .

* * *

(١) التذكرة (ص / ٦٣٤ ـ ٦٣٥).

(٢) ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم (٤ / ٣٣٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦ / ٢٠٨).

الملاحم[1]

* الملحمة: هي الحرب وموضع القتال والجمع: الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحمة الثوب بالسدي.

وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها.

ومن أسمائه عليه الصلاة والسلام « نبي الملحمة» يعني نبي القتال وهو كقوله الآخر «**بعثت بالسيف**».

وفي حديث أسامة [فاستلحمنا رجل من العدو] أي تبعنا يقال: استلحم الطريدة والطريق : أي تبع.

وفي حديث الشجاج (المتلاحمة) هي التي أخذت في اللحم.

وفي حديث عمر [قال لرجل: لم طلقت امرأتك؟ قال: إنها كانت متلاحمة: قال: إن ذلك منهن لمستراد] قيل: هي الضيقة الملاقي، وقيل: هي التي بها رتق .

وفي حديث عائشة (فلما علقت اللحم سبقني) أي سمنت وثقلت.

وفيه «**الولاء لحمةٌ كلحمة النسب**» وفي رواية: «**كلحمة الثوب**» وقد اختلف في ضم اللُّحمة وفتحها فقيل: هي في النَّسب بالضم وفي الثوب بالضم والفتح.

وقيل: في الثوب بالفتح وحده.

ومن حديث الحجاج (صار الصغار لحمة الكبار) أي: أن القطر انتسج لتتابعه فدخل بعضه في بعض واتصل.

وفي حديث جعفر الطيار (أنه أخذ الراية يوم مؤتة فقاتل بها من ألحمه القتال) يقال: ألحم الرجلُ واستلحم: إذا نشب في الحرب فلم يجد له مخلصًا

(١) [انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٤ / ٤٥٩) ط المكتبة العلمية)].

وألحمه غيرُه فيها ولُحمَ: إذا قُتِل فهو ملحومٌ ولحيم.

ومنه حديث عمر في صفة الغزاة (ومنهم من ألحمه القتال).

ومنه حديث أسامة (أنه لحم رجلاً من العدو) أي: قتله.

وفيه «**اليوم يوم الملحمة**».

* * *

اعْدُدْ ستًا بين يدي الساعة

عن أبي إدريس يقول: سمعت عوف بن مالك رضي الله عنه يقول: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة أدم فقال[١] : **«اعدد ستًا بين يدي الساعة ، موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا تبقي بيتًا من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا»**.

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي ﷺ فسلمت عليه فقال : **«عوف»** قلت : نعم، فقال: **«ادخل»** قال: قلت كلي أو بعضي؟ قال: **«بل كلك»** فقال : **«اعدد يا عوف ستًا بين يدي الساعة، أولهن موتي»** قال: فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني ، قال: **«قل اثنتين»** قلت اثنتين **«والثالثة: موتان في أمتي يأخذهم مثل قعاص الغنم. قل: ثلاثًا والرابعة: فتنة تكون في أمتي أعظمها، قل أربعها، والخامسة: يفيض المال فيكم حتى أن الرجل ليعطي المائة دينار فيسخطها ، قل خمسًا والسادسة: هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون إليكم على ثمانين غاية»** قلت: وما الغاية؟

قال: **«الراية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا، وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: دمشق»**[٢] .

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال[٣] : **«إن فسطاط المسلمين يومئذ الملحمة بالغوطة التي جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام»**.

---

(١) الحديث: صحيح رواه البخاري (٣١٧٦)، وأبو داود (٥٠٠٠) ، وابن ماجه (٤٠٤٢).
(٢) الحديث: رواه أحمد في «مسنده» (٦ / ٢٥).
(٣) الحديث: صحيح، رواه أبو داود في «سننه» (٤٢٩٨).

ملحمة بين المسلمين والروم أهل الصليب

عن جبير بن نفير عن ذي مخمر عن النبي ﷺ قال[١] : «**تصالحون الروم صلحًا أمنًا وتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائهم فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: ألا غلب الصليب، فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم وتكون الملاحم فيجمعون لكم فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف**».

ثم رواه أحمد عن روح عن الأوزاعي به، وقال فيه : « **فعند ذلك تغدر الروم، ويجمعون للملحمة**»، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث الأوزاعي به. ومن حديث عوف بن مالك في صحيح البخاري «**فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا**»[٢] .

وعن أبي قتادة عن أسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل فقال لعبد الله بن مسعود جاءت الساعة؟ قال[٣] : وكان متكئا فجلس فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة قال ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام، وقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام: قلت الروم تعني؟ قال: نعم. قال: ويكون عند ذلكم القتال رده شديد.

قال: فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبه. فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ويبقى هؤلاء وهولاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا ثم يبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل

---

(١) الحديث: صحيح ، رواه أحمد في «مسنده» (٤ / ٩١)، وابن حبان (٦٧٠٨).
(٢) الحديث: صحيح رواه البخاري (٣١٧٦).
(٣) الحديث: صحيح، رواه مسلم (٢٨٩٩)، وأحمد في «مسنده» (١ / ٤٣٥).

الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم، فيقتتلون مقتلة، إما قال: لا ندري مثليها وإما قال: لا يرى مثلها، حتى أن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلصهم حتى يخر ميتًا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا رجل واحد فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقسم .

قال: بينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك.

قال: فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة . قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم. هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**».

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال[1] : «**إن فسطاط المسلمين يومئذ في الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها : دمشق ـ من خير مدائن الشام**».

* * *

(١) الحديث: صحيح، رواه أبو داود في «سننه» (٤٢٩٨).

فتح المدينة التي
جانب منها في البر وجانب منها في البحر

عن أبي هريرة قال : إن رسول الله ﷺ قال[1] : «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟**».

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق ، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، وإنما قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها**».

قال ثور: ولا أعلمه إلا قال: «**الذي في البحر، ثم يقول الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلون فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون**» .

* * *

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم (٢٩٢٠).

أمارات الملاحم [١]

عن معاذ بن جبل قال[٢] : قال رسول الله ﷺ **«عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية :خروج الدجال»**.

وعن عوف بن مالك قال[٣] : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: **«اعدد ستًا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا»**.

وخرجه أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله : **«اثنا عشر ألفًا»** [٤]: **«ففسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: الغوطة في مدينة يقال لها: دمشق»**.

وقال عوف بن مالك الأشجعي: شهد موت النبي ﷺ وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتحه صلحًا لخمس خلون من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة، ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد أمير المؤمنين عمر، ثم شاهد قتال الجمل وصفين، وشاهد عوف رضي الله عنه أيضًا الموتتين اللتان كانتا بالشام قبل ذلك ، وهو المسمى بطاعون عمواس مات يومئذ ستة وعشرون ألفًا .

وقال المديني: خمسة وعشرين ألفًا .

---

(١) التذكرة (ص / ٥٧٣ ، ٥٧٤).

(٢) أحمد (٥ / ٢٣٢)، وأبو داود (٤٢٩٤) ، والحاكم (٤ / ٤٢٠).

(٣) البخاري (٤ / ١٢٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى » (٩ / ٢٢٣).

(٤) أبو داود (٤٢٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨ / ٤٢).

وعمواس: بفتح العين والميم، لأنه «عم وأسى» أي جعل بعض الناس أسوة بعض، وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح، والأمير الفقيه أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل.

قال الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه: كان طاعون عمواس سنة ثماني عشرة رواه عن أحمد أبو زرعة الرازي قال: كان الطاعون سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وفي سنة سبع عشرة رجع عمر من سرغ، وموتان بضم الميم هي لغة وغيرهم يفتحونها وهو اسم الطاعون والموت.

وقوله: كعقاص الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها، قاله أبو عبيدة ؛ لأن العقاص الموت العجل ويقال بالسين، وقيل: هو داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق، وقد انقضت هذه الخمس، وعاش عوف بن مالك إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقد أربى بصفين على المائة.

وقال الواقدي: مات عوف بن مالك بالشام سنة ثلاث وتسعين، فإن صح ما قال، فقد مات في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان لم يكن تصحيفًا منه.

* * *

ذكر البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية[(١)]

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتنزلن طائفة من أمتي أرضًا يقال لها: البصرة ويكثر بها عددهم ونخلهم، ثم يجيء قوم من بني قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين، حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له: دجلة، فيتفرق المسلمون ثلاث فرق: أما فرقة فتأخذ بأذناب الإبل فتلحق البادية فهلكت، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها وكفرت وهذه وتلك سواء، وأما فرقة فيجعلون عيالاتهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء، يفتح الله على بقيتهم»**[(٢)] .

وخرجه أبو داود السختياني في سننه بمعناه. فقال: حدثنا محمد بن يحيى ابن فارس قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثني سعيد بن جهمان: حدثنا مسلم بن أبي بكرة قال: سمعت أبي يحدث أن رسول الله ﷺ قال: **«ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له: دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين»**.

قال ابن يحيى وهو محمد: قال معمر: ويكون من أمصار المسلمين، **« فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق: فرقة تأخذ أذناب البقر والبرية وهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذريتهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء»**[(٣)] .

وقال أرطأة بن المنذر: قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان:

---

(١) التذكرة (ص / ٥٨٣ ـ ٥٨٦) باختصار ، واكتفاءً بالصحيح.

(٢) أحمد (٥ / ٤٥)، وأبو داود الطيالسي (٨٧٠).

(٣) أبو داود (٤٣٠٦).

أخبرني عن تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [1] فأعرض عنه حتى أعاد ثلاثًا، فقال حذيفة : أنا أنبئك بهـا قد عرفت لم تركها نزلت في رجل من أهل بيتـه يقال له عبـد الإله أو عبد الله ينزل على نهـر من أنهار المشرق يبني عليـها مدينتين يشق النهر بينهما شـقا، فإذا أراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث الله على إحداهما نارًا ليلاً فتصبح سوداء مظلمة، فتحرق كلها كأنها لم تكن في مكانها، فتـصبح صاحبـتها متعـجبة كيف قـبلت فما هو إلا بياض يومـها حتى يجتمع فيـها كل جبار عنيد، ثم يخسف الله بها وبهم جمـيعًا، فذلك ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ أي عزيمة من عـزمات الله وفتنة وقـضاء ، ﴿حم﴾ أي :حم ما هو كائن، عدلاً منه، س: سيكون ق: واقع في هاتين المدينتين.

ونظير هذا التفسـير ما روى جرير بن عبد الله البجلي قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والفرات يجتمع فيها جبابرة الأرض تجيء إليها الخزائن يخسف بها**» .

وفي رواية: «**يخسف بأهلها فلهي أسـرع ذهابًا في الأرض من الوتد الجيد في الأرض الرخوة**».

وقرأ ابن عباس: « حم . سق » بغير عـين ، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود، وحكاه الطبري. وقال العباس: وكان على يعرف الفتن بها.

وذكر القـشيري والثعلبي فـي تفسيريهـما : أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجهه فقيل له: يا رسول الله ما أحزنك؟ قال: «**أخبرت ببلايا تصيب أمـتي من خسف وقـذف ونار تحشرهم، وريح تقـذفهم في البـحر وآيات متتابعات بنزول عيسى وخروج دجال**» لفظ الثعلبي.

وقد روى حـديث الزوراء محمـد بن زكريا الغلابي، وأسنـد عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ وقال: «**أما إن هلاكها على يد السفياني كأني بها، والله**

(١) سورة الشورى: (١ ، ٢).

قد صارت خاوية على عروشها» ومحمد بن زكريا قال الدارقطني عنه: كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ .

وذكر ابن وهب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له بالإسكندرية : إن الناس قد فزعوا فأمر بسلاحه وفرسه فجاء رجل فقال: من أين هذا الفزع؟

قال: سفن تراءت من ناحية قبرص.

قال: انزعوا فرسي.

قال: قلنا: أصلحك الله إن الناس قد ركبوا. فقال: ليس هذا بملحمة الإسكندرية إنما يأتون من ناحية المغرب من نحو أنطابلس فيأتي مائة ثم مائة حتى عدد تسعمائة.

وخرج الوائلي أبو نصر في كتاب « الإبانة » من حديث رشدين بن سعد، عن عقيل عن الزهري، عن كعب قال: إني لأجد في كتاب الله المنزل على موسى ابن عمران أن للإسكندرية شهداء يستشهدون في بطحائها خير من مضى وخير من بقي، وهم الذين يباهي الله عز وجل بهم شهداء بدر .

فصل:

قوله: المجان ـ بفتح الجيم ـ جميع مجن بكسر الميم، وهو الترس.

والمطرقة: هي التي قد عدلت بطراق ، وهو الجلد الذي يغشاه شبه وجوههم في عرضها ونتوء وجناتها بالترسة والمطرقة.

وفي الصحاح: والمجان: المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوفة، ويقال: أطرقت بالجلد والعصب، أي: لبست وترس مطرق، وقوله: نعالهم الشعر، أي : يصنعون من الشعر حبالاً ويصنعون منها نعالاً كما يصنعون منه ثيابهم، ويشهد لهذا قوله: يلبسون الشعر ويمشون في الشعر هذا ظاهره، ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة طويلة، فهي إذا أسدلوها كاللباس وذوائبها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال والأول أظهر، والله أعلم .

وقوله: ذلف الأنف، أي غلاظها. يقال: أنف أذلف: إذا كان فيه غلظ وانبطاح وأنوف ذلف، والاصطلام: الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع.

قوله: بغائط ، الغائط: المطمئن من الأرض، والبصرة: الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة، وبنو قنطورا: هم الترك، يقال: إن قنطورا جارية كانت لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولادًا من نسلهم الترك. وقيل: هم من ولد يافث وهم من أجناس كثيرة، فمنهم أصحاب مدن وحصون، ومنهم قوم في رؤوس الجبال والبراري والشعاب ليس لهم عمل غير الصيد ، ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم في مصران فأكله، وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين، ومنهم من كان على دين المجوسية، ومنهم من تهود وملكهم الذي يقال له: خافان يلبس الحرير وتاج الذهب ويحتجب كثيراً، وفيهم بأس شديد وفيهم سحر وأكثرهم مجوس.

وقال وهب بن منبه: الترك بنو عم يأجوج ومأجوج، يعني: أنهم كلهم من ولد يافث. وقيل: إن أصل الترك أو بعضهم من اليمن من حمير، وقيل فيهم: إنهم من بقايا قوم تبع، والله أعلم. ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتابه «الإبانة».

* * *

فضل الشام وإنه معقل من الملاحم [١]

عن أبي الدرداء قال[٢] : قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**». خرجه أبو بكر أحمد بن سلمان النجار، وقال: « **عمود الإسلام**» .

قال أبو محمد عبد الحق: هذا حديث صحيح ، ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله ورسوله أعلم.

وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال[٣] : «**فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق من خير مدائن الشام**».

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي الزاهرية قال: قال رسول الله ﷺ: «**معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال بيت المقدس، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور**».

* * *

---

(١) التذكرة (ص / ٥٨٦ ، ٥٨٧) باختصار واكتفاءً بالصحيح.
(٢) أحمد (٥ / ١٩٩).
(٣) أبو داود (٤٢٩٨).

فتح القسطنطينية ومن أين تفتح؟

وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه[1]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[2] : «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزمهم الثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتحون القسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهلكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه فذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته**».

وخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟** » .

قالوا: نعم يا رسول الله .

قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق ، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، وإنما قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها**».

---

(١) التذكرة (ص / ٦٠٦ ـ ٦٠٨) باختصار، واكتفاءً بالصحيح.

(٢) مسلم ، والحاكم (٤ / ٤٨٢).

قال ثور: لا أعلمه إلا قال: «إلا الذي في البحر، ثم يقول الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم تقول الثالثة: لا إله إلا الله واالله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون».

وعن أنس قال[١] : فتح القسطنطينية مع قيام الساعة هكذا رواه موقوفًا .

والقسطنطينبة مدينة الروم وتفتح عند خروج الدجال والقسطنطينية قد فتحت زمن بعض أصحاب رسول الله ﷺ .

قلت[٢] : هو عثمان بن عفان ذكر الطبري في التاريخ له، ثم دخلت سنة سبع وعشرين ففيها فتح إفريقيا على يد عبد الله بن أبي سرح، وذلك أن عثمان رضي الله عنه لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحدًا إلا عن شكاية ، وكان عبد الله بن أبي سرح من جند عثمان، فأمره عثمان رضي الله عنه على الجند ورماه بالرجال وسرحه إلى إفريقية ، وسرح معه عبد الله بن نافع بن قيس، وعبد الله بن نافع بن الحصين القهريني، فلما فتح عبد الله أفريقية خرج عبد الله، وعبد الله إلى الأندلس ، فأتياها من قبل البحر، وكتب عثمان رضي الله عنه إلى من انتدب إلى الأندلس:

أما بعد: فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس ، وإنكم إن افتتحتموها كنتم شركاء في الأجر فيقال: إنها فتحت في تلك الأزمان، وستفتح مرة أخرى كما في أحاديث هذا الباب، والذي قبله، وقد قال بعض علمائنا : إن حديث أبي هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالقتال، وحديث ابن ماجه يدل على خلاف ذلك مع حديث أبي هريرة ، والله أعلم.

قلت: لعل فتح المهدي يكون لها مرتين.

---

(١) الترمذي (٢٢٣٩) وقد صح موقوفًا كما ذكر المصنف رحمه الله.
(٢) التذكرة (ص / ٦٠٧).

مرة بالقتال ومرة بالتكبير، كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرتين، فإن المهدي إذا خرج بالمغرب ـ على ما تقدم ـ جاء إليه أهل الأندلس فيقولون: يا ولي الله انصر جزيرة الأندلس فقد تلفت وتلف أهلها، وتغلب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم، فيبعث كتبه إلى جميع قبائل المغرب وهم قزولة، وخذالة، وقذالة وغيرهم من القبائل من أهل المغرب أن انصروا دين الله وشريعة محمد ﷺ، فيأتون إليه من كل مكان ويجيبونه ويقفون عند أمره، ويكون على مقدمته صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة الغراء وهو صاحب المهدي وناصر دين الإسلام وولي الله حقا، فعند ذلك يبايعونه ثمانون ألف مقاتل بين فارس وراجل قد رضي الله عنهم ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] فباعوا أنفسهم لله والله ذو الفضل العظيم، فيعبرون البحر حتى ينتهوا إلى حمص وهي إشبيلية، فيصعد المهدي المنبر في المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة، فيأتي إليه أهل الأندلس فيبايعه جميع من بها من أهل الإسلام، ثم يخرج بجميع المسلمين متوجهًا إلى بلاد الروم، فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم يخرجها من أيد العدو عنوة.

وفيه: «ثم إن المهدي ومن معه يصلون إلى كنيسة الذهب فيجدون فيها أموالاً، فيأخذها المهدي فيقسمها بين الناس بالسوية، ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى وعصا موسى عليهما السلام وهي العصا التي هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها، وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من بيت المقدس في جملة السبي حين سبى بيت المقدس، واحتمل جميع ذلك إلى كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذها المهدي، فإذا أخذ المسلمون العصا تنازعوا عليها، فكل منهم يريد أخذ العصا، فإذا أراد الله تمام أهل الإسلام من الأندلس خذل الله رأيهم وسلب ذوي الألباب عقولهم، فيقسمون العصا على أربعة أجزاء فيأخذ كل عسكر منهم جزءًا وهم يومئذ أربعة عساكر، وإذا فعلوا ذلك رفع الله

(١) سورة المجادلة: (٢٢).

عنهم الظفر والنصر ووقع الخلاف في ذلك بينهم.

قال كعب الأحبار: ويظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحر، فيبعث إليهم ملكًا في صورة إبل، فيحوز بهم القنطرة التي بناها ذو القرنين لهذا المعنى خاصة، فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا إلى مدينة فارس والروم وراءهم، فلا يزالون كذلك كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك، حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراءهم، وفي حديث حذيفة: ويتملكون مصر إلى الفيوم، ثم يرجعون»[١].

* * *

(١) التذكرة (ص / ٦٠٧ ، ٦٠٨).

المهدي

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحًا، تكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعًا أو ثمانيًا**»(١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، قال: ثم يخرج رجل من عترتي ـ أو من أهل بيتي ـ يملؤها قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا**»(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويملك سبع سنين**»(٣) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقال: «**إن في أمتي المهدي يخرج، يعيش خمسًا، أو سبعًا، أو تسعًا**» زيد العمي الشاك ـ قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: «سنين»، قال: «**فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي، أعطني، أعطني، قال: فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله**»(٤) .

عن علي رضي الله عنه: **قال** رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

---

(١) الحديث: رواه الحاكم (٤ / ٥٥٧ ، ٥٥٨)، في المستدرك وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الحديث: رواه ابن حبان (موارد ١٨٨٠)، والحاكم (٤ / ٥٥٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في «مسنده» (٣ / ٣٦) .

(٣) الحديث: رواه أبو داود (٢٤٨٥)، والحاكم (٤ / ٥٥٧) بنحوه.

(٤) الحديث: رواه أحمد (٣ / ٢١ ، ٢٢)، والترمذي (٢٢٣٣) وابن ماجه (٢ / ٥١٨)، وانظر: صحيح سنن الترمذي (١٨٢٠).

«المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»[١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عن النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»**، زاد في حديث فطر **«يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجورًا»**.

وفي الترمذي: **«لا تذهب - أو: لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»**[٢] .

وعن علي رضي الله عنه بلفظ: **«لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا»**، وفي لفظ: **«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لبعث الله - عز وجل - رجلاً منا، يملؤها عدلاً كما ملئت جورًا»**[٣] .

رد شبهة[٤] :

أنكر بعضهم ما ورد من أن عيسى - عليه السلام - إذا نزل يصلي خلف المهدي صلاة الصبح، وصنف في ذلك كتابًا، وقال في توجيه ذلك: إن النبي - عليه السلام - أجل مقامًا من أن يصلي خلف غير نبي.

وجواب هذا من أوجه:

الأول: أن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث بإخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[٥] .

---

(١) الحديث: رواه أحمد (١ / ٨٤)، وابن ماجه (٤١٥١) ، وانظر: «صحيح الجامع» (٦٦١١).

(٢) الحديث: رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣١ ، ٢٢٣٢).

(٣) الحديث: رواه أحمد (١ / ٩٩)، وأبو داود (٤٢٨٣)، وانظر «صحيح الجامع» (٥١٨١).

(٤) انظر: «المهدي وفتنة أشراط الساعة» د/ محمد إسماعيل المقدم (ص / ٥٦ - ٥٨) الدار العالمية - الإسكندرية.

(٥) سورة النجم: (٤).

الثاني: أن الحكمة من ذلك ـ كما نقلنا عن ابن الجوزي آنفًا ـ أن لا يتدنس عيسى ـ عليه السلام ـ بغبار الشبهة، إذ لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه نائبًا، أو مبتدئًا شرعًا؟

الثالث: لا شك أن عيسى أكمل من المهدي؛ لأنه نبي الله ، إلا أن الثابت شرعًا جواز إمامة المفضول للفاضل؛ هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من أجل الأنبياء مقامًا، وأرفعهم درجة ـ قد صلى في غزوة تبوك خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه؛ ففي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف قد صلى لهم، فأدرك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إحدى الركعتين معه، وصلى مع الناس الركعة الآخرة ، فلما سلم عبد الرحمن، قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، وأكثروا التسبيح ، فلما قضى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاته ، أقبل عليهم، ثم قال: «**أحسنتم**»، أو قال: «**أصبتم**»، يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها(١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال: آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع القوم، صلى في ثوب واحد متوشحًا خلف أبي بكر(٢) .

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلف أبي بكر، في مرضه الذي مات فيه ، قاعدًا(٣) .

وفي الباب عن جابر، وسهل بن سعد، وأبي موسى رضي الله عنهم، وجزم بعض العلماء بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولاً، ليظهر أنه نزل تابعًا لنبينا، حاكمًا بشرعه، ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به، على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل؛ وممن ذهب إلى ذلك السعد التفتازاني، والمناوي،

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤)، والشافعي في مسنده (١ / ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢).
(٢) الحديث: رواه الترمذي (٣٦٣)، والنسائي (٢ / ٧٩).
(٣) الحديث: رواه الترمذي (٣٦٢).

والكشميري؛ حيث قال: «المراد به ـ أي: حديث جابر ـ أنه لا يؤم في تلك الصلاة حتى لا يتوهم أن الأمة المحمدية سلبت الولاية؛ فبعد تقرير ذلك، في أول مرة يكون الإمام هو عيسى عليه السلام؛ لكونه أفضل من المهدي؛ فالجواب الأصلي لأمير المسلمين هو قوله «لا؛ فإنها لك أقيمت»، كما عند ابن ماجه وغيره عن أبي أمامة، وبعد أن كانت أقيمت له لو تقدم عيسى ـ عليه السلام ـ أو هم عزل الأمير، بخلاف ما بعد ذلك، وهذا كإشارة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبي بكر رضي الله عنه، بعدما كان شرع في الصلاة، أن لا يتأخر؛ يعني أي في هذه الصلاة؛ لأنها لك أقيمت ، ثم ذكر قوله: تكرمة الله هذه الأمة؛ لفائدة زائدة؛ وهي أن الأمة على ولايتها، وعيسى عليه السلام أيضًا حينئذ منهم، لا التعليل لعدم إمامته حتى يتوهم استمرار عدمها» (١) .

* * *

(١) انظر: «المهدي» المرجع السابق نقلاً عن «عقيدة الإسلام» للشيخ / محمد أنور شاه الكشميري كما نقله عنه الشيخ عبد المحسن العباد في «الرد على من كذب بالأحاديث الواردة في المهدي» (ص / ٢٠٨).

شبهة وجوابها(١)

وهي احتجاجهم على تكذيب الأحاديث الصحيحة الواردة في شأن المهدي بحديث أخرجه ابن ماجه والحاكم عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارًا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم**»(٢).

والجواب:

أن هذا الحديث تفرد به ابن ماجه دون سائر الستة، ورواه الحاكم عن أنس، وقال عقب روايته له: (إنما ذكرت هذا الحديث تعجبًا، لا محتجا به في المستدرك على الشيخين ـ رضي الله عنهما.

وقال الذهبي في الميزان(٣): (منكر)، وضعفه البيهقي، وقال الصنعاني(٤): (موضوع)، وممن ضعفه ـ أيضًا ـ الآجري، والقرطبي، وابن تيمية(٥)، وابن القيم، وغيرهم.

ولا يتكلف الجواب عن الحديث حتى يكون صحيحًا، والباطل يكفي في رده كونه باطلاً، والله أعلم.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله تعالى:

[فأما حديث: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**»، فرواه ابن ماجه في سننه عن يونس بن عبد الأعلى، عن الشافعي، عن محمد بن خالد الجندي، عن أبان ابن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) انظر: «المهدى وفقه أشراط الساعة» (ص / ١٤٩ ـ ١٥٢).
(٢) منكر: رواه ابن ماجه (٢ / ٤٩٥)، وانظر «الضعيفة» (١ / ٨٩).
(٣) انظره في «ميزان الاعتدال» (٣ / ٥٣٥) للذهبي.
(٤) انظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص / ٥١٠، ٥١١).
(٥) انظر: منهاج السنة (٤ / ٢١١).

وسلم، وهو مما تفرد به محمد بن خالد، قال أبو الحسن محمد بن الحسين في كتاب «مناقب الشافعي»: «محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد تواترت الأخبار، واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى يخرج، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه»[1] .

وقال البيهقي: تفرد به محمد بن خالد هذا، وقد قال الحاكم أبو عبد الله: هو مجهول ، وقد اختلف عليه في إسناده ، فروى عنه عن أبان بن أبي عياش، عن الحسن مرسلاً ، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: فرجع الحديث إلى رواية محمد بن خالد، وهو مجهول ، عن أبان بن أبي عياش، وهو متروك، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو منقطع، والأحاديث على خروج المهدي أصح إسناداً. ا هـ.

وقال الألباني[2] في الحديث : «منكر»، ومما يدلنا على نكارته معارضته لأحاديث صحيحة تثبت صفة المهدي لغيره ـ عليه السلام .

فمنها: ما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال:

«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ»[3] .

والمهدي الذي قد هداه الله إلى الحق، قال ابن الأثير: (ويريد بالخلفاء

---

(١) «تهذيب الكمال» (٦ / ٥٩٧)، و«تهذيب التهذيب» (٩ / ١٤٤).

(٢) في «الضعيفة » (١ / ٨٩).

(٣) الحديث: رواه أحمد (٤ / ١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١ / ١٦) (٤٢ ـ ٤٤)، والدارمي (١ / ٥٤) وانظر هامش (٥) في «المهدي وفقه أشراط الساعة» (ص / ٢٦).

المهديين أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا ـ رضي الله عنهم ، وإن كان عامًا في كل من سار سيرتهم» [١] ا هـ.

وقال التويجري: (أجمع العلماء قاطبة على أنه ـ أي عمر بن عبد العزيز من أئمة العدل، وأحد الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين) ا هـ.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين**»[٢] الحديث.

فأفضل مهدي بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبي الله عيسى ـ عليه السلام، وأفضل المهديين بعده الخلفاء الراشدون الأربعة.

وقال ابن القيم ـ رحمه الله: «عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وبين الساعة، وقد دلت السنة الصحيحة عن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ على نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق، وحكمه بكتاب الله، وقتله اليهود والنصارى، ووضعه الجزية، وإهلاك أهل الملل في زمانه، فيصح أن يقال: لا مهدي في الحقيقة سواه، وإن كان غيره مهديًا، كما يقال: «لا علم إلا ما نفع»، «ولا مال إلا ما وقي وجه صاحبه» وكما يصح أن يقال:

«إنما المهدي عيسى ابن مريم»؛ يعني المهدي الكامل المعصوم ـ ا هـ .

وقال القرطبي في «التذكرة»: (إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة، أصح من هذا الحديث، فاحكم بها دونه)، إلى أن قال: (ويحتمل أن يكون قوله ـ عليه الصلاة والسلام: «**ولا مهدي إلا عيسى**»؛ أي: لا مهدي كاملاً

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥ / ٢٥٤).

(٢) الحديث: رواه مسلم (٢ / ٦٣٤)، وأبو داود (٣ / ١٩١)، وأحمد (٦ / ٢٩٧). هامش (ص/ ٢٧) المهدي وفقه أشراط الساعة .

معصومًا إلا عيسى، قال: وعلى هذا تجتمع الأحاديث، ويرتفع التعارض، قال ابن كثير: (هذا الحديث ـ فيما يظهر ببادي الرأي ـ مخالف للأحاديث الواردة في إثبات مهدي غير عيسى ابن مريم، وعند التأمل لا ينافيها، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي ـ حق المهدي ـ هو عيسى ـ ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديًا ـ أيضًا») [(١)] اهـ.

هذا من جهة الأثر أما من جهة النظر، فيقال: إن المهدي لم يأت ذكره إلا من جهة المعصوم ﷺ، فكيف يخبر عن أمر أنه سيقع، وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، ثم ينفيه؟ والأخبار لا يتصور وقوعها على خلاف ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ونفي المهدي يلزم منه وقوع الخبر على خلاف ما أخبر به أو لا من وجوده، واللازم باطل، وهذا ما قرروا به أن النسخ لا يدخل الأخبار التي هي من هذا القبيل، وهذا متفق عليه بين أهل الأصول. قال الزركشي في «البحر»: (إن كان مدلول الخبر مما لا يمكن تغيره، بألا يقع إلا على واحد؛ كصفات الله ـ تعالى ـ وخبر ما كان من الأنبياء والأمم، وما يكون من الساعة وآياتها؛ كخروج الدجال، فلا يجوز نسخه بالاتفاق، كما قال أبو إسحاق المروزي، وابن برهان في «الأوسط»؛ لأنه يفضي إلى الكذب[(٢)] اهـ.

* * *

---

(١) نهاية البداية والنهاية (١ / ٤٥).

(٢) انظر «البحر المحيط» (٤ / ٩٨) وما سبق كان نقلاً من «المهدي وفقه أشراط الساعة» من (ص/ ١٤٩ ـ ١٥٢).

الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي [1]

في رده على صاحب رسالة «لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر»:

زعمه أن فكرة المهدي ليست من عقائد أهل السنة القدماء، فلم يقع لها ذكر بين الصحابة في القرن الأول ولا بين التابعين والرد عليه.

قال في صفحة٢: «إن فكرة المهدي ليست في أصلها من عقائد أهل السنة القدماء، فلم يقع له ذكر بين الصحابة في القرن الأول ولا بين التابعين» انتهى.

والجواب: أن الأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله ﷺ في خروج المهدي في آخر الزمان قد تلقاها عنه الصحابة رضي الله عنهم وتلقاها عنهم التابعون، فكيف يقال: إنه لم يكن لذلك ذكر بين الصحابة في القرن الأول ولا بين التابعين، وقد قال الشوكاني في كتابه «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والدجال والمسيح» كما في كتاب «الإذاعة» لصديق حسن خان: «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة جدًا لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك». انتهى.

زعمه التسوية بين أهل السنة والشيعة في الاعتقاد في المهدي:

قال في صفحة٣: «وإن أصل من تبنى هذه الفكرة - يعني فكرة المهدي - والعقيدة هم الشيعة الذين من عقائدهم الإيمان بالإمام الغائب المنتظر يملأ الأرض

(١) انظر «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي » د/ عبد المحسن العباد - في رده على صاحب رسالة «لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر» (ص / ٥٢٤ - ٥٣٩).

عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، فسرت هذه الفكرة وهذا الاعتقاد بطرق المجالسة والمؤانسة والاختلاط إلى أهل السنة فدخلت معتقدهم، وهي ليست من أصل عقيدتهم» انتهى.

وقال أيضًا في صفحة ٣٠: «والمهدي في مبدأ دعوته واحد وليس باثنين، فلم يقل أحد إنهما مهديان، وإنما هو مهدي واحد تنازعته أفكار الشيعة وأفكار بعض أهل السنة، فكلُّ لوم أو ذم ينحى به على الشيعة لإيمانهم بإمامهم محمد بن الحسن الذي هو في السرداب، فإنه ينطبق بطريق التطابق والموافقة على أهل السنة الذين يصدقون بالمهدي المجهول في عالم الغيب، فهما في فساد الاعتقاد به سيان» انتهى.

والجواب: أن هناك فرقًا كبيرًا وبونًا شاسعًا بين أهل السنة والشيعة، فالمهدي عند أهل السنة لا يعدو كونه إمامًا من أئمة المسلمين الذين ينشرون العدل ويطبقون شريعة الإسلام، يولد في آخر الزمان ويتولى إمرة المسلمين، ويكون خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء في زمانه، وهو غير معصوم، ومستندهم في ذلك أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ مدونة في دواوين أهل السنة، قال بصحتها وثبوتها جهابذة أهل العلم المعتد بهم مثل البيهقي والعقيلي والذهبي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم.

أما المهدي عند الشيعة فهو محمد بن الحسن العسكري، وُلد في منتصف القرن الثالث تقريبًا ودخل سردابًا في سامراء وهو صغير في زعمهم ، ولا يزالون في انتظار خروجه من سردابه، وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم الاثنى عشر الذين يعتقدون فيهم أنهم معصومون، ويصفونهم بصفات تجاوزوا فيها الحدود، وأذكر منها على سبيل المثال كلام شخصين كبيرين منهم:

أولهما الكليني مؤلف كتاب الكافي، وهو أجلُّ كتاب عندهم، إذ هو بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة، فقد عقد عدة أبواب في كتابه أصول الكافي،

أورد فيها أحـاديث من أحاديثهم ، أكتفي هنا بذكـر أسماء بعض هذه الأبوا وهي :

باب أن الأئمـة يعلمون جـمـيع العلوم التي خـرجت إلى الملائكة والأنبـ والرسل .

وباب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم .

وباب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء .

وباب أن الأئمـة عندهم جمـيع الكتب التي أنزلت من عند الله عـز وجل، وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها .

وباب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله .

وباب أنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا مـا خرج من عنـد الأئمة وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل .

وثانيهـما: زعيم الشيـعة في هذا العصر ومرجعـهم الأعلى وآيتهم العظمى الخميني، فقد قال في كتاب الحكومة الإسـلامية الذي هو عبارة عن دروس فقهية ألقاها على طلاب علوم الدين في النجف تحت عنوان: (ولاية الفـقيه)، قال في الصفـحة الثانيـة والخمسين من هذا الكتـاب طبعة بيـروت: (وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مـقامًا لا يبلغه ملك مقـرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فـإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة عليهـم السلام كانوا قـبل هذا العلم أنوارًا، فـجعلهم الله بـعرشـه محـدقين وجـعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمـه إلا الله، وقد قال جبريل كـما ورد في روايات المعراج: لو دنوتُ أنملة لاحـترقت. وقد ورد عنهم علـيهم السلام أن لنا مـن الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل) . انتهى كلام الخميني .

وإذا كان الخليـفة الراشد الإمام علي بـن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفـتري» فماذا كان يقو

ـعل لو أُتي بمن يفضله ومن هم دونه حتى خرافة السرداب على الأنبياء ـرسلين والملائكة المقربين؟! ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من ـدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وما دام الفرق بين عقيدة أهل السنة وعقيدة الشيعة كالفرق بين الثريا والثرى، فكيف سوغ رئيس محاكم قطر لنفسه أن يسوي بين الحق والباطل؟! ما لكم كيف تحكمون؟!

زعمه أن اعتقاد صحة خروج المهدي يجلب الفتن، وأن اعتقاد بطلانه وعدم التصديق به يكسب الراحة والأمان، والرد عليه:

قال في صفحة ٥: «ومن المعلوم أن اعتقاد المهدي والقول بصحة خروجه يترتب عليه من المضار والمفاسد الكبار ومن إثارة الفتن وسفك دماء الأبرياء ما يشهد بعظمته التاريخ المدروس والواقع المحسوس من كل ما يبرأ النبي ﷺ عن الإتيان به؛ إذ الدين كامل بدونه».

وقال في صفحة ٣٧: «أما اعتقاد بطلانه وعدم التصديق به، فإنه يعطي القلوب الراحة والفرح والأمان والاطمئنان والسلامة من الزعازع والافتتان».

والجواب على ذلك من وجوه:

الأول: أن خروج المهدي في آخر الزمان من الأمور الغيبية التي يتوقف التصديق بها على ثبوت النص فيها عن رسول الله ﷺ وقد ثبتت النصوص عن رسول الله ﷺ في خروج المهدي في آخر الزمان، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يصلي خلفه، والذين قالوا بثبوتها هم العلماء المحققون وجهابذة النقاد من أهل الحديث، والواجب تصديقُ الرسول ﷺ فيما يخبر به من أخبار سواء كانت عن أمور ماضية أو مستقبلة أو موجودة غائبة عنا.

الثاني: أن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان ليس هو الذي يمنع من وقوع الفتن ويحصل به الأمن والاطمئنان، بدليل أن الله تعالى قال في كتابه العزيز:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[1] وقال ﷺ: «**وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»، ومع ذلك وجد كثيرون ممن ادعوا النبوة وحصل بذلك للمسلمين أضرار كبيرة ، وإنما الذي يعصم حقيقة من الفتن والمصائب ويكفل السلامة والأمن والنجاة الاستمساك بشرع الله والاعتصام بحبله كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[3] ، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[4] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[5] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[6] ، وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[7] ، وقال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»، إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

الثالث: أن وجود متمهدين من المجانين وأشباه المجانين يخرجون في بعض الأزمان، ويحصل بسببهم على المسلمين أضرار كبيرة لا يؤثر في التصديق بمن عناه الرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة وهو المهدي الذي يصلي عيسى ابن مريم ﷺ خلفه، فما ثبت عن رسول الله ﷺ وجب التصديق به، ويجب

---

(١) سورة الأحزاب: (٤٠).
(٢) سورة محمد: (٧).
(٣) سورة الطلاق: (٢ ، ٣).
(٤) سورة الرعد: (١١).
(٥) سورة الشورى: (٣٠).
(٦) سورة الحج: (٤٠ ، ٤١).
(٧) سورة النور: (٥٥).

القضاء على كل متمهدٍ أو غير متمهد يريد أن يشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم، والواجب قبول الحق ورد الباطل، لا أن يُردَّ الحق ويكذب بالنصوص من أجل أنه ادعى مقتضاها مُدعون مبطلون دجالون.

زعمه أن من أسباب ضعف الأحاديث الواردة في المهدي عدم ورودها في صحيح البخاري وصحيح مسلم:

ذكر في الصفحات (٦ و٨ و٢٦ و٣١ و٣٩): أن من أسباب ضعف الأحاديث الواردة في المهدي عدم ورودها في صحيح البخاري وصحيح مسلم، وأن عدم إيرادها في الصحيحين يدل على ضعفها عند الشيخين البخاري ومسلم.

والجواب أن يقال:

أولاً: ليس عدم إيراد الحديث في الصحيحين دليلاً على ضعفه عند الشيخين البخاري ومسلم رحمهما الله؛ لأنه لم ينقل عنهما أنهما استوعبا الصحيح في صحيحيهما أو قصدا استيعابه حتى يمكن أن يقال بضعف ما لم يخرجاه فيهما عندهما، وإنما جاء عنهما التصريحُ بخلاف ذلك، قال أبو عمرو بن الصلاح في كتابه «علوم الحديث» : «لم يستوعبا ـ يعني البخاري ومسلمًا ـ الصحيح في صحيحيهما ولا التزما ذلك، فقد روينا عن البخاري أنه قال: ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحيح لحال الطول، وروينا عن مسلم أنه قال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا ـ يعني في كتابه الصحيح ـ إنما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه».

وقال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري: «روى الإسماعيلي عنه ـ يعني البخاري ـ قال: ولم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحًا وما تركت من الصحيح أكثر»، وقال النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم بعد أن ذكر إلزام جماعة لهما إخراج أحاديث على شرطهما ولم يخرجاها في كتابيهما قال: «وهذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة؛ فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل

صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعباه، وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح كما يقصد المصنف في الفقه جمع جمل من مسائله، لا أنه يحصر جميع مسائله» انتهى كلام النووي.

ومما يوضح عدم استيعاب البخاري الصحيح وعدم التزامه بذلك أيضًا أنه جاء عن البخاري أنه قال: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح»، مع أن جملة ما في صحيحه من الأحاديث المسندة إلى رسول الله ﷺ بما في ذلك الأحاديث المعلقة لا تبلغ عشرة آلاف حديث، وأيضًا استدراك الحاكم على البخاري ومسلم أحاديث على شرطيهما وشرط واحد منهما لم يخرجاها وهي كثيرة جدًا، أوردها في كتابه « المستدرك على الصحيحين»، وقد صححها الحاكم ، وافقه الذهبي في التلخيص على تصحيح الكثير منها.

ثانيًا: أن الصحيح من الحديث كما أنه موجود في الصحيحين فهو موجودٌ خارجهما في الكتب المؤلفة في الحديث النبوي، كالموطأ، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود، والنسائي وابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي وغيرها، وهو أمر واضح غاية الوضوح.

ثالثًا: أن المقبول من الحديث عند المحدثين أربعة أنواع هي: الصحيح لذاته، والصحيح لغيره والحسن لذاته، والحسن لغيره، ومعلوم أن الحديث الصحيح موجود في الصحيحين وفي غيرهما، أما الحسن فوجوده في غير الصحيحين ، وقد ذكر هذا الأنواع الأربعة العلماء ومنهم الحافظ ابن حجر في شرحه «نخبة الفكر» حيث قال: «وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معل ولا شاذ وهو الصحيح لذاته، وهذا أول تقسيم المقبول إلى أربعة أنواع؛ لأنه إما أن يشتمل من صفات القبول على أعلاها أو لا. الأول الصحيح لذاته، والثاني إن وجد ما يجبر ذلك القصور ككثرة الطرق فهو الصحيح أيضًا لكن لا لذاته، وحيث لا جبران فهو الحسن لذاته، وإن قامت قرينة ترجح جانب قبول ما

يتوقف فيه فهو الحسن أيضًا لكن لا لذاته».

رابعًا: أن العلماء قسموا الصحيح إلى سبع مراتب مرتبة حسب القوة على النحو التالي:

١ ـ صحيح اتفق على إخراجه البخاري ومسلم.

٢ ـ صحيح انفرد بإخراجه البخاري عن مسلم.

٣ ـ صحيح انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري.

٤ ـ صحيح على شرطهما معًا ولم يخرجاه.

٥ ـ صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه.

٦ ـ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

٧ ـ صحيح لم يخرجاه ولم يكن على شرطهما معًا ولا على شرط واحد منهما.

وهذه المراتب السبع للصحيح ذكرها أبو عمرو بن الصلاح في كتابه «علوم الحديث»، والحافظ ابن حجر في شرحه «نخبة الفكر» وغيرهما، وليس في الصحيحين من هذه المراتب إلا الثلاث الأولى، أما الأربع الباقية فلا وجود لها إلا خارج الصحيحين.

ولم يزل من دأب العلماء ـ في جميع العصور ـ الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة، بل والحسنة الموجودة خارج الصحيحين، والعمل بها مطلقًا، واعتبار ما دلت عليه دون إعراض عنها أو تعرض للحط من شأنها والتقليل من قيمتها، ومن أمثلة ذلك في أمور الاعتقاد الحديث المشتمل على العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، فإنه في السنن ومسند الإمام أحمد وغيره وليس في الصحيحين، ومع ذلك اعتقدت الأمة موجبه بناء على ذلك، وكذا الحديث الذي فيه تسمية الملكين اللذين يسألان الميت في قبره بمنكر ونكير لم يرد في الصحيحين، وقد اعتقد موجبه أهل السنة.

خامسًا: مما سبق يتضح أنه يجب التصديق والعمل بالأحاديث الصحيحة، ـاء كانت في الصحيحين أو في غيرهما، ومن ذلك أحاديث المهدي، على أن بعض الأحاديث الواردة في المهدي أصلها في الصحيحين ، ومن ذلك الحديث الذي في «صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم :تعال صلِّ بنا فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**»، فقد وردت تسمية هذا الأمير الذي يصلي عيسى عليه الصلاة والسلام خلفه في حديث جابر عند الحارث بن أبي أسامة في مسنده بالمهدي ولفظه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**» ، قال ابن القيم بعد أن أورده في كتابه « المنار المنيف» بسنده ومتنه قال: «وهذا إسناد جيد».

زعمه: أن من عادة المحدثين والفقهاء المتقدمين أن بعضهم ينقل عن بعض الحديث والقول على علاته تقليدًا لمن سبقه، وأن تعدد الرواة والروايات في المهدي من هذا القبيل ، والرد عليه:

قال في صفحة ٨ : «ثم إن من عادة العلماء المحدثين والفقهاء المتقدمين أن بعضهم ينقل عن بعض الحديث والقول على علاته تقليدًا لمن سبق، كما ذكر عن الإمام أحمد أنه كان يستعير الملازم من طبقات ابن سعد فينقلها ثم يردها إليه. ذكروا ذلك في ترجمة ابن سعد، وكان الشافعي يقول للإمام أحمد: إذا ثبت عندك الحديث فادفعه إليَّ حتى أثبته في كتابي. وكذا سائر علماء كل عصر ينقل بعضهم عن بعض ، فمتى كان الأمر بهذه الصفة فلا عجب متى رأينا أحاديث المهدي تنتشر في كتب المعاصرين لأبي داود، كالترمذي وابن ماجه، لخروج الحديث من كتاب إلى مائة كتاب ، وانتقال الخطأ من عالم إلى مائة عالم؛ لكون الناس مقلدة وقليل منهم المحققون المجتهدون ، والمقلد لا يُعدُّ من أهل العلم».

والجواب: على هذا أن نقول:

أولاً: هذا الكلام من أخطر ما اشتملت عليه رسالة الشيخ ابن محمود؛ لما فيه من النيل من محدثي هذه الأمة وفقهائها المتقدمين والحط من شأنهم، وهذا يدل على الأسف مع أن حصون المسلمين مهددة من داخلها، ويرحم الله الإمام الطحاوي إذ يقول في عقيدته المشهورة: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين ـ أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر ـ لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل» انتهى .

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة عظيمة سماها «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» طُبعت مرارًا، وصف الشيخ جمال الدين القاسمي هذا الكتاب بأنه جدير لو كان بالصين أن يرحل إليه وأن يعض بالنواجذ عليه.

ثانيًا: إذا كان من عادة العلماء المحدثين والفقهاء المتقدمين ـ كما يقول الشيخ ابن محمود ـ أن بعضهم ينقل عن بعض الحديث والقول على علاته تقليدًا لمن سبقه، وأنه لذلك يخرج الحديث من كتاب إلى مائة كتاب وينتقل الخطأ من عالم إلى مائة عالم لكون الناس مقلدة، وقليل منهم المحققون المجتهدون، والمقلد لا يُعدُّ من أهل العلم، ومثل بأربعة هم: الإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام الترمذي والإمام ابن ماجه ، إذا كان هذا من عادتهم ومثل هؤلاء الأربعة من مقلدتهم ، والمقلد لا يُعد من أهل العلم فمن هم أهل العلم؟ ما هكذا تورد يا سعد الإبل!! إننا نربأ بالشيخ عبد الله بن محمود أن يقول مثل هذا الكلام ولكن هكذا جاء، وقدر الله وما شاء فعل، وكم من كلمة قالت لصاحبها: دعني.

ثالثًا: أن الإمامين الترمذي وابن ماجه لم يقلدا الإمام أبا داود في رواية أحاديث المهدي، أما ابن ماجه فإنه لم يرو عن أبي داود في سننه شيئًا أصلاً، وأما الترمذي فمن رجاله في جامعه الإمام أبو داود كما رمز الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» في ترجمة أبي داود لكونه من رجال الترمذي والنسائي،

والأحاديث التي أخرجها الترمذي في جامعه في باب ما جاء في المهدي ثلاثة، اثنان منها معناهما واحد ولفظهما بنحو لفظ حديث أخرجه أبو داود في سننه، لكن شيوخ الترمذي فيهما غير شيوخ أبي داود فيه، ولم يروهما من طريق أبي داود: أما الحديث الثالث فليس في «سنن أبي داود»، وإذًا فلم يخرج حديث في المهدي من كتاب «سنن أبي داود» إلى كتابي الترمذي وابن ماجه، ولم ينتقل خطأ لأبي داود إلى الترمذي وابن ماجه، ولو خرج الترمذي مثلاً في جامعه عن أبي داود حديثًا قد أخرجه أبو داود في سننه لم يلزم أن يكون بذلك مقلدًا له آخذًا الحديث على علاته، فهما من أوعية العلم ونقاده، ولم يلزم أن يكون خطأ انتقل من عالم إلى عالم، فقد يكون ذلك الذي انتقل صوابًا والتحقق في ذلك سبيله دراسة إسناده ومعرفة ما قاله النقاد فيه، ثم إن وجود الحديث في كتب متعددة من طرق مختلفة يفيد القوة ويعرف به التواتر قال الحافظ ابن حجر في شرحه لـ«نخبة الفكر» «ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودًا وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقًا وغربًا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها، إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل العادة تواطؤهم على الكذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله، ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثير» انتهى.

رابعًا: ما أشار إليه مما ذكر عن الإمام أحمد أنه كان يستعير الملازم من طبقات ابن سعد فينقلها ثم يردها إليه، قد ذكره بإسناده على نحو آخر الخطيب البغدادي في ترجمة محمد بن سعد كاتب الواقدي في تاريخ بغداد إلى إبراهيم الحربي قال: «كان أحمد بن حنبل يوجه في كل جمعة بحنبل بن إسحاق إلى ابن سعد يأخذ منه جزأين من حديث الواقدي ينظر فيهما إلى الجمعة الأخرى، ثم يردهما ويأخذ غيرهما. قال إبراهيم: ولو ذهب وسمعها كان خيرًا له».

وأورد كلام إبراهيم الحربي هذا الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة محمد بن سعد.

ويتضح من هذا أن الإمام أحمد كان يستعير أجزاء من حديث الواقدي لينظر فيها ثم يعيدها، وليس في ذلك أخذ للحديث على علاته من ابن سعد وتقليد له، فإن الواقدي ضعيف جدا عند أهل الحديث، قال فيه الذهبي في الميزان: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي»، وقال فيه الحافظ ابن حجر في التقريب: «متروك مع سعة علمه»، والإمام أحمد نفسه قد اتهم الواقدي بالكذب كما نقله الخطيب وغيره في ترجمة الواقدي، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الإمام أحمد لا يكترث بحديث الواقدي فيذهب إلى ابن سعد لسماعه منه، ويكتفي بأن يستعير أجزاء منه ينظر فيها ثم يعيدها؛ ليكون على علم بحديث الواقدي مع عدم الاعتماد عليه لكونه لا يعتد بصاحبه.

خامسًا: ما ذكره من أن الشافعي كان يقول للإمام أحمد: «إذا ثبت عندك الحديث فادفعه إلى حتى أثبته في كتابي»، قد ذكر معناه البيهقي في كتابه مناقب الشافعي أخرجه بإسناده إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال: قال لنا الشافعي: «أنت أعلم بالحديث والرجال مني، فإذا كان الحديث الصحيح، فأعلموني إن شاء يكون كوفيًا أو بصريًا أو شاميًا حتى أذهب إليه إذا كان صحيحًا»، ثم قال البيهقي: «وهذا لأن أحمد بن حنبل كان من أهل العراق فكان أعلم برجالها من الذي لم يكن من أهلها وكان أحمد عند الشافعي من أهل العلم بمعرفة الرجال فكان يرجع إلى قوله فيهم»، ثم روى البيهقي بإسناده إلى حرملة قال سمعت الشافعي يقول: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدًا أتقى ولا أورع ولا أعلم ـ وأظنه قال ـ ولا أفقه من أحمد بن حنبل». وفي ترجمة الطبراني في كتاب طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى: قال الطبراني: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قال الشافعي: يا أبا عبد الله إذا صح الحديث عندكم عن رسول الله ﷺ فأخبرونا نرجع إليه».

ومن الواضح أن الإمام الشافعي لا يكون بذلك ناقلاً عن الإمام أحمد حديثًا على علاته مقلدًا له، وإنما رغب الشافعي من الإمام أحمد أن يعلمه بما يصح

لديه من الحديث مما لم يكن عنده حتى يذهب إلى ما دل عليه الحديث الصحيح ويعمل به ، وهو متفق مع ما نقل عنه في مسائل كثيرة من قوله: «إن صح الحديث فيها ـ أي في المسألة ـ قلت به»، ومتفق مع ما أُثر عنه وعن غيره من الأئمة من أن الاعتماد عندهم على ما يصح من الحديث عن رسول الله ﷺ ، ومتى كان الحديث عند الإمام أحمد بإسناد صحيح ثم يرويه عنه شيخه الإمام الشافعي ويحتج به، فإنه بذلك متبع الطريقة المثلى في العلم والعمل وهو محمدة له لا مذمة.

سادسًا: ولو أن الشيخ ابن محمود نسب هذه العادة ـ وهي أخذ الحديث أو القول على علاته عن المعاصرين، أو نقل ذلك كذلك من كتب المتقدمين إلى طلاب العلم في هذا العصر إلا ما شاء الله منهم ـ لما أبعد النجعة، وذلك لقلة الاهتمام والعناية بحديث رسول الله ﷺ ، وعدم تمييز صحيحه من سقيمه ومعرفة رجاله وأحوالهم، وعدم التمكن من تطبيق ما رسمه علماء الجرح والتعديل لمعرفة الحكم على الحديث قبولاً أو ردًا صحة أو حسنًا أو ضعفًا، بل حسب الكثيرين منهم معرفة ما دون في كتب العلماء المعتد بهم، وما حكموا به على الحديث وتقليدهم في ذلك، ومادام أن الغالب على طلاب العلم في هذا العصر التقليد في معرفة درجة الحديث، وهل هو مقبول أو مردود ، فإن الأليق بل المتعين تقليد الجهابذة النقاد كالعقيلي والذهبي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم، دون غيرهم ممن لم يكن من أهل الحديث، فالصلاة خير من النوم، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يصار إلى المتطبب ويترك الأطباء الحذَّاق المهرة.

زعمه أن من أسباب رد أحاديث المهدي كونها متناقضة متعارضة والرد عليه:

ذكر في صفحة ٦ و١٢: أن من أسباب رد أحاديث المهدي كونها متناقضة متعارضة ومختلفة غير مؤتلفة، وقال في ص ٥١: «ومتى حاولت جمعها نتج لك منها عشرون مهديًا، صفة كل واحد غير الآخر، مما يدل بطريق اليقين أن

رسول الله ﷺ لم يتكلم بها»، ثم ذكر أمثلة لذلك آخرها قوله: «**ومهدي قال فيه رسول الله لا مهدي بعدي إلا عيسى ابن مريم**».

والجواب: أن أحاديث المهدي كما قال أهل العلم مثل ابن القيم وغيره، فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، فما كان منها موضوعًا أو ضعيفًا لا يحتج به، فإنه لا يُلتفت إليه ولا يُعارض به غيره، أما ما صح منها فهو مؤتلف غير مختلف، ومتفق غير مفترق، وهو يتعلق بشخص واحد يأتي في آخر الزمان في زمن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء وخروج المسيح الدجال، وهو محمد بن عبد الله الموصوف بالمهدي، والذي أخبر عن اسمه واسم أبيه ووصفه بالمهدي في عدة أحاديث هو رسول الله ، والواجب التصديق فيما أخبر به، ولم يفهم أحدٌ من أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا ـ فيما أعلم ـ ما فهمه الشيخ ابن محمود من أن كل حديث أتى فيه ذكر المهدي يفيد تعدد من يوصف بالمهدي، وأنه بناء على ذلك تكون الأحاديث متعارضة فيلزم ردها وإنكارها، فإن الألف واللام في المهدي في جانب الخير كالألف واللام في الدجال في جانب الشر، ولا يُستفاد من كل حديث يأتي فيه ذكر الدجال موصوفًا بصفة من الصفات تعدد الدجال، فالدجال الذي جاءت الأحاديث المتواترة بذكر خروجه آخر الزمان واحد غير متعدد، ولا تعارض بين الأحاديث الواردة فيه، والمهدي كذلك واحد غير متعدد، ولا تعارض بين الأحاديث الواردة فيه.

أما حديث: «**لا مهدي بعدي إلا عيسى ابن مريم**» فلم يستدل به أهل السنة على خروج المهدي، وهو يعارض الأحاديث الواردة فيه، وقد أجابوا عنه بكونه ضعيفًا، فلا يعارضها، وعلى فرض صحته يكون المراد به لا مهدي كاملاً معصومًا إلا عيسى ابن مريم، وذلك لا ينفي إثبات خروج المهدي غير المعصوم كما قال ذلك بعض أهل العلم، مثل القرطبي وابن القيم وغيرهما.

ومن جهة أخرى: فإن رد الأحاديث الصحيحة بدعوى تناقضها وتعارضها هو صنيعُ أهل الأهواء والبدع، فقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان له أحاديث في نفي الإيمان عمن فعل بعض المعاصي، وفي براءة النبي ﷺ بسبب عمل مذموم، وفي وصف بعض الأعمال بأنها كفر أو شرك، ثم ذكر مواقف أربع طوائف من هذه الأحاديث ، موقف الطائفة الرابعة أنها تذهبها كلها وتردها ، قال عن هذه الطائفة: «وأما القول الرابع الذي فيه تضعيف هذه الآثار فليس مذهب من يُعتد بقوله، فلا يلتفت إليه، إنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذي قصر عملهم عن الاتساع في الآثار، وعييت أذهانهم عن وجوهها، فلم يجدوا شيئًا أهون عليهم من أن يقولوا متناقضة فأبطلوها كلَّها».

* * *

لن تقوم الساعة حتى تَرَوْا عشر آيات

عن حـذيفة بن أسـيد قـال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتـذاكـر الساعـة فقال[١]: «**ما تذكرون**» ؟

قلنا: نذكر الساعة.

قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا عـشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسـى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخـسف بالمغرب وخسف بجزيرة العـرب، وآخر ذلك نار تخرج من قبل عدن تطرد الناس إلى محشرهم**».

* * *

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم في «صحيحه» (٢٩٠١)، وأحمد في «مسنده» (٤ / ٦).

حديث فاطمة بنت قيس في الدجال

قال مسلم: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث وحجاج بن الشاعر كلاهما عن عبد الصمد واللفظ لعبد الوارث بن عبد الصمد حدثني أبي عن جدي عن الحسين بن ذكوان حدثنا ابن بريدة حدثني عامر بن شراحيل الشعبي سمعت حمدان يسأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال: « حدثيني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لا تستندين فيه إلى أحد غيره فقالت: إن شئت لأفعلن فقال لها رجل: حدثيني فقالت: نكحت ابن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ، فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب محمد ﷺ وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ قال: « **من أحبني فليحب أسامة** » فلما كلمني رسول الله ﷺ قلت: أمري بيدك فأنكحني من شئت فقال: « **انتقلي إلى أم شريك وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقات في سبيل الله ينزل عليها الضيفان** » فقلت: سأفعل . فقال : « **لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان وإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم وهو رجل من بني فهر قريش من البطن الذي هي منه** »، فانتقلت إليه فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادى منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : «**ليلزم كل إنسان مصلاه** » ثم قال : « **أتدرون لم جمعتكم ؟**» قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي**

كنت أحدثكم عن المسيح الدجال .

حدثني أنه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرسوا إلى جزيرة في البحر حيث تغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيهم شيء أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قُبُلُه من دُبُره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما أنت ؟ قال : أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجساسة ؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل بالدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال: فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال : فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا وأشده وثاقًا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا: ويلك من أنت ؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني من أنتم ؟

قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر ما ندري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة قلنا: وما الجساسة؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليكم سراعًا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة ، فقال : أخبروني عن نخل بيسان؟ فقلنا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له نعم . قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال هل فيها ماء ؟ قالوا هي كثيرة الماء : قال : إن ماءها يوشك أن يذهب ؟ قال : أخبروني عن عين زغر؟ قالوا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها

قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل بيثرب قال أقاتله العرب ؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال: قال لهم قد كان ذاك ؟ قلنا: نعم، قال: أما إنه

خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني ، إني أنا المسيح ، وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو إحداهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها» .

قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: «**هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟**» فقال الناس نعم ، قال : «**إنه أعجبني حديث تميم إنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق**» ، وأومأ بيده إلى المشرق قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ » (١) .

حديث فاطمة بنت قيس رواه مسلم من حديث سيار عن الشعبي عن فاطمة قالت: فسمعت النبي ﷺ وهو على المنبر يخطب فقال: « **إن بني عم لتميم الداري ركبوا في البحر**» وساق الحديث .

ومن حديث غيلان بن جرير عن الشعبي عنها، فذكرته أن تميمًا الداري ركب البحر فتاهت به السفينة فسقط إلى جزيرة فخرج إليها يلتمس الماء فلقي إنسانًا يجر شعره فاقتص الحديث، وفيه فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الناس يحدثهم فقال: « **هذه طيبة وذلك الدجال**» .

حدثني أبو بكر بن إسحاق حدثنا يحيى بن بكير حدثنا المغيرة يعني الحزامي عن أبي الزناد عن الشعبي عن فاطمة بنت قيس أن رسول الله ﷺ قعد على المنبر فقال : « **أيها الناس حدثني تميم الداري أن ناسًا من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم، فانكسرت بهم فركب بعضهم على لوح من ألوح السفينة، فخرجوا جزيرة في البحر» وساق الحديث** (٢) .

---

(١) الحديث: متفق عليه: البخاري (١٣٥٥)، ومسلم (٢٩٣١).

(٢) انظر: «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (ص / ٦٥) في الكلام على أحاديث الدجال.

وقد رواه أبو داود وابن ماجه من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن مجالد عن الشعبي عنها بنحوه . ورواه الترمذي من حديث قتادة عن الشعبي عنها وقال: حسن صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبي.

ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عنها بنحوه.

وكذلك رواه الإمام أحمد عن عفان وعن يونس بن محمد المؤدب كل منهما عن حماد بن سلمة به .

وقال الإمام أحمد:حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد عن عامر قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني : أن زوجها طلقها على عهد رسول الله ﷺ فبعثه رسول الله ﷺ في سرية فقال لي أخوه: اخرجي من الدار فقلت له: إن لي فيها نفقة وسكنى حتى يحل الأجل. قال: لا، قالت: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن فلانًا طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فأرسل إليه فقال: « **مالك ولابنة آل قيس ؟** » قال: يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثًا جميعًا، فقال رسول الله ﷺ : «**انظري يا ابنة آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة** » ثم قال: «**إنه يتحدث إليها انزلي على ابن أم مكتوم فإنه أعمى لا يراك ثم لا تنكحي حتى أكون أنا أنكحك** » قالت: فخطبني رجل من قريش فأتيت رسول الله ﷺ أستأمره فقال: «**ألا تنكحين من هو أحب إلى منه ؟**» فقلت: بلى يا رسول الله فأنكحني من أحببت قالت : فأنكحت من أسامة بن زيد، قالت : فلما أردت أن أخرج قالت اجلس حتى أحدثك حديثًا عن رسول الله ﷺ.

قالت: خرج رسول الله ﷺ يومًا من الأيام فصلى صلاة الهاجرة ثم قعد ففرغ الناس ثم قال: « **اجلسوا أيها الناس فإني لم أقم مقامي هذا لفزع، ولكن تميم الداري أتاني فأخبرني خبرًا فمنعني من القيلولة من الفرح وقرة العين**

فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم ، أخبرني أن رهطًا من بني عمه ركبوا البحر فأصابتهم ريح عاصف فألجأتهم الريح إلى جزيرة لا يعرفونها فقعدوا في قويرب سفينة حتى إذا خرجوا إلى جزيرة فإذا هم بشيء أهلب كثير الشعر لا يدرون أرجل هو أم امرأة فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا له ألا تخبرنا ؟ فقال ما أنا بمخبركم ولا بمستخبركم ولكن هذا الدير الذي قد رأيتموه فيه من هو إلى خبركم بالأشواق أن يخبركم ويستخبركم ؛ قال : قلنا : ما أنت ؟ قال : الجساسة ، فانطلقوا حتى أتوا الدير فإذا هم برجل موثق شديد الوثاق مظهر الحزن كثير الشعر فسلموا عليه فرد عليهم، قال : فمن أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب : قال : ما فعلت العرب أخرج نبيهم ؟ قالوا: نعم ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا خيراً آمنوا به وصدقوه قال ذاك خير لهم قالوا لقد كانوا له أعداء فأظهره الله عليهم قال : فالعرب اليوم إلههم واحد ونبيهم واحد وكلمتهم واحدة ؟ قالوا: نعم: قال فما عملت عين زغر؟ قالوا صالحة يشرب منها أهلها تسقيهم ويسقون منها زرعهم، قال: فما فعل نخل بين عمان وبيسان ؟ قالوا صالح مطعم جناه كل عامٍ : قال: ما فعلت بحيرة الطبرية ؟ قالوا: ملأى، قال: فزفر ثم حلف لو خرجت من مكاني هذا ما تركت أرضًا من أرض الله إلا وطئتها غير طيبة ومكة ليس لي عليهما سلطان .

قال فقال رسول الله ﷺ :« **إلى هنا انتهى فرحي، إن طيبة المدينة، إن الله حرمها على الدجال أن يدخلها**» ثم حلف رسول الله ﷺ :«**والله الذي لا إله إلا هو ما لها طريق ضيق ولا واسع ولا سهل ولا جبل إلا عليه ملك شاهر السيف إلى يوم القيامة ما يستطيع الدجال أن يدخلها على أهلها**» . قال عامر: فلقيت المحرز بن أبي هريرة فحدثته بحديث فاطمة بنت قيس فقال: أشهد على أبي أنه حدثني كما حدثتك فاطمة غير أنه قال: قال ﷺ: «**إنه في بحر الشرق**» . قال: ثم لقيت القاسم ابن محمد فذكرت له حديث فاطمة فقال أشهد على عائشة أنها حدثتني كما حدثتك فاطمة غير أنها قالت:«**الحرمان عليه حرام: مكة والمدينة**» (١) .

---

(١) الحديث: صحيح ، رواه البخاري (١٣٥٥).

الدجال وصفته ونعته، ومن أين يخرج وما علامة خروجه، وما معه إذا خرج، وما ينجي منه وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى(١)

قال ابن دحية: قال العلماء: الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه:

الأول: الدجال: الكذاب قاله الخليل وغيره وأنها دجلة بسكون الجيم. ودجلة بفتحها كذبة؛ لأنه يدجل الحق بالباطل، وجمعه: دجالون ودجاجلة في التكسير وقد تقدم.

الوجه الثاني: أن الدجال مأخوذ من الدجل، وهو طلاء البعير بالقطران سمي بذلك؛ لأنه يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه، كما يغطي الرجل جرب بعيره بالدجالة وهي القطران يُهنأ به البعير واسمه إذا فعل به ذلك المدجل قاله الأصمعي.

الوجه الثالث: إنما سمي بذلك لضربه في نواحي الأرض وقطعه لها يقال: دجل الرجل إذا فعل ذلك.

الوجه الرابع: أنه من التغطية لأنه يغطي الأرض بمجموعه، والدجل التغطية. قال ابن دريد: كل شيء غطيته فقد دجلته ومنه سميت دجلة لانتشارها على الأرض وتغطية ما فاضت عليه.

الوجه الخامس: سمي دجالاً؛ لقطعه الأرض إذ يطأ جميع البلاد إلا مكة والمدينة، والدجالة: الدفقة العظيمة.

وأنشد ابن فارس في المجمل:

دجالة من أعظم الرقاق

(١) انظر: «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (ص / ٦٧).

الوجه السادس: سمي دجالاً، لأنه يغر الناس بشره كما يقال: لطخني فلان بشره.

الوجه السابع: الدجال: المخرق.

الوجه الثامن: الدجال: المموه، قاله ثعلب ويقال: سيف مدجل إذا كان قد طلي بالذهب.

الوجه التاسع: الدجال: ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف أو عود سمي الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل.

الوجه العاشر: الدجال فرند السيف، والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال بالفاء والباء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم، فعربته العرب، ولذلك قال سيبويه: وهو عندهم خارج عن أمثلة العرب. والفرند أيضًا الحرير. وأنشد ثعلب:

بحلية الياقوت والفرندا مع الملاب وعبير أصردا

أي: خالصًا، قال ابن الأعرابي: يقال للزعفران الشعر والملاب والعبير والمردقوش والحشاد. ذكر هذه الأقوال العشرة الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله في كتاب «مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين».

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف؛ عصم في الدجال**» وفي رواية: «**من آخر سورة الكهف**»[١].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة، عن الفلتان بن عاصم، عن النبي ﷺ قال: «**أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين اليسرى عريض المنحر فيه**

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (٢٥٧)، ومسند الإمام أحمد (٦ / ٣٥٠، ٦ / ٤٤٩)، والسلسلة الصحيحة للألباني (٥٨٢)، وكنز العمال للمتقي الهندي (٢٦٠١).

اندفاء»(١) قوله: فيه اندفاء أي: انحناء.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى، جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار**» وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه. معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض وليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد، وأن الدجال ممسوخ العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»(٢) .

وقال: «**وطائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء لكرامة الله لهذه الأمة**»(٣) خرجه مسلم في صحيحه وغيره.

فعيسى عليه السلام إنما ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها إذ هي آخر الشرائع، ومحمد ﷺ آخر الرسل فينزل حكمًا مقسطًا، وإذا صار حكمًا فإنه سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي قد قبض الله تعالى العلم وخلا الناس منه فينزل وقد علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به في نفسه، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره، ولأن تعطيل الحكم غير جائز.

وأيضًا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض الله الله على ما يأتي، وهذا واضح.

---

(١) إسناده حسن: رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥ / ١٢٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن باب (٢٠) رقم (١٠٤)، ومسند الإمام أحمد (٥ / ٢٨٣)، وكشف الخفاء للعجلوني (١ / ٤٨٢)، وكنز العمال للمتقي الهندي (٣٨٧٤٨).

(٣) التذكرة: (ص / ٦٥٨ ـ ٦٦٢).

فإن قيل: فما الحكمة في نزوله في ذلك الوقت دون غيره؟

الجواب من ثلاثة أوجه:(١)

أحدها: يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمرهم معه على ما بينه الله تعالى في كتابه وهم أبدًا يدعون أنهم قتلوه وينسبونه في السحر وغيره إلى ما كان الله برأه ونزهه منه، ولقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقم لهم منذ أعز الله الإسلام وأظهر رايته، ولا كان في بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة، ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فيظهر الدجال وهو أسحر السحرة ويبايعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقدرين أنهم ينتقمون به من المسلمين، فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله تعالى الذي عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حيًا ونصره على رئيسهم وكبيرهم المدعي الربوبية فقتله وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين فلا يجدون يومئذ مهربًا، وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه: يا روح الله ها هنا يهودي حتى يوقف عليه، فإما أن يسلم وإما أن يقتل، وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر.

والوجه الثاني: وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغي لمخلوق من التراب أن يموت في السماء لكن أمره يجري على ما قاله الله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾(١) فينزله الله تعالى ليقبره في الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه، ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره ويصلون عليه ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهي الأرض المقدسة، فينشر إذا نشر معهم، فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق في تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لُد. هذا ما وردت به الأخبار فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية ولم

---

(١) سورة طه: (٥٥).

ينتصب لقتاله أحد من المؤمنين لقلتهم كان هو أحق بالتوجه إليه ويجري قتله على يديه إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته، وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية، فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لا أنه ينزل لقتال الدجال قصداً.

والوجه الثالث: أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ حسب ما قال وقوله الحق: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾[(١)] ، فدعا الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد ﷺ فاستجاب الله تعالى دعاءه ورفعه إلى السماء إلى أن ينزله آخر الزمان مجددا لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام فوافق خروج الدجال فقتله.

ولا يبعد على هذا أن يقال: إن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهراني الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره، فذلك يقوم به وذلك داخل في اتباع نبينا محمد ﷺ ، وبالله التوفيق.

واختلف حيث يدفن فقيل: بالأرض المقدسة ذكره الحليمي. وقيل: يدفن مع النبي ﷺ على ما ذكرناه في الأخبار.

لفظة المسيح ومعناها:

فصل: واختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه «مجمع البحرين» وقال: لم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال:

القول الأول : وهو مسيح بسكون السين وكسر الياء على وزن مفعل، فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم الكسرة على الياء.

القول الثاني: قال ابن عباس : كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، ولا ميتًا إلا

---

(١) سورة الفتح: (٢٩).

حَيَىَ هو هنا من أبنية أسماء الفاعلين مسيح بمعنى ماسح.

القول الثالث: قال إبراهيم النخعي: المسيح: الصديق، وقاله الأصمعي وابن الأعرابي.

القول الرابع: قال أبو عبيد: أظن هذه الكلمة (هاما شيحا) بالشين المعجمة فعربت إلى (مسيا) وكذلك تنطق به اليهود.

القول الخامس: قال ابن عباس أيضًا في رواية عطاء عنه: سمي مسيحًا، لأنه كان أمسح الرجل ليس لرجله أخمص، والأخمص: ما لا يمس الأرض من باطن الرجل، فإذا لم يكن للقدم أخمص قيل فيه: قدم رجاء ورجل رجاء ورجل أرح وامرأة رحاء.

القول السادس: قيل سمي مسيحًا، لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح بالدهن.

القول السابع: قيل سمي مسيحًا، لأنه مسح عند ولادته بالدهن.

القول الثامن: قال الإمام أبو إسحاق الجويني في غريبه الكبير: هو اسم خصه الله تعالى به أو لمسح زكريا.

القول التاسع: قيل: سمي بذلك لحسن وجهه إذ المسيح في اللغة: الجميل الوجه. يقال: على وجهه مسحة من جمال وحسن، ومنه ما يروي في الحديث الغريب الضعيف: «**يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن كأن على وجهه مسحة ملك**».

القول العاشر: المسيح في اللغة: قطع الفضة وكذلك المسيحة: القطعة من الفضة، وكذلك كان المسيح ابن مريم أبيض مشرب حمرة من الرجال عريض الصدر جعدًا، والجعد ها هنا اجتماع الخَلق وشدة الأسر.

القول الحادي عشر: المسيح في اللغة: عرَق الخيل: أنشد اللغويون:

إذا الجياد فضن بالمسيح

يعني: العرق.

وثبت في «صحيح مسلم» من حديث أُبي بن كعب: فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففصدت عرقًا وكأني أنظر إلى الله عز وجل فرقًا[١] ذكره الخطابي في شرحه بالصاد والضاد، وأنشد العجاج:

إذ الجياد فضن بالمسيح

يعني: العرق.

القول الثاني عشر: المسيح الجماع يقال مسحها: إذا جامعها. قاله في المجمل ابن فارس.

القول الثالث عشر: المسيح: السيف. قاله أبو عمرو المطرز.

القول الرابع عشر: المسيح: المكاري.

القول الخامس عشر: المسيح: الذي يمسح الأرض، أي: يقطعها. قاله الثقة اللغوي أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب، ولذلك سمى عيسى مسيحًا كان تارة بالشام وتارة بمصر وتارة على سواحل البحر وفي المهامه والقفار. والمسيح الدجال كذلك سميا بذلك لجولانهما في الأرض.

القول السادس عشر: ذكره بسنده إلى أبي الحسن القابسي، وقد سأله الحافظ المقري أبو عمرو الداني: كيف يقرأ المسيح الدجال؟ فقال: بفتح الميم وتخفيف السين مثل المسيح ابن مريم، لأن عيسى عليه السلام مسح بالبركة وهذا مسحت عينه.

قال أبو الحسن: ومن الناس من يقرؤه بكسر الميم وتثقيل السين فيعرف بذلك وهو وجه. وأما أنا فلا أقرؤه إلا كما أخبرتك.

قال ابن دحية: وحكى الأزهري أنه يقال: مسيح بالتشديد على وزن فعيل

---

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم في «صحيحه» (٨٣٠).

قال: فرقًا بينه وبين عيسى عليه السلام، ثم أسند عن شيخه أبا القاسم بن بشكوال، عن أبي عمران بن عبد الرحمن قال: سمعت الحافظ أبا عمر بن عبد البر يقول: ومنهم من قال ذلك بالخاء يعني المعجمة وذلك كله عند أهل العلم خطأ لا فرق بينهما وكذلك ثبت عن رسول الله ﷺ أنه نطق به ونقله الصحابة المبلغون عنه.

وأنشد في ذلك أهل اللغة قول عبد الله بن قيس الرقيات:

وقالوا: دع رقية واجتنبها فقلت لهم: إذا خرج المسيح

يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه ولذلك ذكرناه .

وقال الراجز:

إذا المسيح قتل المسيحا

يعني عيسى ابن مريم عليه السلام يقتل الدجال بنبزك. قرأته في المجلد الأول في شرح ألفاظ الغريب من الصحيح لمحمد بن إسماعيل تأليف القاضي الإمام المفتي أبي الأصبغ بن سهل.

القول السابع عشر: قيل: سمي الدجال مسيحًا، لأنه الذي لا عين له ولا حاجب.

قال ابن فارس: والمسيح أحد شقي وجهه ممسوح لا عين له ولا حاجب، ولذلك سمي الدجال مسيحًا، ثم أسند عن حذيفة مستدلاً عن رسول الله ﷺ: «**وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة**»[1] .

القول الثامن عشر: المسيح الكذاب: وهو يختص به الدجال لأنه يكذب فيقول: أنا الله فهذا كذب البشر ولذلك خصه الله بالشوه والعار.

القول التاسع عشر: المسيح : المارد والخبيث وهو التمسيح أيضًا عن ابن

---

(١) أخرجه مسلم.

فارس، ويقال : هو الكذاب وكذلك التمساح بألف.

القول العشرون: قيل: الدجال: المسيح لسياحته وهو فعيل بمعنى فاعل، والفرق بين هذا وبين ما تقدم في الخامس عشر أن ذلك يختص بقطع الأرض وهذا بقطع جميع البلاد في أربعين ليلة إلا مكة والمدينة.

القول الحادي والعشرون: المسيح: الدرهم الأطلس بلا نقش. قاله ابن فارس وذلك مطابق لصفة الأعور الدجال إذ أحد شقي وجهه ممسوح وهو أشوه الرجال.

القول الثاني والعشرون: قال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من تأليفه: سمي ابن مريم مسيحًا؛ لأن الله مسح الذنوب عنه.

القول الثالث والعشرون: قال الحافظ أبو نعيم في الكتاب المذكور: وقيل: سمي ابن مريم مسيحًا؛ لأن جبريل عليه السلام مسحه بالبركة وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (١).

* * *

(١) سورة مريم : (٣١).

عقيدة أهل السنة في الدجال[1]

قال النووي في شرحه لمسلم: «قال القاضي: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل، ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى ﷺ، ويثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة، وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافًا للبخاري والمعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعي مخاوف وخيالات، لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقًا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا غلط من جميعهم؛ لأنه لم يدع النبوة، فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله، ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفًا من أذاه؛ لأن فتنة عظيمة تدهش العقول، وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله، ودلائل الحدوث فيه والنقص، فيصدقه من صدقه في هذه الحالة»[2].

---

(١) انظر: «القيامة الصغرى»: (ص / ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) شرح النووي على مسلم: (١٨ / ٥٨).

فتنة الدجال

عن ذكوان عن عائشة قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر.

قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية؟! قال: «**وما تقول؟**» (١).

قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر.

قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: «**أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته وسأحذركموه تحذيرًا لم يحذر نبي أمته إنه أعور والله عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أُجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا. فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك منها ويقال: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله . وإذا كان الرجل السوء أُجلس في قبره فزعًا مشعوفا فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري فيقال : ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا فتفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عز وجل عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا ويقال له: هذا مقعدك منها، كنت على الشك وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله**

---

(١) رواه أحمد (٦ / ١٣٩ ـ ١٤٠).

ثم يعذب» .

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول[١] : أحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ الصادق المصدوق: «**إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخر من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة فيبلغ، ما شاء الله أن يبلغ من الأرض في أربعين يومًا الله أعلم ما مقدارها الله أعلم ما مقدارها (مرتين) وينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين**».

وعن جنادة بن أبي أمية أنه قال: أتيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلت له: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله في الدجال ولا تحدثني عن غيرك وإن كان عندك مصدقًا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبي إلا أنذر قومه أو أمته وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى، وإنه يمطر ولا ينبت الشجر وأنه يسلط على نفس فيقلتها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها، وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا يرد فيها كل منهل إلا أربعة مساجد مسجد الحرام ومسجد المدينة، والطور، ومسجد الأقصى ، وإن شكل عليكم أو شبه فإن الله عز وجل ليس بأعور**»[٢] .

* * *

(١) ابن حبان (موارد ـ ١٩٠٤).
(٢) أحمد (٥ / ٤٣٤).

خروج الدجال

عن النواس بن سمعان قال [١] : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم ؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «**لا غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئٍ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم .**

إنه شاب قطط عينه طافية إني أشبهه بعبد العزى بن قطن من أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج في خلّة بين الشام والعراق، فعائث يمينًا وعائث شمالاً ؛ يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال: «**أربعون يومًا ؛ يوم كسنةٍ ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم**» .

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفنا فيه صلاة يوم ؟ قال : «**لا، اقدروا له قدره**»، قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال : « **كالغيث استدبرته الريح ؛ فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سَارِحتَهُمْ أطْولَ ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم من أموالهم شيء ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ؛ ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك .**

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه

---

(١) مسلم (٢١٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١) مختصراً، والترمذي (٢٢٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٥).

تحدّر منه جُمَان كاللؤلؤ ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومًا قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم عن درجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله إليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة .

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبرٍ إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتطرحهم حيث شاء الله ،ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت ولا وبر فيغسل الله الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ،ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة » .

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال[1] : خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد حذر الدجال أمته هو أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار. فناره جنة وجنته نار معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما واحد منهما عن يمينه والآخر عن شماله، وذلك فتنة

(١) أحمد (٥ / ٢٢١)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٤٥).

فيقول الدجال: ألست بربكم؟! ألست أحيي وأميت ؟ فيقول له أحد الملكين: كذبتما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون إنما يصدق الدجال وذلك فتنة ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبه أفيق».

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ(١) : «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه. معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماء بارد، وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**» .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ(٢). قال: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق**».

وعن أبي سعيد قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال(٣) : «**يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله حديثه فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون: لا قال : فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم : فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه**» .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ (٤) : « **يخرج الدجال فَيَتَوَجَّهُ قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالحُ الدجال فيقولون له أين**

---

(١) مسلم (٢٢٤٩).
(٢) البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).
(٣) البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨).
(٤) مسلم .

تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج قال : فيقولون له أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه ؟ قال : فينطلقون إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يأيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربًا قال فيقول: أما تؤمن بي ؟ قال فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا قال ثم يقول له :أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة قال : ثم يقول يأيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس مثل الذي فعل بي ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيحول ما بين رقبته إلى ترقوته نحاس فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال فيأخذ بيديه ورجليه ليقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة»، قال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين ».

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ [(١)] : «ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته حتى أن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم : هذا يهودي تحتي فاقتله».

وعن جنادة بن أبي أمية أنه قال[(٢)] : أتيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلت له: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثني عن غيرك ، وإن كان عندك مصدقًا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « «أنذرتكم فتنة الدجال فليس من نبي إلا أنذره قومه أو أمته، وإنه آدم جعد أعور عينه اليسرى

---

(١) أحمد (٢ / ٦٧).
(٢) أحمد (٥ / ٤٣٤ ، ٤٣٥).

وإنه يمطر ولا ينبت الشجر وإنه يسلط علـى نفس فيقتلها ثم يحيـيها ولا يسلط على غيرها وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار وناره جنة، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا يرد فـيها كل منهل إلا أربعة مساجد: مسجـد الحرام، ومسجد المدينة ، والطور، ومسجد الأقـصى ، وإن شكل عليكم أو شـبه فإن اللـه عز وجل ليس بأعور».

وعن عبد الله بن عمرو[1] ، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكـذا، فقال: سبحان الله! أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت ألا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمـرًا عظيمًـا يحرق البيت ويـكون ثم قال: قال رسـول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمـتي فيمكث أربعين ـ لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شـهرًا أو أربعين عاما) فيـبعث الله عيسى ابن مريم كـأنه عروة بن مسعود فيطلبـه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحًـا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبـه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبـضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه**» .

قال: سمعتها من رسول الله ﷺ ، قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكـرًا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عـيشهم ثم ينفخ في الصـور فلا يسمـعه أحد إلا أصغى ليـتا ورفع ليتًـا قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قـال: فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرًا كـأنه الطل أو الظل ـ نعمان الشاك ـ فتنبـت منه أجساد الناس ثم ينفخ فـيه أخـرى فـإذا هم قيـام ينظرون ثم يقـال: يا أيهـا الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مـسؤولون قال ثم يقال: أخرجـوا بعث النار فيقال: من كم؟ فـيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم**

(١) مسلم (٢٩٤٠).

يكشف عن ساقٍ».

وعن **قتادة عن سالم بن أبي الجعد الغطفاني** عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن أبي الدرداء [1] أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال** ».

* * *

(١) مسلم (٨٠٩)، وأبو داود (٤٣٢٣)، والترمذي (٢٨٨٦)، والنسائي (٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١) في عمل اليوم والليلة.

نهاية الدجال

وعن قتادة عن أبي الطفيل: قال[1] : كنت بالكوفة ، فقيل: خرج الدجال. قال: فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث فقلت: هذا الدجال قد خرج، فقال: اجلس فجلست فأتى على العريف .

فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعنونه. قال : اجلس فجلس فنوى أنها كذبة صباغ قال: فقلنا: يا أبا سريحة ما أجلستا إلا أمر فحدثنا. قال: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالحذف ولكن الدجال يخرج في بعضٍ من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين فيرد كل منهل فتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة فيغلب على خارجها ويمنع داخلها ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذين عليهم: ما تنظرون بهذه الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه حتى أن الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله. قال: وفيه ثلاث علامات هو أعور وربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن أمي وكاتب، ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجس على رجس.

ثم قال: أنا لغير الدجال أخوف علي وعليكم ، قال: فقلنا: ما هو يا أبا سريجة؟ قال: فتن كأنها قطع الليل المظلم. قال: فقلنا: أي الناس فيها شر ؟.

قال: كل خطيب مصقع وكل راكب موضع. قال: فقلنا: أي الناس فيها خير. قال: كل غني خفي. قال: فقلت: ما أنا بالغنى ولا بالخفي. قال: فكن كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب.

* * *

(١) الحاكم (٤ / ٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

نزول عيسى ﷺ

عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال[١] : قال رسول الله ﷺ : «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً ، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**».

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[٢] .

وعن جابر بن عبد الله يقول[٣] : سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**».

وعن حنظلة الأسلمي قال[٤] : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنيهما**».

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال[٥] : «**الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ،لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران**

---

(١) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٢) سورة النساء: (١٥٩).

(٣) مسلم (١٥٦).

(٤) مسلم (١٢٥٢)، وأحمد (٢ / ٢٤٠).

(٥) أحمد (٢ / ٤٠٦)، وأبو داود (٤٣٢٤) باختصار.

كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

* * *

نهاية الدجال على يد عيسى ابن مريم

عن النواس بن سمعان قال:(١) ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم ؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال: «**لا غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئٍ حجيج نفسه والله خليفتي على كل امرئ مسلم .**

إنه شاب قطط عينه طافية إني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج في خلّة بين الشام والعراق، فعاثٍ يمينًا وعاثٍ شمالاً ؛ يا عباد الله فاثبتوا»؛ قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال: «**أربعون يومًا ؛ يوم كسنةٍ ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم**» .

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفنا فيه صلاة يوم ؟ قال : «**لا، اقدروا له قدره**»، قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال : «**كغيث استدبرته الريح ؛ فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سَارِحتَهمْ أطْولَ ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمدَّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم من أموالهم شيء ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ؛ ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه، وهو يضحك .**

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي

---

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود (٤٣٢١)، والترمذي (٢٢٤٠) وابن ماجه (٤٠٧٥)

دمشق في مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منه جُمَان كاللؤلؤ ، ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومًا قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم عن درجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة الطبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماءُ ، ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله إليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة .

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبرٍ إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الله الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة » .

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ[(١)] : « يخرج الدجال فَيَتَوَجَّهُ قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالُح الدجال فيقولون له أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج قال : فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون: اقتلوه فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم

(١) الحديث: صحيح، رواه مسلم (٢٩٣٨).

ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟ قال : فينطلقون إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يأيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله قال: فيأمر الدجال به فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربًا قال فيقول : أما تؤمن بي ؟ قال فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا قال ثم يقول له :أتؤمن بي، فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة قال : ثم يقول يأيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس مثل الذي فعل بي ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه فيحول ما بين رقبته إلى ترقوته نحاس فلا يستطيع إليه سبيلاً ، قال فيأخذ بيديه ورجليه ليقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة»، قال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين ».

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال [1] : «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله! لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا أو يقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا فيفتتحون قسطنطينية ،فبينما هم يقتسمون الغنائم علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذا أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته».

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم (٢٨٩٧).

يأجوج ومأجوج

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [1] .

وقال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [2] .

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ[3] : «**يقول الله: يا آدم، فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**»، فاشتد ذلك عليهم.

فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟

قال: «**أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل**» .

ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**» . قال فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال:« **والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة. إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار**».

وعن زينب ابنة جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول : «**لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل**

---

(١) سورة الكهف: (٩٤).

(٢) سورة الأنبياء: (٩٦ ، ٩٧).

(٣) البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

هذه» وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها .

قالت زينب ابنة جحش: فقلت يا رسول الله : أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**».

وعن أبي سعيد الخدري قال[1] : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل:** ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[2] **فيغشون الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى أن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسًا حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ها هنا ماء مرةً حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مختضبة دمًا للبلاء والفتنة فبينا هم على ذلك إذ بعث الله دودًا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حسًا فيقول المسلمون ألا رجل يشري نفسه فينظر ما فعل هذا العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبًا لنفسه قد أظنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوكم ،فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها راعي إلا لحومهم فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط**».

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال[3] : «**إن يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا**

---

(١) أحمد (٣ / ٧٧) ، وابن ماجه (٤٠٧٩)، والحاكم (٢ / ٢٤٥ ، ٤ / ٤٨٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ،ووافقه الذهبي.

(٢) سورة الأنبياء: (٩٦).

(٣) أحمد (٢ / ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والحاكم (٤ / ٤٨٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ،ووافقه الذهبي.

فستحفرونه غداً فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع وعليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفًا في أقفائهم فيقتلهم بها» فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن شكراً من لحومهم ودمائهم».

* * *

لماذا لم يذكر الدجال صراحة في القرآن الكريم ؟

وقد سأل سائل سؤالاً فقال : ما الحكمة في أن الدجال مع كثرة شره وفجوره، وانتشار أمره ودعواه الربوبية ، وهو في ذلك ظاهر الكذب والافتراء، وقد حذر منه جميع الأنبياء كيف لم يذكر في القرآن ويحذر منه ويصرح باسمه وينوه بكذبه وعناده ؟

فالجواب من وجوه:

الأول: أنه قد أشير إلى ذكره في قوله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾ (١) .

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسيرها: حدثنا عبد بن حميد حدثنا يعلى بن عبيد عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لم يَنْفَعْ نَفْسًا إيمانُهَا لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْل أو كسبتْ في إيمانها خَيْرًا :الدجالُ والدابةُ ، وطلوعُ الشمس من المغربِ أو من مغربها** » ثم قال: هذا حديث حسن صحيح .

الثاني: أن عيسى ابن مريم ينزل من السماء الدنيا فيقتل الدجال كما تقدم وكما سيأتي وقد ذكر في القرآن نزوله في قوله تعالى : ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ (٢).

وقد قررنا في التفسير أن الضمير في قوله: ﴿**قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ عائد على عيسى أي سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافًا متباينًا فمن

---

(١) سورة الأنعام: (١٥٨).

(٢) سورة النساء: (١٥٧ ـ ١٥٩).

مدعي الإلهية كالنصارى، ومن قائل فيه قولا عظيمًا وهو أنه ولد زانية وهم اليهود فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه فيه من الافتراء وسنقرر هذا قريبًا .

وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى ابن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال مسيح الضلالة وهو ضد مسيح الهدى، ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر كما هو مقرر في موضعه .

الثالث: أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له حيث يدعي الإلهية وهو بشر ينافي حالة جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يذكر وأصغر من أن يحكى عن أمر دعواه ويحذر ، ولكن انتصر الرسل بجناب الرب عز وجل فكشفوا لأممهم عن أمره وحذروهم ما معه من الفتن المضلة والخوارق المضمحلة فاكتفى بإخبار الأنبياء ، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم ،ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم .

فإن قلت : فقد ذكر فرعون في القرآن وقد ادعى ما ادعاه من الكذب والبهتان حيث قال :﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ** ﴾[١] . وقال : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾[٢] .

والجواب: أن أمر فرعون قد انقضى وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل ؛ وهذا أمر سيأتي وكائن فيما يستقبل فتنة واختبارًا للعباد، فترك ذكره في القرآن احتقارًا له وامتحانًا به إذ الأمر في كذبه أظهر من أن ينبه عليه ويحذر منه وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه كما قال النبي ﷺ في مرض موته وقد عزم على أن يكتب كتابًا بخلافة الصديق من بعده ثم ترك ذلك وقال: «**يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٣] .

---

(١) سورة النازعات : (٢٤).
(٢) سورة القصص: (٣٨).
(٣) الحديث: صحيح ـ رواه مسلم (٢٣٨٧).

فتـرك نصه عليه لوضـوح جلالته وظهور كـبر قدره عند الصـحابة ، وعلم ﷺ منهم أنهم لا يعدلون به أحداً بعده وكذلك وقع الأمر سواء بسواء ، ولهذا يذكر هذا الحديث في دلائل النبوة كما تقدم ذكرنا له غير مرة في مواضع من الكتاب، وهذا المقام الذي نحن فـيه من هذا القـبيل، وهو أن النبي ﷺ قد يكون ظهوره كافيًا عن التنصيص عليه، وأن الأمر أظهر وأوضح وأجلى من أن يحتاج معه إلى زيادة على ما هو في القلوب مستقـر، فالدجال واضح الذم ظاهر النقص بالنسبة إلى المقام الذي يدعيـه وهو الربوبية ،فترك الله ذكره والنص عـليه لما يعلم تعالى من عـبـاده المؤمنين أن مـثل هذا لا يرديهم ولا يزيـدهم إلا إيمانًا وتسليـمًـا لله ورسوله وتصديقًا بالحق وردًا للباطل ، ولهذا يقول ذلك المؤمن الذي يسلط عليه الدجال فيقـتله ثم يحييه : والله ما ازددت فيك إلا بصـيرة أنت الأعور الكذاب الذي حدثنا فيه رسول الله ﷺ شفاها (١).

* * *

(١) انظر: « النهاية في الفتن والملاحم» (ص / ٩٨ ـ ١٠١).

الحج والعمرة
بعد خروج يأجوج ومأجوج

عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال[1] :

قال رسول الله ﷺ: «ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج».

* * *

(١) الحديث: صحيح رواه البخاري (١٥٩٣)، وأحمد في «مسنده» (٣ / ٢٧، ٤٦).

توقف الحج قبل قيام الساعة

وعن شعبة عن قتادة[١] : «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت».

عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[٢] : « **يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، ويسلبها حليها ، ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلها انبدعا يضرب عليها بمسحاته ومعوله**».

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال[٣] : «**اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة**».

وعن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة أن ابن عباس أخبره أن النبي ﷺ قال[٤] : «**كأني أنظر إليه أسود أفحج ينقضها حجراً حجراً**» يعني الكعبة.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[٥] : «**ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله**».

* * *

---

(١) الحديث: صحيح رواه ابن حبان (٦٧٥٠)، والحاكم (٤ / ٥٠٠).
(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢ / ٢٢٠).
(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٣٠٩).
(٤) رواه أحمد في «مسنده» (١ / ٢٢٨).
(٥) الحديث: متفق عليه رواه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).

طلوع الشمس من المغرب

تنقطع التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها: قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[١] .

وعن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ قال: **«طلوع الشمس من مغربها»**[٢] .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[٣] : **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل»**.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:[٤] **«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها »** ثم قرأ هذه الآية.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:[٥] **«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»**

* * *

(١) سورة الأنعام: (١٥٨).
(٢) الحديث: رواه الترمذي في «سننه» (٣٠٧١).
(٣) الحديث: صحيح رواه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧).
(٤) الحديث: صحيح رواه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).
(٥) الحديث: صحيح رواه مسلم (١٥٨).

الدخان الذي يغشى الناس قبل يوم القيامة

قال تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[1] .

وقد نقل البخاري عن ابن مسعود أنه فسر ذلك بما كان يحصل لقريش من شدة الجوع بسبب القحط الذي دعا عليهم به رسول الله ﷺ فكان أحدهم يرى فيما بينه وبين السماء دخانًا من شدة الجوع، وهذا التفسير غريب جدًا، ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره، وقد حاول بعض العلماء المتأخرين رد ذلك ومعارضته بما ثبت في حديث أبي شريحة حذيفة بن أسيد: «**لا تقوم الساعة حتى ترد عشر آيات**» فذكر فيهن الدجال والدخان والدابة وكذلك في حديث أبي هريرة «**بادروا بالأعمال ستًا...**» فذكر منهن هذه الثلاث، والحديثان في صحيح مسلم مرفوعان، والمرفوع مقدم على كل موقوف. وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس.

وهذا أمر محقق عام وليس كما روي عن ابن مسعود أنه خيال من أعين قريش من شدة الجوع .

وقال الله تعالى: ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾[2] . أي: ظاهر واضح جلي وليس خيالاً من شدة الجوع ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾[3] أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء يسألون كشف هذه الشدة عنهم،

(١) سورة الدخان: (١٠ ـ ١٦).
(٢) سورة الدخان: (١٠).
(٣) سورة الدخان: (١٢).

فإنهم قد آمنوا وأيقنوا بما وعدوا من الأمور الغيبية الكائنة بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أن يكون هذا قبل يوم القيامة حيث يمكن رفعه ويمكن استدراك التوبة والإنابة. والله أعلم.

وقد روى البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة قال[1] : يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام ففزعنا ، فأتينا ابن مسعود قال : وكان متكئًا فغضب فجلس ، فقال : يأيها الناس ، من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾[2] . إن قريشًا أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم رسول الله ﷺ: « **اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام وحتى كان الرجل يرى بينه وبين الأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم ، وقومك قد هلكوا ، فادع الله فقرأ هذه الآية : ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)** ﴾[3] .

أفنكشف عنكم عذاب الآخرة إذا جاء ؟ لقد كشف عنهم عذاب الدنيا ثم عادوا إلى كفرهم .

فذلك قوله : ﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ**﴾ . فذلك يوم بدر ، فسوف يكون لزامًا: ﴿**الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُون**﴾[4] . والروم قد

---

(١) الحديث: رواه البخاري .
(٢) سورة ص: (٨٦).
(٣) سورة الدخان: (١٠ ـ ١٥).
(٤) سورة الروم: (١ ـ ٣).

مضى ، فقد مضت الأربع .

وقد أخرجه البخاري أيضًا ، ومسلم ، من حديث الأعمش ، ومنصور به نحوه .

وفي رواية : فقد مضى القمر ، والدخان ، والروم ، واللزام ، وقد ساقه البخاري من طرق كثيرة ، بألفاظ متعددة .

وقول هذا القاص : إن هذا الدخان يكون قبل يوم القيامة ليس بجيد ، ومن هنا تسلط عليه ابن مسعود بالرد، بل قبل يوم القيامة يكون وجود هذا الدخان ، كما يكون وجود هذه الآيات من الدابة والدجال ، والدخان ، ويأجوج ومأجوج، كما دلت عليه الأحاديث عن أبي شريحة ، وأبي هريرة ، وغيرهما من الصحابة ، وكما جاء مصرحًا به في الحديث الذي رواه .

وأما النار التي تكون قبل يوم القيامة، فقد تقدم في الصحيح أنها تخرج من قصر عدن تسوق الناس إلى المحشر ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف منهم[1] .

* * *

---

(١) النهاية (ص / ١٣٤).

يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب

روى حذيفة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ[(١)] : «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة؟ ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز؛ يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله) فنحن نقولها**».

فقال له صلة: ما تغني عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟ فأعرض حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال:

« **يا صلة! تنجيهم من النار**» ثلاثًا.

* * *

---

(١) الحديث: رواه ابن ماجه (٢ / ١٣٤٤، ١٣٤٥) في سننه، والحاكم (٤ / ٤٧٣) في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والحديث: صحيح.

النار التي تحشر الناس[١]

وآخر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة: نار تخرج من قعر عدن، تحشر الناس إلى محشرهم، وقد سبق أن ذكرنا الأحاديث التي عدد فيها الرسول ﷺ أشراط الساعة، وذكر أنها عشر، قال: «**وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[٢] .

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة (أي مهاجرًا) فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث: ما أول أشراط الساعة؟

فقال الرسول ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب**»[٣] .

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس**»، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟

قال: «عليكم بالشام»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[٤] .

وقد حدثنا الرسول ﷺ عن كيفية حشر النار للناس، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين**

---

(١) انظر: القيامة الصغرى: (ص / ٢٩٦ ـ ٢٩٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب الآيات التي تكون قبل الساعة، (٤ / ٢٢٢٥) ورقمه (٢٩٠١).

(٣) إن شئت أن تتطلع على بقية المسائل وإجابة الرسول ﷺ عليها فارجع إلى صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، فتح الباري: (٧ / ٢٧٢).

(٤) جامع الأصول: (١٠ / ٣٦٨) ورقم الحديث: (٧٨٨٨)، وانظر: صحيح الجامع الصغير (٣ / ٢٠٣) ورقم الحديث: (٣٦٠٣).

راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»[١] وروى أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه بإسناد عن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تحشرون رجالاً وركبانًا، وتجرون على وجوهكم هاهنا، وأومأ بيده نحو الشام**»[٢].

وآخر من تحشرهم النار راعيين من مزينة، ففي الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي (يريد عوافي السباع والطير)، وآخر من يحشر راعيان من مزينة، ينعقان بغنمهما، فيجدانها وحشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجههما**»[٣].

والأرض التي تحشر النار الناس إليها هي بلاد الشام، ففي كتاب فضائل الشام للربعي عن أبي ذر بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال: ـ الشام أرض المحشر والمنشر ـ ورواه أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه والربعي في فضائل الشام عن ميمونة بنت سعد»[٤].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذا الحشر يكون في الآخرة، وعزا القرطبي القول بذلك إلى الحليمي وأبي حامد الغزالي[٥].

وذهب الخطابي والطيبي والقاضي عياض والقرطبي وابن كثير وابن حجر إلى أن هذا الحشر يكون في آخر عمر الدنيا، حين تخرج النار من قعر عدن،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، فتح الباري: (٣ / ٣٧٧).
(٢) صحيح الجامع الصغير: (٢ / ٢٧٢) ورقمه: (٢٢٩٨).
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٢ / ٣٠٢)، ورقمه: (٦٨٣).
(٤) صحيح الجامع الصغير: (٣ / ٢٣٢)، ورقمه: (٣٦٢).
(٥) التذكرة للقرطبي: ص ١٩٨، ١٩٩، وفتح الباري: (١١ / ٣٧٩).

وتحشر الناس إلى بلاد الشام[١] .

يقول ابن كثير في هذه الأحاديث: «فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر، هو حشر الموجودين في آخر الدنيا، من أقطار محلة الحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة:

فقسم يحشرون طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد، كما تقدم في الصحيحين: «**اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير**» يعني يعتقبونه من قلة الظهر، كما تقدم، كما جاء مفسراً في الحديث الآخر: «**وتحشر بقيتهم النار، وهي التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب، إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته**».

وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخر الدنيا، حيث الأكل والشرب، والركوب على الظهر المستوي وغيره، وحيث يهلك المتخلفون منهم بالنار.

ولو كان هذا بعد نفخة البعث، لم يبق موت ولا ظهر يسري، ولا أكل ولا شرب، ولا لبس في العرصات. والعجب كل العجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي بعد روايته لأكثر هذه الأحاديث، حمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة، وصحح ذلك، وضعف ما قلناه، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٢] .

وكيف يصحح ما ادعاه في تفسير الآية بالحديث، وفيه: «**إن منهم اثنين على بعير، وعشرة على بعير**»، وقد جاء التصريح فيه بقلة الظهر؟ هذا لا يلتئم مع هذا، والله أعلم. تلك نجائب من الجنة يركبها المؤمنون من العرصات إلى الجنات، على غير هذه الصفة، كما سيأتي تقرير ذلك في موضعه»[٣] .

---

(١) فتح الباري: (١١ / ٣٨٩ ـ ٣٨٠)، والتذكرة: ص ٢٠٠ .
(٢) سورة مريم: (٨٥ ، ٨٦).
(٣) النهاية لابن كثير: (١ / ٢٥٩).

اقتراب القيامة

عن عبد الله بن عمر قال[١] : سمعت رسول الله ﷺ وهو قائم على المنبر يقول : « **إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس ، أعطى أهل التوراة التوراة ، فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا ، فأعطوا قيراطا قيراطًا ، ثم أعطى أهل الإنجيل الإنجيل ، فعملوا به حتى صلاة العصر، فأعطوا قيراطًا قيراطًا ، ثم أعطيتم القرآن ، فعملتم به حتى غربت الشمس ، فأعطيتم قيراطين قيراطين ، فقال أهل التوراة والإنجيل : ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرًا ، فقال : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا ، قال : فذاك فضلي أوتيه من أشاء** » .

وللبخاري من حديث سفيان الثوري ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال[٢] : قال رسول الله ﷺ : « **إنما أجلكم من أجل من خلا من الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ومثلكم ومثل اليهود والنصارى** » .

* * *

(١) الحديث رواه أحمد في «مسنده» (٢ / ١٢٩).
(٢) الحديث: رواه البخاري (٥٠٢١).

اقتراب الساعة وأنها آتية بغتة

الساعة آتية لا ريب فيها وأنها لا تأتي إلا بغتة ، ولا يعلم وقتها على التعيين إلا الله تعالى.

قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾(٧) .

---

(١) سورة الأنبياء: (١).

(٢) سورة النحل: (١).

(٣) سورة الأحزاب: (٦٣).

(٤) سورة المعارج: (١ ـ ١٠).

(٥) سورة القمر: (١).

(٦) سورة يونس: (٤٥).

(٧) سورة الشورى: (١٧ ـ ١٨).

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ . قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ . فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٧) .

ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الساعة؟ وهو في صورة أعرابي قال له ﷺ : « **ما المسؤول عنها بأعلم من السائل** »(٨) ، يعني قد

---

(١) سورة طه: (١٠٢ ـ ١٠٤).
(٢) سورة المؤمنون: (١١٢ ـ ١١٤).
(٣) سورة الأعراف: (١٨٧).
(٤) سورة النازعات: (٤٢ ـ ٤٤).
(٥) سورة طه: (١٥ ـ ١٦).
(٦) سورة النمل: (٦٥ ـ ٦٦).
(٧) سورة لقمان: (٣٤).
(٨) الحديث: رواه البخاري.

استوى فيها علم كل مسؤول وسائل ؛ لأنه إن كانت الألف واللام في المسؤول والسائل للعهد، فهي عائدة عليه وعلى جبريل ، فكل أحد ممن سواهما لا يعلم ذلك بطريق الأولى والأحرى ، وإن كانت للجنس عمت بطريق اللفظ(١) .

* * *

(١) النهاية (ص / ١٥٠ ، ١٥١).

خَمْسٌ لا يعلمهن إلا الله

فأما الساعة العظمى وهي وقت اجتماع الأولين والآخرين في صعيد واحد فهذا مما استأثر الله تعالى بعلم وقته.

كما ثبت في الحديث: (١) «**خَمْسٌ لا يعلمهن إلاَّ الله**» ثم قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٢) .

* * *

علم الساعة عند الله وحده

لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي، فسأل عن الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان أجابه ﷺ عن ذلك فلما سأله عن الساعة قال له (٣): «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»، قال: فأخبرني عن أشراطها، فأخبره عن ذلك.

* * *

(١) الحديث صحيح البخاري (٥٠)، ومسلم (٩ ، ١٠).
(٢) سورة لقمان: (٣٤).
(٣) الحديث: متفق عليه البخاري (١/ ١١٤ ـ فتح)، ومسلم (١/ ١٦٣ ـ نووي).

الساعة حقٌّ

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(٣) .

فهذه ثلاث آيات ، يأمر الله فيها رسوله أن يقسم بالله على العباد وليس لهن رابعة مثلهن، ولكن معناهن كثير .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ . إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ

---

(١) سورة يونس: (٥٣).
(٢) سورة سبأ: (٣ ـ ٥).
(٣) سورة التغابن: (٧).
(٤) سورة النحل: (٣٨ ـ ٤٠).
(٥) سورة لقمان: (٢٨).

وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا . ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٥) .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾(٧) .

---

(١) سورة غافر: (٥٧ ـ ٥٩).
(٢) سورة النازعات: (٢٧ ـ ٣٣).
(٣) سورة الإسراء: (٩٧ ـ ٩٨).
(٤) سورة الإسراء: (٩٩).
(٥) سورة يس: (٨١ ـ ٨٣).
(٦) سورة الأحقاف: (٣٣).
(٧) سورة الروم: (٢٥).

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ . وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ (٥) .

فيستدل الله بإحياء الأرض الميتة على إحياء الأجساد بعد فنائها ، وتمزقها وصيرورتها ترابًا ، وعظامًا ، ورفاتًا .

وكذلك يستدل ببدء الخلق على الإعادة كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ

---

(١) سورة الروم : (٢٧).
(٢) سورة يس : (٧٨ ، ٧٩).
(٣) سورة فصلت : (٣٦).
(٤) سورة الحج : (٥ ـ ٧).
(٥) سورة المؤمنون : (١٢ ـ ١٧).

ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ . وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ . وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ . إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ .وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى إخباراً عن الكافرين أنهم قالوا: ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ . قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ

---

(١) سورة الروم: (٢٧).
(٢) سورة العنكبوت: (٢٠).
(٣) سورة الزخرف: (١١).
(٤) سورة فاطر: (٩).
(٥) سورة الطارق: (٥ ـ ١٧).
(٦) سورة الأعراف: (٥٧).
(٧) سورة ق: (٣ ، ٤).

الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ . فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا . قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا . أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا . يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ . أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً . قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾(٥) .

وقد ذكر تعالى إحياء الموتى في سورة البقرة في خمسة مواضع في قصة بني إسرائيل في قتل بعضهم بعضًا لما عبدوا العجل قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٦) .

وفي قصة البقرة : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٧) .

وفي قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن

---

(١) سورة الواقعة: (٥٨ ـ ٦٢).
(٢) سورة الإنسان: (٢٨).
(٣) سورة المعارج: (٣٩ ـ ٤١).
(٤) سورة الإسراء: (٤٩ ـ ٥٢).
(٥) سورة النازعات: (١٠ ـ ١٤).
(٦) سورة البقرة: (٥٦).
(٧) سورة البقرة: (٧٣).

دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾(١) .

وفي قصة العزير أو غيره حيث قال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) .

والخامسة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣) .

وذكر تعالى قصة أهل الكهف ، وكيف كان إيقاظهم من نومهم في كهفهم الذي دام ثلاثمائة سنة شمسية ، وهي ثلاثمائة وتسع سنين بالقمرية وقال فيها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾(٤) .

* * *

(١) سورة البقرة: (٢٤٣).
(٢) سورة البقرة: (٢٥٩).
(٣) سورة البقرة: (٢٦٠).
(٤) سورة الكهف: (٢١).

أسماء يوم القيامة [١]

سمى الله ذلك اليوم الذي يحل فيه الدمار بهذا العالم، ثم يعقبه فيه البعث والنشور للجزاء بأسماء كثيرة، وقد اعتنى جمع من أهل العلم بذكر هذه الأسماء، وقد عدها الغزالي والقرطبي فبلغت خمسين اسمًا كما يقول ابن حجر العسقلاني[٢].

وقد ساق القرطبي هذه الأسماء مفسراً لها، ولكنه أخذ تفسيرها من كتاب (سراج المريدين) لابن العربي، وربما زاد عليه شيئًا ما في الشرح والتفسير[٣].

وقد عدها بعضهم من غير تفسير، منهم ابن نجاح في كتابه «سبيل الخيرات»، وأبو حامد الغزالي في «الإحياء»، وابن قتيبة في «عيون الأخبار»[٤].

أشهر أسماء ذلك اليوم:

١ ـ **يوم القيامة**: ورد هذا الاسم في سبعين آية من آيات الكتاب، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٥].

وقوله: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾[٦].

وقوله: ﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٧].

والقيامة في اللغة مصدر قام يقوم، ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب، وسميت بذلك لما يقوم فيها من الأمور العظام التي بينتها النصوص.

---

(١) انظر: «القيامة الكبرى»: د/ عمر سليمان الأشقر (ص / ١١ ـ ٢١).

(٢) فتح الباري: (١١ / ٣٩٦).

(٣) التذكرة للقرطبي: (ص/ ٢٣٣).

(٤) التذكرة (ص/ ٢٣٢).

(٥) سورة النساء: (٨٧).

(٦) سورة الإسراء: (٩٧).

(٧) سورة الشورى: (٤٥).

ومن ذلك قيام الناس لرب العالمين.

٢ ـ اليوم الآخر: كقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[١] .

وقال: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٢] .

وقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[٣] .

وأحيانًا يسميه بالآخرة أو الدار الآخرة، كقوله: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٤] .

وقوله: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾[٥] .

وقوله: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا ﴾[٦] .

وقوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٧] .

وسمي ذلك اليوم باليوم الآخر؛ لأنه اليوم الذي لا يوم بعده.

٣ ـ الساعة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[٨] .

وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[٩] .

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾[١٠] .

---

(١) سورة البقرة: (١٧٧).
(٢) سورة البقرة: (٢٣٢).
(٣) سورة التوبة: (١٨).
(٤) سورة البقرة: (١٣٠).
(٥) سورة النساء: (٧٤).
(٦) سورة القصص: (٨٣).
(٧) سورة العنكبوت: (٦٤).
(٨) سورة الحجر: (٨٥).
(٩) سورة طه: (١٥).
(١٠) سورة الحج: (١).

قال القرطبي: «والساعة كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود، وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءًا من يوم وليلة، اللذين هما أصل الأزمنة. وحقيقة الإطلاق فيها أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن؛ وسميت به القيامة إما لقربها، فإن كل آت قريب. وإما أن تكون سميت بها تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود. وقيل: إنما سميت بالساعة؛ لأنها تأتي بغتة في ساعة...»(١).

٤ ـ يوم البعث: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾(٢).

وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾(٣).

قال ابن منظور: «البعث: الإحياء من الله تعالى للموتى، وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث»(٤).

٥ ـ يوم الخروج: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾(٥).

وقال: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾(٦).

وقال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(٧).

سمي بذلك؛ لأن العباد يخرجون فيه من قبورهم عندما ينفخ في الصور.

---

(١) التذكرة للقرطبي: (ص/ ٢١٦).
(٢) سورة الحج: (٥).
(٣) سورة الروم: (٥٦).
(٤) لسان العرب: مادة: (ب ع ث) (١ / ٢٣٠).
(٥) سورة ق: (٤٢).
(٦) سورة المعارج: (٤٣).
(٧) سورة الروم: (٢٥).

٦ ـ **القارعة**: قال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[١] .

وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[٢] .

قال القرطبي: « سميت بذلك؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها. يقال: قد أصابتهم قوارع الدهر، أي: أهواله وشدائده قالت الخنساء:

تعرفني الدهر نهشًا وحزا وأوجعني الدهر قرعًا وغمزا

أرادت أن الدهر بكبريات نوائبه وصغرياتها »[٣] .

٧ ـ **يوم الفصل**: قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٤] .

وقال: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ﴾[٥] .

وقال: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾[٦] .

سُمي بذلك؛ لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، وفيما كانوا فيه يختصمون، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٧] .

٨ ـ **يوم الدين**: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[٨] .

---

(١) سورة القارعة: (١ ـ ٣).
(٢) سورة الحاقة: (٤).
(٣) التذكرة للقرطبي: (ص/ ٢٠٩) .
(٤) سورة الصافات: (٢١).
(٥) سورة المرسلات: (٣٨).
(٦) سورة النبأ: (١٧).
(٧) سورة السجدة: (٢٥).
(٨) سورة الانفطار: (١٤ ـ ١٩).

وقال: ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾(١) .

والدين في لغة العرب: الجزاء والحساب.

قال الشاعر:

حصادك يومًا ما زرعت وإنما يدان الفتى يومًا كما هو دائن

سُمي بذلك؛ لأن الله يجزي العباد ويحاسبهم في ذلك اليوم.

٩ ـ الصاخة: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾(٢) .

قال القرطبي: «قال عكرمة: الصاخة النفخة الأولى. والطامة النفخة الثانية. قال الطبري: أحسبه من صخ فلان فلانًا: إذا أصمه. قال ابن العربي: الصاخة التي تورث الصمم، وإنها المسمعة، وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض أحداث الأسنان حديثي الأزمان:

أصمَّ بك الناعي وإن كنت أسمعا

وقال آخر:

أصمَّني سيرهم أيام فرقتهم فهل سمعتم بسير يورث الصمما

ولعمر الله إن صيحة القيامة مسمعة، تصم عن الدنيا، وتسمع أمور الآخرة»(٣) .

وقال ابن كثير: «قال البغوي: الصاخة يعني صيحة يوم القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تصخُّ الأسماع، أي: تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها»(٤) .

١٠ ـ الطامة الكبرى: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾(٥) .

---

(١) سورة الصافات: (٢٠).

(٢) سورة عبس: (٣٣).

(٣) التذكرة للقرطبي: (ص / ٢٢٧).

(٤) تفسير ابن كثير: (٧ / ٢١٧).

(٥) سورة النازعات: (٣٤).

سميت ذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[(١)] .

قال القرطبي: «الطامَّة الغالبة. من قولك: طمَّ الشيء إذا علا وغلب.

ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء. قال الحسن: الطامة: النفخة الثانية. وقيل: حين يسار أهل النار إلى النار»[(٢)] .

١١ ـ يوم الحسرة: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[(٣)] .

سُمي بذلك؛ لشدة تحسر العباد في ذلك اليوم وتندمهم. أما الكفار فلعدم إيمانهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[(٤)] ، واستمع إلى تحسر الكفار عندما يحل بهم العذاب: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٥)] .

وتبلغ الحسرة ذروتها بأهل الكفر عندما يتبرأ السادة والأتباع من متبوعيهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[(٦)] .

ويتحسر المؤمنون في ذلك اليوم بسبب عدم استزادتهم من أعمال البر والتقوى.

---

(١) سورة القمر: (٤٦).
(٢) التذكرة للقرطبي: (ص/ ٢٢٧).
(٣) سورة مريم: (٣٩).
(٤) سورة الأنعام: (٣١).
(٥) سورة الزمر: (٥٦ ـ ٥٨).
(٦) البقرة: (١٦٧).

١٢ ـ **الغاشية**: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾(١) . سميت بذلك لأنها تغشى الناس بأفزاعها وتغمهم، ومن معانيها أن الكفار تغشاهم النار، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(٢) .

وقال: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾(٣) .

١٣ ـ **يوم الخلود**: قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾(٤) .

سمي ذلك اليوم بيوم الخلود ؛ لأن الناس يصيرون إلى در الخلد، فالكفار مخلدون في النار، والمؤمنون مخلدون في الجنان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٥) .

وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٦) .

١٤ ـ **يوم الحساب**: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(٧) .

وقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾(٨) .

سمي بذلك اليوم بيوم الحساب، لأن الله يحاسب فيه عباده قال القرطبي:

«معنى الحساب أن الله يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة، ويعدد عليهم نعمه، ثم يقابل البعض بالبعض، فما يشف منها على الآخر حكم

---

(١) سورة الغاشية: (١)
(٢) سورة العنكبوت: (٥٥).
(٣) سورة الأعراف: (٤١).
(٤) سورة ق: (٣٤).
(٥) سورة البقرة: (٣٩).
(٦) سورة آل عمران: (١٠٧).
(٧) سورة ص: (٢٦).
(٨) سورة غافر: (٢٧).

للمشفوف بحكمه الذي عينه للخير بالخير، وللشر بالشر، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما منكم أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**».

١٥ ـ الواقعة: قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾(١) قال ابن كثير: «سميت بذلك، لتحقق كونها ووجودها»(٢). وأصل وقع في لغة العرب كان ووجد.

١٦ ـ يوم الوعيد: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾(٣)، لأنه اليوم الذي أوعد به عباده. وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند المخالفة.

١٧ ـ يوم الآزفة: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾(٤)، سميت بذلك لاقترابها، كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾(٥) والساعة قريبة جدًا. وكل آت فهو قريب وإن بعُد مداه. والساعة بعد ظهور علاماتها أكثر قربًا.

١٨ ـ يوم الجمع: قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(٦)، سميت بذلك؛ لأن الله يجمع فيه الناس جميعًا، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾(٧).

١٩ ـ الحاقة: قال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ﴾(٨)، سميت بذلك ـ كما يقول ابن كثير ـ لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد(٩).

---

(١) سورة الواقعة: (١).
(٢) تفسير ابن كثير: (٦ / ٥٠٧).
(٣) سورة ق: (٢٠).
(٤) سورة غافر: (١٨).
(٥) سورة النجم: (٥٧ ـ ٥٨).
(٦) سورة الشورى: (٧).
(٧) سورة هود: (٧)
(٨) سورة الحاقة: (١، ٢)
(٩) تفسير ابن كثير: (٧ / ٩٩).

قال البخاري في صحيحه: «هي الحاقة ؛لأن فيها الثواب وحواق الأمور. الحقة والحاقة واحد». وقال ابن حجر في شرحه لكلام البخاري: «هذا أخذه من كلام الفراء. قال في معاني القرآن: الحاقة : القيامة. سميت بذلك؛ لأن فيها الثواب وحواق الأمور. ثم قال: الحقة والحاقة كلاهما بمعنى واحد. قال الطبري: سميت الحاقة لأن تحق فيها. وهي كقولهم: ليلٌ قائم. وقال غيره: سميت الحاقة لأنها أحقت لقوم الجنة ولقوم النار.

وقيل: لأنها تحاقق الكفار الذين خالفوا الأنبياء. يقال: حاققته فحققته، أي: خاصمته فخصمته. وقيل: لأنها حق لا شك فيه»[١] .

٢٠ ـ يوم التلاق: قال تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾[٢] .

قال ابن كثير: «قال ابن عباس: يلتقي فيه آدم وآخر ولده. وقال ابن زيد: يلتقي فيه العباد. وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة: يلتقي فيه أهل الأرض والسماء، والخالق والخلق، وقال ميمون بن مهران: يلتقي فيه الظالم والمظلوم . وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله، ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من خير وشر كما قاله آخرون»[٣] .

٢١ ـ يوم التناد: قال تعالى حاكيًا نصيحة مؤمن آل فرعون قومه: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾[٤] سمي بذلك لكثرة ما يحصل من نداء في ذلك اليوم، فكل إنسان يدعى باسمه للحساب والجزاء ، وأصحاب الجنة ينادون أصحاب النار، وأصحاب النار ينادون أصحاب الجنة، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء.

---

(١) فتح الباري : (١١ / ٣٩٥).
(٢) سورة غافر: (١٥).
(٣) تفسير ابن كثير (٦ / ١٣٠).
(٤) سورة غافر: (٣٢).

٢٢ ـ يوم التغابن : قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾(١) .

سُمي بذلك؛ لأن أهل الجنة يغبنون أهل النار، إذ يدخل هؤلاء الجنة، فيأخذون ما أعد الله لهم، ويرثون نصيب الكفار من الجنة.

هذه هي أشهر أسماء يوم القيامة ، وقد أورد بعض العلماء أسماءً أخرى غير ما ذكرناه، وهذه الأسماء أخذوها بطريق الاشتقاق بما ورد منصوصًا، فقد سموه بيوم الصدر أخذًا من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾(٢) ، ويوم الجدال أخذًا من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾(٣) .

وسموه بأسماء الأوصاف التي وصف الله بها ذلك اليوم،فقالوا من أسمائه: يوم عسير، ويوم عظيم ، ويوم مشهود، ويوم عبوس قمطرير، ويوم عقيم.

ومن الأسماء التي ذكروها غير ما تقدم: يوم المآب، يوم العرض، يوم الخافضة الرافعة، يوم القصاص، يوم الجزاء، يوم النفخة، يوم الزلزلة، يوم الراجفة، يوم الناقور، يوم التفرق، يوم الصدع، يوم البعثرة، يوم الندامة، يوم الفرار.

ومنها أيضًا: يوم تبلى السرائر، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا، يوم يُدعون إلى نار جهنم دعا، يوم تشخص فيه الأبصار، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، يوم لا ينطقون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا يكتمون الله حديثًا، يوم لا مرد له من الله، يوم لا بيع فيه ولا خلال، يوم لا ريب فيه.

وقد يضيف إليها بعض أهل العلم أسماء أخرى، وقد يسمى الاسم بما يقاربه ويماثله، قال القرطبي: «ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكر بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق واختلاف الأقدام، والخزي، والهوان،

---

(١) سورة التغابن: (٩).
(٢) سورة الزلزلة: (٦).
(٣) سورة النحل: (١١١).

والذل، والافتقار، والصغار، والانكسار، ويوم الميقات، والمرصاد، إلى غير ذلك من الأسماء»[1] .

السر في كثرة أسمائه:

يقول القرطبي: «وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه، جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر .

فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة» [2] .

* * *

(١) التذكرة (ص/ ٢٣٣).
(٢) التذكرة (ص/ ٢١٤).

دنو يوم القيامة واقترابه [١]

قال الله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ . قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢] . وقال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ

---

(١) انظر «صحيح النهاية» (ص/ ١٩٨ ـ ٢٠٥).

(٢) سورة الأعراف: (١٨٧).

أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ . فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الساعة؟ وهو في صورة أعرابي قال له ﷺ : «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» (٤) يعني قد استوى فيها علم كل مسؤول وسائل ؛ لأنه إن كانت الألف واللام في المسؤول والسائل للعهد، فهي عائدة عليه وعلى جبريل ، فكل أحد ممن سواهما لا يعلم ذلك بطريق الأولى والأحرى ، وإن كانت للجنس عمت بطريق اللفظ ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم ذكر شيئا من أشراطها، ثم قال : « **خمس لا يعلمهن إلا الله**» ثم قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ. . . ﴾ الآية .

(١) سورة النازعات: (٤٢ ، ٤٤).
(٢) النمل: (٦٥).
(٣) لقمان: (٣٤) .
(٤) الحديث صحيح: رواه البخاري (١٥٠)، ومسلم (٨ ـ ١٠) .

زوال الدنيا وإقبال الآخرة (١)

أول شيء يطرق أهل الدنيا بعد وقوع أشراط الساعة: نفخة الفزع ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الفزع ، فينظر لها فلا يبقى أحد من أهل الأرض إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ، أي رفع صفحة عنقه وأمال الأخرى يستمع هذا الأمر العظيم ، الذي قد هال الناس وأزعجهم عما كانوا فيه من أمر الدنيا ، وشغلهم بها ، وفي وقوع هذا الأمر العظيم قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ . وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ . فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (٥) .

ثم بعد ذلك بمدة ، بأمره تعالى فينفخ في الصور ، فيصعق من في السموات ومن في الأرض ، إلا من شاء الله ، ثم يأمره ، فينفخ فيه أخرى ، فيقوم الناس لرب العالمين.

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ

---

(١) انظر «صحيح النهاية» (ص/ ٢٠٦).
(٢) النمل : ٨٧ ، ٨٨.
(٣) ص: ١٥ .
(٤) المدثر: ٨ ـ ١٠.
(٥) الأنعام : ٧٣ .

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ (٥) .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (٦) .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (٧) .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٨) الآيات .

---

(١) الزمر : ٦٨ ـ ٧٠ .
(٢) يس : ٤٨ ـ ٥٤ .
(٣) النازعات : ١٣ ، ١٤ .
(٤) القمر : ٥٠ .
(٥) الكهف : ٩٩ .
(٦) الحاقة : ١٣ ـ ١٨ .
(٧) النبأ : ١٨ ـ ٢٠ .
(٨) طه : ١٠٢ .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل: حدثنا سليمان التميمي عن أسلم العجلي، عن بشر بن سفيان ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور ؟ قال : « **قرن ينفخ فيه** »[1] . ثم رواه عن يحيى بن سعيد القطان ، عن سليمان بن طرخان التميمي به .

وأخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي، من طرق عن سليمان التميمي ، عن أسلم العجلي به. وقال الترمذي: حسن ولا نعرفه إلا من حديث أسلم العجلي .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط : حدثنا مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨﴾ قال : قال رسول الله ﷺ : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟** »[2] . فقال أصحاب محمد : يا رسول الله: كيف نقول ؟ قال: « **قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا** » انفرد به أحمد ، وقد رواه أبو كدينة عن يحيى ابن المهلب عن مطرف به .

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن مطرف عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: « **كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر ، متى يؤمر؟** » قال المسلمون : يا رسول الله ، فما نقول ؟ قال : « **قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا** »[3] .

وأخرجه الترمذي ، عن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة ، وقال: حسن، ثم رواه من حديث خالد بن طهمان ، عن عطية ، عن أبي سعيد به، وحسنه أيضًا.

---

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد (١٠/ ١٠ ، ١١)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٣٤٠) . والحاكم (٨/ ٣١٠٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الحديث صحيح : رواه أحمد (٣/ ٧، ٧٣) ، والترمذي (٢٤٣١).

(٣) الحديث صحيح : رواه أحمد (١٠٩٨٠) .

وقال شيخنا أبو حجاج المزي في الأطراف : ورواه إسماعيل بن إبراهيم، أبو يحيى التميمي ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، كذا قال رحمه الله . وهكذا رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الأهوال فقال : حدثنا عثمان بن أبي شيبة، أخبرنا جرير ، عن الأعمش، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله ﷺ : «**كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور ، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فينفخ ؟** » قلنا : يا رسول الله، ما نقول ؟ قال: «**قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل** » .

وقد قال أبو يعلى الموصلي في مسند أبي هريرة : روى أبو صالح ، عن أبي هريرة وعن عمران ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «**كيف أنعم أو كيف أنتم** ـ شك أبو صالح ـ **وصاحب الصور قد التقم القرن بفيه ، وأصغى سمعه، وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر ، فينفخ !**» قالوا : يا رسول الله ، كيف نقول ؟ قال : «**قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا** » .

وقال ابن أبي الدنيا : أخبرنا عبد الله بن جرير ، حدثنا موسى بن إسماعيل، أخبرنا عبد الواحد بن زياد : أخبرنا عبد الله بن عبد الله الأصم، أخبرنا يزيد بن الأصم ، قال: قال ابن عباس : إن صاحب الصور لم يطرف منذ وكل به ، كأن عينيه كوكبان دريان، ينظر تجاه العرش مخافة أن يؤمر أن ينفخ فيه قبل أن يرتد إليه طرفه .

وحدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر : حدثنا مروان بن معاوية ، عن عبد الله بن الأصم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أطرف صاحب الصور منذ وكل به، ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دريان**» (١) .

---

(١) الحديث صحيح : الحاكم (٨/ ٣١٠٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه »وقال الذهبي : صحيح على شرط مسلم .

النفخ في الصور

وأما النفخات في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع ، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث ، كما تقدم بيان ذلك في حديث الصور بطوله .

وقد قال مسلم في صحيحه: حدثنا أبو كريب ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما بين النفختين أربعون يومًا**» [1] ، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا قال: أبيت قالوا : أربعون شهرًا : قال: أبيت . قالوا: أربعون سنة ، قال: «**ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل، قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا ، وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**» .

ورواه البخاري من حديث الأعمش ، وحديث عجب الذنب وأنه لا يبلى وأن الخلق بدؤوا منه، ومنه يركبون يوم القيامة ، رواه عن ثابت من رواية أحمد، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة.

ورواه مسلم ، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق. ورواه أحمد ، عن يحيى القطان، عن محمد بن عجلان ، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **كل ابن آدم يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب**» [2]. تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم .

ورواه أحمد أيضًا من حديث إبراهيم الهجري ، عن أبي عياض ، عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه .

وأما المقصود هنا ذكر النفختين ، وأن بينهما إما أربعين يومًا ، أو شهرًا، أو سنة ، وهاتان النفختان هما والله أعلم ، نفخة الصعق ، ونفخة القيام للبعث والنشور ، بدليل إنزال الماء بينهما ، وذكر عجب الذنب الذي منه يخلق الإنسان

---

(١) الحديث متفق عليه : رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٧٢٣٨) .

(٢) الحديث صحيح : رواه مسلم (٧٢٧٢)، وأحمد (٧٤٩٦) .

ومنه يركب عند بعثه يوم القيامة ، ويحتمل أن يكون المراد منهما ما بين نفخة الصعق ، ونفخ الفزع وهو الذي يريد ذكره في هذا المقام ، وعلى كل تقدير ، فلا بد من مدة بين نفختي الفزع والصعق.

وقد ذكر في حديث الصور: أنه يكون فيها أمور عظام من ذلك زلزلة الأرض، وارتجاجها وميدانها بأهلها يمينًا وشمالا ، قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ. إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا. وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا . وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾(٣) .

ولما كانت هذه النفخة ـ أعني نفخة الفزع ـ أول مبادي القيامة ، كان اسم يوم القيامة صادقًا على ذلك كله .

كما ثبت في «صحيح البخاري » عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «**لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبًا بينهما فلا يتبايعانه ، ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها** »(٤) .
وهذا إنما يتجه على ما قبل نفخة الفزع بأنها الساعة لما كانت أول مبادئها.

وتقدم في الحديث في صفة أهل آخر الزمان أنهم شرار الناس ، وعليهم تقوم الساعة . وقد ذكر في حديث ابن رافع في حديث الصور المتقدم : أن

---

(١) الزلزلة: ١ ـ٣.
(٢) الحج: ١، ٢.
(٣) الواقعة: ١ ـ ٧ .
(٤) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٥٠٦) ، (٧١٢١) .

السماء تنشق فيما بين نفختي الفزع والصعق ، وأن نجومهما تتناثر ، وتخسف شمسها وقمرها، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن هذا إنما يكون بعد نفخة الصعق حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران، وتغشى وجوههم النار .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ . وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ . كَلاَّ لا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ . يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴾ (٣) . وسيأتي تقرير أن هذا كله كائن بعد نفخة الصعق .

وأما زلزال الأرض ، وانشقاقها، بسبب تلك الزلزلة ، وفرار الناس إلى أقطارها ، وأرجائها، فمناسب أن يكون بعد نفخة الفزع وقبل الصعق ، قال الله تعالى إخبارًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (٥) .

وقد تقدم الحديث في مسند أحمد ، وصحيح مسلم ، والسنن الأربعة ،

---

(١) إبراهيم : ٤٨ ـ ٥٠.
(٢) الانشقاق : ١ ، ٢.
(٣) القيامة : ٧ ـ ١٥.
(٤) غافر : ٣٢ ، ٣٣.
(٥) الرحمن : ٣٣ ـ ٣٦.

عن أبي شريحة حذيفة بن أسيد ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات** » فذكرها إلى أن قال : « **وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر**» . وهذه النار تسوق الموجودين في آخر الزمان من سائر أقطار الأرض إلى أرض الشام منها وهي بقعة المحشر والمنشر .

* * *

النار التي تحشر الناس إلى أرض الشام

ثبت في الصحيحين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **يحشر الناس على ثلاث طرق : راغبين ، وراهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار ، فتقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث أمسوا** » [١] .

وروى أحمد ، عن عفان ، عن ثابت بن أنس ، أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ عن أول أشراط الساعة فقال : « **نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**». الحديث بطوله ، وهو في الصحيح .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه البعث والنشور : عن أبي شريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ، سمعت أبا ذر الغفاري وقد تلا هذه الآية : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ .

فقال أبو ذر حدثني الصادق المصدوق ﷺ : « **إن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج : فوج طاعمين كاسين راكبين ،وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم** »، **قلنا قد عرفنا هذين ، فما بال الذين يمشون**

---

(١) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٥٢٢) ومسلم (٧٠٦٢) .

ويسعـون ؟ قال : «يلقي الله الآفـة على الظهر ، حـتى لا تبقى ذات ظهـر ، حتى أن الرجل ليعطي الحديقة المعجبة بالممارن ذات القتب » (١) لفظ الحاكم .

وهكذا رواه الإمام أحـمد ، عن يزيد بن هارون ، ولم يـذكر تلاوة أبي ذر الآية، وزاد في آخره: فلا يقدر عليها .

وفي مسند الإمـام أحمد ، من حـديث بهز ، وغيـره ، عن أبيه حكيم بن معاوية ، عن جده مـعاوية بن حميدة القشـيري ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**يحـشـرون ها هنا** ـ وأومأ بيـده إلى نحو الـشام ـ **مـشاة وركـبـانا ، ويمرون على وجوههم ويعـرضون على الله ، وعلى أفواهكم الفـدام فأول ما يعـرب عن أحدكم فخذه وكفه** » (٢) .

وقد رواه الترمذي ، عن أحمد بن منيع ، عن يزيد بن هارون ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، بنحوه وقال: حسن صحيح .

فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا ، من أقطار محلة الحشر ، وهي أرض الشام ، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة ، فقسم يـحشرون طاعمين كاسين راكـبين ، وقسم يمشون تارة ويركـبون أخرى ، وهم يعتقـبون على البعير الـواحد، كما تقدم في الصـحيحين «**اثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وعشرة على بعير**»، يعني يعتقبونه من قلة الظهر .

كما جاء مفسرًا في الحديث الآخر «**وتحشر بقيتهم النار ، وهي التي تخرج من قعر عدن ، فتحيط بـالناس من ورائهم ، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر ، ومن تخلف منهم أكلته النار**»، وهذا كله مما يدل على أن هذا في آخـر الزمان ، حيث الأكل والشـرب ، والركوب على الظهر المسـتوي وغيـره ، وحيث يهلك

---

(١) الحديث صحيح: رواه الحاكم (٢/ ٤٤٠) وقال الذهبي : أبو قـزعة سويد بن حجير : ثقة. ثم رواه الحاكم أيضًا من طريق آخر عن مـعاوية بن حيدة (٤/ ٥٦٥) برقم (٨٦٨٧) وسكت عليه هو والذهبي . وله شاهد عند الحاكم أيضًا برقم (٨٦٨٦) وصححه الذهبي .

(٢) الحديث صحيح: رواه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (٧٠٦١) والترمذي (٢٤٢٣) .

المتخلفون منهم بالنار ، ولو كان هذا بعد نفخة البعث ، لم يبق موت ولا ظهر يسري ، ولا أكل ولا شرب ، ولا لبس في العرصات.

والعجب كل العجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي بعد روايته لأكثر من هذه الأحاديث ، حمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة ، وصحح ذلك ، وضعف ما قلناه، واستدل على ما قاله بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا . وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ (١) . وكيف يصح ما ادعاه في تفسير الآية بالحديث وفيه : « **إن منهم اثنين على بعير ، وثلاثة على بعير ، وعشرة على بعير؟** » وقد جاء التصريح بأن ذلك من قلة الظهر ؟ هذا لا يلتئم مع هذا ، والله أعلم ، تلك نجائب من الجنة يركبها المؤمنون من العرصات إلى الجنات ، على غير هذه الصفة كما سيأتي تقرير ذلك في موضعه .

فأما الحديث الآخر ، الوارد من طرق أخر ، عن جماعة من الصحابة منهم ابن عباس ، وابن مسعود ، وعائشة ، وغيرهم . « **إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا** » ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ (٢) فذلك حشر غير هذا ، هذا يوم القيامة بعد نفخة البعث ، يقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلا ، أي: غير مختتنين، وكذلك يحشر الكافرون إلى جهنم وردًا أي عطاشًا.

وقوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ (٣) . فذلك حين يؤمر بهم إلى النار من مقام الحشر ، كما سيأتي بيان ذلك كله في موضعه إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان .

وقد ذكر في حديث الصور: أن الأموات لا يشعرون بشيء مما يقع مما ذكر ، بسبب نفخة الفزع ، وأن الذين استثنى الله فيها ، إنما هم الشهداء ؛ لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، فهم يشعرون بها ، ولا يفزعون منها ، وكذلك لا يصعقون

---

(١) مريم : ٨٥ ، ٨٦.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) الإسراء: ٩٧.

بسبب نفخة الصعق.

وقد اختلف المفسرون في المستثنين منها على أقوال: أحدها كما جاء مصرحًا به : أنهم الشهداء ، وقيل : بل هم جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وقيل: وحملة العرش أيضًا ، وقيل : وغير ذلك، فالله أعلم .

وقد ذكر في هذا الحديث ـ أعني حديث الصور ـ أنه يطول على أهل الدنيا مدة ما بين نفخة الفزع ونفخة الصعق ، وهم يشاهدون تلك الأهوال، والأمور العظام.

* * *

نفخة الصعق

يموت بسبب ذلك جميع الموجودين من أهل السموات ومن في الأرض ، من الإنس والجن ، والملائكة إلا من شاء الله ، فقيل : هم حملة العرش ، وجبريل ، وميكائيل، وإسرافيل ، وقيل : هم الشهداء ، وقيل غير ذلك قال الله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (٢) .

وقد ثبت في الصحيح « **يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل النار خلود ولا موت ، ويا أهل الجنة خلود ولا موت** » (٣) وسيأتي الحديث .

---

(١) الزمر : ٦٨.

(٢) الحاقة : ١٣ ـ ١٨.

(٣) الحديث صحيح : رواه البخاري (٦٥٤٨) ومسلم (٤٣) وأحمد (٢/ ١١٨) عن ابن عمر، ورواه مسلم في الجنة (٤٣) .

فملك الموت فانٍ حتى لا يكون بعد ذلك ملك الموت أبدًا ، والله أعلم.

وبتقدير صحة هذا اللفظ عن النبي ﷺ ، فظاهر ذلك أنه لا يحيى بعد ذلك أبدًا ، وهذا التأويل بعيد بتقدير صحة الحديث ، والله أعلم بالصواب.

وما قدروا الله حق قدره

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ . يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤) .

وثبت في الصحيحين ، من حديث الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **يقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول: أنا الملك ، أنا الجبار، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»(٥) . وفيهما أيضًا من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله يقبض السموات بيمينه ، ثم يقول: أنا الملك** » .

وفي مسند الإمام أحمد ، وصحيح مسلم ، من حديث عبيد الله بن مقسم

---

(١) الزمر : ٦٧.
(٢) الأنبياء : ١٠٤.
(٣) الحديد : ٣.
(٤) غافر: ١٥ ـ ١٧.
(٥) الحديث صحيح: رواه البخاري (٧٣٨٢) ومسلم (٦٩١٢) .

عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية [١] ذات يوم على المنبر : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ورسول الله ﷺ يقول كذا بيده ، يحركها ، يقبل بها ويدبر ، يمجد الرب نفسه «**أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم**»، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به ، وهذا لفظ أحمد .

قال في حديث الصور : «ويبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظي ، لا تَرَى فيه عوجًا ولا أمتًا » . ثم يزجر الله الخلائق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة وقد قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [٢] . وفي صحيح مسلم ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ : سئل أين يكون الناس يوم تبدل الأرض والسموات؟ فقال : «**في الظلمة دون الجسر** » [٣]. وقد يكون المراد بذلك تبديل آخر غير هذا المذكور في هذا الحديث، وهو أن تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين ـ نفخة الصعق، ونفخة البعث ـ فتسير الجبال ، وتميد الأرض، ويبقى الجميع صعيداً واحداً، لا اعوجاج فيها ولا روابي ولا أودية قال الله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ . أي: لا انخفاض فيها ولا ارتفاع وقال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [٤] . وقال تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [٥] ، وقال : ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ [٦] . وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ

(١) الحديث صحيح : رواه أحمد (٢/ ٧٢) برقم (٥٤١٤).
(٢) إبراهيم : ٤٨ .
(٣) الحديث صحيح : رواه مسلم (٣١٥) .
(٤) النبأ : ٢٠ .
(٥) القارعة : ٥ .
(٦) الحاقة : ١٤.

مِنهمْ أَحَدًا . وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ (١) .

وقال في حديث الصور : «... **ثم يُنزل الله من تحت العرش ماء ، فتمطر السماء أربعين يومًا، حتى يكون الماء فوقكم اثنى عشر ذراعًا ، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت ، كنبات الطرائيت وهو صغار القثاء أو كنبات البقل**» .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، ومسلم ، من حديث يعقوب بن عاصم عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال : « **ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ، ورفع ليتا ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه ، فيصعق ، ولا يسمعه أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل ، أو الظل ، فينبت منه أجساد الخلائق ، ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال : أيها الناس هلموا إلى ربكم** » .

وروى البخاري ومسلم: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**»(٢) قالوا : يا أبا هريرة أربعون يومًا ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة؟ قال : أبيت :« **ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجبُ الذنب منه يركب الخلق** » .

* * *

---

(١) الكهف : ٤٧ ، ٤٨ .

(٢) الحديث صحيح: رواه البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه .

نفخة البعث

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا : عن سعيد بن جبير ، قال : جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم قد رم وقال : يا محمد ، يبعث الله هذا ؟ قال : «**نعم : يميتك والله ، ثم يحييك**» (٥) ، ثم يدخلك النار ونزلت : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦) .

---

(١) الزمر : ٦٨ ـ ٧٠.

(٢) الإسراء : ٥٢ .

(٣) النازعات : ١٣ .

(٤) يس : ٥١ ـ ٥٤ .

(٥) الحديث صحيح : رواه الحاكم (٢/ ٤٢٩) برقم (٣٦٠٦) وقال الحاكم :« هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». وأقره الذهبي.

(٦) يس : ٧٨، ٧٩ .

وقال الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ ﴾ (١) .

قال: خلق آدم ، وخلقكم ، قال : فهلا تصدقون ؟ .

وعن أبي جعفر الباقر قال : كان يقال : عجبًا لمن يكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ؟ يا عجبًا كل العجب لمن يكذب بالنشر بعد الموت ، وهو ينشر في كل يوم وليلة ، ورواه ابن أبي الدنيا .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾(٢) .

قال : إعادته أهون عليه من ابتدائه وكل يسير ، رواه ابن أبي الدنيا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **قال الله عز وجل: كذبني عبدي ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، أما تكذيبه إياي فقوله : فليعدنا كما بدأنا ، وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدًا ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد**»(٣). وهو ثابت في الصحيحين . وفيهما قصة الذي أوصى إلى بنيه إذا مات أن يحرقوه ثم يذروا نصف رماده في البر ، ونصفه في البحر ، وقال : لئن قدر الله على ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، وذلك أنه لم يدخر عند الله حسنة واحدة ، فلما مات ، فعل ذلك بنوه، كما أمرهم ، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، فإذا رجل قائم، فقال له ربه : ما حملك على هذا ؟ قال : خشيتك ، وأنت أعلم، قال رسول الله ﷺ: « **فما تلافاه أن غفر له** » (٤).

وعن صالح المزي قال : دخلت المقابر نصف النهار ، فنظرت إلى القبور كأنها قوم صموت ، فقلت : سبحانه الله ، من يحييكم وينشركم من بعد طول

(١) الواقعة: ٦٢ .

(٢) الروم : ٢٧.

(٣) الحديث صحيح : رواه البخاري (٤٩٧٥)، وأحمد (٣/ ٣١٧).

(٤) الحديث صحيح : رواه البخاري (٣٤٨١) و(٦٤٨٠) .

البلى ؟ فهتف بي هاتف من بعض تلك الحفر يا صالح : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (١) . قال: فخررت والله مغشيًا عليَّ .

ذكر أسماء يوم القيامة

قال الحافظ عبد الحق الأشبيلي في كتاب العاقبة : يوم القيامة ، وما أدراك ما يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يجد كل عامل عمله أمامه، يوم الدمدمة، يوم الزلزلة، يوم الصاعقة ، يوم الواقعة ، يوم الراجفة ، يوم الرادفة ، يوم الغاشية ، يوم الداهية، يوم الآزفة، يوم الحاقة ، يوم الطامة ، يوم الصاخة ، يوم التلاق ، يوم الفراق ، يوم المشاق، يوم القصاص ، يوم لات حين مناص ، يوم التناد ، يوم الأشهاد ، يوم المعاد يوم المرصاد، يوم المساءلة ، يوم المناقشة، يوم الحساب، يوم المآب، يوم العذاب، يوم الفرار، يوم القرار إما في الجنة وإما في النار ، يوم القضاء، يوم الجزاء، يوم البكاء ، يوم البلاء، يوم تمور السماء مورًا وتسير الجبال سيرًا ، يوم الحشر ، يوم النشر ، يوم الجمع ، يوم البعث ، يوم العرض، يوم الوزن ، يوم الحق ، يوم الحكم ، يوم الفصل ، يوم عقيم ، يوم عسير ، يوم قمطرير ، يوم عصيب ، يوم النشور ، يوم المصير ، يوم الدين ، يوم اليقين ، يوم النفخة، يوم الصيحة ، يوم الرجفة، يوم السكرة ، يوم الفزع ، يوم الجزع ، يوم الفلق، يوم الغرق ، يوم العرق ، يوم الميقات ، يوم تخرج الأموات وتظهر العورات ، يوم الانشقاق، يوم الانكدار ، يوم الانفطار ، يوم الافتقار ، يوم الخروج ، يوم الانصداع ، يوم الانقطاع ، يوم معلوم ، يوم موعود ، يوم مشهود، يوم تبلى السرائر ، يوم تخرج الضمائر ، يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئًا ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا ، يوم يدعى فيه إلى النار ، يوم يسجن في النار ، يوم تنقلب فيه القلوب والأبصار ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ؛ يوم تقلب فيه الوجوه ، يوم لا يرتجى

---

(١) الروم : ٢٥ .

فيه إلا المغفرة .

وقال : وأهول أسمائه وأبشع ألقابه: يوم الخلود وما أدراك ما يوم الخلود يوم الانقطاع لعقابه، ولا يكشف فيه عن كافر ما به ، فنعوذ بالله ، ثم نعوذ بالله من بلائه ، وسوء قضائه بكرمه ورحمته .

يوم القيامة يكون في يوم الجمعة

وقد وردت في ذلك أحاديث قال الإمام مالك بن أنس : عن يزيد بن عبد الله بن الهادي ، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقام الساعة ، وما من دابة إلا وهي مسبحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة ، إلا الجن والإنس ، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه** » (١) .

ورواه أبو داود واللفظ له ، والترمذي من حديث مالك ، وأخرجه النسائي عن قتيبة ، عن بكر بن مضر عن أبي الهادية نحوه وهو أتم .

وقد رواه الطبراني في معجمه الكبير ، من طريق آدم بن علي ، عن ابن عمر ، مرفوعًا : « **ولا تقوم الساعة حين تقوم إلا في الأذان** » (٢) . يعني في أذان الفجر .

وروى الإمام أحمد بن حنبل ، عن أوس بن أوس الثقفي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعق ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة**

---

(١) الحديث صحيح : رواه مالك في «الموطأ» (ص ١١٣) . ورواه أبو داود (١٠٤٦) والترمذي (٤٨٨)، والنسائي (١٤٣٠).

(٢) الحديث حسن : قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٢).

علي » [١] قالوا يا رسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ـ يعني بليت؟ قال : « **إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » .

ورواه أبو داود والنسائي ، وابن ماجه، من حديث الحسين بن علي الجعفي مثله .

وفي رواية لابن ماجه ، عن شداد بن أوس ، بدل أوس بن أوس ، قال شيخنا : وذلك وهم .

وروى أحمد : عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري عن أبي لبابة بن عبد المنذر ، أن رسول الله ﷺ قال : « **سيد الأيام يوم الجمعة ، وأعظمها عند الله ، وأعظم عند الله من يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وفيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم ، وفيه توفى الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله العبدُ فيها شيئًا إلا آتاه الله إياه ، ما لم يسأل حرامًا ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا جبال ، ولا بحر ، إلا وهم يشفقن من يوم الجمعة** » [٢] .

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يحيى بن أبي بكر، عن زهير به.

وقد روى الطبراني عن ابن عمر مرفوعًا : « **أن الساعة تقوم وقت الأذان للفجر من يوم الجمعة للنصف من شهر رمضان**» وهذا غريب يحتاج إلى دليل.

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا [٣] : قال الحسن : يومان وليلتان لم يسمع الخلائق بمثلهن : ليلة الميت مع أهل القبور ، ولم تبت ليلة قبلها ، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشر من الله، إما بالجنة ، وإما بالنار ، ويوم تعطى كتابك إما بيمينك ، وإما بشمالك .

---

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد برقم (١٦١٠٧)، وأبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١/ ٣٤٥).
(٢) الحديث حسن : رواه أحمد (١٥٤٨٥) .
(٣) الرواية : عن رجل من أصحاب الحسن.

وكذا روي عن عبد قيس وهرم بن حيان وغيرهما : أنهم كانوا يستعظمون الليلة التي يسفر صباحها عن يوم القيامة .

وروى ابن أبي الدنيا : عن حميد ، قال : بينما الحسن في يوم من رجب في المسجد ، وفي يده قليلة ، وهو يمص ماءها ، ثم يمجه ، إذ تنفس تنفسًا شديدًا ، ثم بكى، حتى أرعد متكأه ثم قال: لو أن بالقلوب حياة ! لو أن بالقلوب صلاحًا ؟ يا ويلكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ! أي ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه حزن نادم .

أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة رسول الله ﷺ

روى مسلم بن الحجاج : عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :« **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مشفع**»[1] .

وقال هشيم : عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر** »[2] .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا : عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**ينفخ في الصور ، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من يبعث ، فإذا موسى آخذ بالعرش ، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور ، أو بعث قبلي** » . وفي الصحيح ما يقرب من هذا السياق .

والحديث في صحيح مسلم : « **أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأجد موسى**

---

(١) الحديث صحيح : رواه مسلم (٥٨٣٠) .

(٢) الحديث صحيح لغيره : رواه أحمد (٣/ ٢) والترمذي (٤/ ١٤٠) وابن ماجه (٤/ ٥٨١) وانظر: صحيح الجامع الصغير (١٤٦٨) .

باطشًا بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبلي ؟ أم جوزي بصعقة الطور» (١) . فذكر موسى في هذا السياق ، ولعله من بعض الرواة ، دخل عليه حديث في حديث فإن الترديد ها هنا لا يظهر وجهه لا سيما قوله : « **أم جوزي بصعقة الطور** » .

ومن أحسنها سياقًا « **إذا كان يوم القيامة فإن الناس يصعقون فأكون أول من يصعق ، فأجد موسى باطشًا بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أصعق فأفاق قبلي؟ أم جوزي بصعقة الطور** ». وهذا كما سيأتي بيانه يقتضي أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة ، وهو صعق آخر غير المذكور في القرآن ، وكان سبب هذا الصعق في هذا الحديث لتجلي الرب تعالى إذا جاء لفصل القضاء، فيصعق الناس كما خر موسى صعقًا يوم الطور، والله تعالى أعلم .

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي : عن عبد الله بن سلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأنا أول شافع ومشفع ، بيدي لواء الحمد ، حتى آدم فمن دونه** » (٢) . لم يخرجوه وإسناده لا بأس به .

* * *

---

(١) الحديث صحيح : رواه مسلم (٥٨٣٠) .

(٢) الحديث صحيح : أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢١٢٧ ـ موارد) بسند صحيح .

بعث الناس حفاة عراة غُرْلا
وأول من يكسى من الناس يومئذ

روى الإمام أحمد : عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **يبعث الناس يوم القيامة حفاة، عراة ، غرلاً** » [١] ، قال : فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [٢] .

وأخرجاه في الصحيحين ، من حديث حاتم بن أبي صغيرة ، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن القاسم ، عن عائشة بنحوه .

وروى الإمام أحمد : عن سعيد بن جبير يحدث ، قال : سمعت ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال [٣] : « **يأيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غُرْلا** ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [٤] . **ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وإنه سيجيا ناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فلأقولن : أصحابي ، وليقالن لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فلأقولن كما قال العبد الصالح :** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٥] . **فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم**» . أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة .

ورواه أحمد : عن سفيان بن عيينة ، وهو في الصحيحين من حديثه ، عن

---

(١) الحديث صحيح : رواه أحمد برقم (٢٤٤٦٩) (٦/ ٨٨) وهو صحيح بشواهده.
(٢) عبس : ٣٧.
(٣) الحديث صحيح : رواه أحمد (٢٢٨١) .
(٤) الأنبياء : ١٠٤.
(٥) المائدة : ١١٧.

عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مرفوعًا : «**إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا** » .

ورواه البيهقي ، من حديث هلال بن حيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال : « **تحشرون عراة حفاة**» ، فقالت زوجته : أينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال: «**يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**» [(١)] .

* * *

(١) الحديث صحيح : رواه الترمذي (٣٣٣٢) وقال حسن صحيح .

ذكر شيء من أهوال يوم القيامة

قال الله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ . يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ . يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا . يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ (٣) .

إلى قوله : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا . السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا . وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا . وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ

---

(١) الحاقة : ١٥ ـ ١٨ .
(٢) ق : ٤١ ـ ٤٤ .
(٣) المزمل : ١٢ ـ ١٤ .
(٤) المزمل : ١٧ ، ١٨ .
(٥) يونس : ٤٥ .
(٦) الكهف : ٤٧ ـ ٤٩ .

مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ . فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ . وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا . يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ . كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ . تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ . وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ . يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ . وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ . فَأَمَّا مَن طَغَىٰ . وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ . يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ . يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي . فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ

---

(١) الزمر : ٦٧ ـ ٧٠ .
(٢) المؤمنون : ١٠١ ـ ١٠٣ .
(٣) المعارج : ٨ ـ ١٨ .
(٤) عبس : ٣٣ ـ ٤٢ .
(٥) النازعات : ٣٤ ـ ٤٦ .

عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ . يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ . لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ . لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ . لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً . فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ . فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ . أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا . وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً . فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٣) .

ثم ذكر جزاء كل من هذه الأصناف الثلاثة عند احتضارهم .

وقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ . خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ . مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ . لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . هَٰذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

(١) الفجر : ٢١ ـ ٣٠ .
(٢) الغاشية : ١ ـ ١٧ .
(٣) الواقعة : ١ ـ ١٢ .
(٤) القمر : ٦ ـ ٨ .
(٥) إبراهيم : ٤٨ ـ ٥٢ .

لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ . يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ . يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ . وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا . كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا . مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً . يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا . وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا . يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا . يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا . وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) غافر : ١٥ ـ ٢٠ .

(٢) طه : ٩٨ ـ ١١١ .

(٣) البقرة : ٢٥٤ . (٤) البقرة : ٢٨١ .

(٥) آل عمران : ١٠٦ ، ١٠٧ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ . وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ . وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ . وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ . الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ . وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : ١٦١ .
(٢) النحل : ٨٩ .
(٣) النحل : ٨٤ ـ ٨٨ .
(٤) النساء : ٨٧ .
(٥) الذاريات : ٢٣ .
(٦) المائدة : ١٠٩ .
(٧) الأعراف : ٦ ـ ٩ .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ . فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ . هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ . لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ . وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا . الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا . وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ

---

(١) آل عمران : ٣٠ .
(٢) الزخرف : ٣٨ ، ٣٩ .
(٣) يونس : ٢٨ ـ ٣٠ .
(٤) القيامة : ١٣ ـ ١٨ .
(٥) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .
(٦) إبراهيم : ٤٤ ، ٤٥ .

الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا . فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ . وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ . قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ . وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ . فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [٤] .

وقال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ . وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٥] . أي لا ينطقون بحجة تنفعهم .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٦] .

وكذلك قوله : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [٧] . فهلا يكون في حال آخر ؟! .

---

(١) الفرقان: ٢٥ ـ ٢٩ .
(٢) الفرقان : ١٧ ـ ١٩ .
(٣) المرسلات : ٣٥ ـ ٣٩ .
(٤) القصص: ٦٢ ـ ٦٦ .
(٥) المرسلات : ٣٥ ـ ٣٧ .
(٦) الأنعام : ٢٣ ، ٢٤ .
(٧) المجادلة : ١٨ .

كما قال ابن عباس في جواب ذلك في رواية البخاري عنه لمن سأله عن مثل ذلك .

وهكذا قوله تعالى : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ . قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ . فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ . فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ . فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ . إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ . إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ . بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ . مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾(٥) .

---

(١) الصافات : ٢٧ ـ ٣٧ .

(٢) يس: ٤٨ ـ ٥٤ .

(٣) الروم : ١٤ ـ ١٦.

(٤) الروم : ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) الروم : ٥٥ ـ ٥٧ .

وقال : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ . فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا . يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا . وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا . إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِلطَّاغِينَ مَآبًا . لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا . إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وِفَاقًا . إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا . وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا . فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا . إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا . لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا . جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا . رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا . يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا . ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا . إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا

---

(١) سبأ : ٤٠ ـ ٤٢ .
(٢) لقمان : ٣٣ .
(٣) هود : ١٠٣ ـ ١٠٨ .
(٤) النبأ : ١٧ ـ ٤٠ .

الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ . وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ . يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً . وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً . وَيَصْلَىٰ سَعِيراً . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً . إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ . بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ (٣) .

وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق : أخبرنا عبد الله بن يحيى الصنعاني القاضي : أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره : أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ (٤) : «**من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين فليقرأ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴾ و﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾**» وأحسب أنه قال: وسورة هود .

وكذا رواه الترمذي ، عن عباس العنبري ، عن عبد الرزاق به ، ثم رواه

---

(١) التكوير : ١ ـ ١٤ .
(٢) الانفطار : ١ ـ ١٩ .
(٣) الانشقاق : ١ ـ ١٥ .
(٤) صحيح: وقد تقدم تخريجه . وانظر: صحيح الجامع (٦٢٩٣) .

أحمـد ، عن إبراهيم بن خالد ، عن عبـد الله بن بحر ، عن عبـد الرحمن بن يزيد من أهل صنعـاء ، وكان أعلم بالحـلال والحرام من وهب بن منبـه عن ابن عمر فذكره .

وفي الحديث الآخر : « **شيبـتني هود وأخواتها** » [(١)] والآيات في هذا كثيرة جدًا في أكثر سور القرآن.

* * *

(١) صحيح: رواه الترمـذي (٣٢٩٧) عن ابن عباس بلفظ : «شيبتني هـود والواقعة والمرسلات» وذكره الألباني في صحيح الترمذي (١٦٢٧). وانظر: صحيح الجامع (٣٧٢٠)، (٣٧٢١) ، (٣٧٢٢)، (٣٧٢٣) والصحيحة (٩٥٥) .

الآثار الدالة على
أهوال يوم القيامة وما يكون فيها

روى الإمام أحمد : عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم**» [١] تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به .

وفي معنى قوله ﷺ: « **تطش عليهم** » احتمالان: أحدهما: أن يكون ذلك من المطر يقال: أصابهم طش من مطر وهو الخفيف منه ، والثاني: أن يكون ذلك من شدة الحر ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [٢] .

وثبت في الصحيح أنهم يقومون في الرشح إلى أنصاف آذانهم ، وفي الحديث الآخر أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم كما تقدم ، وفي حديث الشفاعة كما سيأتي : « **إن الشمس تدنو من العباد يوم القيامة فتكون منهم على مسافة ميل ، فعند ذلك يعرفون بحسب الأعمال** » [٣] .

وروى الإمام أحمد : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين عامًا ، وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم** » [٤] شك ثور أيهما قال .

---

(١) الحديث حسن : رواه أحمد (١٣٧٤٨) (٣/ ٢٦٧) . وقال الهيثمي (١٠/ ٣٣٥) : رواه أحمد وأبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن أبي الصهباء . ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا وبقية رجاله ثقات اهـ.

(٢) المطففين: ٤ ـ ٦ .

(٣) الحديث صحيح : رواه مسلم في الجنة (٢٨٦٤)، والترمذي (٢٤٢١)، وأحمد (٧/ ٢٠٣).

(٤) الحديث صحيح : رواه البخاري (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣) ، وأحمد (٩٣٨٩) .

وكذا رواه مسلم ، عن قتيبة ، وأخرجه البخاري ، عن عبد العزيز بن عبد الله ، عن سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن سالم بن الغيث، عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ مثله .

وروى الإمام أحمد : عن سعيد بن عمير الأنصاري ، قال : جلست إلى عبد الله بن عمر وأبي سعيد فقال أحدهما لصاحبه : أي شيء سمعته من رسول الله ﷺ يذكر أنه يبلغ العرق من الناس يوم القيامة ؟ فقال أحدهما : إلى شحمته .

وقال الآخر : يلجمه، فخط ابن عمر وأشار أبو سعيد بأصبعه : من شحمة أذنه إلى فيه ، فقال : ما أدري ذلك إلا سواء.

تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي [١] .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا : عن المقداد بن الأسود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين**» .

قال سليم : لا أدري أي الميلين ؟ أمسافة الأرض؟ أم الميل الذي تكحل به العين؟ قال : قال: فتغمرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم ، فمنهم من يأخذه العرق إلى عقبيه ، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه إلجامًا .

قال : فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه قال : « **يلجمه إلجامًا**».

وكذا رواه الترمذي ، عن سويد بن نصر ، عن ابن المبارك ، وقال: حسن صحيح ، وأخرجه مسلم ، عن الحكم بن موسى ، عن يحيى بن حمزة ، عن أبي جابر نحوه .

---

(١) الحديث صحيح : رواه أحمد (٣/ ٩٠)، قال الهيثمي (١٠/ ٣٣٥): حديث ابن عمر في الصحيح رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير سعيد بن عمير وهو ثقة.

وقال ابن المبارك : عن مالك بن مغول ، عن عبيد الله بن العرار ، قال : إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن ، والسعيد الذي يجد لقدميه موضعًا يضعهما ، وإن الشمس لتدنو من رؤوسهم حتى يكون بينها وبين رؤوسهم إما قال ميل أو ميلان ، ويزاد في حرها تسعة وتسعين ضعفًا.

وقال الوليد بن مسلم : عن أبي بكر بن سعيد ، عن مغيث بن سمي قال: تركد الشمس فوق رؤوسهم على أذرع ، وتفتح أبواب جهنم ، فتهب عليهم رياحها وسمومها، وتجري عليهم نفحاتها ، حتى تجري الأنهار من عرقهم ، أنتن من الجيف ، والصائمون في خيامهم في ظل العرش .

وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » (١) .

وفي رواية: « **إلا ظل عرشه، إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله ، واثنان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك ، وتفرقا على ذلك ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**» .

وروى الإمام أحمد: عن زمعة: هو ابن عمرو الحرسي الشامي، قال: سألت عائشة فقلت ما كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من الليل؟ وبم كان يستفتح؟ . فقالت : كان يكبر عشرًا، ويحمد عشرًا، ويهلل عشرًا ، ويستغفر عشرًا ، أو يقول: «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني » ويقول : «**اللهم إني أعوذ بك من الضيق يوم القيامة**» . وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة ، عن أبي داود

---

(١) الحديث صحيح : رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١) .

(٢) الحديث صحيح : رواه أحمد (٢٤٩٨٢) (٦/ ١٤٣)، وأبو داود (٥٠٨٥)، والنسائي برقم (٥٥٣٥) ، (٣/ ٢٠٨) برقم (١٦١٧) وابن ماجه (١٣٥٦) ورواه النسائي أيضًا في عمل اليوم والليلة برقم (٨٧٠) .

الحراني، عن يزيد بن هارون بإسناد مثله وعنده: «من ضيق المقام يوم القيامة».

وعن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، سمعت الشامي قال: يخرجون من قبورهم وكلهم مذعورون فينادي مناد: ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(١).

فيطمع فيها الخلق، فيتبعها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾(٢). فييأس منها الخلق غير أهل الإسلام.

وله شاهد من القرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ. لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ. يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٣).

وذكر ابن كثير في التفسير: أن الكافر إذا قام من قبره أخذ بيده شيطانه، فيلزمه ولا يفارقه حتى يرمى بهما إلى النار، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾(٤). أي ملك يسوقه إلى المحشر، وآخر يشهد عليه بأعماله، وهذا عام في الأبرار والفجار، وكل بحسبه، ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ يعني: أيها الإنسان ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: نافذ قوي ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي هذا الذي جئت به هو الذي وكلت به، فيقول الله تعالى للسائق والشهيد: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ. الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ. قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ. قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ. مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ. يَوْمَ نَقُولُ

(١) الزخرف: ٦٨.
(٢) الزخرف: ٦٩.
(٣) الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٤.
(٤) ق: ٢١.

لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ (١) .

قال أبو بكر بن عياش : قال ابن عباس : يخرجون فينظرون إلى الأرض فيرونها غير الأرض التي عهدوا، وإلى الناس فيرونهم غير الناس الذين عهدوا ، ثم تمثل ابن عباس :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعرف

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز : **﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾** (٢) .

وقال تعالى : **﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** (٣) .

وقال تعالى : **﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾** (٤) .

وقال تعالى : **﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾** (٥) الآيات .

وقال : **﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ . وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾** (٦) .

وثبت في الصحيح، من حديث أبي حازم ، عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد**» (٧).

---

(١) ق : ٢٤ ـ ٣٠ .
(٢) إبراهيم : ٤٨ .
(٣) الرحمن : ٣٧ ، ٣٨.
(٤) الحاقة: ١٥ ـ ١٨.
(٥) التكوير : ١، ٢ .
(٦) الانفطار : ١، ٢ .
(٧) الحديث صحيح : رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٦٩١٧) .

وقال محمد بن قيس : وسعيد بن جبير : تبدل الأرض خبزة بيضاء ، يأكل منها المؤمن من تحت قدميه .

وقال الأعمش : عن خيثمة عن ابن مسعود قال : الأرض كلها يوم القيامة نار، والجنة من ورائها ، ترى كواعبها ، وأكوابها ، ويلجمهم العرق ، ويبلغ أفواههم، ولم يبلغوا الحساب .

وكذا رواه الأعمش ، عن المنهال بن قيس بن سليمان ، عن ابن مسعود فذكره وقال إسرائيل : وشعبة عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود ، قال : يوم تبدل الأرض غير الأرض .

قال : أرض كالفضة ، نقية لم يسفك عليها دم ، ولم تعمل فيها خطيئة ، يضمهم المحشر، ويناديهم الداعي ، حفاة ، عراة ، كما خلقوا ، أراه قال : قيامًا حتى يلجمهم العرق .

ورواه قتادة ، عن حسان بن بلال المزني ، عن عائشة، بمثل هذا سواء.

وروى الإمام أحمد : عن الشعبي، عن مسروق ، عن عائشة أنها قالت : أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ قالت : قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « **على الصراط** »[1] وأخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه، والترمذي، وابن ماجه ، من حديث داود بن أبي هند .

وروى أحمد أيضًا عن ابن عباس ، عن عائشة ، أنها سألت رسول الله ﷺ : عن هذه الآية ، ثم قالت : أين الناس يومئذ يا رسول الله قال : « هم

---

(١) الحديث صحيح : رواه أحمد (٦/ ١٣٤) ومسلم (٦٩١٨) والترمذي (٣١٢١) .

على متن جهنم »[١] .

وروى مسلم من حديث أبي سلام : عـن أسماء الرحبي ، عن ثوبان ، أن حبراً من اليهود سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : أين نكون يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **في الظلمة دون الجسر** »[٢] .

* * *

(١) الحديث صحيح: رواه أحمد (٢٤٧٣٧)، الترمذي (٢٣٤١) وقال حسن صحيح.
(٢) الحديث صحيح : رواه مسلم (٣١٥) .

طول يوم القيامة وما ورد في مقداره

قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [(١)] . قال بعض المفسرين: هو يوم القيامة .

وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ . تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[(٢)] وقد ذكرنا في التفسير اختلاف السلف والخلف في هذه الآية ، فروى ليث بن أبي سليم ، وغيره، عن مجاهد، عن ابن عباس، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو بعد ما بين العرش إلى الأرض السابعة » قال ابن عباس : وقوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هو بعد ما بين العرش إلى الأرض السابعة قال ابن عباس وقوله: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [(٣)] . يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض وصعوده من الأرض إلى السماء ، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام .

رواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير عن مجاهد أيضًا : وذهب إليه الفراء وقاله أبو عبد الله الحليمي فيما حكاه عنه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «البعث والنشور» .

قال الحليمي: والملك يقطع هذه المسافة في بعض يوم، ولو أنها مسافة يمكن أن تقطع لم يتمكن أحد من مسيرها إلا في مقدار خمسين ألف سنة، قال : وليس هذا من تقدير يوم القيامة بسبيل ، ورجح الحليمي هذا بقوله: ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾. يعني العلو والعظمة كما قال الله تعالى: ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [(٤)]

---

(١) الحج: ٤٧ .
(٢) المعارج: ١ ـ ٧ .
(٣) السجدة : ٥ .
(٤) غافر: ١٥ .

ثم فسر بقوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ أي في مسافة ﴿ كَانَ مِقْدَارُه خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة ﴾ أي بعدها واتساعهـا هذه المدة ،فعلى هذا القول ، المراد بذلك مسافة المكان . هذا قول .

القول الثاني : أن المراد بذلك مدة الدنيا قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن موسى ، حدثنا ابن أبي زائدة، عن ابن جريج، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ . قال: الدنيا عمرها خمسون ألف سنة ، ذلك عمرها يوم سماها الله تعالى يومًا، فقال : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ﴾ قال: اليوم: الدنيا وهو قول غريب جدًا لا يوجب في كثير من الكتب المشهورة.

القول الثالث : المراد بذلك فصل ما بين الدنيا ويوم القيامة رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي وهو غريب أيضًا .

القول الرابع : أن المراد بذلك يوم القيامة قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد ابن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، قال : يوم القيامة إسناده صحيح .

ورواه الثوري عن سماك ، عن عكرمة من قوله ، وبه قال الحسن ، والضحاك وابن زيد ، قال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن إدريس ، أخبرنا الحسن بن رافع ، أخبرنا ضمرة ، عن شوذب ، عن زيد الرشك ، قال : يقوم الناس يوم القيامة ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة، وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس: يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقال الكلبي في تفسيره ، وهو يرويه عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال: لو ولي محاسبة العباد غير الله لم يفرغ في خمسين ألف سنة.

قال البيهقي : وفيما ذكر حماد بن زيد ، عن أيوب ، قال : قال الحسن:

ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة ، حتى تقطعت أعناقهم عطشًا ، واحترقت أجوافهم جوعًا ، ثم انصرف بهم بعد ذلك إلى النار فسقوا من عين آنية قد أنى حرها واشتد نضجها .

وقد ورد هذا في أحاديث متعددة، والله أعلم .

وقال عبد الله بن عمرو : إن للمؤمنين يوم القيامة كراسي من نور ، يجلسون عليها، ويظلل عليهم الغمام ، ويكون يوم القيامة عليهم كساعة من نهار أو كأحد طرفيه . رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال .

وروى أحمد : عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه ، إلا جعل صفايح يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جبهته ، وجنباه ، وظهره، حتى يحكم الله بين عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار** »(١) . وذكر بقية الحديث في مانع زكاة الغنم والإبل أنه ينطح لها بقاع قرقر تطؤه بأخفافها، وأظلافها ، وتنطحه بقرونها ، كلما مرت عليه أخراها عيدت عليه أولاها ، حتى يقضى بين العباد ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار.

وهكذا رواه أبو داود، والطيالسي في مسنده ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ فذكر نحوه وأخرجه مسلم ، من حديث روح بن القاسم ، وعبد العزيز بن المختار ، كلاهما عن سهيل ، به مثله، وأخرجه مسلم أيضًا من حديث زيد بن أسلم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، مرفوعًا في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم .

---

(١) الحديث صحيح: رواه مسلم (٢٢٥٦، ٢٢٥٧)، وأبو داود (٢٤٤٠)، والترمذي (٥٧٦٩)، والنسائي (٢/ ١١٨) ، وأحمد (٧٥٥٣) .

وقد روى الإمام أحمد ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدها ورسلها يعني في عسرها ويسرها، فإنها تأتي يوم القيامة كأغزر ما كانت ، وأكثره ، وأسمنه ، وأسره حتى ينطح لها بقاع قرقر ، فتطؤه بأخفافها ، فإذا جاوزته أخراها ، أعيدت أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي بين الناس ، فيرى سبيله ، وإن كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها ، فإنها تأتي يوم القيامة كأغد ما كانت ، وأكبره ، وأسمنه، وأسره وأكثره وأنشره ، ثم يبطح لها بقاع قرقر ، فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها ، وتنطحه كل ذات قرن بقرنها، إذا جاوزته أخراها ، أعيدت عليه أولاها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس ، فيرى سبيله**» [1] .

قال البيهقي: وهذا لا يحتمل إلا تقدير ذلك اليوم بخمسين ألف سنة مما تعدون، والله أعلم.

ثم لا يكون ذلك كذلك إلا على الذي لا يغفر له.

فأما من غفر له ذنبه من المؤمنين ، فعن أبي هريرة قال : « **يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر إلى العصر** » [2] ثم قال : هذا هو المحفوظ.

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا حرملة بن يحيى : حدثنا ابن وهب : حدثنا عبد الرحمن بن ميسرة ، عن أبي هاني ، عن أبي عبد الرحمن الحلبي ، عن عبد الله بن عمرو قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقال : « **كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ؟** » [3] .

---

(١) الحديث صحيح : رواه مسلم (٩٨٧) ،وأبو داود (١٦٥٨) ، وأحمد (٢/ ٤٩٨) .
(٢) الحديث صحيح : رواه الحاكم (١/ ١٢٢) .
(٣) الحديث صحيح : رواه الحاكم (٤/ ٥٧٢) وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٧/ ١٣٥).

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا: عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ : «إن مقيلهم لإلى الجحيم» قال ابن المبارك هكذا هي في قراءة ابن مسعود .

ثم قال : حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن ميسرة الهندي ، عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ (١) قال : لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء .

هذا والحمد لله رب العالمين.

* * *

المؤلف

أبو عمر / محمد بن عبد الملك الزغبي

(١) الفرقان: ٢٤ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



دار الغد الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع

ISBN-13: 978-977-273-303-3
9 781234 567897